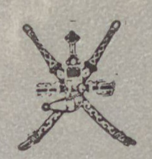


سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

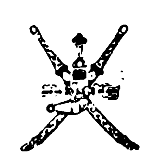
الكشف والبيان

تأليف الشيخ العالم
أبى عبد الله محمد بن سعيد
الأزدي القلهاتى

الجزء الثانى

تحقيق وشرح
الأستاذة الدكتورة
سيدة اسماعيل كاشف
أستاذة التاريخ الإسلامى
كلية البنات – جامعة عين شمس

١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م



٣٥١

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

الكشف والبيان

تأليف الشيخ العالم
أبي عبد الله محمد بن سعيد
الأزدي القلهاتي

الجزء الثاني

تحقيق وشرح
الأستاذة الدكتورة
سيدة اسماعيل كاشف

أستاذة التاريخ الإسلامي
كلية البنات – جامعة عين شمس

١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م



بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الأولى من الجزء الثاني من مخطوط الكشف والبيان

والعنوان، وأن يرحم إخواننا القراء، وأن يحشرنا في زمرة النبي الأمي العربي محمد صلى الله
عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً دائماً على الدهور والأزمان، ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم، نسأل الله لنا ولكافة المسلمين أن [illegible]
[illegible] فإنه بر منان، رحيم رحمن، والصلاة والسلام على سيدنا
ونبينا محمد بن عبد الله [illegible] عدنان، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان
وأنا أستغفر الله من التحريف والتصحيف والزيادة والنقصان. تم كتاب الكشف والبيان
بعون الله الملك الديان، وكان تمامه يوم الخميس [illegible] من شهر [illegible] المبارك
[illegible] سنة تسعين [illegible] من الهجرة النبوية
على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام [illegible]
العبد [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

الصفحة الأخيرة وهي صفحة ٢٦٩ من الجزء الثاني من مخطوط الكشف والبيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

[١] فى إظهار القدرة ومبتدأ خلق العرش والسموات والأرض والملائكة والجن والإنس

فأول ما خلقه الله من خلقه :

يروى عن حملة الأخبار والعلماء الأخيار والفقهاء الأخيار ، الأتقياء الأبرار ، أن الله سبحانه كان ولا مكان ، ولا إنس ولا جان ، ولا جماد ولا حيوان . متفرداً على طول الدهور والأزمنة ، لا يحل فى البقاع ولا الأمكنة ، حىّ قيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، لا تدركه الأبصار ، ولا تحويه الأقطار . والله لا إله إلا هو الواحد القهار ، عالم بما يكون قبل كونه أن لو كان كيف كان . متعالياً عن التحديد . ذو العرش المجيد ، الفعّال لما يريد ، جبّار قهّار ، عزيز غفّار . يوحّد ولا يبعّض . يُعْرَف ولا يُكَيَّف ، يحقّق ولا يُمثّل . العالم بما لم يكن وما كان . وكل مكان منه . لأن فى السماء عرشه ، وفى الأرض سلطانه . القريب فى علوّه ، البعيد فى دنوّه ، اخترع الأشياء بلا مثال ، وقدرها بغير احتيال ثم لا يشبهها . فتعالى الله عن مناسبتها ، وجلّ وتقدس عن مقاربتها . فهى دالة بنفسها على ما فيها من حدوث الصّنعة باختلاف محدودها ، وأعراضها ، وجواهرها . سبحانه وتعالى عن مشابهتها . أحاط بكل شىء علمه ، ووسعت كل شىء رحمته . العالم بعباده قبل أن يخلقهم . ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء . العظيم شأنه ، العامّ كرمه ، وفضله وإحسانه ، الشديد بطشه . الأليم أخذه ، القريبة رحمته

(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(١) . وإنه سبحانه وتعالى لما أراد أن يظهر قدرته ، وأن يرى العباد ملكه وعزته ، خلق الأشياء التى سبق فى علمه أن يخلقها محصاة عنده ، لا يحصيها إلا هو سبحانه وهو علام الغيوب .

ثم خلق العرش بقدرته ، وأمسكه بعزته والله غنى عن العرش . وخلق السموات والأرض وما فيهن وما بينهن من الخلق ، وأجرى ذلك بلطف قدرته وجزيل نعمته . وخلق الجبال والرياح والبحار والأمطار ، والليل والنهار . وما ذرأ(٢) وبرأ(٣) . ومما يرى ولا يُرى . وخلق الملائكة الكرام ، وخصهم بالسكن فى سمائه ، واستعملهم بعبادته . ونزههم عن الطعام والشراب . |٢| والجماع والأجناس والأرجاس . وخلق الجان من مارج(٤) من نار ، وخلق آدم من صلصال من حمإ مسنون . وخلق حواء(٥) من آدم . وكذلك قال فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء)(٦) الآية .

ومن كتاب آخر أن أول ما خلق الله تعالى الضباب ، ثم خلق القلم ، فجرى بما هو كائن فى الرق المنشود . ثم خلق الريح العقيم ثم خلق من الريح العقيم الثرى . وخلق من بعد الثرى البحر المحيط . فأوحى الله سبحانه إلى الريح العقيم فاضطربت فى الثرى ، ثم دخلت فى البحر فأثار دخاناً وزبداً فابتدع خلق الأرض من

---

(١) سورة الشورى : آية ١١ .
والمعروف أن الأباضية يصفون الله تعالى بمقتضى قوله عز وعلا :(ليس كمثله شيء) .
(٢) ذرأ : خلق .
(٣) برأ : خلق من العدم .
(٤) المارج : الشعلة ذات اللهب الشديد .
(٥) فى المخطوطة كتبت : حوى .
(٦) سورة النساء : آية ١ .

الزبد والسماء من الدخان . فأوحى الله إلى الزبد أن يجمد وإلى الدخان أن يعلو ومنه خلق السموات ، وخلق العرش من النور . والله غنيّ عن العرش وعمّا خلق لا شبيه له ولا ضدّ ولا ندّ . ثم ابتدع سبحانه الأرضين فى يوم الأحد، ثم استكمل خلقها يوم الاثنين . وكذلك وصف فى كتابه المبين فقال وهو أصدق القائلين : (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربّ العالمين)(١) .

واستكمل ماذرأ وبرأ فى الأرض من تقدير الأقوات ، ونصب الجبال وغيرها فى يوم الثلاثاء والأربعاء ، وهو قوله : (وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أوكرها قالتا أتينا طائعين)(٢) . وقال عزّ من قائل : (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حىّ أفلا يؤمنون)(٣) فيقال والله أعلم إنه فتق من الأرض سبع أرضين ، ومن السماء سبع سموات ثم خلق فى سماء الدنيا معالم وزينة وبروجا ورجوما وشمساً وقمراً ، وهو قوله عز وجل من قائل : و(زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين)(٤) . وقال سبحانه وتعالى : (إنا زيّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب)(٥) . وقال : (وجعلنا الليل والنهار آيتين)(٦) وقال : (وعلامات وبالنجم هم يهتدون)(٧) . ثم جعل كل سماء أعلى من سماء .

---

(١) سورة فصلت : آية ٩ .

(٢) سورة فصلت : الآيتان ١٠ — ١١ .

(٣) سورة الأنبياء : آية ٣٠ .

(٤) سورة الملك : آية ٥ . والآية تبدأ (ولقد زينا السماء ...) .

(٥) سورة الصافات : آية ٦ .

(٦) سورة الإسراء : آية ١٢

(٧) سورة النحل : آية ١٦ .

وضاعف أهلها سبعة أجزاء . ثم خلق الجنّ والإنس والهوام والطير والملائكة في ستة أيام وهو قوله عزّ من قائل : (في ستة أيام وما مسنا من لغوب)(١) .
وروى عن ابن عباس أنه قال : إن الله [٣] سبحانه وتعالى خلق الأرض في يومين وهما يوم الأحد ويوم الاثنين ، وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ويروى عن ابن عباس(٢) أيضاً أنه قال : خلق الله السموات يوم الخميس ويوم الجمعة .

وقال عكرمه : سأل نافع بن الأزرق(٣) ، ابن عباس ، فقال له : ألست تقول إن الله خلق الأرض في يومين قبل السماء ؟ قال : بلى . قال : فكيف هذا والله يقول : (فقضاهن سبع سموات في يومين)(٤) ، وقال : (والأرض بعد ذلك دحاها)(٥) ، فهذا يوجب أنه خلق الأرض بعد السماء . قال ابن عباس : ألست تفهم ؟ اعلم أن الله خلق الأرض قبل السماء وكانت ربوة مجتمعة ثم دحاها وبسطها بعد خلق السماء . قال ابن الأزرق : الآن علمت .

ومن سيرة هلال بن عطية الخراساني(٦) أن الله سبحانه خلق الأرض

---

(١) سورة ق : آية ٣٨ .
(٢) هو الصحابي الجليل عبد الله بن العباس ، أو البحر ، أو ترجمان القرآن ، أخذ عنه إمام الأباضية وفقيهها أبو الشعثاء جابر بن زيد .
(٣) نافع بن الأزرق : هو رأس فرقة الخوارج الأزارقة ، وكان بطل محاربتهم هم وفرق الخوارج الأخرى المهلب بن أبي صفرة الأزدي العماني ، انظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ٨١ ، ١١٨ – ١٢٠ ، ١٨٢ – ١٨٣ (طبعة بولاق – القاهرة ١٢٧٤ هـ) ، الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج ١ ، ص ٢٩٦ – ٢٩٨ (القاهرة ١٩٤٨ م) .
(٤) سورة فصلت : آية ١٢ .
(٥) سورة النازعات : آية ٣٠ .
(٦) من علماء الأباضية العمانيين الذين حضروا إمامة الجلندى بن مسعود (١٣٢–١٣٤) هـ انظر : السالمي ، تحفة الأعيان ، ج ١ ، ص ٦٧ .

فجعلها فراشاً وقراراً ، وجعل الجبال لها أوتاداً ،وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ، وخلق الليل والنهار آيتين فمحا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة فسمى الظلمة الليل ، وسمى الضوء النهار، وأخذ أحدهما من الآخر على قدر سواء فما نقص من الليل زاده بقدره من النهار ، وما نقص من النهار زاد بقدره من الليل ، آيتان من قدرته . وجعل الليل لباساً ، وجعل النوم سباتاً وراحة وسكناً لكل دابة وكل خلق . وجعل النهار نشوراً ، ينتشر فيه الخلق ليبتغوا من فضله . وخلق الدواب والأنعام والطير وسائر الأنام . وخلق الأنهار والأشجار والسهل والجبل وسائر الأقوات . وخلق البحر وجعل فيه المنافع والمرافق . وعلم العباد ما ينتفعون به وبما يحتاجون إليه ، لأنه سبحانه علام الغيوب لأنه علم ما يحتاجون إليه قبل أن يخلقهم ، ثم دلهم على منافعهم بعد أن خلقهم ، وعلمهم كيف يستمتعون به ، وجعل فى بعض بلاده مالم يجعل فى بعض من المسكبة والمعيشة . ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض : (ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا : أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها)(١) كما قال سبحانه وتعالى: (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم)(٢) . ولو شاء سبحانه وتعالى أن يخلق ذلك كله فى يوم واحد وساعة واحدة وأقرب من لمح البصر وأسرع ما |٤| يعرف . ويوصف سبحانه إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . ثم إن الله سبحانه تبارك وتعالى اختبر الملائكة وإبليس بطاعته ليعلم منهم المطيع فى حال علمه والعاصى فى حال علمه . وقد سبق ذلك فى علمه بسعادة من سعد من خلقه ، وشقاوة من شقى منهم وهو بكل شىء عليم .

---

(١) سورة فصلت : آيتا ١١-١٢ .

(٢) سورة فصلت : آية ١٢ .

في خلق ساكني الأرض :

خلق ساكن الأرض من الجن والإنس ، وبلغ الكتاب أجله فقال للملائكة : (إني جاعل في الأرض خليفة)(١) وأطلعهم على ذلك . قالوا : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم مالا تعلمون)(٢) .

خلق آدم صلوات الله عليه :

ثم خلق آدم وعلمه أسماء كل شيء ، ثم عرض مسميات تلك الأسماء على الملائكة فقال : (أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين)(٣) . فعيوا عنها وردوا العلم إلى الله ولم يروا ذلك عيباً عليهم ولا عاراً ، ولم يتكلفوا من ذلك مالا يعلمون . قالوا :(سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)(٤)

فإن عارض معارض وقال إن الملائكة أعيت عن علم ما نظرت إليه وعلموا بما لم يروا ، من ذلك قولهم : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ، قيل له إن الله تعالى يختص برحمته من يشاء ، ويفضل بعض عباده في العلم وهو علاّم الغيوب .

ومن كتاب مبتدأ الخلق : أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الأرض بعث

---

(١) سورة البقرة : آية ٣٠ .

(٢) سورة البقرة : آية ٣٠ .

(٣) سورة البقرة : آية ٣١ .

(٤) سورة البقرة : الآيتان ٣٢ : ٣٣ .

ملكاً إلى الأرضين السبع ، فقال : انطلق إلى الأرض فائتنى منها بتراب أخلق منه خلقاً . فأوحى إلى الأرض انطقى . فلما انتهى إليها الملك قالت : أين تريد ؟ قال : إلى رسول رب العالمين ، آخذ منك تراباً يخلق منه ربى خلقاً . قالت له الأرض : إنى أقسم عليك بأسماء الله تعالى أن لا تأخذ منى تراباً يخلق منه ربى خلقاً يعصى ربه !! فقال : إنما أنا رسول وعلىَّ طاعة ربى . فأخذ من الأرضين السبع من السوداء والغبراء والحمراء والخضراء والصفراء والأدماء(١) والبيضاء . وبلّ ذلك التراب بالماء فصار طيناً ، خلقه الله صورة فأحسن صورته ، وخلط فى ذلك أخلاطاً أربعة : الحار والبارد والرطب واليابس ، وهى الطبائع الأربع . فلبثت تلك الطينة أربعين سنة حتى أنتنت وأراحت ، ثم لبثت أربعين سنة حتى صارت لازباً ، ثم لبثت أربعين سنة حتى صارت حمأ مسنوناً ، ثم لبثت أربعين سنة حتى صارت صلصالا كالفخار . ثم خلق آدم من تلك الطينة ، خلقه الله بيده فلبث آدم جسداً مطروحاً لاروح فيه على طريق الملائكة أربعين سنة والملائكة يتعجبون من خلقه .

فقيل ان إبليس مضى إليه فضرب بطنه وظهره فسمع له دنينا فقال : إن هذا الخلق ضعيف يأكل ويشرب. وكان طول آدم ستين ذراعاً أكمل الله خلقه وصورته .

قالت الملائكة : عند ذلك خلق ربنا خلقاً ما نظر الناظرون مثله . وقيل إن مجاهداً كان يقول : إن أول شيء صور منه موضع الفرج ، فقيل له : يا آدم هذه أمانة فلا تضعها إلا فى مواضعها حيث تؤمر به . وأول مكان نفخ فيه الروح فى دماغه ، فانحدر الروح من دماغه إلى عينيه فأبصر بهما ،

---

(١) الأدماء : الأسمر .

فقيل : يا آدم هذه دلالة على ما تؤمر به . ثم انحدر الروح إلى خياشيمه فعطس ، فلما فرغ من عطاسه وبلغ الروح فاه تكلم . فألهمها الله قول : الحمد لله ربّ العالمين . فأجابه ربه : إنى إنما خلقتك لتحمدنى : سبقت رحمتى غضبى . ثم انحدر الروح إلى صدره ، ، فعالج نفسه ليقوم . قال الله تعالى وخلق : (الإنسان عجولا)(١) . ثم انحدر الروح إلى قدميه فاستوى قائماً .

قال عزّ من قائل : (لقد خلقنا الإنسان فى كبد)(٢) . والكَبَدُ الانتصاب ، وليس شىء من الخلق إلا وهو منكبّ على وجهه .

فصل

قال حدثنا الكلبى عن ابن صالح عن ابن عباس أن الملائكة حيث عجبت من آدم وحسن صورته ، قال لهم إبليس : أرأيتم هذا المخلوق الذى لم تروا مثل صورته إن فضّل عليكم ما أنتم صانعون ؟! قالوا : نطيع ربنا ونفعل ما يأمرنا به . فقال إبليس فى نفسه : لكننى إن فضل علىّ لا أطيعه ، ولئن فضلت عليه لأهلكته . فعلم الله ما أظهرت الملائكة من قولها ، وما أسرّ إبليس فى نفسه من العداوة لآدم ، وهو علاّم الغيوب . فأراد الله سبحانه أن يُرى الملائكة فضيلة آدم علّمه ما لم يعلمهم . وقد خلق سبحانه الدواب والبهائم والطير والوحوش وما ذرأ فى الأرض قبل خلق آدم صلوات الله عليه . قالت الملائكة : لم يخلق الله سبحانه خلقاً إلا ونحن أعلم به من آدم . فأراد الله سبحانه وتعالى أن يعجز الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . لأنكم قلتم لم يخلق الله خلقاً إلا ونحن أعلم به من آدم . قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم

---

(١) فى سورة الإسراء : آية ١١ . (وكان الإنسان عجولا) .
(٢) سورة البلد : آية ٤ .

أنبئهم بأسمائهم . فلما(١) أنبأهم بأسمائهم ، أى بأسماء تلك الخليقة ، فقال آدم للفرس هذه فرس ، وللطير هذا طير ، وسمى [٦] كل شىء باسمه وجنسه، فلما أنبأهم بأسمائهم قال الله سبحانه : ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . أما الذى أبدوا هو الذى قال إبليس لأصحابه : أرأيتم إن فضِّل عليكم ما أنتم صانعون ؟ قالوا : نطيع ربّنا ونفعل ما يأمرنا . هذا الذى أبدوا . وأما الذى كتموا فما أسرّه إبليس فى نفسه خاصة من المعصية لآدم والعداوة له .

استسلام الملائكة :

فأمر الله الملائكة وإبليس بالسجود لآدم طاعة له، لا لآدم ، وليريهم فضيلة آدم صلى الله عليه وسلم ، وليهبط إبليس إلى الأرض فى سبب تلك السجدة ، وليبدى الله منه ما كان يضمره عليه من الكبر والعظمة ، وأن من أطاعه نجا من عقابه ، ومن عصاه وقع فى عذابه . فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، واستكبر إبليس فلم يكن من الساجدين . وكذلك كان فى علمه سبحانه وتعالى أن إبليس لايطيع وأنهم يطيعون. فكفر إبليس يومئذ بمعصية الله ، إذ ترك ما أمره الله به، كفر نعمة ونفاق لا كفر شرك ، لأنه لم يكن فى ذلك الوقت أشرك بالله وإنما صار مشركاً بعد ذلك ، إذ دعا إلى عبادة نفسه وإلى عبادة الأوثان . فلم يعجل الله عليه إذ ارتكب معصية الله وضيّع أمره ، أن دعاه إلى التوبة وهو قوله تعالى : (يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ استكبرت أم كنت من العالين)(٢) . قال إبليس : (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين)(٣) . فلم يعتذر من ذنبه ، ولم يتبالى ربّه وأصر واستكبر ، وتولى وأدبر . فأحبط الله عمله . (قال فاخرج

---

(١) هكذا فى المخطوطة ، ولكن سياق الكلام يستقيم إذا كتبت « فأنبأهم بأسمائهم » .
(٢) سورة ص : آية ٧٥ .
(٣) سورة ص : آية ٧٦ .

منها فإنك رجيم. وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين)(١) . فطلب إبليس النظر إلى يوم البعث حسداً منه لآدم ولذريته لكى يعصوا كمعصيته . فحرمه الله رحمته ، وصار إماماً للمصرّين . فمن أمره الله بطاعته ونهاه عن معصيته فارتكب مانهى الله وضيّع أمر الله فقد كفر كما كفر إبليس . ومن لم يتب ويندم على الذى واقعه وأصرّ عليه أحبط الله عمله ، وكان مع إبليس واستحق ما استحقه إبليس من اللعنة . لأن الله سبحانه الحكم العدل فى عباده ولمّا سبق فى علمه أنه من المبلسين(٢) الغاوين . جعله الله يوم خلقه للنّار وفتنة للعباد : (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبّر فيها فاخرج إنك من الصاغرين)(٣). وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين . (قال ربّ فأنظرنى إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين)(٤) . قال الله عز وجل إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين .

[٧]

خلق حواء :

وأوحى الله تعالى إلى آدم أنى خلقتك بيدى وصورتك لمحبتى وطاعتى ، وأسجدت لك ملائكتى ؛ وإنى خالق لك زوجة منك تأنس إليها . فألقى الله على آدم النعاس فخرج من بين لحمه وعظمه خلق لم ير الراؤون أحسن منه على صورة آدم . وقيل إنها خلقت من ضلعه القصير ، فلما أكمل الله خلق حواء منه نبهته . فلما انتبه آدم إذا خلق على صورته ممثل به لا ينكر منه شىء سوى الرحم . قال آدم : ما أنت ومن أنت ؟ فأنطقها الله سبحانه

---

(١) سورة ص : الآيتان ٧٧ ، ٧٨ ؛ وفى المخطوطة كتبت الآية ٧٧ خطأ عن طريق السهو (قال اخرج منها .....)

(٢) أبلس : يئس وتحير .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٣ .

(٤) سورة ص : الآيات ٧٩ — ٨٣ .

فقالت : أنا منك ولك . فسماها آدم « حواء » لأنها خلقت من حواياه ، أى من جوانبه . وهو قوله عز وجل : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) (١) .

وقد روى فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المرأة خلقت من ضلع أعوج فإن ذهبت لتقيمها كسرتها وإن رفقت بها استمتعت(٢) بها وفيها عوج » .

قال سبحانه وتعالى : يا آدم إنى مدخلك الجنة . ففرح بذلك فرحاً شديداً . وكان آدم صلى الله عليه وسلم نبياً مكرما . فأمر الله الملائكة أن (٣) يحملوا آدم وحواء على كرسى الكرامة وهم يتبركون على آدم وحواء حتى أدخلوهم الجنة بعدما مضى من النهار ثلاث ساعات ، وهو ربع ذلك اليوم ، وهو يوم الجمعة ، مقدار ذلك اليوم ألف سنة(٤) وهو اثنا عشر ساعة . فأدخلهم الله الجنة وقد مضى ربع ذلك اليوم وهو مائتان وخمسون سنة . ومكثا فى الجنة نصف ذلك اليوم وهو خمسمائه سنة ، وهو ست ساعات ، وأخرج وقد بقى الربع من ذلك اليوم وهو مائتان وخمسون سنة وهو ثلاث ساعات ، وذلك كله كان فى يوم الجمعة . فألبسهما الله لباس النور وأمرهما أن يأكلا من الجنة حيث شاءا رغداً ، ونهاهما أن يقربا الشجرة ، وهو قوله تعالى : (وكلا(٥) منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا

---

(١) سورة النساء : آية ١ .

(٢) فى المخطوطة استمعت بها .

(٣) أن : الزيادة من عندنا .

(٤) قال الله تعالى : (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) سورة الحج : آية ٤٧ .

(٥) كتبت سهواً فى المخطوطة « فكلا » .

هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه)(١)وأباح لهما أن يأكلا من الجنة حيث شاءا |٨| إلا تلك الشجرة حرّمها عليهما اختباراً(٢) منه لهما. وحذرهما عداوة إبليس لهما وأن لا يخرجهما إبليس من رحمة الله وجنته كما خرج هو من طاعة الله . وقد علم الله سبحانه وتعالى أنهما سيعصيانه فلم ينفعهما الحذر لهما والنصيحة لهما لما علم الله فيهما، فخدعهما إبليس وغرّهما . قال الله تبارك وتعالى : (فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما (٣) وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين * فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما)(٤) ووقعا فيما نهاهما ربهما فغويا بمعصيتهما إياه . فلم يعجل عليهما كما لم يعجل على إبليس قبلهما لما وقع الذنب ، لأن حكمه فى عباده عدل غير جور . وروى عن ابن عباس أنه كان يقول : إن الشجرة التى نهى الله آدم عن أكلها هى شجرة البرّ ، وإن الحبة منها ككلى البقر ألين من الزبد وأحلى من العسل . فسكنا الجنة يأكلان من ثمارها ويشربان من أنهارها وهما جارا الله فى داره، فلما ذاقا الشجرة سلبا لباسهما وبدت عوراتهما وأبصر كل واحد منهما ما كان عن صاحبه مستوراً . فاستحييا وعمدا يخصفان عليهما من ورق الجنة . وقيل إن الورق كان ورق التين . وكان آدم رجلا طويلا كثيف شعر الرأس كأنه نخلة سحوق(٥) ، فمضى هارباً من الجنة لا يدرى أين يتوجه . قيل فأوحى الله إلى شجرة من شجر الجنة أن أمسكى آدم وحواء ، فأمسكهما بعض من أغصانها ، فأوحى الله إليه : يا آدم أفراراً منى !!

---

(١) سورة البقرة : الآيتان ٣٥ – ٣٦ .

(٢) فى أصل المخطوطة (اختيارا) .

(٣) فى أصل المخطوطة « سواتهما » .

(٤) سورة الأعراف : الآيات ٢٠ – ٢٢ .

(٥) النخلة طالت فهى سحوق والجمع سحق .

فقال آدم صلى الله عليه وسلم : بل حياء منك يارب ! وبقتنى خطيئتى وأعانتنى على المعصية زوجتى ! فناداهما (ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين)(١) ».

توبة آدم وحواء عليهما السلام :

فقالا عند ذلك : (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)(٢) (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)(٣) .

ولو أن آدم حين عرضت عليه التوبة لم يتب ولم يعترف عن خطيئته ويرجع لكان بمنزلة إبليس ، ولكنه اعترف بخطيئته وذنبه وتاب إلى ربه . وقبل منه سبحانه توبته مناً منه عليه ، ورحمة له فصار إماماً للتائبين لقوله فى محكم الكتاب : (وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) (٤) وقال سبحانه [٩] :(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)(٥) .

وقال صلى الله عليه وسلم :« التائب من الذنب كمن لاذنب له» (٦) ؛ وقال صلى الله عليه وسلم : « هلك المصرّون » .

---

(١) سورة الأعراف : آية ٢٢ .

(٢) سورة الأعراف : آية ٢٣ .

(٣) سورة البقرة : آية ٣٧ .

(٤) سورة طه : آية ٨٢ .

(٥) سورة البقرة : آية ٢٢٢ .

(٦) رواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم عن أبى سعيد الأنصارى ، وأحمد وابن ماجه وآخرون عن ابن مسعود : (العجلونى الجراحى : كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢ : ٣١٥) .

وقال العزيز الحكيم : (ولم يصرّوا على ما فعلوا)(١) .

والتوبة نجاة والإصرار هلاك « فافهموا عباد الله أصل الدين ، واعلموا أنه لا صغير من الذنب مع الإصرار ، ولا كبير من الذنب مع الاستغفار . وكل من أصر على الذنوب كان حقاً على الله أن يحبط عمله ويلحقه بإبليس . ومن تاب من الذنوب مخلصاً كان حقاً على الله أن يلحقه بآدم وحواء ، وليس منزلة غير هاتين المنزلتين . فتيقظوا عباد الله وتفهموا ولا تكونوا كالذين منوا أنفسهم الأمانى الكاذبة ورووا الروايات الضالة الجائرة ، وادعوا لأنفسهم الجنة على المعاصى »(٢) . وقد قال العزيز الحكيم : (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) (٣)

ولن يجتمع الصالح والطالح فى حظيرة الفردوس(٤) أبداً . والله تعالى يقول : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)(٥) . لا كما زعمت الحشوية (٦) أن العاصى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومقترف الكبائر

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٣٥ .

(٢) هذه الجمل الاعتراضية كلها وعظ وإرشاد من المؤلف بخصوص التوبة والاستغفار وعدم الإصرار على الذنب .

(٣) سورة النساء : الآيتان ١٢٣ – ١٢٤ .

(٤) كتبت فى المخطوطة « حضيرة الفردوس » .

(٥) سورة الجاثية : آية ٢١ .

(٦) فرقة من الفرق ، ومنهم عبد الله بن محمد بن كلاب القطان الذى كان يقول إن كلام الله هو الله : انظر (ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٦٩ – ٢٧٠ – مطبعة الاستقامة بالقاهرة) .

وقيل إنهم فرقة من فرق المعتزلة تمسكوا بظواهر القرآن ووقعوا فى التجسيم وهم منسوبون إلى الحشو أى رذال الناس . انظر (محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد الثالث ، ص ٤٤٧ – طبع بمطبعة الواعظ بمصر سنة ١٣٣٠ هـ – ١٩١٢ م) .

إذا ماتوا مصرين لا يخلدون فى النار . والله سبحانه وتعالى يقول : (**بلى من** كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)**(١)** وجعلوا لأنفسهم منزلة لم تكن لأبيهم آدم صلوات الله عليه . لأن آدم لولم يتب لم يشم رائحة الجنة ، ولولا التوبة للحق بإبليس ، لكن الله تفضل عليه وأنقذه بالتوبة .

فاعلموا معاشر المسلمين أن ليس لكم منزلة غير منزلة أبيكم عند الله .

---

(١) سورة البقرة : آية ٨١ .

الباب الثانى

فى هبوط آدم وحواء وإبليس والحية من الجنة

قيل أوحى الله تعالى إلى جبريل عليه السلام وميكائيل أن أخرجا عبدى مخرجاً رفيقاً . فبلغنا والله أعلم أن آدم وقع ببلاد الهند فى جبل من جبال سيلان . ويوجد أن الجبل يقال له « واسم » والله أعلم . ووقع إبليس بميسار ، والحية بأصبهان ، ووقعت حواء ببيت المقدس ، وقيل بجدة والله أعلم أى ذلك كان . حديث آخر يرفع عن ثابت |١٠| البنانى عن عبد الله بن عمر الليثى يرفعه أنه قال : لما غضب الله تعالى على إبليس وأخرجه من رحمته وجنته قال : يا رب إن آدم عدوى وقد شقيت بسببه فسلطنى عليه وعلى ذريته ، فقال : قد سلطتك عليه . قال : يا رب زدنى ! قال لا يولد لآدم ولد إلا ولد لك مثله . قال : يا رب زدنى ! قال : صدور بنى آدم مساكنكم تجرون فيها مجرى الدم . قال : يا رب زدنى ! قال واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً .

قال آدم : رب إن إبليس عدوى أوقعنى فى المعصية وشقيت به فاجعل ما يمنعنى منه !! قال : يا آدم لا يولد لك ولد إلا وكلت به ملكاً يحفظه ، قال : يارب زدنى ! قال : الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بواحدة مثلها . قال يا رب زدنى ! قال : التوبة لا أنزعها من عبدى مادامت الروح فيه . قال يا رب زدنى ! قال : (يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم)(١) .

ويقال والله أعلم إن آدم صلى الله عليه وسلم لما هبط إلى الأرض ، وكان نسر قد صادق حوتاً فى البحر وكان النسر يأتى الحوت كل يوم يخبره

---

(١) سورة الزمر : آية ٥٣ .

ما يرى فى البر من العجائب ، والحوت يخبره بما يرى فى البحر من العجائب ، فلما هبط آدم صلوات الله عليه إلى الأرض ورآه النسر أتى الحوت وقال له : لقد رأيت اليوم خلقاً لم أر مثله ؛ يمشى برجلين ، ويبطش بيدين ، ويأكل بفم ، وينظر بعينين. فقال الحوت : إن صدقتنى فى هذا الحديث فإنه هو الذى يخرجنى من بحرى ، ويستنزلك من وكرك .

وإن آدم صلوات الله عليه لما هبط إلى الأرض استوحش وفقد رائحة الجنة وحزن حزناً شديداً ، فأوحى الله تعالى إليه : بمعصيتك يا آدم ؛ فقال : يا رب وانقطعت عنى أصوات الملائكة وفقدت رائحة الجنة . فأوحى الله إليه : بمعصيتك يا آدم . وقال آدم : يا رب إن فراق زوجتى من أعظم بلائى . فأوحى الله إليه أن يسر إلى مغرب الشمس فإنى أهوّن عليك مسيرك حتى تنتهى إلى زوجتك .

فسار آدم بوحى الله وأمره ودلالته حتى انتهى إلى زوجته ببيت المقدس بعد أن تعارفا بعرفات والله أعلم .

خبر هابيل وقابيل مختصراً :

قال الله تعالى : (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال [١١] إنما يتقبل الله من المتقين)(١) قال عمرو حدثنا الكلبى عن ابن صالح : أن حواء كانت تلد فى كل بطن اثنين غلاماً وجارية . فولدت أول بطن بقابيل وأختاً له يقال لها إقليما ، والبطن الثانى هابيل وأختاً له يقال لها نودا . فأمر الله آدم صلى الله عليه أن ينكح هابيل أخت قابيل وينكح قابيل أخت هابيل . فرضى هابيل وسخط قابيل ، لأن أخته كانت أحسنهما . فقال قابيل : لا أرضى ! ! وما حكم الله

---

(١) سورة المائدة : آية ٢٧ .

بهذا إلا حكمك يا آدم وأثرتك لهابيل لإضمارك ودّه عليّ !! وكانوا إذا دهمهم أمر يقربوا قرباناً إلى الله ، فمن تقبل قربانه كان له إقليما . وكان هابيل يطلب رضا الله وثواب الآخرة ويسارع إلى منازل الشرف يوم القيامة ، وكان قابيل لا يبالى . فدعاهما صلوات الله عليه أن يقربا قرباناً ، فلما نزل القربان قال قابيل : والله إن زوجتها هابيل لأقتله . فلما صعد الجبل دعا آدم ربه فنزلت النار فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل ، لأنه لم يكن زاكى(١) القلب . فلما نزلوا من الجبل انطلق قابيل إلى هابيل وهو فى غنمه وقال : لأقتلنك . قال له هابيل : علامَ تقتلنى ؟ قال : لأن الله تقبّل قربانك وردّ عليّ قربانى ، وتنكح أختى الحسنة وأنكح أختك الدميمة . فقال هابيل : (إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين)(٢) : فلما نام هابيل جاءه قابيل ومعه حجر فشدخه(٣) ، وكان عرّفه بذلك إبليس تمثل له وحمل له حجراً وقال له هكذا اقتله ! فلما قتله وفعل ما أمره به إبليس ، قال له إبليس : أنت صاحبى . قال الله تعالى : (فأصبح من النادمين)(٤) واحتبس هابيل فى هذا الموضع وفقده أبوه آدم صلوات الله عليه فحسّ آدم أنه قتله ، فحزن آدم عليه حزناً شديداً . فأصبح قابيل وكان قتل أخاه بالعشى ، فلما أصبح رأى غراباً يبحث فى الأرض لغراب ميت يدفنه . قال قابيل : (يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين)(٥) .

---

(١) الزاكى : الطيب ، الجمع زُكاة.

(٢) سورة المائدة : الآيتان ٢٧ - ٢٨ .

(٣) شدخ الرأس : كسره .

(٤) سورة المائدة : آية ٣١ .

(٥) سورة المائدة : آية ٣١ .

وهو أول دم سفك على وجه الأرض ومن أجل ذلك الأرض لا تنشف الدم . وفى قابيل وإبليس يقول أهل النار : (ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين)(١) . فالذى من الجن إبليس كان مفتاح الخطيئة ، والذى من الإنس قابيل بن آدم الذى قتل أخاه .

وأنزل الله تعظيم القتل فى القرآن قوله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جنهم خالداً فيها [١٢] وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما)(٢).

وأنزل الله تعظيم الدماء وأنزل فى التوراة على موسى : (أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً)(٣) .

ويقال والله أعلم إن الشمس كسفت يوم قتل قابيل هابيل سبعة أيام والله أعلم . فلما قتل هابيل تغيرت البلاد والأشجار ، وكانت كلها طيبة والماء جميعه عذباً ، فتمررت الأشجار وملح الماء ، ولحقت الأمراض والوباء .

ويوجد أن آدم صلوات الله عليه قال فى هذا المعنى :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
وقابيل قتل هابيل ظلماً فوا أسفا على الوجه المليح
فوا أسفا على هابيل ابنى قتيلا قد تضمنه الضريح

موت قابيل :

يقال إن قابيل ابتلعته الأرض لوحى الله تبارك وتعالى عليها فابتلعته ، وله أحاديث طويلة تركتها اختصاراً .

---

(١) سورة فصلت : آية ٢٩ .

(٢) سورة النساء : آية ٩٣ .

(٣) سورة المائدة : آية ٣٢ .

الباب الثالث

فى مبعث النبى شيث ومولده ونبوة الأنبياء من بعده

ثم حملت حواء بشيث بن آدم ، فلما وضعته وترعرع وحسن ُخلقه وخَلقه وبلغ مبالغ الرجال ، أوحى الله تبارك وتعالى إلى آدم أنى متوفيك إلىّ فخذ على شيث العهود والمواثيق ، واكتب عليه كتاباً وأشهد عليه شهوداً . قال آدم صلوات الله عليه لشيث : يا بنى إن الله أوحى إلى أن آخذ عليك العهود والمواثيق . قال شيث : يا أبت اقض ما أمرك الله به . قال فبرز حتى صار إلى موضع خال من الأرض فجعل يوصى شيث بتقوى الله ويحذره نقم الله . فلما فرغ من وصيته قال : إلهى وسيدى قد امتثلت ما أمرتنى به وهذا شيث قد حضر . فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل والملائكة أن اهبطوا إلى آدم وشيث وخذوا على شيث العهد والميثاق واكتبوا عليه كتاباً وكونوا عليه من الشاهدين . فنزل جبرائيل عليه السلام بخرقة بيضاء من الجنة فكتب على شيث الوصية وجعله خليفة فى لدين والإسلام . فدين الله واحد من لدن آدم إلى يوم القيامة .

وفاة آدم صلوات الله عليه :

فلما حضرت آدم الوفاة قال لبنيه : يا بنى قد قرب أجلى وأنا مفارقكم فاعملوا بطاعة ربكم ولا تعصوه ، واحذروا عدوكم إبليس فإنه يراكم ولا ترونه ، فاحذروا أن تقعوا فى مصايده ، إن قدر عليكم أهلككم . قالوا سمعنا الذى [١٣] تأمرنا به . قال آدم صلى الله عليه وسلم : قد حفظتم وصيتى قالوا نعم ! قال : فمن تمسك منكم بوصيتى فإن الله قد أوعدنى أن من أطاعنى من ذريتى وتمسك بوصيتى جعلتهم معك ، ومن عصانى منهم ولم يقبل وصيتك وأطاع الشيطان عذبته وأحرقته بالنار وجعلته مع الشيطان وحزبه ، وليست بمنزلة غير هاتين

المنزلتين »(١) كما قال العزيز الحكيم : (إما شاكراً وإما كفوراً)(٢) .

رجع إلى حديث آدم صلى الله عليه وسلم :

فلما حضرت آدم الوفاة قال لابنه شيث : يا بنى إنى ميت وقد اشتهيت من ثمار الجنة . فانطلق شيث فلقيه جبرائيل عليه السلام وعنده نفر من الملائكة فقال شيث : يا روح الله إن أبى مريض وقد اشتهى من ثمار الجنة وقد أرسلنى أستهديك له . فقال له جبريل عليه السلام : فارجع إن أباك قد مات ! أما علم أبوك أنه لا يأكل من الجنة إلا أن يعود إليها ! ارجع وأبوك قد مات ، وقد جئنا لنغسله . فرجع عندهم وقد أتاه جبريل بكفن من الجنة فغسله ثلاث غسلات : الأولى(٣) بماء قراح ، والثانية بماء وسدر(٤) والثالثة بماء وكافور ، ثم كفنه وحنطه ، فقال شيث لجبريل : أيها الروح الأمين !! تقدم فصل عليه . فقال له جبريل عليه السلام : إنا معاشر الملائكة أمرنا بالسجود لأبيك فلا ينبغى لأحد منا أن يؤم ولده ، فتقدم فصل على أبيك . فتقدم شيث وأمره جبريل أن يكبر عليه أربعاً وصلت عليه الملائكة ، وشق له لحداً فى غار أبى قبيس فدفنه فيه وقال له : يا آدم ! هذه سنتك وسنة ذريتك من بعدك .

---

(١) يشير المؤلف هنا إلى رأى واصل بن عطاء الغزال الفارسى الذى اختلف مع أستاذه الحسن البصرى فى مسألة المؤمن العاصى الذى ارتكب ذنباً كبيراً : هل يسمى مؤمناً أو لا ؟ ويقول واصل ومن تبعه من المعتزلة إن مثل هذا الشخص لا يمكن أن يسمى مؤمناً ولا يمكن أن يسمى كافراً وإنما هو « فى منزلة بين المنزلتين » ، وطبيعى أن المؤلف يرفض هذا الرأى .

(٢) سورة الإنسان : آية ٣ .

(٣) كتبت فى المخطوطة : الأولة .

(٤) السدر : شجر النبق والجمع سدور ، والسدرة : شجرة النبق والجمع سدرات وسدر .

حديث خروج الذرية :

قيل والله أعلم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم وذريته على رضراض (١) من ماء أبيض وهم يربون(٢) حوله على وجه الأرض كالذر(٣) . فقالت الملائكة : إلهنا وسيدنا ! إن هؤلاء لا تسعهم الأرض !! فأوحى الله إليهم أنى أفنيهم بالموت . فقالت الملائكة : إن هؤلاء لا يستلذون لذة ولايجدون سروراً . فأوحى الله إليهم أنى أبسط لهم الأمل وأنسيهم الموت . وذلك دليل قوله تعالى : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) (٤) .

ويوجد أن آدم عمر تسعمائة سنة :

وفاة شيث بن آدم صلى الله عليه :

فعمل شيث بوصاة أبيه آدم وأطاع ربه واستن سنته إلى أن حضرته الوفاة رحمة الله عليه .

نبوة إدريس صلى الله عليه وسلم :

وهو أول نبى بعث [١٤] بعد آدم صلى الله عليه وسلم وهو جد نوح صلى الله عليه وسلم . وكان من أشد الناس عبادة ، بعثه الله إلى قومه وقال له : يا إدريس بعثتك إلى قومك تأمرهم أن يعبدونى ولا يشركون بى شيئاً

---

(١) الرضراض : ما صغر ودق من الحصى .

(٢) رب ربا : زاد .

(٣) الذر : صغار النمل .

(٤) سورة الأعراف : آية ١٧٢ .

وهى وصيتى فى الأولين والآخرين ، وأن تشهدوا أن لاإله إلاأنا فاعبدون :
وذلك قوله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا)(١)

وكان قومه سحرة ، وأول من لعن الآباء والأمهات وقطعوا الأرحام وأطاعوا الشيطان . فدعاهم إدريس صلى الله عليه ، وهو أول نبى بعث إلى طاعة الله . وهو أول نبى جاء بالكتاب من بعد آدم وذلك قوله تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)(٢) .

وكان مما فرض عليه شهادة أن لا إله إلا الله ، وهو دين الحق الذى ارتضاه لنفسه . ودليل ذلك قوله تعالى عز من قائل : (إن الدين عند الله الإسلام)(٣) . وفرض عليه صلاتين طرفى النهار : غدوة(٤) وعشية(٥) ، وفرض عليه الحج إلى الكعبة البيت الحرام ، وفرض عليه الأحكام والحدود وترك السحر . فلما دعا قومه إلى ذلك أبوا وهموا بقتله فرفعه الله إليه وأسكنه الجنة وهو قوله : (ورفعناه مكاناً علياً)(٦) :

وله أخبار طويلة اختصرناها ، وأهلك الله قومه وجعل الأرض عليهم دكاً .

---

(١) سورة الإسراء : آية ٢٣ .
(٢) سورة البقرة : آية ٢١٣ .
(٣) سورة آل عمران : آية ١٩ .
(٤) الغدوة : أول النهار ، ما بين الفجر وطلوع الشمس .
(٥) العشية : آخر النهار ، أول الظلام .
(٦) سورة مريم : آية ٥٧ .

نبوة نوح صلى الله عليه وسلم :

واسمه شاكر ، وهو نبي الله نوح بن لمك بن ناحور بن أخنوخ ، وهو ادريس الذى هو جد نوح عليه السلام . أرسله الله إلى قومه وهو قوله عز وجل : (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم)(١) .

بعثه الله تبارك وتعالى وأمره بتوحيده ، وهو الدين الذى فرضه الله على ملائكته وأنبيائه . أوحى الله إليه أنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى ولا تشرك بى شيئاً ، وادع قومك إلى ذلك . وهو الدين القيم الذى أمر الله به النبيين أن يدعوا إليه ، آدم وإدريس ونوحاً وهوداً وصالحاً وشعيباً وموسى وهارون وشيث واليسع وإلياس وأيوب ويونس وداود وسليمان وعيسى ومحمداً صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ، وهو شهادة أن لا إله إلا الله كلمة التوحيد والإخلاص . وكان مما فرض على نوح أن يبروا بالوالدين وأن يوفوا بالعهد ، وأن لا يقربوا الزنا ، وأن لا يأكلوا مال اليتيم .

وكان [١٥] نوح يتلو الكتاب من الصدر الأول فى صلاته . وفرض عليه ثلاث صلوات : أول النهار وأوسطه وآخره ، وكان لا يصلى جماعة ، وكان يصوم فى الشهر ثلاثة أيام فريضة من ربه . فدعا قومه إلى طاعة الله وإلى ما أمره الله به : فعاش فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، أرسله الله إليهم وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة ، وعاش بعد ما خرج ثلاثمائة وخمسين سنة . قال لقومه : (إنى لكم نذير مبين)(٢) (أن لا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم * فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى)(٣) فكانوا يؤذونه ويضربونه ضرباً وجيعاً حتى كان يحمل بين

---

(١) سورة نوح : آية ١ .

(٢) سورة نوح : آية ٢ ؛ وسورة هود : آية ٢٥ .

(٣) سورة هود : الآيتان ٢٦ — ٢٧ .

أربعة . وهو صلى الله عليه يقول لهم : يا قوم آمنوا بربكم وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون . وهم يستهزءون به ويؤذونه ويعذبونه ويضربونه . وكان الرجل منهم يوصى ولده فيقول له : يابنى إياك وهذا الشيخ لا يغويك من بعدى !! .

وكذلك يتوارثون الوصايا حتى انتهى رجل منهم بولده إليه وقال له : يا بنى احذر هذا الشيخ لا يغويك من بعدى فإنا قد حدثنا أن هلاك هذه الأمة يكون على يديه . فقال الولد : يا أبت أمكنى من العصا . فأخذ الغلام العصا فضرب وجه نوح فسالت منه الدماء . فجاءه جبرائيل عليه السلام فأخبره وقال له : يا نوح إنه لم يبق فى أرحام النساء ولا أصلاب الرجال مؤمن! إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون !! فعند ذلك دعا نوح ربه فقال : (رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) (١) .

وقيل إن النساء عقمن لما كذبوه أربعين سنة فلم يولد لهن (٢)ولد(٣) .

وأوحى الله إليه فقال له يانوح : (اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون)(٤) .

فأخذ نوح فى عمل السفينة ، وأمره جبرائيل عليه السلام أن يجعل

---

(١) سورة نوح : الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) كتب فى المخطوطة « لهم » .
(٣) كتبت فى المخطوطة سهواً « ولداً » .
(٤) سورة هود : آية ٣٧ .

صدرها كصدر الديك ، وجؤجؤها(١) كجؤجؤه ، وذنبها كذنبه ، وأن يجعل فيها ثلاثة بيوت مطبقة أعلى وأوسط وأسفل . وأمره أن يحمل الناس في أعلاها ، وأن يجعل بنى آدم(٢) فى وسطها ، والدواب والوحوش [١٦] فى أسفلها . وحمل معه من كل زوجين اثنين . وكان طول السفينة ثلاثمائة ذراع ، وعرضها ثلاثين ذراعاً ، وعلوها فى السماء ثلاثين ذراعاً . وكلما مر به من سفهاء قومه سخروا منه ويقولون : متى تسير بك سفينتك ؟ لأنه كان يعملها فى أرض لاماء فيها . وقد قيل إنه عملها ببلاد الهند والله أعلم .

وكان قومه أول من عبد الأصنام وكانت لهم الأصنام التى ذكرها الله ، وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً(٣) . وكان إبليس الذى عملها لهم وكانوا يعبدونها إلى زمان الغرق(٤) فاندفنت فلم تزل مندفنة حتى أخرجها الشيطان للعرب فى أول جاهليتهم ودلهم عليها وعرفهم بأسمائها . فأخذت قضاعة وداً(٥) فعبدوه وكانت بدومة الجندل ثم توارثوه حتى صار لكلب(٦) فجاء الإسلام وهم يعبدونه ، وأما سواع (٧)فصار إلى هذيل(٨) حتى جاء الإسلام

---

(١) الجؤجؤ من السفينة : الصدر والجمع جآجىء .

(٢) لعل الكاتب يقصد بكلمة بنى آدم : عامة الناس ، إذ أن الناس كلهم بنو آدم .

(٣) قال الله تعالى : (قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً * ومكروا مكراً كباراً * وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) . سورة نوح : الآيات ٢١ — ٢٣ .

(٤) يشير بذلك إلى الطوفان الذى حدث أيام سيدنا نوح .

(٥) كان القمر يعرف فى عبادة السبئيين باسم « ود » .

(٦) كلب من قبائل العرب القحطانية اليمنية .

(٧) سواع صنم على صورة امرأة .

(٨) هذيل من قبائل العرب الشمالية العدنانية .

وهم يعبدونه . وأما يغوث(١) فكان عند طى ثم صار إلى مراد(٢) فعبدته مراد وبنو الحرث بن كعب . وأما نسر ، فصار إلى حمير(٣) ومن دخل فى ملكهم .

فلما استوت السفينة أوحى الله إلى نوح عليه السلام أن العلامة بيننا وبينك إذا فار التنور فى دارك فاركب السفينة أنت ومن معك من المؤمنين . فلما رأى نوح الماء فار من التنور وهو فى آخر داره ، ركب فى ثمانين رجلا وثمانين امرأة ، وحمل فى السفينة كما أمره الله من كل زوجين اثنين ، وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ، يعنى ولد نوح وامرأته وسائر من كفر من قومه .

وفتح الله أبواب السماء بالماء فكانت ترمى كالميازيب(٤) لا تصيب شيئاً إلا أغرقته . وفجر الله الأرض عيوناً ، فأنزل الله مثل ماخرج من الأرض لم يكن لأحدهما فضل على الآخر ، أدام الله ذلك الماء أربعين يوماً وأربعين ليلة كما قال العزيز الحكيم . فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وارتفع الماء فوق كل جبل خمسين ذراعاً وقيل أربعين ذراعاً والله أعلم .

وركب نوح السفينة لعشر خلوان من رجب ، ونزل فى عشر خلون من المحرم لتمام ستة أشهر . وكانت تجرى بهم ولا تستقر ، فى موج كالجبال حتى أتت الحرم فطافت به سبعة أشواط . ورفع البيت من الغرق وهو البيت المعمور الذى كان يطوف به آدم .

---

(١) صنم على صورة أسد .

(٢) طيء ومراد من القبائل القحطانية اليمنية (راجع القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، ج ١ ، القاهرة ١٩١٣ م) .

(٣) حمير : آخر دولة من دول اليمن القديمة قبل الإسلام ، امتدت من نحو سنة ١١٥ ق . م إلى سنة ٥٢٥ م وقد ورثت حضارة معين وسبأ وملكهما السياسى .

(٤) الميزاب والمئزاب : القناة يجرى فيها الماء ، الجمع ميازيب ومآزيب وربما قيل أيضاً موازيب .

وقيل كانت الكعبة من درة من جوهرة الجنة ، وبقى منه الحجر الأسود فى أبى قبيس .

ثم سارت السفينة حتى انتهت إلى الجودى وهو جبل بأرض الموصل فاستقرت عليه .

وفى الحديث أن الجبال |١٧| تطلعت أن تعلوهن السفينة وانخفض الجودى وتواضع فاستقرت السفينة لتواضعه . وأوحى الله تبارك وتعالى للجبال أنى كذلك أفعل ، من تواضع لى رفعته ومن تكبر وضعته . وأوحى الله تبارك وتعالى إلى الأرض أن ابلعى ماءك ، فبلعت ماءها الذى خرج منها ، وياسماء أقلعى ، فأمسكت السماء ماءها . وفى الحديث أن الماء أتى على ما بين المشرق والمغرب إلا السفينة ومن فيها ، فلما نشفت الأرض نزلوا بابل وكانوا يومئذ ثمانين رجلا ، فوضعهم يسمى سوق ثمانين ، والله أعلم .

ويقال إن نوحاً عليه السلام نادى ربه ، قال : يارب !! (إن ابنى من أهلى ، وإن وعدك الحق) (١) فقد وعدتنى أن تنجينى وأهلى !! فأوحى الله عز وجل إليه أن ابنك ليس من أهلك الذى وعدتك أن أنجيهم معك ، إنه كافر ، ليس هو منك ، (فلا تسألن ماليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين)(٢) قال نوح : (رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين)(٣) .

وفى الحديث أن الثمانين الذين ركبوا مع نوح لم تكن منهم ذرية ، والناس كلهم من ذرية نوح وأولاده الثلاثة حام وسام ويافث . فأما الزنج والحبش والهند والسند والنوبة

---

(١) سورة هود : آية ٤٥ .

(٢) سورة هود : آية ٤٦ .

(٣) سورة هود : آية ٤٧ .

والبربر من أولاد حام . والعرب والفرس والروم من أولاد سام(١) . ويأجوج ومأجوج والسقالب والترك من أولاد يافث .

ووصى نوح أولاده بطاعة الله ، وأمرهم بالصلاة والزكاة ، وصلة الأرحام ، وبر الوالدين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والصوم ، والوفاء بالعهد ، وأن يؤمنوا بالله والرسل من قبلهم : آدم ، وشيث ، وإدريس .

واستخلف سام بن نوح ، وكان أفضل أولاده . ومنه كانت الأنبياء والأولياء والملوك وخيار الناس .

وكان سام يأمر بالصلاة والمواظبة(٢) عليها ، والمحافظة على ركوعها وسجودها . وكان يصلى فى كل يوم ثلاثين ركعة ، وكان يصوم عاشوراء ، وهو اليوم الذى استوت فيه السفينة على الجودى .

وحج سام مع أبيه ، وعلمه المناسك ، وكان يلبى ويقول : « لبيك اللهم لبيك ، لاشريك لك لبيك ، إن الحمد لك والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك » . وإن الله سبحانه أنزل على سام بن نوح صحفاً .

---

(١) نلاحظ أن لفظ « سامى » مشتق من « سام » المذكور فى الآية الأولى من الإصحاح العاشر من سفر التكوين ونصها : « وهذه مواليد بنى نوح : سام وحام ويافث » .

وقد جاء فى التوراة (سفر التكوين) أن سفينة سيدنا نوح رست على جبل أراراط فى أرمينيا بعد انحسار الطوفان ، ثم تفرق أبناء نوح فسار يافث إلى الشرق ، وحام إلى المغرب ، وسام إلى الجنوب. ويجدر بنا أن نلاحظ أن عدداً من الشعوب التى سكنت الهلال الخصيب وشبه جزيرة العرب ، أو تلك التى يرجح أنها خرجت من جزيرة العرب ، تتشابه فى أصول لغاتها وفى كثير من النواحى الدينية والاجتماعية فى تاريخها . ولذلك استنبط العلماء أن هذا التشابه يرجع إلى أن هذه الشعوب انحدرت من أصل واحد وأنها كانت تعيش فى البداية فى مكان واحد وأن لغاتها مشتقة من لغة واحدة هى اللغة السامية الأم . والمعروف أن العبرانيين والكلدانيين والبابليين والآشوريين والآراميين والعرب والحبش يعرفون باسم الشعوب السامية .

(٢) كتبت فى المخطوطة « المواضبة » .

ولم يزل الناس فى زمن سام بن نوح على منهاج واحد ، وطريقة واحدة إلى أن مات [١٨] سام بن نوح بعد أبيه . ثم اختلف الناس ، وتبلبلت الألسن ببابل ، تكلم أهل السريانية بالسريانية والعبرانية بالعبرانية ، والقبطية بالقبطية ، وكذلك جميع اللغات ، وأهل الروم بالرومية ، والفرس بالفارسية ، وأبو عاد بالعربية وهم العرب العاربة .

نبوة هود صلى الله عليه :

وهو هود بن عبد الله ، وقيل هود بن عوص ، وقيل ابن عابر . ثم إن الله سبحانه وتعالى بعث هوداً إلى عاد ، وهوهود بن عابر بن عاد بن ارم بن سام بن نوح . وقيل هود بن اخلود بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح . فدعاهم إلى طاعة الله وترك معاصيه كما قال العزيز الحكيم : (وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)(١) فبعثه الله بدينه الحق وهو الإسلام وأمره بالتوحيد ، وهو شهادة أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وجميع المفروضات . فدعاهم نبى الله صلوات الله عليه إلى طاعة الله فأبوا أن يطيعوه وقالوا له : إنك مجنون ، وإنك تريد عرض الدنيا فقال : ما أسألكم عليه من أجر ، (إن أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون)(٢) .

قالوا ياهود إنك اعتراك بعض آلهتنا بسوء ، أى جنون ، فارجع إلى آلهتنا فاعبدها يذهب عنك بعض ذلك الجنون .

(قال إنى أشهد الله ، واشهدوا أنى برىء مما تشركون)(٣) ، من

---

(١) سورة الأعراف : آية ٦٥ .

(٢) سورة هود : آية ٥١ .

(٣) سورة هود : آية ٥٤ .

دونه من آلهتكم لا أرجع إلى عبادتها بعد إذ هداني الله للإسلام وأوصاني أن أعبده ولا أعبد غيره ، وهو قوله عز وجل من قائل : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)(١) إني بريء مما تشركون .

وفي الحديث عن ابن عباس أن هوداً وقومه كانوا أعراباً وكانت منازلهم بأرض اليمن بصنعاء ، وكانوا عشر قبائل : زخر وزنك وسوده وصده وديمة والجعود والعمارات والجها وميش والكسايل ، وكلهم بنو عاد وهم ذريته . وكانوا شديدي البطش ، وكانوا أصحاب عمود(٢) ، وماشية ، وجنات وزروع . وكانوا طوالا أطولهم مائة ذراع والقصير منهم ثمانون ذراعاً .

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان يريه رجلا من قوم عاد ، فأظهر الله له رجلا منهم كانت رجلاه بالمدينة ورأسه بذي الحليفة مسيرة ستة أميال والله أعلم(٣) .

فلما كذبوا هوداً ولم يقبلوا منه ما أمرهم به من طاعة الله ، [١٩] اوحى الله تبارك وتعالى إلى هود إني مهلك قومك .

وأمسك الله سبحانه عنهم المطر وأخذهم بسنين فهلكت مواشيهم ونالهم الضر . فبعثوا منهم ثلاثة رجال يستسقون لهم ، يقال لأحدهم قيل ، والآخر يقال له لقيم بن هزال ، ومرثد بن سعيد (وجلهم)(٤) . وفي بعض الأخبار أن أحدهم قيل ، وشداد بن عاد ، ولقمان بن عاد ، والله أعلم أيهم كان . فساروا إلى الحرم يستسقون فقال لهم لقيم : إن لي صديقاً من

---

(١) سورة الإسراء : آية ٢٣ .

(٢) أهل العمود وأهل العمد : الذين يسكنون الأخبية .

(٣) هذا الحديث يبدو فيه المبالغة التي تغلب على قصص وأساطير كتاب العصور الوسطى .

(٤) كلمة « وجلهم » زائدة .

العمالقة(١) يكون مسيرنا عليه ، وكان اسمه معاوية بن بكر ، فنزلوا معه شهراً ينحر لكل رجل منهم كل يوم ناقة ويسقيه زق خمر ، فاعرضت(٢) لهم جارية من جواريه بيتاً من شعر تقول فيه :

ويل لأملك من وافد تنعم فى الخصب وفى الريف

فرمى الكأس من يده ، وانطلق إلى الحرم يستسقى فقال : اللهم لم آت لمريض فأداويه !! ولا لأسير فأفاديه !! وإنما جئت أستسقى !! فاسق عاداً ما أنت ساقيه !! قال فرعدت السماء وبرقت ثم أنشأ الله(٣) ثلاث سحابات سوداء وحمراء وبيضاء ونودى اختر منهن ما شئت . فقال : أما البيضاء فلا ماء فيها ، وأما الحمراء فصاحبة ريح ، وأما السوداء فهى صاحبة الماء ، فسمع صوتاً من قبل السحاب يقول : اخترت سحابا أسود ، يترك بلاد عاد كرماد أرمد ، لا يغادر منهم أحداً .

فعلموا أن البلاء نازل عليهم ، وأن دعاء هود استجيب فيهم فخافوا ، فنودوا من قبل السحاب : إنكم آمنون فى حرم الله وأمنه فليسأل كل رجل منكم ما أراد ، فاختار شداد بن عاد الملك فملك الدنيا بأسرها ، واختار لقمان العمر فأعطى عمر سبعة أنسر ، عمر كل نسر أربعمائة سنة وعمّر عمر النسور السبعة »(٤) . وفيه يقول الشاعر شعراً :

وأنت الذى أسقيت قيلا بكأسه

ولقمان إذ خيرت لقمان فى العمر

---

(١) كان العمالقة أول من سكن مكة ، وقيل إن مكة أو بكة كلمة بابلية سمته بها العمالقة ، ومعناها البيت .

(٢) أعرض هنا تعنى أظهر .

(٣) « أنشأ الله » السحابة بمعنى رفعها . وقد كتبت فى المخطوطة « انشاها » .

(٤) فى المخطوطة كتبت « الستة » ، ولكى يستقيم النص كتبناها « السبعة » .

لنفسك أن تختـار سبعة أنسر
إذا ما مضى نسر خـلوت إلى نسر
فعمّر حتى ظن أن نسـوره
خلود وهل تبقى النسور على الدهر

واختار الثالث الرجوع إلى قومه ، فرجع إليهم وهلك معهم والله أعلم.

وكان سبب هلاكهم بالريح ، أتت عليهم يوم الأربعاء غدوة وسكنت عليهم يوم الأربعاء عشية كما ذكر العزيز الحكيم : (سبع ليال وثمانية أيام حسوماً)(١) .

وخرج هود عليه السلام [٢٠] والذين آمنوا معه ونجاهم الله من الهلاك وهلكت عاد كما ذكر الله تبارك وتعالى : (فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية)(٢) لأنهم كانوا طوالا فشبههم الله بالنخل المتقلعة من أصولها ، كما ذكر العزيز الحكيم : (ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ)(٣) . وقال عز من قائل : (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبـار عنيد)(٤) .

نبوة النبي صالح صلى الله عليه :

قيل هو صالح بن كابن بن اشك بن كاشح بن الأروع بن مهل بن هود ابن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام . ثم إن الله سبحانه وتعالى بعث صالحاً إلى قومه ، بعثه الله بدينه ، وأمره بما أمر به من مضى من قبله من

---

(١) سورة الحاقة : آية ٧ .
(٢) سورة الحاقة : آية ٧ .
(٣) سورة هود : آية ٥٨ .
(٤) سورة هود : آية ٥٩ .

الأنبياء صلوات الله عليهم ، أن يعملوا بطاعته وأن يعبدوه ويوحدوه ولا يشركون به شيئاً . فدعاهم صالح الى الإسلام كما قال العزيز الحكيم: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)(١) وقال عز من قائل : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين)(٢) الآية . .

فدعا صالح قومه وقال : إنى أدعوكم إلى عبادة الله الذى لا إله إلا هو وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تصوموا يوم عاشوراء — وهو اليوم الذى استوت فيه السفينة على الجودى كانت صيامهم — وأدعوكم إلى بر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهد والكف عن المظالم وعن سفك الدماء .

فكان جوابهم أن قالوا له : (يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب * قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله إن عصيته فما تزيدوننى غير تخسير)(٣) قالوا : يا صالح إن كنت تزعم أنك نبى فأتنا بآية إن كنت من الصادقين .

قال الكلبى (٤) : بعث الله صالحاً بعد ما أهلك عاداً ، وكانوا عرباً ، وكانت منازلهم بوادى الحجر بين الشام والحجاز ، وكان لهم عيد يخرجون إليه ، فخرجوا بأجمعهم ، وخرج صالح ومن معه من المؤمنين ،

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٢٥ .

(٢) سورة الشورى : آية ١٣ .

(٣) سورة هود : الآيتان ٦٢ — ٦٣ .

(٤) من الرواة والمؤلفين الذين مهدوا للكتابة فى التاريخ الإسلامى ، محمد بن السائب الكلبى (توفى ١٤٦ هـ — ٧٦٣ م) وابنه هشام الكلبى (توفى ٢٠٤ هـ — ٨١٩ م) .

ولأبى المنذر هشام بن محمد السائب الكلبى ، الكتاب المعروف باسم « كتاب الأصنام » (طبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٤ م) .

راجع فيما يختص بالمؤلفين الأوائل فى التاريخ الإسلامى الفصل الثالث من كتاب « مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه » للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف (القاهرة ١٩٦٠ م) .

فاعتزلوا عنهم ناحية . وتشاور المشركون بعضهم لبعض وقالوا : اسألوا صالحاً آية فإن أتاكم بها فاتبعوه ولا تكذبوه فتهلكوا . فمشوا إليه وقالوا : يا صالح ائتنا بآية نتبعك . قال لهم : أى آية تريدون ؟ ! فنظروا إلى صخرة [٢١] عظيمة وقالوا(١) : نريد أن تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة ، فوالله إن فعلت لنؤمنن بك . فقال لهم : إنى باعث لكم من هذه الصخرة ناقة يتبعها فصيل(٢) ، لها شرب(٣) ولكم شرب يوم معلوم .

فلما قال لهم ذلك تطلع بعضهم إلى بعض وقالوا : هذا ما لا يكون ولا يقدر عليه ، فابعث لنا إن كنت من الصادقين . فقال صالح : ما كنت أبعث لكم حتى آخذ لى ميثاقاً منكم . قالوا : خذ ما شئت . قال لهم صالح : إن أنتم عقرتموها حلت بكم العقوبة من ربكم .

قالوا : نعم .

فقام صالح صلوات الله عليه فتوضأ وصلى ، ودعا ربه ، وضرب الصخرة ضربة بعصاه ، فسمع لها أنيناً كأنين المرأة عند المخاض ، وانفلقت الصخرة عن ناقة يتبعها فصيل لها لم ير الراءون مثلها ، ما بين جنبيها مية سهم .

قال لهم صالح : هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم .

يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما خرجت الناقة ووضعت شفتها على مجرى ماءهم من فوق سقيهم ، شربت الماء كله ،

---

(١) فى النص « قالوا » من غير الواو . والواو زيادة من عندنا .

(٢) الفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه .

(٣) الشرب : مورد الماء ، أو الماء المشروب .

ثم خرج من بين فخذيها لبن أوسعهم كلهم . وكان الفصيل يوم شربها الماء لا يدنوها إنما الناس يشربون لبنها يوم شربها الماء .

فكفروا بنعمة(١) الله ونقضوا ميثاقه ، وكان فيهم تسعة رهط كما ذكر الله يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، وكانوا فساقاً يشربون الخمر وكانوا من أكابرهم . وهم الذين قال الله فيهم : و (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا إنا بالذى آمنتم به كافرون)(٢)

ثم إن الرهط اشتوروا(٣) ، وكان فيهم غلام أزرق أحمر يقال له « قدار » فقالوا : من يعقر الناقة ؟ قال لهم قدار ، أنا أعقرها ولكنى لا أعقرها حتى يأمرنى صغيركم وكبيركم ووضيعكم وشريفكم وحركم وعبدكم وذكركم وأنثاكم ، فحضروا جميعاً واشتركوا فى المعصية ؛ وقال لهم الشقى قدار : اطردوها وارموها علىّ . فطردوها وقدار كامن لها تحت صخرة ، فلما جازت عليه نادوه وقالوا : دونك يا قدار ! كما قال الله عز وجل :

(فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) (٤) فلما مرت به أهوى إليها بالسيف فضرب عرقوبها فخرت ناقة الله وجثم عليها الشقى فنحرها وقسم لحمها فى ثمود . وكانت آية من آيات الله [٢٢] تعالى . وبلغ الخبر إلى صالح أن الناقة عقرت وأنهم خرجوا يطلبون عقر (٥) الفصيل . فقال صالح لقومه : أدركوا الفصيل إن أنتم أدركتموه لا تعذبون !

---

(١) كتب فى المخطوطة « نعمة » .

(٢) سورة الأعراف : الآيتان ٧٥ - ٧٦ .

(٣) تشاور واشتور القوم : شاور بعضهم بعضاً .

(٤) سورة القمر : آية ٢٩ .

(٥) كتب فى المخطوطة « يطلبو يعقرون » .

وخرج صالح معهم فلما نظر إليه الفصيل قال : يا صالح !! يا أماه ثلاث مرات ، وعلاه الانتحاب . فقال صالح لقومه : استعدوا للعذاب لقوله تعالى : (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم)(١) .

وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء وأتاهم العذاب صبيحة يوم الأحد ثلاثة أيام كما وعدهم صالح . أول يوم تصفر وجوههم ، واليوم الثانى تحمر وجوههم ، واليوم الثالث تسود وجوههم ، ثم يصبحهم العذاب فى اليوم الرابع :

قال بعضهم شعراً :

تقول لقومها الدلفاء عرسى ... وقد رجعوا إلى ما كان أمس
أراكم يا رجال بنى عمير ... كأن وجوهكم طليت بورس(٢)
ويوم شنار(٣) احمرت وجوه ... من الأحياء عند طلوع شمس
وإنكم لثالثة هشيم ... إذا صارت وجوهكم كطرس(٤)
عليكم بالثياب فشققوها ... مسعلة وهيوا كل رمس
فلما كان وقت بكور يوم ... أتتهم صيحة حقاً بتعس

هذا جزاء من عصى الله فأصبحوا فى ديارهم جاثمين .

---

(١) سورة الأعراف : آية ٧٣ .
(٢) الورس : نبات يصبغ به ، والوارس من الثياب الأحمر ، ووارس الحمرة ، شديدها .
(٣) الشنار : العار . اقبح العيب .
(٤) طرس الشىء طرساً : محاه أو سوده .

نبوة إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم :

ثم إن الله بمنه ورحمته ولطفه بعدما صار الناس أمة واحدة ليس فيهم من يعبده ، بعث خليله ونبيه وصفيه إبراهيم صلوات الله عليه . بعث فى زمن نمرود بن كنعان بن كوش بن حام بن نوح ، وهو من الذين ملكوا الأرض وهم أربعة : شداد بن عاد ، ونمرود بن كنعان ، وسليمان بن داود وذو القرنين . وقيل سليمان ، ونمرود ، وذو القرنين ، وبخت نصر والله أعلم .

وكان فى زمانه(١) الكهنة والمنجمون ، وقالوا له : سيولد فى مملكتك مولود يكون سبب هلاكك وهلاك ملكك على يديه فى هذه السنة ، وأنه يدعو إلى غير دينك . فقال لهم . ما أنا صانع ؟! قالوا له : هذا أمر هين تعزل النساء عن الرجال ، وكل حبلى ولدت غلاماً أمرت بقتله(٢) حتى تمضى هذه السنة . ففعل نمرود ذلك وعزل الرجال عن النساء ، وكان من قدر الله وخبرته لخلقه أن آزر أبا إبراهيم — صلوات الله عليه — قد واقع امرأته أم إبراهيم على طهر منها [٢٣] فحملت بإبراهيم خليل الرحمن . عن ابن عباس أن الكهنة والمنجمين قالوا لنمرود يوم حملت أم إبراهيم به ، إن الولد الذى أخبرناك به قد حملت به أمه .

وكانت أم إبراهيم تتخفى حملها إلى أن قرب وضعها وأخذها المخاض وخافت أن يقتل ولدها خرجت هاربة ، فوضعته فى نهر يابس فلفته فى خرقة وخبأته فى شجرة . ورجعت إلى زوجها فأخبرته أنها ولدت غلاماً وأنه فى مكان كذا وكذا . فانطلق إليه فأخذه وحفر له سرباً فى الأرض وجعله فيه وسد عليه باب السرب بصخرة مخافة السباع ، وكانت أمه تختلف إليه وترضعه .

وهو إبراهيم بن تارح بن ياجور بن ساروع بن أرعوى بن قالع بن عابر

---

(١) يعنى هنا زمان نمرود بن كنعان .

(٢) هذا الحديث يذكرنا بقصة فرعون وسيدنا موسى عليه السلام .

ابن أرفخشد بن سام بن نوح .

واختلفوا فى مسكنه فقال بعضهم : كان مولده بالسوس أرض الأهواز ، وقيل بابل ، وقيل كوثا من سواد الكوفة ، وقيل كسكر ، وقيل قوم نجران ، ولكن أباه نقله إلى بابل ، أرض نمرود .

واختلف العلماء فى الكلمات التى ابتلى بها إبراهيم عليه السلام . فقال عكرمة عن ابن عباس هى ثلاثون سهماً وهى شرائع الإسلام لم يبتل الله أحداً بهذا الدين فأقامه كله إلا إبراهيم عليه السلام أتمهن ، وقال سبحانه وتعالى: (وإبراهيم الذى وفّى)(١) . وهى عشرة فى براءة : (التائبون العابدون الحامدون السائحون)(٢) الآية .

وعشر فى الأحزاب : إن المسلمين والمسلمات إلى آخرها(٣) ، وعشر فى (المؤمنون)(٤) .

---

(١) سورة النجم : آية ٣٧ .

(٢) يشير الكاتب هنا إلى الآية ١١٢ من سورة « التوبة » أو « براءة » فى قوله تعالى : (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) .

(٣) يشير الكاتب هنا إلى الآية ٣٥ من سورة الأحزاب فى قوله تعالى: (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً) .

(٤) يشير الكاتب إلى قوله تعالى فى سورة المؤمنون : الآيات ١ – ١١ (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .

« وسأل سائل إلى قوله إلا المصلين » (١) .

وروى طاووس عن ابن عباس أنه قال : ابتلى بعشرة أشياء من الفطرة والطهارة ، خمس فى الرأس وخمس فى البدن ، فالتى فى الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس ، والتى فى الجسد قلم الأظافر ونتف الإبطين وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء . مجاهد(٢) الآيات التى بعدها قوله تعالى :(إنى جاعلك للناس إماماً)(٣) إلى آخر القصة .

الربيع وقتادة(٤) مناسك الحج .

الحسن(٥) سبعة أشياء : ابتلاه بالكواكب والقمر والشمس فأحسن فى ذلك وعلم أن ربه دائم لا يزول ، وابتلاه بالنار فصبر على ذلك ، وابتلاه بذبح ولده فصبر على ذلك ، وابتلاه بالختان فصبر على ذلك ، وابتلاه بالهجرة فصبر على ذلك .

سعيد بن جبير(٦) قول إبراهيم وإسماعيل إذ يرفعان القواعد من البيت : ربنا تقبل منا الآية(٧) .

فرفعاها بسبحان الله والحمد لله ولا إله |٢٤| إلا الله والله أكبر . وهو

---

(١) سورة المعارج : الآيات ١ — ٢٢ .
(٢) يعنى الكاتب هنا : « وروى مجاهد » .
(٣) سورة البقرة : آية ١٢٤ .
(٤) يعنى الكاتب هنا : « وروى الربيع وقتادة » .
(٥) أى « روى الحسن » .
(٦) أى « روى سعيد بن جبير » .
(٧) انظر سورة البقرة الآية ١٢٧ (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) .

محاجته قومه . قال الله عز وجل : وحاجه قومه ... إلى قوله : وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه(١) .

أبو روق(٢) :وهى قوله عليه السلام :(الذى خلقنى فهو يهدين)(٣) إلى آخر الآيات .

وقال بعضهم هى أن الله ابتلاه فى ماله و ولده و نفسه فسلم ماله إلى الضيفان وولده إلى القربان ، ونفسه إلى النيران ، وقلبه إلى الرحمن ، واتخذه خليلا .

وقيل هى الفطرة وهى سنان الإسلام وهى عشرة : شهادة أن لا إله إلا الله وهى الملة ، والصلاة وهى الفطرة ، والزكاة وهى الطهارة ، والصوم وهو الجنة ، والحج وهو الشريعة ، والغزو وهو العزة ، والطاعة وهى العصمة ، والجماعة وهى الألفة ، والأمر بالمعروف وهو الوفاء ، والنهى عن المنكر وهو الحجة .

وروى عن كعب الأحبار(٤) أن يوم ولد إبراهيم صلى الله عليه وسلم خر كل صنم من المشرق والمغرب سجداً .

وكان مولده آخر ليلة من ذى القعدة ، واستبشرت الملائكة عليهم

---

(١) انظر سورة الأنعام : الآيات ٨٠ - ٨٣ .

(٢) أى «روى أبو روق »ونلاحظ مما سبق أن الكاتب يروى اسم كل راو عن ابن عباس

(٣) سورة الشعراء : الآية ٧٨ .

(٤) كعب الأحبار : كان أحد كبار أحبار اليهود فى عصر النبى عليه الصلاة والسلام ، ثم أخذ يتردد عليه فمال إلى الإسلام وأعلن إسلامه أيام عثمان بن عفان ، أما ابنه أبى بن كعب فكان حبراً من أحبار اليهود أيضاً ولكنه سبق أباه فى الإسلام فأعلن إسلامه فى أيام الرسول عليه الصلاة والسلام وكان من أجلاء الصحابة .

السلام . فلما بلغ عشر سنين من مولده خرج من السرب(١) فرأى كوكباً وهو الزهرة ، قال : هذا ربى !! فلما غاب الكوكب ، قال : لا أحب الآفلين ، أى لا أحب الزائلين المنتقلين . فلما رأى القمر بازغاً فى تلك الليلة بعد أفول الكوكب قال : (هذا ربى فلما أفل قال : لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين)(٢) . فلما أصبح رأى الشمس بازغة قد ملأت الأرض بنورها ، قال : هذا ربى !! هذا أكبر مما رأيت البارحة . فلما غربت نظر إلى ملكوت السموات والأرض فقال : ربى الذى خلق هذا . فعند ذلك قال لقومه : (إنى برىء مما تشركون * إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين)(٣) .

وله صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة مع قومه ومحاجته لهم اختصرناها .

فلما قهرهم بالاحتجاج وعلموا أنه على غير دينهم وملتهم جمعوا حطباً كثيراً وأشعلوا النار ليحرقوه . فقيل والله أعلم إن الطير كانت لاتقرب النار أبعد من ميل من شدة الحرارة ، وتحيروا كيف يقذفونه فيها . فتصور لهم إبليس — لعنه الله — وعمل لهم المنجنيق(٤) ،وهو أول منجنيق عملت .

وفى الحديث أنه لما وضع فى كفة المنجنيق ضجت الملائكة وأهل

---

(١) يعنى الكاتب هنا السرب الذى كان والد سيدنا ابراهيم قد حفره ليخبئ فيه إبراهيم .

(٢) سورة الأنعام : آية ٧٧ .

(٣) سورة الأنعام : آيتا ٧٨ — ٧٩.

(٤) المنجنيق : أداة ترمى بها الحجارة على الأعداء . وروى ابن هشام أن أول من رمى فى الإسلام بالمنجنيق الرسول عليه الصلاة والسلام . وكان ذلك فى أثناء حصاره للطائف فى السنة الثامنة للهجرة (ابن هشام : سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ج ٤ ، ص ١٢٨ ، القاهرة ١٣٥٦ هـ) .

الأرض من الجبال والشجر ٢٥| والمدر(١) إلى الله تعالى بالبكاء والتضرع وقالوا: إلهنا وسيدنا ومولانا !! ليس فى الأرض أحد يعبدك ويحمدك ويوحدك ويذكرك غير عبدك إبراهيم !! يحرق بالنار وبسبب محبتك وطاعتك !! فأوحى الله إليهم إذ استغاث بكم فأغيثوه وانصروه وإن استغاث بى واستنصرنى فكفى بى ولياً وحسيباً وحافظاً وناصراً ومعيناً .

وأتى جبرائيل صلوات الله عليه فقال : يا إبراهيم ! هل لك من حاجة؟ قال إبراهيم صلوات الله عليه : أما إليك فلا ، وإنما حاجتى إلى ربى وربك فإنه قادر على أن يخلصنى وينجينى .

وأقبل إبراهيم على الدعاء والتضرع إلى الله تبارك وتعالى . فلما قذفوه قال : حسبي الله ونعم الوكيل . فتلقاه الروح الأمين ووضعه على كرسى من الجنة . وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى النار أن (كونى برداً وسلاماً على إبراهيم)(٢) .

فاخضرت الأرض حول إبراهيم وأورق الشجر وألبسه الله ثوباً من ثياب الجنة ، ويقال إنه القميص الذى ورثه إسحاق بن إبراهيم ثم ورثه يعقوب بن إسحاق ثم ورثه يوسف بن يعقوب صلوات الله عليهم .

ولإبراهيم أخبار كثيرة ومخاطبات يطول بها الشرح مع نمرود بن كنعان، فلما بهته بالحجج القاطعة اصطنع نمرود التابوت والنسور ، وطارت به النسور فى الهواء ، ورمى بالسهم ملطخاً فقال : إنى قتلت إله السماء :

---

(١) المدر : المدن والقرى .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٦٩ .

يوجد فى الحديث أنه لما طارت النسور فى الهواء ضربه جبرائيل ضربة فقطعه قطعاً على عدد البلاد والله أعلم .

فصل فى فضائل خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم

ومن فضائله صلى الله عليه وسلم أنه أول من سن الضيف وأطعم الطعام ، وأول من سن الحج وقعد قواعد البيت ، وعرف المناسك ، وأول من اختتن ، وأول من بنى البيت الحرام بعد الغرق .

وابتلاه الله بعشر سنن فأتمهن . وهو قوله عز من قائل : (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين)(١) .

وهو أول من أوفى بعهده وأطاع ربه فى ذبح ولده إلى أن فداه الله سبحانه ، وهو أول من شاب ، وأول من كسر الصليب ، وأول من طهر البيت العتيق من الأوثان ، وأول من اتخذ المقام ، وفضائله لاتحصى .

وفى الخبر أن البيت انهدم من بعد إبراهيم فبنته العمالقة من قحطان ، ثم انهدم فبنته جرهم ملوك اليمن ، ثم انهدم فبنته قريش فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم . [٢٦] ووضع الحجر الأسود فى الركن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نبوة النبى لوط صلى الله عليه وسلم :

وهو لوط بن هارون بن تارخ وهو بالعربية آزر . وذكر الزهرى عن سعيد بن المسيب : أن سبب استهلاك قوم لوط وهلاكهم من البخل ؛ لأن الضيفان كانت تأتيهم فتمثل لهم إبليس ، لعنه الله ، وقال لهم : إن

---

(١) سورة البقرة : آية ١٢٤ .

الضيفان تهلك أموالكم وتفنيها فإني أشير عليكم برأى يكثر أموالكم : اعزلوا النساء عن الرجال والرجال عن النساء ، فإذا جاء الضيفان كان لكم عذر إن قصد الضيفان الرجال قالوا : نساؤنا غيب وإن قصدوا النساء قلن رجالنا غيب . فاحتاجت النساء للنساء والرجال للرجال . وقيل بل إبليس تمثل لهم فى صورة شاب مليح أومأ إليهم أن يستعملوه فاستعملوه وكان ذلك السبب . وقال لهم لوط صلى الله عليه وسلم ألا تتقون (أتأتون الذكران من العالمين * وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون)(١) . قالوا له عند ذلك : (لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين)(٢) .

واستضعفوه لأنه كان وحده على شريعة إبراهيم ودينه . وكان يدعو إلى الإسلام وإلى شهادة أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وينكر الفواحش . واجتمعت كلمتهم أن أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون . قال لهم لوط : لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد . فلما عصوا لوطاً وفعلوا من المنكر أهلكهم الله بذنوبهم . قال عز من قائل : (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل)(٣) . وطمس الله أعينهم لما راودوه عن ضيفه . قال الله تعالى : (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر)(٤) .

وأنجى الله لوطاً وأهله وماشيته وجميع من آمن معه ، وأوحى الله إليه أن سر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امراتك إنه مصيبها ما أصابهم فجعل الله عاليها سافلها . وكانت مدائنهم خمساً فأهلك الله أربعاً ونجت واحدة ، وكانوا بالأردن .

---

(١) سورة الشعراء : آيتا ١٦٥ — ١٦٦ .
(٢) سورة الشعراء : آية ١٦٧ .
(٣) سورة الحجر : آية ٧٤ .
(٤) سورة القمر : آية ٣٧ .

وهو لوط بن هارون بن آزر ابن أخى إبراهيم صلوات الله عليهم .

حديث ، قال مجاهد : سألت ابن عباس : هل بقى من قوم لوط أحد؟! قال نعم!! تاجر بمكة ، فجاءت صخرة تريد أن تقع عليه فقالت الملائكة الذين فى الحرم إنا لاندعك تصيبينه وهو فى حرم الله وأمنه!! قال : فخرجت الصخرة من الحرم فوقفت بين السماء والأرض أربعين ليلة حتى قضى التاجر حاجته فلما خرج من الحرم أصابته الحجارة فقتلته فهذا ما كان من خبر قوم لوط .

[٢٧] نبوة النبى إسحاق بن إبراهيم صلى الله عليهم :

وقصة خبره موجودة فى كتاب الأنبياء ، وهو أصغر ولد إبراهيم صلى الله عليهما ، وجعل ابراهيم الوصية إليه . وآمن بكلمة التقوى وهى شهادة أن لا إله إلا الله وأن يتبع ملة أبيه إبراهيم . فعمل نبى الله إسحاق بما أمره أبوه حتى ولد له يعقوب والعيص ، ولهم حديث فيه طول فتركته .

نبوة النبى أيوب صلى الله عليه وسلم :

وهو أيوب بن العيص بن إسحاق بن ابراهيم صلى الله عليهم .
وقال مقاتل : وقيل أيوب بن سارة وكنيته أبو عبد الله ، وقيل أيوب ابن موص والله أعلم .

ذكر مجاهد أنه لما حضرت وفاة إسحق وبقى يعقوب بأرض الشام ونزل العيص بأرض الروم فولد له أيوب عليه السلام ، فكان نبياً من الأنبياء وأثنى الله عليه فى كتابه . وكان أعبد الناس فى زمانه وكان من أحسن الناس صنعاً لمن يمر به من السائلين ، ورث الكرم من جده إبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين . وكان يأمر بكلمة التوحيد وهى شهادة أن لا إله إلا الله ، ويأمر قومه أن يعبدوا الله ولا يشركوا به

شيئاً وأن لا يعبدوا غيره وبالوالدين إحساناً . وكان ذلك مما فرضه الله على جميع الأنبياء :

وابتلاه الله ليضاعف له الأجر كما ابتلى الأنبياء من قبله . فذكر ابن شهاب أن أول ما أصابه فى جسده من بعد هلاك ماله وولده ، الجدرى . فثار الجدرى فى جسده حتى انسلخ جلده وتناثر لحمه وبان(١) الدود فى جسده ، وإبليس يعترضه فى صورة طبيب ويقول له : يا أيوب هذا بلاء فهل لك أن تداوى نفسك بشىء يذهب عنك هذا الداء ثم التوبة وراء ذلك !! فذكر الزهرى أنه عرض عليه شرب الخمر فقال أيوب : أيها الرجل لا حاجة لى فى نصيحتك ! ولم يكن بقى لأيوب إلا عيناه ينظر بهما إلى السماء ، ولسانه يذكر به ربه ، وقلبه ليشكر به على ما أصابه وهو يتمرغ فى الرماد ، وأيوب صلى الله عليه وسلم صابر لحكم الله ويقول : يارب صبرنى على بلائك وأفرغ على من رحمتك ومنّ علىّ بعافيتك ، وإبليس يحتال عليه ويستعين عليه بجنوده . فانطلق إبليس إلى زوجة أيوب وهو كالمشتكى لها فقال : أيها المرأة !! أين الولد ؟ أين المال ؟ أين النعم ؟ أين المساكن ؟ أما تقولين لأيوب أن يقول يارب لاصبر لى ففرج عنى !! ووسوس لها عدو الله ، فانطلقت وهى تبكى . فقال لها أيوب : مالك تبكين ؟ قالت : يا أيوب !! أين الولد ؟ أين المال ؟ أين السعة والدعة ؟ أين الخصب الذى كنا فيه ؟ حتى متى هذا الصبر ! أما تسأل ربك !!

فقال لها أيوب : [٢٨] لعن الله من وسوس لك !! وعزة ربى إن رفع ما بى لأجلدنك مائة جلدة !!

فرجعت إليها نفسها وعلمت أنها قد أخطأت .

---

(١) بان يبين بياناً وتبياناً : اتضح وظهر فهو بين وبائن .

ولم يزل نبي الله أيوب في بلائه وهو يتضرع ويدعو ربه صابراً على بلائه شاكراً لنعمائه إلى أن أتاه الله بالفرج . أوحى الله سبحانه إليه فأتاه جبريل عليه السلام فقال له : رب العزة يقرئك السلام ويقول لك اركض برجلك ، هذا مغتسل بارد وشراب . فركض أيوب برجله اليسرى فانفجرت عين عندها ، وتناثرت كل دودة كانت في جسده ، فركض برجله اليمنى فنبعت عين جارية . فقال له جبريل : ادخل في هذه العين فاغتسل فيها . فاغتسل وخرج من العين كأصح مما كان ، وأشفى ما كان :

وشرب من العين ورد الله عليه ملكه وأولاده وقصوره ، وأعطاه عكان كل واحد اثنين ، وجلس في مجلسه : ثم إن أيوب أراد أن يوفى نذره من زوجته ، فأوحى الله إليه : (وخذ بيدك ضغثاً(١) فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب)(٢) . فالله سبحانه وتعالى ابتلى أنبياءه ورسله ليضاعف لهم الأجر على صبرهم . وقال سبحانه لنبيه(٣) صلى الله عليه وسلم : (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل)(٤) يعني كما صبر أيوب على بلائه . ويحيى صلى الله عليه وسلم لما منع الملك عن تزويج ابنته ذبح ، وزكريا شير بالمياشير ، ومنهم من جعل في قدور الزيت وأغلى بهم ، ومنهم من عذب بأنواع العذاب وكل ذلك في جنب الله وطاعته ليضاعف لهم الثواب صلى الله عليهم .

حديث نبوة يعقوب بن إسحاق وابنه يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما :

روي أن الله سبحانه وتعالى أعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم

---

(١) الضغث : قبضة حشيش يختلط فيها الرطب باليابس .

(٢) سورة ص : آية ٤٤ .

(٣) النبي هنا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

(٤) سورة الأحقاف : آية ٣٥ .

يعطه أحداً من ولد آدم .وقيل سئل الحسن بن أبى الحسن البصرى قيل له : من أحسن يوسف أو آدم ؟ قال : قال الحسن : إن الله تعالى أعطى آدم من الحسن والبهاء ما لم يعطه أحداً .

ويقال إن الحسن خلقه الله فى آدم عشرة أجزاء وقسمه ، وجعل فى يوسف بن يعقوب خمسة وخمسة فى سائر الناس .

ويقال إن يوسف أبغضه(١) إخوته وكمنوا له العداوة فى سبب الرؤيا التى رآها وقصها على أبيه وهى التى ذكرها الله فى محكم كتابه العزيز : (يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين)(٢) فرد عليه والده : (يا بنى لاتقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين)(٣) . وله مع إخوته أخبار كثيرة موجودة فى الكتب ، من مقاساته [٢٩] فى الجب ، وتمليكه ، وسجنه ، وماجرى له مع زليخا . وقصص إخوته والصاع إلى أن فرج الله عليه ، وملكه مصر ، وحمل أبوه إليه وجمعهم من بعد الافتراق ، وفرج على يعقوب بعد طول بكائه على يوسف ، وحديثهم مشهور تركته اختصاراً .

نبوة موسى بن عمران عليه السلام :

ثم بعث الله نبيه ونجيه وكليمه موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم ، وكتب له التوراة فى الألواح فيها هدى ونور من حلال أحله وحرام حرمه وطاعة أمر بها ، ومعصية نهى عنها ، وموعظة وتفصيلا لكل شىء ؛ اصطفاه الله وامتحنه برسالته وبكلامه وأمره أن يأخذ ذلك بقوة ، بأن يأمر

---

(١) فى المخطوطة « أبغضوه » .
(٢) سورة يوسف : آية ٤ .
(٣) سورة يوسف : آية ٥ .

قومه أن(١) يأخذوا بأحسنها . فأخذ الله عليهم في الميثاق مثلما أخذ على من كان قبلهم من أتباع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم ، وأن يأخذوا بأمر الله ويؤمنوا به ، وبمن كان قبله من الرسل . ثم وعده ثلاثين ليلة وأتمها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة . واستخلف أخاه هارون عليهم فقال : اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين . فرجع موسى إلى قومه وقد اتخذوا العجل وسجدوا له من دون الله وأشركوا بالله .

وإنما غاب موسى عنهم أربعين ليلة ، ونبي الله هارون يناشدهم ويقول لهم : يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوه وأطيعوا أمري . قالوا : لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى .

كفرت بنو إسرائيل وما غاب عنهم نبيهم إلا أربعين ليلة ، فكيف بأمة غاب عنها نبيها ما شاء الله ؟! ثم اختلفوا فلقي منهم موسى الأذى والخلاف ما ذكرته رواة الأخبار ، وما ذكر الله في محكم كتابه التنزيل ، أن موسى مضى لسبيله فلبث قومه من بعده ما شاء الله ثم اختلفوا من بعده وتفرقوا وخالفوا كتاب ربهم وسنة نبيهم وركبوا الضلالة من بعد العلم بغياً بينهم . فمنهم من زعم أن العزير ابن الله(٢) . ومنهم من قال : (إن الله فقير ونحن أغنياء)(٣) ومنهم من قال : (نحن أبناء الله وأحباؤه)(٤) .

ومنهم من نهى عن أمر فركبه ، ومنهم من أمر بمعروف فضيعه وتركه مع أقاويل كثيرة خبيثة كانت منهم وأعمال سيئة كانوا يعملون بها معصية لله

---

(١) « أن » زيادة من عندنا .

(٢) قال الله تعالى : (وقالت اليهود عزير ابن الله) . سورة التوبة : آية ٣٠ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٨١ .

(٤) سورة المائدة : آية ١٨ .

وخلافاً لأمره ونسياناً ليوم الحساب ، ولا يتوبون عنها ولا يرجعون ، وهم مع ذلك يزعمون أنهم خيرة شعب(١) الله وصفوته وأنهم أولياء الله من دون الناس . فقال الله رداً عليهم . (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين)(٢) ثم قال : (ولا يتمنونه ٣٠| أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين)(٣) .

وقال عز من قائل خلافاً لقولهم وتكذيباً لهم وتغييرا عليهم وهو قوله : (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)(٤) .

وهم أبناء الأنبياء والرسل والملوك ، قد كان الله اختارهم واصطفاهم وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين . فلق لهم البحر حتى ساروا فيه ، ونجاهم من عدوهم فرعون ، واسمه الوليد بن مصعب(٥) ، وأورثهم أرضهم ومملكتهم وديارهم .

وخط لهم فى الألواح التوراة فيها هدى وموعظة وتفصيلاً(٦) وشق لهم الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم .

---

(١) « شعب » : زيادة من عندنا .

(٢) سورة الجمعة : آية ٦ .

(٣) سورة لجمعة : آية ٧ .

(٤) سورة المائدة : آية ٦٤ .

(٥) أسم الفرعون هنا بعيد كل البعد عن الأسماء المعروفة للفراعنة فضلا عن أن الفرعون الذى سار بجيوشه وراء سيدنا موسى غير متفق بعد على اسمه .

(٦) قال الله تعالى فى سورة الأعراف : (وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) الآية : ١٤٥ .

وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى(١) وجعل منهم الأنبياء والرسل والملوك . قد كان الله اختارهم واصطفاهم وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين(٢) ، مع نعم كثيرة لا تحصى ولا تعد ، فلم يمنع ذلك منهم حين بدلوا نعمة الله وتركوا أمره وركبوا معصيته أن لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير .

وعبدوا(٣) الطاغوت فمزقهم الله (٤) فى الأرض وضرب عليهم الذلة والمسكنة وبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة كما قال العزيز الحكيم فى محكم كتابه الكريم : (سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب)(٥) .

فهؤلاء قوم موسى أنزل الله بهم من الذل والهوان ما قد بلغكم . وإنما أصابهم ذلك من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم حين تفرقوا واختلفوا وأطاعوا ملوكهم وأحبارهم وأخذوا بالهوى والبدع ، وآثروا الدنيا على الآخرة ، وركبوا الشهوات وتركوا كتاب الله وسنة نبيه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون .

ثم تمنوا بعد ذلك المغفرة وهم مصرون على الذنوب ولا يتحولون عنها .

---

(١) قال الله تعالى فى سورة الأعراف : (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً أمماً وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) . الآية ١٦٠ .

(٢) عبارة مكررة قبل ذلك ببضعة أسطر . وربما للتأكيد على خروج بنى إسرائيل على تعاليم الله وديانته بعد أن اصطفاهم الله وآتاهم الكثير من نعمه .

(٣) فى المخطوطة « وعبد » .

(٤) فى المخطوطة « فمزقهم فى الأرض » .

(٥) سورة البقرة : آية ٢١١ .

فقال الله تعالى تعبيراً ، لهم فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب : (يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه)(١) فيتمنوا المغفرة وهم مقيمون على الذنوب ولا يتحولون عنها .

وكذلك قالت الحشوية من هذه الأمة مثل قولهم ، والله عز وجل يقول لمن تمسك منهم بالكتاب عند الفرقة والاختلاف فأحل حلاله وحرم حرامه وأقام [٣١] الصلاة وآتى الزكاة إنا لانضيع أجر المحسنين . « فمن تمسك بكتاب الله وعمل بطاعته وتاب من معصيته نجاه ومن خالف ذلك وضل وغوى كان الله ورسله منه براء وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا »(٢)

حديث نبوة النبي شعيب صلى الله عليه وسلم :

وهو شعيب بن نون من ولد الهون بن الهيرة بن الأزد . قال الله تبارك وتعالى (وإلى مدين(٣) أخاهم شعيباً)(٤) بعثه الله إلى قومه فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ،ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين .

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٦٩ .

(٢) يأتي المؤلف بعبارات وعظ وإرشاد كلما سنحت الفرصة وخاصة في نهاية الكلام عن كل نبي من أنبياء الله .

(٣) تقع مدين شمال شبه جزيرة العرب وهي تجاور شبه جزيرة سينا ، وتقع جنوب فلسطين .

(٤) سورة هود : آية ٨٤ .

فلما أمرهم بطاعة الله وعبادته وترك عبادة الأصنام كذبوه وعصوه وكان كثير الصلاة. فقالوا: (يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد)(١). يستهزءون به.

قال لهم: (يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب * ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد * واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود * قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز * قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربى بما تعملون محيط)(٢) فكذبوه ولم يؤمنوا به فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه عذاب يوم عظيم.

يقال والله أعلم إنه أصابهم فى بيوتهم حر شديد فخرجوا يلتمسون الرّوح فأتاهم كهيئة السحابة فخرجوا يسعون إليها، فلما أظلتهم أخذتهم الصاعقة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين.

قال ابن عباس: لم تعذب أمتان بعذاب واحد إلا قوم صالح وقوم شعيب، أما قوم صالح فأخذتهم الرجفة من تحتهم، وأما قوم شعيب فأخذتهم الصاعقة من فوقهم فصاروا رماداً خامدين جزاء ونكالا للعاصين.

حديث يوشع بن نون عليه السلام:

ذكر وهب بن منبّه قال: لما استخلف |٣٢| الله تبارك وتعالى يوشع ابن نون من بعد موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم، وكان يوشع كثير الصلاة،

---

(١) سورة هود: آية ٨٧.

(٢) سورة هود: الآيات ٨٨ - ٩٢.

وكان فى عهد الله الذى عهد إلى موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم أن من صلى فى اليوم مائة وعشرين ركعة كان له الفضل العظيم لا يفضل على عمله عمل، وكذلك (١) رجل اشترى سيفاً أو قوساً يجاهد فى سبيل ربه . فلما استخلف يوشع بن نون قيل له ما أفضل ؟ من صلى هذه الركعات ؟ أو من جاهد فى سبيل الله ؟ فقال لهم : إن ساعة فى سبيل الله فى غير قتال ولا فرق أفضل عند الله من صيام الدهر وقيامه . فقيل : ما أفضل : الجهاد فى سبيل الله ؟ أو مجاهدة النفس عن الهوى ؟ قال : مجاهدة النفس عن الهوى أفضل وهو الجهاد الأكبر .

وكان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثهم على طاعة الله ومتابعة رسله والإيمان بما جاءوا به من التوحيد إلى أن قبضه الله إليه صلوات الله عليه .

حديث نبوة النبى داود صلى الله عليه وسلم :

وهو داود بن إيشا بن عبيد بن بهش بن فارط بن يهوذا بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم .

روى عن ابن عباس رضى الله عنه أن بنى إسرائيل كان(٢) فيهم أنبياء وكان(٣) فيهم ملوك، وكانت الملوك مطيعة للأنبياء. وكان عامة مسكنهم الشام وكانت البركات معهم ، فلما عصت الملوك الأنبياء واتبعت الرعايا الملوك ونبذوا الأنبياء، واتبعوا أمر الملوك وتركوا أمر الأنبياء ، ذهبت منهم البركات وفقدوا النعم إلى أن نشأ داود صلى الله عليه ، وأتاه الله الملك والنبوة ، فقسم الدهر ثلاثة أقسام يوم لقضائه بين الناس ، ويوم لخلوته ونسائه ، ويوم لعبادة ربه قائم فى المحراب .

---

(١) «وكذلك» : زيادة من عندنا .

(٢) فى المخطوطة «كانوا» .

(٣) فى المخطوطة «وكانوا» .

وكان نبىّ الله داود يخرج متنكراً فى الليل يسأل عن سيرته فلقى فى بعض الليالى رجلا فقال له داود : أيها الرجل ! كيف ترى سيرة داود فى مملكته ؟ قال الرجل : نعم العبد داود !! ما أنصحه لربه ، وأرأفه(١) للضعفاء والمساكين لولا خصلة واحدة !! فقال داود : ما هى ؟ فقال : إنه يأكل من بيت مال المسلمين ، وما من أحد أكرم عند الله ممن يأكل من كدّ يده !!

فلما انصرف داود إلى منزله صلى ودعا ، وسأل ربه أن يرزقه من عمل يده مما يغنيه عن بيت مال المسلمين : فعلمه الله صنعة الدروع ، وألان له الحديد حتى صار بمنزلة الطين (٢) : فعمل وأنفق من كد يده على نفسه وعياله من صنعة |٣٣| يده .

وما من نبى إلا وله مهارة (٣) يعيش بها : كان آدم حراثاً ، وكان هابيل راعياً صاحب ماشية ، وكان إدريس خياطاً صاحب عبادة وتسبيح ، وكان نوح نجاراً ينجر السفينة التى نجاه الله بها من الغرق . وكان هود نبياً تاجراً عربياً ؛ وكان صالح نبياً عربياً صاحب ماشية ، وكان إبراهيم تاجراً ، وكان إسماعيل راعياً صاحب إبل وماشية ۞

وكان يعقوب إسرائيل صاحب ماشية وتجارة ؛ وكان يوسف ملكاً تاجراً وكان موسى راعياً . وكان أيوب صاحب نزول(٤) وضيافة وأرامل(٥). وكان شعيب راعياً صاحب ماشية ، وكان داود راعياً وعلمه الله صنعة الدروع . وكان سليمان عبداً متواضعاً أتاه الله الملك تحمله الريح ويجالس

---

(١) أرف إليه : لجأ .

(٢) قال الله تعالى : (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد) سورة سبأ : آية ١٠ .

(٣) كتبت فى المخطوطة « مهرة » .

(٤) نزل نزولا ومنزلا ومنزلا (بفتح الزاى وكسرها) : القوم وبالقوم وعلى القوم : حل بهم.

(٥) الأرمل : المسكين . من لا أهل له أو من ماتت زوجته والجمع أرامل وأراملة . والأرملة أيضاً : الرجال المحتاجون والضعفاء .

المساكين والفقراء . وكانت مريم تغزل الصوف والشعر وتكسو ابنها ونفسها. وكان عيسى صلى الله عليه زاهداً سائحاً . وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم راعياً ومجاهداً صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

ثم إن داود صلى الله عليه قال : يا إلهى وسيدى إنك تدعى فيقال يا إله إبراهيم وإسحق ويعقوب فاجعلنى رابعهم يارب !! فأوحى الله إليه : ياداود إن هؤلاء ابتلوا فصبروا وإن شئت أن أبتليك إن صبرت لحقت بهم . قال : يارب نعم . فابتلاه الله بعدما نسى بالحمامة التى تصور إبليس فى صورتها والذنب الذى واقعه ببصره ، إلى شائع بنت زليخا وهى زوجة أوريا بن حنان (١) فكان لداود تسعة وتسعون امرأة . والقصة التى جرت للملكين معه خاف منهما ، قالا له : لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط واهدنا إلى سواء الصراط .

قال أحدهما إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب (٢).

---

(١) نسجت الأساطير قصصاً مختلفة عن فتنة داود عليه السلام ، ومنها أنه اشتهى زليخا زوجة أحد قواده فأرسله فى معركة يعرف منذ البداية أنها خاسرة واستولى على امرأته .

(٢) روى أن رجلين دخلا على داود وهو يصلى فى محرابه فسألهما داود من أنتما ؟ فقال أحدهما : إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة وقد أخذها منى . فرد داود من غير أن يسمع الرجل الآخر : لقد ظلمك بسؤال نعجتك .. وإن كثيراً من الشركاء يظلم بعضهم بعضاً إلا الذين آمنوا .

وفوجىء داود باختفاء الرجلين ، وأدرك أنهما ملكان أرسلهما الله تعالى ليعلماه ألا يحكم حكماً إلا إذا سمع قول جميع الأطراف فلربما كان صاحب التسع والتسعين نعجة على حق . وفى ذلك قال تعالى : (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب * إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق * والطير محشورة كل له أواب * وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب * وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ، إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط *

فلما علم أن الخطأ إليه ندم على خطيئته وبكى إلى أن بكت معه الجبال والوحوش ، وله حديث فيه يطول (١) تركته ، وتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم .

حديث نبوة النبي سليمان بن داود صلى الله عليهما :

قال الله العزيز الحكيم : (وورث سليمان داود)(٢) . يقال إن سليمان ابن المرأة التي أوتي من قبلها الذنب . فلما شب سليمان وصار ابن اثنتي عشرة سنة أتاه الله العقل والحكم . وله مع أبيه حديث في معنى الحرث الذي أكلته الماشية (٣) ، حكم داود بحكم ، وحكم فيه سليمان بحكم . ففهم الله سليمان ، وأن داود أراد أن يستفهم سليمان ويجرب عقله ومعرفته . سأله عن أشياء ، وكان مما سأله أن قال له : يابني أخبرني |٣٤| بأقل شيء في الناس وأكثر شيء في الناس ؟ وأخبرني عن آنس شيء وأوحش شيء ؟ وأخبرني عن أحلى شيء وأبرد شيء ؟

قال سليمان : نعم سألتني عن أقل شيء في الناس وأكثر شيء ، وأنا لاأعلم أقل شيء في الناس من اليقين ولا أكثر شيء من الظن والشك . سألتني عن آنس شيء وأوحش شيء ، وأنا لاأعلم شيئاً آنس من الإنسان إذا كان حياً ولا أوحش منه إذا مات .

= إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب . فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) ، سورة ص : الآيات ١٧ — ٢٥ .

(١) في المخطوطة : « طول » .

(٢) سورة النمل : آية ١٦ .

(٣) قال الله تعالى : (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً ....) .
سورة الأنبياء : الآيتان ٧٨ — ٨٩ .

وسألتنى عن أحلى شىء وأبرد شىء ، وأنا لا أعلم أن شيئاً أحلى على الفؤاد من المحابة فى الله ، ولا أبرد على الكبد من عفو الله عن العباد . وسألتنى عن أقرب شىء وأبعد شىء ، فتلك الآخرة من الدنيا وهى أقرب ، والآخرة لاترجع إلى الدنيا وهى أبعد .

قال داود ، صدقت يا بنى فملكه على بنى إسرائيل وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، وولهم بعد أبيه وهو ابن أربعين سنة ، وذلك قوله : (وورث سليمان داود) ، يعنى ملكه من بين إخوته .

وكان سليمان صغيرهم ، وفهمه الله منطق الطير ، وحشر له الجن والإنس(١) ، وسخر له الريح عاصفة ، وسخر له الشياطين يغوصون له فى البحر يخرجون له اللؤلؤ والمرجان(٢) . وأسال له عين القطر(٣) ، وهى عين النحاس ، وسخر له الجن والإنس (يعملونَ لهُ ما يشاءُ منْ محَاريبَ

---

(١) قال الله تعالى : (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء إن هذا لهو الفضل المبين * وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون) . سورة النمل : الآيتان ١٦ — ١٧ .

وقال تعالى : (قال رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب * فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب * والشياطين كل بناء وغواص * وآخرين مقرنين فى الأصفاد) . سورة ص : الآيات : ٣٥ — ٣٨ .

(٢) قال الله تعالى : (ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها وكنا بكل شىء عالمين * ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين) .

سورة الأنبياء : الآيتان ٨١ — ٨٢ .

(٣) أى أن الله سبحانه وتعالى أسال لسليمان النحاس ليستخدمه فى الحرب والسلم ، كما ألان الحديد لداود وعلمه كيف يصهره .

وقد قال تعالى فى سورة سبأ آية ١٢ :

(ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) .

وتماثيلَ وجفانٍ كالجواب وقدورٍ راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليلٌ من عبادى الشكور)(١) .

وله أحاديث كثيرة منها ما جرى له عند بلقيس بنت الهدهاد كما ذكر الله . وقصتها مشهورة ، وهو قول الهدهد : (إنى وجدت امرأة تملكهم)(٢) ، تملك قوماً ولها عرش عظيم . وقيل إن قومها الأزد ، وكانو ملوك الأرض وكانوا يعبدون الشمس من دون الله ، فأسلمت على يد نبى الله سليمان بن داود عليه السلام ، وهى فى الولاية نجاها الله وقومها من الشرك وكانت ملكة سبأ ، وهم بنو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبى صلى الله عليه(٣) .

وأخبار سليمان وأحاديثه كثيرة .ولما عبد غير الله فى بيته نزع الله عنه خاتمه وملكه وأراه الذل والهوان ، فكان يخدم كل يوم عند الصيادين بسمكتين إلى أن رد عليه خاتمه وملكه .

وأخباره صلى الله عليه وسلم مشهورة . ومن أخبار سليمان بن داود

---

(١) سورة سبأ : آية ١٣ .

(٢) سورة النمل : آية ٢٣ .

(٣) وردت قصة ملكة سبأ فى التوراة (سفر الملوك الأول ، الأصحاح العاشر) فذكرت أن ملكة سبأ سمعت بخبر سليمان الحكيم فجاءت إلى أورشليم فى موكب عظيم محمل بالطيب والذهب والأحجار الكريمة . ولقيت سليمان وامتحنته فى أمور كثيرة ، وتبين لها علمه وحكمته ، وشاهدت عظمة بلاطه فصرحت بأنها رأت ضعف ما سمعت ، وآمنت برسالة سليمان .

وجاء خبر ملكة سبأ فى سورة النمل من القرآن الكريم (الآيات ٢٠ — ٤٤) . وخلاصة ما جاء فى هذه الآيات أن سليمان عليه السلام تفقد الطير فلم يجد الهدهد ، فلما جاء الهدهد قال إنه جاء من سبأ ، من عند ملكة لها عرش عظيم ، ورآها هى وقومها يسجدون للشمس من دون الله . فأعطاه سليمان كتاباً وكلفه أن يلقيه إلى قوم سبأ يدعوهم فيه بأن يأتوه مسلمين . وأرسلت ملكة سبأ هدية إلى سليمان ولكنه ردها إليها ، فخشيت ملكة سبأ من تهديد سليمان وبادرت بالذهاب إليه . وقد بهرتها عظمة سليمان وحكمته وما لبثت أن أعلنت إسلامها مع سليمان لله رب العالمين .

صلى الله عليه أنه مر يوماً فى الجنود والطير تظله ، والريح تحمله ، وهو يسير بين السماء والأرض ، ومعه الجن و الإنس والشياطين ، وكل مدينة يمر عليها يتعجبون منه ، حتى مر بحراث فلم يرفع رأسه إليه .

فقال سليمان للريح : حطى . ثم مشى إلى الحراث ، فسلم عليه نبى الله فرد عليه السلام ، ثم أقبل على الثور وقال له [٣٥] هيس هذا كله ليس !! فقال سليمان بن داود : قف أكلمك !! فوقف . فقال سليمان : لقد رأيت من أمرك عجباً !! فقال الحراث : وما أعجبك من أمرى ؟ فقال له سليمان بن داود : إنى لم أمر بمدينة من المدائن إلا عجب أهلها من أمرى غيرك !! تقول للثور : هيس هذا كله ليس !! ثم لم ترفع طرفك إلى ولم تكترث بى ؟!! فقال الحراث : أترى أنى أعجب ممن أوله نطفة ويحمل العذرة(١) وآخره دود وتراب فما يعجبنى منه ؟! قال له نبى الله سليمان : فهل لك أن تصحبنى وأكفيك المؤونة من هذا التعب الذى أنت فيه !! فقال له : يا نبى الله !! إنى من الله فى نعمة ، عندى ثوران وأنا وأولادى سبعة ، ولنا ثوب أينا خرج لبسه . فقال له نبى الله : هل لك أن تدخل معى فى ملكى . قال الحراث : قد فكرت منذ اطلعت على فوجدت الذى بينى وبينك قريباً !! قال سليمان : ومن أين ذلك ؟ قال رأيت ما مضى من نعيمك وما مضى من بؤسى ، هل تجد لذلك حساً !! قال لا . قال : أرأيت مايستقبل من أعمالنا هل تدرى مايصنع الله بنا فيه ؟ وهل تدرى ما يصيبنا فيه من الخير والشر ؟ قال نبى الله : لا ... قال الحراث : فإنما أنا وأنت سواء وإنما تنقضى ساعة فساعة . قال سليمان : ادخل معى وأنا أكفيك فإنى أراك حكيماً !! فقال له : نعم إن كفيتنى إحدى الثلاث !! قال سليمان : وما هن ؟ قال : تمنعنى من الموت إذا جاءنى ؟ قال سليمان : لا أستطيع ذلك . قال : أفتكسونى ثياباً لا أعرى !! قال سليمان لا أستطيع ذلك !! قال : أفتطعمنى طعاماً لا أجوع بعده !! قال سليمان :

---

(١) العذرة : الغائط ، وعذر عذراً وعذراً بفتح العين وضمها : كثرت عيوبه و ذنوبه .

لا أستطيع ذلك !! قال الحراث : فأنا وأنت إذاً سواء !! فما رؤى سليمان بعدها راكباً !!

ومن أخباره أنه كان أصاب بنى إسرائيل محل(١) شديد ، فاجتمعوا ووصلوا إليه ، وسألوه أن يخرج إلى الصحراء ويستسقى لهم . فخرج وخرجوا معه ، فلما صار فى بعض الطريق إذا بنملة مستلقية على قفاها وهى تقول : إلهنا وسيدنا ! إنا عبيدك ، وخلق من خلقك . خلقتنا وضمنت برزقنا فارزقنا أو اقبضنا !! فقال لهم عليه السلام : ارجعوا فقد كفيتم ، فأمطروا من يومهم والله أعلم .

وقيل عنه عليه السلام إنه نظر إلى طائرة هزيلة مستضرة، فقال للعقاب: انطلق خلف هذه وائتنى بخبرها . فطارت من عنده آخر النهار ، وطار العقاب خلفها إلى أن أتت وكرها وقد ذهب من الليل بعضه . فرعت رعياً يسيراً وشربت من تحت شجرة فى جزيرة من جزائر البحر فنامت على تلك الشجرة وقامت فطارت بسحر ، وبعد فى الليل جزء منه ، وطار العقاب خلفها إلى أن أتاه فخبره بخبرها وقص عليه قصتها [٣٦] فدعاها سليمان بن داود عليه السلام وقال لها : على ماذا التعب والنصب ولك فى الأرض سعة؟ قالت : يانبى الله لولا الوطن لخرب بلاد السوء . فأمرها سليمان بوطنها وعذرها .

وله أحاديث كثيرة تركتها اختصاراً .

حديث يونس (٢) بن متى صلى الله عليه وسلم :

مستخرج من قوله : (وذا النُّون إذ ذهب مُغَاضِباً فظَنَّ أن لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ . .)(٣) ، يعنى ذا السمكة لأنها ابتلعته فنسبه الله إليها .

قال محمد بن محبوب رحمه الله : ظن أن لن نقدر عليه هذا البلاء .

---

(١) المحل : الشدة والجدب ، انقطاع المطر ويبس الأرض ، الجوع الشديد .
(٢) سيدنا يونس ، أو ذو النون ، أو يونان .
(٣) سورة الأنبياء : آية ٨٧ .

وروى عن ابن عباس أنه قال : إنه كان يسكن فلسطين وإن ملكاً من ملوك الجزيرة غزا بنى إسرائيل فسباهم . وكان الله تعالى قد عهد إلى نبى إسرائيل إن عصيتمونى وضيعتم أمري سلطت عليكم عدوّكم ثم إن تبتم ورجعتم تبت عليكم واستجبت لكم وأنقذتكم من يد عدوكم . فلما سبُوا لبثوا زماناً فى يد العدو ، فلما أراد الله سبحانه أن ينقذهم أوحى الله إلى نبيّ من أنبياء بنى إسرائيل يقال له « شعيا » أن انطلق إلى ملك من ملوكهم فقل له إن الله يأمرك أن تبعث رجلا قوياً أميناً من بنى إسرائيل إلى إخوانكم الذين عند العدو . قال له الملك : أنت الذى تختار وتبعث ، قال : لا إنما آمرت أن أعرفك ، وأنت ستبعث من ترى . قال له الملك : أشر علىّ مَن أبعث . قال له النبي : ابعث يونس بن متى ، فقال : يايونس انطلق فإنه نبيّ قوى أمين . فأرسل الملك إلى يونس بن متى فقال : يايونس انطلق إلى العدو ، فأمرهم أن يخلّوا سبيل من فى أيديهم من الأسارى من بنى إسرائيل . قال يونس للملك ، قل لشعيا ، يعنى النبى الذى أوحى إليه ، هل سمّيت له ؟ !

قال الملك لشعيا ، فقال شعيا : لا . قال يونس ، فإن فى بنى إسرائيل أنبياء غيرى كثيراً أقوياء . فقال الملك : أسألك بإلهك لما انطلقت . فلما عزم عليه خرج يونس من (١) عند الملك ولم يتزوّد وخرج مغاضباً مراغماً تاركاً لأمر النبي شعيا صلى الله عليه وسلم ، وأمر الملك كما قال الله تعالى :

﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الفُلْكِ المشحونِ ﴾ (٢) . وكان أخذ معه زاده وعصاه وكساه حتى انتهى إلى بحر الروم ، فوجد به قوماً قد أشحنوا سفينتهم ، فطلب الطلوع معهم فعرفهم وأعطاهم الكراء . وقال : احملونى معكم ، وهو يومئذ معروف بالنبوّة ولم تكن له رسالة ، فحملوه .

---

(١) من : زيادة من عندنا .

(٢) سورة الصافات : آية ١٤٠ .

فلما سارت بهم السفينة فى البحر أوحى الله إلى البحر أن احبس العبد الآبق . فوقفت السفينة ، وجعلت تغرف الماء بلا ريح ولا موج . فقال الملاحون إن فى سفينتنا رجلا خاطئاً . قال البحارة : إنا إذا فعلت السفينة معنا هذا الفعل ساهمنا (١) فمن خرج سهمه ألقيناه فى البحر فيغرق [٣٧] رجل منا خير من أن يغرق أهل السفينة جميعهم . وعمد يونس إلى صدر السفينة فلف رأسه بكساه .

فقام الملاحون فأخرجوا لكل رجل منهم سهماً ، وأخرجوا ليونس سهماً . فأجالوا السهام بينهم فخرج سهم يونس فاتهموا أنفسهم وسهامهم وقالوا : نحن أولى بالذنب من ولىّ الله ! ! فأجالوا السهام بينهم ثانية فخرج سهم يونس فاتهموا أنفسهم وسهامهم وقالوا نحن أولى بالذنب من نبىّ الله ! ، ثم أجالوا السهام الثالثة فخرج أيضاً سهم يونس ! !

فاستيقظ يونس فقال لهم : مالكم ؟ ! فقالوا : يانبىّ الله (٢) أما ترى ما نحن فيه وما تصنع بنا سفينتنا ؟ قال لهم يونس : ما تقولون ؟ قالوا : نحن نقول لأن سفينتنا لم تفعل مثل هذا قط إلا وفيها رجل خاطئ . قال : فما كنتم تصنعون ؟ قالوا : نقترع فمن خرج سهمه قذفناه فى البحر ونجى الله أهل السفينة . قال : فافعلوا ما كنتم تفعلون . قالوا : قد أجلنا السهام ثلاث مرات ، كل ذلك يخرج فيها سهمك ، ونحن أولى بالذنب منك يانبى الله ! قال : فإنى أنا الخاطئ ! ! أنا صاحب الذنب ! فافعلوا ما كنتم تفعلون بمن كان قبلى . فأبوا عليه وأبى عليهم . فالتف فى كساه ورمى بنفسه فى البحر . فأوحى الله إلى حوت من الحيتان أن التقمه ولا تأكل له لحماً ولا تكسر له عظماً ولا تخدش له جلداً . فالتقمة الحوت ، وكان الحوت قريباً من السفينة يسايرهم . فلما ألقى يونس نفسه التقمه وأخذه فى البحر

---

(١) ساهمنا : أى أجرينا القرعة على الركاب ومن خرج اسمه ألقيناه فى البحر .

(٢) فى المخطوطة « يا نبى » ولفظ الجلالة من عندنا .

وهو ينادى : (... لا إله إلا أنتَ سبحانَك إنى كنتُ من الظالمينَ)(١) .

فخرج به الحوت من بحر إلى بحر ، وكان التقمه من بحر سيراف (٢) حتى وصل به إلى بحر فارس (٣) ثم مرّ بالبطائح (٤) ثم أدخاه الدجلة ، فبقى فى بطنه أربعين ليلة ، هذا قول ابن عباس . وقال الحسن : ثلاثة أيام والله أعلم .

فقذفه الحوت وقت ضحوة (٥) من النهار بالعراء أى الفضاء ، فنبذه وهو كهيئة الفرخ المولود ليس له جلد ولا ظفر ولا شعر فأنبت الله عليه شجرة من يقطين (٦) .

وكل من خطف(٧) من السيارة ألقوا إليه شيئاً من زادهم حتى غلظ جلده ، ونبت لحمه وشعره . فظلّ يونس تحتها مستظلاً بظلها حتى اشتد وقوى . وفى بعض الأخبار أنّ الله عطف عليه ظبية كانت ترضعه وأخرج

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٨٧ .

(٢) سيراف هى مدينة جليلة على ساحل بحر فارس كانت قديماً فرضة الهند ...
(ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٩٣) .

(٣) نلاحظ أن بحر سيراف وبحر فارس هما واحد أى الخليج العربى ، كذلك نلاحظ أن الكاتب ذكر قبل ذلك أن سفينة سيدنا يونس كانت فى بحر الروم أى البحر الأبيض المتوسط .

(٤) البطائح هى الأهوار والمستنقعات فى جنوب العراق ، ولعل الكاتب يقصد بها شط العرب .

(٥) الضحوة : ارتفاع النهار بعد طلوع الشمس .

(٦) قال الله تعالى فى سورة الصافات :
(وإن يونس لمن المرسلين * إذ أبق إلى الفلك المشحون * فساهم فكان من المدحضين * فالتقمه الحوت وهو مليم * فلولا أنه كان من المسبحين * للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون * فنبذناه بالعراء وهو سقيم * وأنبتنا عليه شجرة من يقطين * وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون * فآمنوا فمتعناهم إلى حين) . الآيات ١٣٩ — ١٤٨ .

(٧) خطف وخطف (بالكسر والفتح) خطفاناً : مشى سريعا .

الله له عيناً من الماء كان يشرب منها . فبينما هو كذلك إذ يبست الشجرة وغابت الظبية فحزن يونس عليها حزناً شديداً . فأوحى الله إليه : يا يونس تحزن على الشجرة والظبية وأنا أنبتها في ساعة ولا تحزن على مائة ألف [٣٨] أو يزيدون من إخوانك من بني إسرائيل مستكرهين على الشرك وعبادة الأوثان ! ! فانطلق يا يونس واستنقذ إخوانك منهم فقد كملت أيام عقوبتهم وأمرهم أن يخلوا بني إسرائيل من أيديهم وإلا حلت بهم العقوبة إلى ثلاثة أيام .

وكانت الرسالة بعدما خرج من بطن الحوت ، هذا قول ابن عباس رحمه الله : لما ترك أمر نبي الله شعيا وأمر الملك ، فانطلق يونس بأمر الله وكانوا منه قريباً فدخل أرضهم ودخل على ملكهم . وقال : الله أرسلني إليكم وقال : تخلوا بني إسرائيل الذين في أيديكم وتبعثوهم معي . قالوا : ما نعرف ما تقول ، ولو عرفناك صادقاً فعلنا لك ذلك . فعالجهم ثلاثة أيام على أن يطلقوا بني إسرائيل فأبوا عليه ، فقال لهم ، إن لم تفعلوا وتتوبوا عما أنتم عليه وتؤمنوا بربكم أتاكم العذاب إلى ثلاثة أيام . فجعلوا عليه العيون والحراس ينظرون أيخرج أم يقيم ، حتى إذا كان اليوم الثالث من آخر النهار ، أخذ يونس رداءه وعصاه وخرج من المدينة . وأقبلت العيون فأخبرت الملك بذلك فتندم القوم على ما صنعوا ، وعلموا أن العذاب نازل بهم . وطلبوا يونس فأتاهم فآمنوا به وبعثوا معه بني إسرائيل .

قال الله عز وجل : (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) (١) .

« سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ، لا ينفع من المعصية إلا الندم والتوبة والرجوع إلى الله ، لا ما قالته الحشوية إن الله يدخل المصرين رحمته ! ! عموا وصموا ومرقوا

(١) سورة يونس : آية ٩٨ .

فنسأل الله العافية والهداية لنا ولجميع المسلمين » (١).

ومن حديث العزير (٢):

فى تفسير قول الله تعالى : (أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها) أى سقوفها وحيطانها (فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه) أى لم يتغير وينتن (وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير) (٣) .

عن ابن عباس أن العزير كان من علماء بنى إسرائيل وكان من الذين سباهم بخت نصر(٤) وجاء بهم إلى أرض بابل . فبينما العزير سائر من قرية يريد قرية أخرى فمر بين القريتين وأدركه المقيل (٥) ، فجاء إلى دير قد خرب وأتى عليه زمان وهلك أهله . فوقف العزيز تحت ظل شجرة [٣٩] ثم نظر إلى القرية فعجب منها فقال : (أنى يحيى هذه الله بعد موتها) .فأماته الله مائة عام ، وكان معه سلتان ، سلة من تين وسلة من عنب وزق صغير من خمر . فمكث مائة عام وأعمى الله عنه أعين الناس والسباع ، أماته الله نصف النهار وبعثه بكرة ، فسمع الصوت من السماء وهو يقول : كم لبثت؟! قال العزير : لبثت يوماً أو بعض يوم . ثم ذكر أنه كان أدركه المقيل نصف النهار وبعث غدوة ، فأكد قوله يوماً أو نصف يوم . فسمع الصوت من

---

(١) عبارة طويلة كتبها المؤلف كلها وعظ وإرشاد .

(٢) اسم العزير بالعبرانية عزرا بكسر العين المهملة وسكون الزاى وفتح الزاء بعدها ألف.

(٣) سورة البقرة : آية ٢٥٩ .

لاحظ أن الكاتب ، كتب شرحاً بين الآية فى موقعين .

(٤) المعروف أن بخت نصر ، أو نبوخذ نصر ملك الكلدانيين خرب أورشليم وأجلى أهلها إلى بابل فى سنة ٥٨٦ ق.م .

(٥) المقيل : موضع القيلولة ، النوم أو الاستراحة فى الظهيرة .

السماء وهو يقول : (**بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه**) (١) أى لم يتغير . فنظر إلى التين والعنب فإذا هما كما اجتناهما ، والعصير الذى فى الزق كما هو لم يتغير . ثم نودى (وانظر إلى حمارك) ، فاذا هو بعظام بيض بالية ، فسمع الصوت يقول له : كما يحيى الله هذه العظام البالية كذلك يحيى الله تعالى أهل هذه القرية . ثم سمع الصوت يقول : يا أيها العظام البالية إن الله محييك ومنزل فيك روحاً ! فإذا العظام قد ارتهشت(٢) وسعى بعضها إلى بعض ، الصُّلب(٣) قد سعى بعضه إلى بعض ، كل فقارة(٤) إلى فقارة ، وكل وظيفة (٥) إلى وظيفة ، والركبتان إلى مكانهما ، والحافران إلى مكانهما ، والعنق إلى مكانه ، كل فقارة إلى موضعها ثم جاء الرأس إلى مكانه ، ثم التبست العروق والعصب عليه ، ثم وضع عليه اللحم ثم بسط عليه الجلد ثم ردّ عليه الشعر ثم نفخ فيه الروح فإذا هو قائم ينهق والعزير ينظر إليه ، فخر ساجداً وقيل له : اعلم أن الله على كل شيء قدير .

ومن أخبار العزير أنه كان يبكى على بنى إسرائيل لماسباهم بخت نصر .

وعن وهب بن المنبه كان العزير يناجى ربه ويقول : إلهى وسيدى إن لك فى كل خلق خلقته خيرة اخترتها وإنك اخترت من الثياب الحلل ، ومن المواشى الضأن ، ومن الطير الحمام ، ومن البيوت مكة ، وإيليا ومن إيليا بيت المقدس ، ومن جميع الخلق آدم ، ومن ولد آدم نوحاً وإبراهيم ومن ولد إبراهيم إسماعيل وإسحاق ، ومن ولد إسحاق إسرائيل ، فأصبحت خيرتك قد نمت ونفذت فى كل مااخترت إلا من كان من ولد خليلك

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٩ .

(٢) ارتهش : ارتعش .

(٣) الصلب : عظم الظهر .

(٤) الفقارة ، والجمع فقار : الخرزة من خرزات الظهر .

(٥) الوظيف : مستدق الذراع أو الساق وقد كتبت فى أصل المخطوطة « وكل وضيفة إلى وضيفة » .

إبراهيم عليه السلام فإنهم أصبحوا عبيداً لأهل معصيتك وخولا (١) لأعدائك . وبيت المقدس كيف غير حسنه وهدم حصنه وأطفئ نوره ؟ وعبيدك وبنو أنبيائك ورسلك ذلوا !! وعزهم خمل (٢) ومجدهم سقط ، وفخرهم بطل وكتابك المنزل أحرق وتابوت السكينة (٣) |٤٠| أخذ !! ونساء الملوك يطاف بهن فى الأسواق حاسرات الوجوه والشعور ! والأحبار والمشايخ وأهل السكينة والوقار مقرنون فى الأصفاد !! والأولاد خدم للكفار !! والقتلى لا يوارى أحد منهم فى قبره ولم يعهد أحد منهم !! والعلماء متدلهون !! والحكماء مبهوتون !! والعقلاء متحيرون !!وأهل الرأى مستسلمون !!

فأوحى الله إليه : هكذا أفعل بمن عصانى ! ! إذا عصانى على المعرفة سلطت عليه من لا يعرفنى !! فبعث الله أشعيا أن قم فى قومك فإنى أوحى إليهم على لسانك . فلما أقام أشعيا أنطق الله على لسانه بالوحى. فقال : ياسماء استمعى ويا أرض أنصتى !! إن الله سبحانه و تعالى يقول لكما إنى استقبلت بنى إسرائيل بالكرامة وهم كالغنم الضائعة لا راعى لها ، وآويت لها شاءها ، وجمعت ضالتها ، وجبرت كسرها و داويت مريضها ، وأسمنت هزيلها فبطرت وتناطحت بعضها بعضاً حتى لم يبق لها عظم صحيح ، فكفروا نعمى وارتكبوا معصيتى ولم يخافوا نقمتى وهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا . فالحمار يتذكر ربه الذى يطعمه فيراجعه ، والثور يتذكر مرجه (٤) فينتابه (٥) ، والبعير يتذكر وطنه الذى ولد فيه فينزع إليه ،

---

(١) الخول : جمع خولى : للعبيد والإماء وغيرهم من الحاشية ، وهو يستعمل بلفظ واحد للجميع ، وربما قيل للواحد ، خائل .

(٢) خمل خمولا ذكره أو صوته : خفى وضعف .

(٣) المقصود هنا أن التوراة ضاعت فى حرب بخت نصر الذى أحرقها وقتل العلماء والقراء .

(٤) المرج : الأرض الواسعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب ، والجمع مروج . وقد كتبت خطأ فى المخطوطة « مرجلة » .

(٥) انتابه انتياباً : أتاه مرة بعد أخرى .

وإن هؤلاء القوم لا يتذكرون ولا يراجعون ولا يتوبون وهم أهل الألباب والعقول ليسوا بغنم ولا حمير ولا بقر ولا إبل . وأنا ضارب لهم مثلا : ما تقولون فى أرض كانت زماناً خراباً لا حرث فيها ، وكان لها ربّ قوى حليم فأقبل عليها وكره خرابها وتضييعها ؛ فأحاط بها شناخيب (١)، وشيّد بها قصوراً ، وأنبع فيها أنهاراً ، وغرس فيها غرساً من جميع الألوان ، وولى ذلك ذا رأى و همة قوياً حفيظاً أميناً ، فلما جاء أوان ثمارها أثمرت زقوماً (٢) ، ماكنتم قائلين لصاحب الأرض ومشيرين عليه ؟! قالوا : كنا نقول له : بئس (٣) الأرض أرضك !! ونشير عليه بأن يقلع شناخيبها ويهدم قصورها ويدفن أنهارها ، ويحرق غرسها حتى تعود كما كانت خربة لا عمار فيها .

قال شعيا (٤) الله أكبر !! يقول الله سبحانه وتعالى : تكلم الأنهار ذمتى ، والقصور شريعتى ، والعمران كتابى ، والقيم (٥) بيتى !! والثمرة المرة أعمالهم الخبيثة ! يتقربون إلى بذبح البقر والغنم ، ولا ينالنى اللحم ولا أكله ! ، ويدعون أن يتقربوا إلىّ بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التى حرمتها ، ويروقون (٦) المساجد ولست أدخلها ، وإنما أمرت بعملها لأذكر فيها !! وأى حاجة لى إلى ترويق المساجد ورفع البيوت ! ! قلوبهم خالية |٤١| من ذكرى ، يؤمون إلى بالحجة والحجة عليهم ! ! يقولون : لم يؤلف بين قلوبنا ولم يفقهنا ، ولم يرفع صلاتنا وصيامنا ، ولم يقبل زكاتنا ،

---

(١) الشنخاب والشنخوب والشنخوبة : أعلى الجبال ، والجمع شناخيب .

(٢) الزقوم : شجرة يزعمون أنها فى جهنم وأن منها طعام أهل النار ، كل طعام يقتل ، ونبات بالبادية .

(٣) فى المخطوطة كتبت « بئست » .

(٤) يكتبها فى الغالب : « شعيا » ومرة كتبها « أشعيا » كما هو مألوف .

(٥) القيم على الأمر : متوليه ، والأمر القيم : الأمر المستقيم ، والديانة القيمة : المستقيمة

(٦) روق المسجد : جعل له رواقاً .

ودعونا فلم يقبل دعاءنا ، وبكينا فلم يرحم بكاءنا ونحيبنا ، وفى كل ذلك لم يسمع منا ولا يستجاب لنا ! !

ألست أسمع السامعين ، وأنظر الناظرين ، وأقرب المحبين وأرحم الراحمين ! ! وسعت رحمتى كل شىء. لكن كيف أتقبل منهم صيامهم وغذاؤهم الحرام ، وشهادتهم الزور(١) ! ! أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم طائعة صافية لمن حادنى وعصانى وينتهك محارمى ! ! أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قول بأطراف ألسنتهم وقلوبهم خالية من التقوى والعمل ! ! أم كيف تزكو صدقاتهم وهى من أموال غيرهم ؟ ! إنما يتقبل الله من المتقين.

ومن أخبار بنى إسرائيل :

وهو قوله تعالى : (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً) إلى قوله تعالى : (فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا) (٢) . (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً)(٣) .

يوجد أن الله سبحانه وتعالى عهد إلى بنى إسرائيل فى التوراة إنكم ستخالفون رسلى وتبدلون أمرى وقولى فأسلط عليكم أعداءكم فيقتلونكم ويسبونكم ، ويخربون قدسكم ، ثم تراجعونى وتدعونى فأستجيب لكم وأرحمكم وأردكم إلى مقدسكم ، ثم تعودون إلى الفساد فأعود عليكم بالهلاك. ثم تعودون تبكون وتتضرعون فأرحمكم وأردكم إلى مقدسكم ومساكنكم . ثم إن عدتم عدت عليكم .

فلما عصى(٤) بنو إسرائيل ، وعبدوا الأوثان ، واستحلوا الحرام ،

---

(١) كتبت فى المخطوطة « بالزور ».

(٢) سورة الإسراء : الآيتان ٤ — ٥ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٦ .

(٤) فى المخطوطة « عصوا » .

وسفكوا الدماء ، سلط عليهم بخت نصر ملك بابل ، فقتلهم وسبي ذراريهم ، وخرب بيت المقدس ، وقذف فيه الجيف(١) ، وأحرق التوراة بالنار ؛ ورجع بسبيهم إلى بابل . فمكثوا ببابل تسعين(٢) سنة عبيداً ، ثم نزلت الرحمة من الله عليهم . فأنقذهم الله على(٣) يدى كورش الفارسى ، فخرج إلى بخت نصر وظهر عليه(٤) ؛ فقتل المقاتلة وسبي الذرية ، واخذ ملكة من بنات ملوك بنى إسرائيل فحبها حباً شديداً فطلبت إلى كورش أن يخلى سبيل(٥) بنى إسرائيل . فخلى سبيلهم وكانوا ثمانية وأربعين ألف رجل سوى ذراريهم ، ودفع لهم آنية بيت المقدس التى أخذها منه بخت نصر . فساروا إلى بيت المقدس ، ورد الله [٤٢] الكرة على عدوهم فأمدهم بالأموال والبنين وجعلهم أكثر نفيراً . فمكثوا ببيت المقدس مائتى سنة وعشر سنين ، ثم عادوا إلى المعصية ثانية فسار إليهم أنطيابجيوش(٦) الرومى وهو الذى أرسل إليه يونس أن يخلى بنى إسرائيل فقاتلهم أنطياجيوش (٧) فقتلهم وسباهم وأحرق التوراة ، وقتل العلماء وضرب بيت المقدس . ثم استنقذهم الله على يدى ثلاثه إخوة من بنى إسرائيل من ولد هارون أخي موسى ؛ فغضبوا لله واستجاشوا(٨) قومهم ، وقاتلوا أنطياجيوش الرومى فظهروا عليه بعد أن كان ملكهم زماناً طويلا .

---

(١) الجيفة : جثة الميت المنتنة ، والجمع جيف وأجياف .

(٢) ظل العبرانيون أسرى فى بابل منذ سباهم بخت نصر حوالى سنة ٥٨٦ ق.م حتى نجح فورش ملك الفرس فى فتح بابل سنة ٥٣٩ ق.م. وأعادهم إلى بلادهم سنة ٥٢٩ ق. م.

(٣) كتبت فى المخطوطة « من يدى » .

(٤) المعروف أن قورش قضى على الإمبراطورية الكلدانية التى كان نبوخذ نصر ، « بخت نصر » من أعظم ملوكها (٦٠٤ – ٥٦١ ق.م) أما قيام مملكة الفرس على يد قورش فكانت بعد وفاة بخت نصر .

(٥) « سبيل » : زيادة من عندنا .

(٦) لعله يقصد الملك أنطيخوس ملك الدولة السلوقية التى شملت معظم الشام وشرق آسيا الصغرى .

(٧) لاحظ هنا مرة يكتبها أنطياجيوش ، ومرة يكتبها انطيابجيوش .

(٨) استجاشوا قومهم : حرضوهم على القتال ، واستجاش الجيش : جمعه .

وكان ذلك دأب بنى إسرائيل ، فلما عصوا وعادوا لظلمهم وفسادهم وانتهكوا المحارم وركبوا المعاصى وسفكوا الدماء واستحلوا ركوب الفواحش ، وشربوا الأشربة ، وركبوا الحرام سلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب .

نعوذ بالله من ذل المعاصى فإنها تقلع الصياصى نسأل الله العافية لنا ولجميع المسلمين(١) .

ومن حديث النبى يحيى وأبيه زكريا بن ماثان صلوات الله عليهما :

قيل سمى يحيى لأن الله أحياه من موات ، لأن أباه زكريا أوتى يحيى وهو يومئذ ابن خمس وتسعين سنة ، وكانت زوجته فى سنه . أخرجه الله حياة للأرض يذكره ويسبحه ويقدسه ، من شيخ كبير وامرأة عجوز(٢) .

وفى الحديث أن يحيى(٣) صلوات الله عليه دخل إلى بيت المقدس ، وهو يومئذ ابن ثلاث حجج (٤) ، فنظر إلى الأحبار والرهبان وهم قد لبسوا مدارع(٥) الصوف والشعر مجتهدون فى العبادة فهاله ذلك . فلما رجع إلى

---

(١) يأتى الكاتب بموعظة وحكمة بعد كل باب أو فصل .

(٢) روى أن زكريا كان نجاراً ، وهو الذى كفل مريم أم عيسى . وكانت مريم بنت عمران لبنى ماثان من ولد سليمان بن داود .

وروى أن أم مريم كان اسمها حنة ، وكانت زوجة زكريا واسمها إيساع أختا لحنة ، وقيل إنه لما كبرت مريم بنى لها زكريا غرفة انقطعت مريم فيها للعبادة . وقيل إن اسم مريم معناه العابدة .

(٣) عرف يحيى عند النصارى باسم يوحنا المعمدان لكونه عمد المسيح عليه السلام .

(٤) الحجة : السنة .

(٥) المدرعة ، جمع مدارع : جبة مشقوقة المقدم . المدرعة عند اليهود : ثوب من كتان كان يلبسه عظيم أحبارهم .

أبويه لقى صبياناً يلعبون فقالوا له : يا يحيى هلم لنلعب ! فقال لهم : إنى لم أخلق للعب . وذلك قوله تعالى : (وآتيناه الحكم صبياً)(١) .

كان يلبس ثياب الشعر والصوف ، فساح فى الأرض يعبد الله ليلا ونهاراً . وكان إذا صلى بكى حتى يبكى من سمعه لبكائه حتى يغمى عليه .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دم فى سبيل الله ، أو قطرة دمع من خوف الله ، أو جرعة غيظ يكظمها العبد فى طاعة الله .

عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل قد أذنب وأخطأ إلا يحيى بن زكريا صلوات الله عليهما لم يأت بخطيئة قط

ومن أخباره صلى الله عليه وسلم مما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن [٤٣] الله أوحى إلى يحيى بن زكريا بكلمات يعمل بهن ، ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن فكأنه أبطأ ؛ فأوحى الله إلى عيسى (٢) بن مريم : قل ليحيى إما تبلغهن ، أو بلغهن أنت . فأتاه عيسى صلوات الله عليهما فأعلمه وقال له إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بنى إسرائيل يعملوا بهن ، فإما تبلغهم أنت وإلا بلغتهم أنا . فقال له يا روح الله !! لا تفعل فإنى أخاف إن سبقتنى بهن أن يخسف الله بى الأرض أو يعذبنى عذاباً شديداً . قال : فجمع يحيى بنى إسرائيل فى بيت المقدس وقعد على الشرفات فخطبهم ثم قال :

---

(١) سورة مريم : آية ١٢ .

(٢) كان سيدنا يحيى معاصراً لسيدنا عيسى ، فأم يحيى هى خالة السيدة مريم العذراء ابنة عمران ، وأب يحيى هو سيدنا زكريا الذى كفل مريم بعد ولادتها لأن عمران مات قبل ولادة مريم .

إن الله أوحى إلى بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن ، [وهن ألا تشركوا بالله شيئاً لأن من أشرك] بالله كمن اشترى عبداً من [خالص ماله وأكرمه وقال له اعمل لى فجعل العبد يعمل لغير سيده ويرفع] إليه ، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟! ويأمركم بالصلوات أن تقبلوا إليها بجميع قلوبكم وجوارحكم وأن تخشعوا ولا تلتفتوا ، فان الله يقبل إلى عبده وإلى صلاته ما لم يلتفت إلى غيرها . ويأمركم بالصوم ، فمثل الصائم كمثل رجل بيده صرة مسك فالكل يشم رائحتها وفم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك . ويأمركم بالصدقة ، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فجعل يقول لهم : أفدى نفسى وهو يعطى القليل والكثير حتى فدى نفسه . ويأمركم بذكر الله كثيراً فمثل ذلك كمثل رجل طلب بثأر فسار مسرعاً حتى أتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله . وأنا آمركم بخمس : لزوم الجماعة ، وحسن السمع والطاعة ، والجهاد فى سبيل الله ، والتحبب والتودد إلى أولياء الله فمن فارق جماعة أهل الحق فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه .

وقيل إن رجلين من اليهود سألا النبى صلى الله عليه وسلم عن التسع الآيات التى أنزلت عليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتشركوا بالله شيئاً ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا يسخر بعضكم من بعض ، ولا تأكلوا الربا ، ولاتقذفوا المحصنات ، ولا تفروا من الزحف ، ولا تمشوا ببرىء الى محرم ليقتله ، وعليكم يا يهود خاصة [٤٤] أن لا تعدوا فى السبت .

خبر قتل يحي وأبيه زكريا صلوات الله عليهما :

يروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : كان سبب قتل يحي بن زكريا أن ملكاً(١) كان فى بنى إسرائيل على عهد يحيى بن زكريا ، وكانت له ابنة حسنة شابة فقالت لأبيها : تزوجنى واتخذنى لنفسك حتى يكون الملك لى من بعدك . قال الملك: يابنية إن يحي بن زكريا يحرمنى عليك ويحرمك على : فغضبت الفاجرة وقالت : من يعذرنى من يحي بن زكريا الذى يحرمنى على أبى !! وكانت لها بنية يحبها الملك لصغرها ، فعمدت إلى ابنتها فزينتها وأرسلت اللعاب(٢) معها وبعثت بها إلى الملك وقالت للعاب العبوا له ، فإذا طاب قلبه وكلمك(٣) فاطلبى إليه رأس يحي بن زكريا : فلما طابت نفسه قال : احتكمى يابنية !قالت : أحتكم رأس يحي بن زكريا !! فاشتد عليه ، فأبت أن لاترضى عليه إلا بذلك .وكانت الملوك فى ذلك الزمان إذا حكموا إنساناً أوفوا له بما حكموه وإلا عزلوه عن ملكه ،فخاف الملك زوال ملكه(٤). فبعث إلى يحي بن زكريا — وهو يصلى فى المحراب— فذبحوه فى محرابه وجعلوا رأسه فى طشت ،وجاءوا برأسه إلى الملك والرأس يتكلم ويقول إنها لاتحل لك . وغلا دمه ؛ ولم يزل دم يحي بن زكريا

---

(١) المقصود بالملك ، هيرودس ، الذى كان ينوب فى الحكم عن الإمبراطور الرومانى . وجاءت قصة هيرودس وسيدنا يحيى فى إنجيل متى ، الأصحاح الرابع عشر .

(٢) اللعاب : الذى حرفته اللعب ، أو الكثير اللعب والمزاح والمداعبة . ولعله يقصد هنا الفرقة الموسيقية ، أو المهرجين ، أو الذين يقومون بإضحاك الناس .

(٣) الحديث هنا لابنتها .

(٤) لا شك أن هذا الكلام ينطبق على الأمور الجادة وليس على الهزل واللعب .

بسيل ولا يسكن حتى خرج عليهم ملك من ملوك الروم يقال له أطروش(١) الرومى فقتل على دم يحيى(٢) بن زكريا مائة ألف وثمانين ألفاً ، وسبى مثلها ، وأحرق التوراة ، وخرب بيت المقدس وقذف فيه الجيف ، فلم يزل خراباً حتى عمره الإسلام .

قال الله : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين)(٣) الآية ؟

قيل لايدخلها(٤) رومى إلى يوم القيامة إلا وهو خائف .

مقتل أبيه زكريا صلى الله عليهما :

ولما قتل يحيى تمثل إبليس لعنه الله للملك وقال له : إن زكريا يدعو عليك لقتلك ولده ، لاتبقيه ، فإنه إن يدع عليك تهلك !! فطلبته زبانية الملك فهرب ودخل فى جوف سدرة(٥) واستتر بها . فجاءهم إبليس اللعين فأخرج لهم طرف ثوبه فلم يقدروا على قتله .فأتى لهم اللعين واستعمل لهم المئشار(٦)فأشاروا(٧) السدرة وزكريا ،وحملوا رأسه(٨)إلى الملك، والرأس

---

(١) فى عهد الإمبراطور نيرون (٥٤ — ٦٨ م) نزل باليهود كل أنواع البلاء بسبب قيام اليهود بالثورة ضد الحكم الرومانى فى فلسطين . وأرسل نيرون القائد فسبازيان Vespasian لقمع حركة اليهود فى فلسطين فأمعن فى قتالهم . وبعد ذلك اعتلى فسبازيان عرش الإمبراطورية الرومانية (٦٩-٧٩ م) وترك قيادة الجيش بفلسطين لولده طيطس « Titus » الذى تم هدم دولة اليهود ببيت المقدس سنة ٧٠ م ويرجع تشتيتهم فى أنحاء العالم إلى هذا العهد . أما طيطس نفسه فقد أصبح إمبراطوراً بعد أبيه بين سنتى ٧٩ — ٨١ م .

وأغلب الظن أن المؤلف حين يقول أطروش الرومى يقصد بذلك طيطس .

(٢) تروى بعض الروايات أن قتل يحيى كان بعد ثلاثين سنة من عمر عيسى عليه السلام .

(٣) سورة البقرة : آية ١١٤ .

(٤) يقصد هنا بيت المقدس .

(٥) السدرة : شجرة النبق ، والجمع سدرات وسدر .

(٦) المئشار أو المنشار ، والجمع مآشير ومواشير .

(٧) أشر أشراً الخشبة : نشرها .

(٨) تروى بعض الروايات أن اليهود هم الذين قتلوا زكريا بعد ولادة المسيح ، لأن السيدة مريم العذراء ولدت بغير بعل فاتهموا زكريا بها .

يقول : لاتحل لك هذه المرأة . فلم يزل دمه يعلى حتى أتاهم بخت نصر(١) راكباً أسداً ومتعمماً بحية ومتقلداً بسيفه ، عرضه شبرٌ ، مكتوب عليه أبيات شعر وهى : [٤٥]

البغى صرّاع له صولة يستنزل الجبّار من عرشه
وأنت إن لم ترج أو تتقى كالميت مسدول على نعشه
لاتنبش الشر فتصلى به فقل من يسلم من نبشه
واخمد الشرّ فإن خفته فابطش بأعدائك فى خدشه
إذا طغى الكبش بشحم الكلى صير رأس الكبش فى كرشه
لله من سالفة خاتم تجرى المقادير على نقشه
من يفتح القفل بمفتاحه فالقفل قد يسلم من فتشه

* * *

ثم اختلف بنو إسرائيل . افترقوا أربع فرق ، وركبوا الضلالة بعد الهُدى ، والجهل بعد العلم بغياً بينهم . فرقة زعمت أن العزير ابن الله(٢) ، وفرقة قالت نحن أبناء الله وأحباؤه لايعذبنا(٣) . وفرقة قالت : (إن الله فقير ونحن أغنياء)(٤) . وفرقة استقامت على المنهاج وهم الأقل ، إلى أن

---

(١) طبيعى أن القصة خاصة بشخصية غير شخصية بخت نصر ملك بابل الذى توفى قبل ذلك بأكثر من أربعة قرون .

(٢) قال الله تعالى : (وقالت اليهود عزير ابن الله) سورة التوبة : آية ٣٠ .

(٣) قال الله تعالى : (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير) .
سورة المائدة : آية ١٨ .

(٤) سورة البقرة : آية ١٨١ .

بعث الله عيسى بن مريم النبي صلى الله عليه وسلم . ولحقهم فيه الحسد ، وكتموا ما أمروا به من طاعة الله وطاعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

مبعث نبوة نبي الله وروحه عيسى بن مريم صلى الله عليهما :

ثم بعث الله عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم، روح الله وكلمته(١)، بعد أشياء كثيرة من بنى إسرائيل من بعد موسى وبعثه الله بالإنجيل مصدقاً لما بين يديه من التوراة(٢) فأخذ بما أمره الله فى الإنجيل . وأخذ الله على أهل الإنجيل مثل ما أخذ على من كان قبلهم من أتباع الأنبياء والرسل، وأن يعلموا أن دين الأنبياء كان طاعة لله ورضاً ، وأن يأخذوا بما أمرهم الله فى كتابه وبما أتاهم نبيهم وأن يتمسكوا به .

فلبث فيهم عيسى صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ، يعلمهم الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل(٣) ، وهو يخبرهم أنه عبد الله ورسوله، وكلمهم قبل ذلك في المهد صبياً(٤)، ويريهم العجائب والآيات البينات يحيى لهم الموتى ويكلم الموتى بإذن الله، ويبرئ الأكمه(٥) والأبرص بإذن الله ، ويخلق لهم من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله(٦) . وينبئهم بما يأكلون

---

(١) قال الله تعالى : (والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) . سورة الأنبياء : آية ٩١ .

(٢) قال الله تعالى : (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) .
سورة الصف : آية ٦ .

(٣) قال الله تعالى : (... وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) .
سورة المائده : آية ١١٠ .

(٤) انظر سورة مريم : الآيات ٢٨ – ٣٤ .

(٥) الأكمه : المولود أعمى ، والأكمه الرجل الذى زال عقله .

(٦) قال الله تعالى : (... وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى وتبرئ الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين) .
سورة المائدة : آية ١١٠ .

وما يدخرون فى بيوتهم إن فى ذلك لآيات لقوم يعلمون(١) .

ثم إن عيسى صلوات الله عليه مضى لسبيله ورفعه(٢) الله إليه .

فلبث قومه من بعده ما شاءالله ثم ضلوا واختلفوا وافترقوا أربع فرق. خالفوا كتاب ربهم وسنة نبيهم وصاروا شعباً يقتل بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً |٤٦| وأغرى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ه

---

(١) قال الله تعالى : (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) . سورة آل عمران : آية ٤٨ — ٤٩ .

(٢) قال الله تعالى : (إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا ...) سورة آل عمران : آية ٥٥ .

وقال الله تعالى : (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) سورة النساء : آية ١٥٧ .

والحق أن ميلاد المسيح عليه السلام كان معجزة كما كانت وفاته ورفعه إلى السماء معجزة . فقد نجى الله تعالى المسيح عيسى بن مريم من أعدائه من اليهود فما قتلوه وما صلبوه — بحسب قول الحق — ولكن شبه لهم .

أما الأناجيل الأربعة (إنجيل مى ومرقص ولوقا ويوحنا) فتقول إن المسيح عليه السلام صلب ثم قبر وبعد ذلك حدثت معجزة قيامة المسيح وصعوده إلى السماء . وفى إنجيل برنابا الذى لا يعد من الأناجيل المعدودة لدى الكنيسة ، والذى ينسب إلى برنابا أحد أنصار المسيح وحوارييه ، نرى قصة مخالفة . إذ يذكر فى هذا الإنجيل أن يهوذا الأسخربوطى الذى باع المسيح للحكام الرومان وخانه بعد أن كان من تلاميذه الاثنى عشر ، هو الذى جعله الله شبيهاً بعيسى عليه السلام .

ويذكر المؤرخ ابن الأثير فى كتابه الكامل أن العلماء اختلفوا فى موت عيسى قبل رفعه ، فقيل رفع ولم يمت ، وقيل بل توفاه الله ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات ، ثم أحياه الله تعالى. أما القائلون بهذا القول الأخير فقد تأولوا قوله تعالى : (إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا) . سورة آل عمران : آية ٥٥ .

فرقة زعمت أن المسيح ابن الله(١)، وفرقة زعمت أن الله ثالث ثلاثة(٢)، وفرقة زعمت أن المسيح هو الله(٣)؛ وفرقة استقامت على طاعة الله، وهم الأقل، إلى أن بعث الله نبي الرحمة محمداً صلى الله عليه وسلم.

خبر عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: لما اختلف النصارى بعد ما رفع المسيح عليه السلام، اختاروا من علمائهم أربعة فأدخلوهم بيتاً وبين يدى البيت رحبة كبيرة، فاجتمع(٤) فيها من النصارى ألوف، وفى الأربعة رجل يقال له يعقوب وآخر يقال له نسطور، والآخر يقال له إسرائيل كان ملكاً بمصر ترك ملكه ودخل فى القسيسين(٥). فقالت لهم النصارى: اعملوا لنا أمراً نقيم عليه وتكون لنا فيه خيرة. قال لهم يعقوب: ماذا ترون الناس قائمين لنا على أمر نأمرهم به،، قالوا له: تكلم أنت بماذا ترى. قال: أمرى ليس يخفى على أحد. هل سمعتم برجل من خلق الله كان يحيى الموتى غير عيسى بن مريم؟ قالوا: لا والله. قال: فهل سمعتم برجل قط كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً غير

---

(١) قال الله تعالى: (وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما فى السموات والأرض كل له قانتون) سورة البقرة: آية ١١٦.

وقال الله تعالى: (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، قاتلهم الله أنى يؤفكون) سورة التوبة: آية ٣٠.

(٢) قال تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد). سورة المائدة: آية ٧٣.

وقال تعالى فى سورة الإخلاص: (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد).

(٣) قال تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ...) سورة المائدة آية ١٧.

(٤) فى المخطوطة «فاجتمعوا».

(٥) أو دخل فى «القسوسة» أو القسيسية. وقد كتبت فى المخطوطة «التقسس».

عيسى بن مريم ؟ قالوا : لا والله . قال : فهل سمعتم قط برجل كان يبرىء الأكمه والأبرص والأعمى غير المسيح عيسى بن مريم؟ قالوا : لا والله قال يعقوب : فإن صاحبكم الذي يصنع هذه الأشياء هو ربكم فادعوا الله ! ! فأبى الآخرون فكذبوه ، فخرج إلى الناس فأخبرهم بالذى قال فاتبعته طائفة وهى الفرقة التى تسمى اليعقوبية(١) . فأنزل الله فيهم : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم)(٢) .

ثم تكلم نسطور وقال : لا أقول كما قال يعقوب ، لوكان المسيح هو الله لما كان يأكل الطعام ويشرب الشراب ، ويصوم من خشية غيره ، وما كان ليصلب وأنتم تشهدون على المسيح بهذا ، فكيف يكون الرب ؟ ولكنه كلمة الله فادعوه إنه ابنه. فقال الآخرون : لانقول بهذا . فخرج(٣) فأعلم أهل الحجرة فاتبعته طائفة منهم . وفيهم يقول الله : (وقالت النصارى المسيح ابن الله)(٤) .

---

(١) لعل المؤلف يشير إلى اليعقوبية أتباع يعقوب البرادعى « Jacob Baradeus » أسقف مدينة الرها « Edessa إدسا » المونوفيزيتى ، وهو الذى كان يقول إن للمسيح طبيعة واحدة « monophysite » .

وكان يعقوب هذا أسقف الرها فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى ، وقد زار مصر ضمن بلاد الشرق التى زارها لتنظيم الكنائس المونوفيزيتية . ولم يكن مذهب الطبيعة الواحدة جديداً حينذاك فقد قالت به الكنيسة المصرية فى مجمع خلقدونية « Chalcedon » الدينى فى آسيا الصغرى فى سنة ٤٥١ م .

(٢) سورة المائدة : آية ١٧ .

(٣) لعل الكاتب هنا يشير إلى نسطور (نسطوروس Nestorius) بطرك القسطنطينية الذى ثار الجدل الدينى بينه وبين كيرلس أسقف الإسكندرية حول طبيعة المسيح وذلك فى عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ — ٤٥٠ م) . فقال نسطوروس إن عيسى المسيح طبيعة أزلية واحدة « mono-physite » ، وقال الثانى إنه من طبيعتين إحداهما قديمة أزلية وهى المسيح والثانية مخلوقة وهى عيسى ابن مريم ، وانتهى الأمر بانسحاب نسطوروس من ميدان الجدل ومن منصب البطركية وانزوى بعد ذلك .

(٤) سورة التوبة : آية ٣٠ .

ثم تكلم إسرائيل فقال ، لا أقول بقول يعقوب ، ولا بقول نسطور ولكننى أتكلم بأشياء غير ما قالوا ، نقول هو ثالث ثلاثة : الله والمسيح ومريم آلهة . فأنزل الله : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)(١) ؛ وخرج فأعلمهم فاتبعته طائفة منهم وهم الروم . وخرج الرابع إليهم فغير عليهم ما قالوا وقال : أشهد أن لا إله إلا الله واحد أحد ، فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وإن المسيح هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم .

فاختلفوا واقتتلوا [٤٧] وظهر الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين بالحجة البالغة وهو قوله : (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات)(٢)

هذا أصل افتراق اليهود والنصارى وسنذكر كل ذلك فى موضعه إن شاء الله .

---

(١) سورة المائدة : آية ٧٣ .

(٢) سورة المائدة : آية ٧٥ .

الباب الرابع

فى ذكر الأنبياء من كتاب مختصر

روى فى الأخبار أن الأنبياء صلوات الله عليهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي ، ثلثمائة وثلاثة عشر منهم رسل وسائرهم لم يكونوا مرسلين .

هكذا روى عن أبى ذر الغفارى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لاصحابه يوم بدر : أنتم على عدد المرسلين ، وعلى عدد قوم طالوت حين جاوزا النهر يعنى ثلثمائة وثلاثة عشر ومن لم يكن من الأنبياء مرسلا فكان يوحى إليه فى المنام ، وبعضهم كان يسمع الصوت من غير أن يرى شخصاً .

فأول المرسلين كان آدم وكان رسولا إلى ولده . خلقه الله من تراب وخلق زوجته حواء من ضلعه اليسرى . وقد ولدت منه أربعين ولداً فى عشرين بطناً من ذكر وأنثى . وتوالدوا حتى كثروا كما قال تعالى : (خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء)(١) .

وكان كنية آدم أبو محمد فى الجنة ، لأن محمداً صلى الله عليه وسلم أكرم ولده وكان يكنى به ، وكنيته فى الأرض أبو البشر . . وأنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وعاش تسعمائة وثلاثين سنة ، هكذا ذكر أهل التوراة .

وروى عن وهب بن منبه أن آدم عاش(٢) ألف سنة . ثم شيث بن

---

(١) سورة النساء : آية ١ .

(٢) كتبت فى المخطوطة « أنه عاش آدم ألف سنة » .

آدم وكان وصى آدم وولى عهده . قال وهب : أنزل الله على شيث بن آدم خمسين صحيفة ، وعاش تسعمائة سنة . وكان شيث أبا البشر كلهم وإليه انتهت أنساب الناس كلهم .

ثم إدريس عليه السلام واسمه أخنوخ ، وكان نبياً مرسلا وإنما سمى إدريس لكثرة ما يدرس من كتب الله تعالى . وهو أول من خط بالقلم ، وأول من خاط الثياب من القطن وأول من لبسها . وكان من قبله يلبسون الجلود والصوف .

وأجاب له ألف إنسان ممن يدعوهم ، فرفعه الله إليه وأسكنه الجنة كما قال الله تعالى : (ورفعناه مكاناً علياً)(١) .

ثم بعده نوح عليه السلام ، اسمه شاكر ، وإنما سمى نوحاً من كثرة بكائه ونوحه من خوف الله. وكان أول من نسخ الأحكام وأمر بالشرائع . وكان قبله نكاح الأخت مباحاً فحرم ذلك على عهده وكذبه قومه فأرسل الله عليهم الطوفان فغرقت الدنيا كلها إلا من كان فى السفينة .

وكان معه فى السفينة أربعون رجلا وأربعون امرأة فلما خرجوا من السفينة ماتوا كلهم إلا أولاد نوح : سام [٤٨] وحام ويافث ونساؤهم كما قال الله تعالى : (وجعلنا ذريته هم الباقين) (٢) . وتوالدوا حتى كثر العرب والفرس والروم من ولد سام ، والحبش والسند والهند والزنج كلهم من ولد حام ، ويأجوج ومأجوج والسقالب والترك كلهم من ولد يافث .

ثم من بعده هود النبى عليه السلام .

وهو هود وقيل هو هود بن عوص بعثه الله تعالى إلى عاد ، وقال بعضهم عاد اسم للقبيلة ، وقال بعضهم اسم ملكهم ، فكذبوه ، فأرسل الله عليهم الريح العقيم فأهلكتهم .

ثم من بعده صالح عليه السلام ،

---

(١) سورة مريم : الآية ٥٧ .

(٢) سورة الصافات : آية ٧٧ .

وهو صالح بن عبيد ، ويقال صالح بن كاثر ، بعثه الله تعالى إلى ثمود وهو اسم بئر بأرض الحجاز فسميت تلك القبيلة باسم ذلك البئر . فكذبوه وسألوه أن يخرج لهم ناقة من صخرة بجبل . ففعل فكذبوه وعقروا الناقة . وكان عاقر الناقة رجل أحمر أزرق يقال : له قدار بن سالف وهو أشقى القوم ، كما قال الله تعالى : (إذ انبعث أشقاها) (١) فأهلكهم الله بالصاعقة والزلزلة .

ثم من بعده إبراهيم الخليل عليه السلام :

وهو إبراهيم بن تارخ بن ياجور . وكان إبراهيم أول من استاك ، وأول من استنجى بالماء ، وأول من حزّ شاربه ، وأول من رأى الشيب ، وأول من اختتن ، وأول من اتخذ السراويل ، وأول من ثرد الثريد ، وأول من اتخذ الضيافة .

وكان لإبراهيم عليه السلام أربعة بنين : إسماعيل ، وإسحق ، ومَدين ومدائن ، ويقال ستة بنين ، ويقال اثنى عشر ابناً .

وكان إسماعيل نبياً مرسلا عليه السلام . وكان أبو العرب كلهم . قال الناظر إن إسماعيل عليه السلام أبو العرب المستعربة (١) وهم النزاريون . وأما اليمنيون فهم العرب العاربة وجدهم يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام .

وكان إسحاق نبياً مرسلا عليه السلام ، وكان له ابنان يعقوب وعيص

(١) سورة الشمس : آية ١٢ .

(٢) العرب المستعربة يقال لهم أيضاً العرب المتعربة ، وقيل إنهم سموا بذلك لأن إسماعيل عليه السلام كان يتكلم السريانية أو العبرانية ، فلما نزلت جرهم من القحطانية بمكة وسكنوا مع إسماعيل وأمه ، تزوج منهم وتعلم هو وأبناؤه العربية ، فسموا لذلك العرب المستعربة . ويقال لهم العدنانية والنزارية والقيسية وغير ذلك من أسماء قبائلهم .

ولدا فى بطن واحد ، فخرج يعقوب من بطن الأم على أثر عيص فسمى يعقوب لخروجه على عقبه .

فأما يعقوب فهو أب بنى إسرائيل ، وكان يقال ليعقوب « إسرائيل الله » وهو لغتهم « عبد الله » وأما عيص فهو أب الروم .

وكان لوط النبىّ عليه السلام فى زمن إبراهيم عليه السلام وكان ابن عمّه ، وكانت سارة أخت لوط وهى أم إسحاق . ويقال كان لوط ابن أخ إبراهيم وهو لوط بن هاران بن نارخ بن ياجور . (ناحور) .

ثم من بعده أيوب عليه السلام ، وكان ابن بنت لوط عليه السلام ، وهو أيوب بن رضي ، وكان تحته رحمة بنت يوسف عليه السلام .

ثم من بعد شعيب [٤٩] وهو شعيب بن نويب . بعثه الله تعالى إلى أهل مدين فكذبوه ، فأهلكهم الله بالزلزلة والصاعقة .

ثم من بعده موسى وأخوه هارون صلوات الله عليهما وهما أبناء عمران ، بعثهما الله تعالى إلى فرعون ، واسم فرعون الوليد بن مصعب .

ثم من بعده يوشع بن نون ، وكان (١) خليفة موسى عليه السلام من بعده .

ثم من بعد ذلك يونس بن متى عليه السلام الذى ابتلاه الله بالحوت فالتقمه ، وكان فى بطنه ثلاثة أيام ويقال سبعة أيام ، ويقال أربعين يوماً .

---

(١) كتبت فى المخطوطة : « وكانت » .

بعثه الله تعالى إلى أهل نينوى (١) من قرى الموصل فكذبوه ، فأرسل الله عليهم العذاب فلما راوا العذاب آمنوا به فصرف الله عنهم العذاب بعدما غشيهم .

ثم من بعده داود عليه السلام ، وهو داود بن ايشار وكان نبياً مرسلا وكان ملك بنى إسرائيل .

ثم ابنه سليمان عليه السلام .

ثم زكريا عليه السلام ، وهو زكريا بن ماثان .

ثم ابنه يحيى عليه السلام .

ثم عيسى بن مريم عليهما السلام .

ثم إلياس عليه السلام ، وكان إلياس نبياً مرسلا ، وكان من سبط يوشع ابن لون بعثه الله تعالى إلى أهل بعلبك . وكان اليسع تلميذ إلياس وخليفته من بعده .

وكانت الأسباط من أولاد يعقوب ، وكان له اثنا عشر ابناً فتوالدوا حتى كثروا فصار (٢) أولاد كل ابن سبطاً ، والسبط فى بنى إسرائيل بمنزلة القبيلة فى العرب .

---

(١) كانت نينوى عاصمة لمملكة الأشوريين التى ازدهرت خاصة أيام سرجون الثانى ٧٣٢ — ٧٠٥ ق.م وابنه سنخاريب ٧٠٥—٦٨١ ق.م. والمعروف أنه بعد وفاة سليمان الحكيم انقسمت مملكته إلى مملكتين : مملكة إسرائيل فى الشمال ومقرها السامرة ، ومملكة يهوذا فى الجنوب ومقرها أورشليم . وقد قضى سرجون الثانى ملك آشور على مملكة الشمال أى مملكة إسرائيل ، واحتل عاصمتها السامرة (سامريا) عنوة فى سنة ٧٢٢ ق.م وأجلى الأشوريون كثيرين من أهلها عن بلادهم ، وانقرضت مملكة إسرائيل فى الشمال بعد أن تمتعت بعزة الملك مدة تربى قليلا على مائتى سنة . وعانى الإسرائيليون أول أسر فى بلاد أعداء دينهم . وقد حاول سنخاريب أيضاً القضاء على أورشليم ومملكة يهوذا فى الجنوب . لكن الوباء الذى أصاب جيش سنخاريب من مستنقعات دلتا النيل أهلك منهم خلقاً كثيراً جداً وبذلك أمن اليهود فى يهوذا شر الآشوريين .

(٢) كتبت فى المخطوطة « فصاروا » .

وعاش يعقوب فى أرض مصر سبع عشرة سنة ، وكان عمره مائة سنة وأربعين سنة .

وعاش يوسف بعده ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة ، ويقال مائة وعشر سنين . وروى عن كعب الأخبار أنه قال : إنا نجد فى بعض الكتب أن عشرة من الأنبياء عليهم السلام ولدوا مختونين ، خلق الله آدم مختوناً ، وشيث بن آدم خلق مختوناً ، وإدريس مختوناً ، ونوحاً ولوطاً وإسماعيل ويوسف وزكريا وعيسى ومحمداً صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين .

ذكر عن وهب بن منبه أنه قال : كان بين آدم وبين طوفان نوح عليه السلام ألفان ومائتان وأربعون سنة . وبين الطوفان ووفاة نوح عليه السلام ثلثمائة وخمسون سنة . وبين نوح وإبراهيم ألفان ومائتان وأربعون سنة ؛ وبين إبراهيم وموسى تسعمائة سنة . وبين موسى وداود خمسمائة سنة . وبين داود وعيسى ألف ومائتا سنة .

وقال بعضهم [٥٠] هذا لا يصح ، يعنى ما ذكر من مقدار السنين ، لأن الله تعالى قال : (وقروناً بين ذلك كثيراً)(١) فلا يعرف مقدار ذلك إلا الله ؛ ثم انقطعت الرسل بعد عيسى عليه السلام إلى وقت محمد صلى الله عليه وسلم. وكان بينهما فترة من الرسل ؛ وإنما سميت الفترة لأن الدين قد فتر ودرس . وقال قتادة : كان بينهما خمسمائة وستين سنة . قال الكلبى خمسمائة وأربعين سنة . قال مقاتل ستمائة سنة . قال الضحاك ووهب ستمائة وعشرون سنة (٢) .

ثم اختلفوا فى ذى القرنين ، ولقمان . قال بعضهم كانا نبيين ، وأكثر أهل العلم قالوا إن لقمان كان حكيماً ولم يكن نبياً . وروى عن على أنه سئل عن ذى القرنين فقال : كان رجلا صالحاً وكان ذو القرنين ملكاً صالحاً

---

(١) سورة الفرقان : آية ٣٨ .

(٢) تروى الروايات العربية أن محمداً عليه الصلاة والسلام ولد فى عام الفيل ، أى فى سنة ٥٧٠م بعد ميلاد المسيح أو فى سنة ٥٧١م ، وهناك روايات تبين أن ولادة الرسول عليه الصلاة والسلام كانت بين سنتى ٥٧٠ و ٥٨٠م .

ولم يكن نبياً . وقال عكرمة : كان ذو القرنين نبياً ولقمان نبياً . وقيل إنما سمى ذا القرنين لأنه ملك فارس والروم . وقال بعضهم كان فيه شبه القرنين ، وقال بعضهم لأنه بلغ قرنى الشمس مطلعها ومغربها ، وقال بعضهم إنه عاش قرنين من الزمان . وقال بعضهم لأنه رأى فى المنام أنه دنا من الشمس فأخذ بقرنيها ، فأخبر قومه فسموه ذا القرنين ، وكان اسمه إسكندر .

قال : وخمسة من الأنبياء كان لسانهم عربياً : إسماعيل ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، ومحمد صلى الله عليه وسلم . وقد اختلف الناس فى الولد الذى أمر إبراهيم بذبحه . قال بعضهم هو إسماعيل ، وقال بعضهم هو إسحاق .

وروى عن علىّ ، وأبى هريرة ، وعبد الله بن سلام ، وعكرمة ، وقتادة ، ومقاتل ، وكعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، أنهم قالوا هو إسحاق وقال ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب القرظى(١) ، والكلبى إنه هو إسماعيل ، وهذا القول أشبه بالكتاب والسنة . أما بالكتاب فحيث قال : (وفدَيناه بذبح عظيم) (٢) . ثم قال بعد قصة الذبح (وبشرناه بإسحق)(٣) الآية .

أما الخبر فما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا ابن الذبيحين » يعنى أباه عبد الله وإسماعيل . واتفقت الأمة أنه كان من ولد إسماعيل . وقال أهل التوراة ، مكتوب فى التوراة أنه كان إسحاق ، فإن صحّ ذلك فى التوراة فقد آمنا به .

ويوجد أن بخت نصر قتل من بنى إسرائيل سبعين ألفاً ، وأسر سبعين

---

(١) كتبت فى المخطوطة : « القرضى » .

(٢) سورة الصافات : آية ١٠٧ .

(٣) قال تعالى : (وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين) سورة الصافات : آية ١١٢ .

ألفاً وذهب بهم إلى بابل وفيهم دانيال الحكيم ، وكان صغيراً ؛ وكان نبياً ولم يكن مرسلا .

ويقال لم يتكلم أحد [٥١] من الناس وهو طفل إلا أربعة : عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ، وصاحب الأخدود ، وصاحب جريج الراهب ، وصاحب يوسف حيث قال : (وشهدَ شاهدٌ من أهلها)(١) وبه قال كعب الأحبار .

(١) سورة يوسف : آية ٢٦ .

الباب الخامس

فى حديث البيت وأول من كساه الحبر

يوجد فى كتب الحديث أن أول من كسا البيت الحرام تبع وهو آسعد الكامل واسمه سعد ، ولقبه ملكيكرب ، أنه غزا بالعسكر والجيوش ، فدوّخ جميع البلاد : العراق والجزيرة وخراسان ووطىء بلاد فارس ، ثم خرج إلى الصين ففتح سمرقند والرى ، ومضى ففتح الصين(٢) وكان

---

(١) كان أسعد كامل أبو كرب من ملوك حمير العظام (٣٨٥ - ٤٢٠ م) ويقال إن فتوحاته اتسعت شرقاً وغرباً .

(٢) قامت دولة حمير فى اليمن من نحو سنة ١١٥ ق.م إلى سنة ٥٢٥ بعد الميلاد ، وقد ورثت حضارة معين وسبأ وملكهما السياسى كما أن لغة حمير منحدرة من لغتيهما ،وقد حلت عاصمتهم ظفار محل مأرب عاصمة سبأ وقرناو عاصمة معين . وعرفت حمير باسم دولة التبابعة وكان ملك حمير يعرف بلقب تبع . وكانت دولة حمير ، مثل دول اليمن التى سبقتها ، دولة تجارية قبل كل شىء ،ولكنها امتازت باتساع علاقاتها الخارجية وبعنايتها بالفتوح والتوسع وبحروبها مع الفرس والحبش . وكانت المنافسة شديدة بين حمير وبين الفرس والروم منذ قيام الدولة الساسانية (٢٢٦ م) فى إيران والإمبراطورية الرومانية الشرقية فى بيزنطة (٢٨٤ م).

وقد كشفت الكتابات الأثرية التى عثر عليها فى اليمن عن أسماء بعض ملوك دولة حمير مثل ملكيكرب ، وشرحبيل يعفور ، ومعديكرب ينعم ، وذو نواس . وكانت دولة حمير أشهر دول اليمن قبل الإسلام فى نظر العرب لأنها بسطت سلطانها على القبائل العربية ، وكانت لها علاقة وثيقة بالدول المجاورة لجزيرة العرب ، فضلا عن أنها عاشت إلى فترة قريبة من ظهور الإسلام .

ولكن نلاحظ أن ما جاء عن هذه الدولة فى كتب المؤلفين العرب مضطرب أشد الاضطراب ومبالغ فيه حتى لقد لاحظ ذلك المؤرخ ابن خلدون . فهم يزعمون أن حمير مد حكمه إلى حدود الصين ، وأن أفريقش امتد فى غزواته إلى أن بلغ بلاد المغرب . كمازعموا أن من ملوك هذه الدولة « ذا القرنين » المشار إليه فى القرآن الكريم وأنه سمى بذلك لضفيرتين من شعره كان يطلقهما على قرنيه ، أى جانبى رأسه . وأن من ملوكها أيضاً « أبوكرب أسعد » الذى مدى نفوذه إلى إيران فى إحدى الحملات ، وأنه أوفد أولاده كلهم لفتح إقليم من بلاد الفرس والروم والترك والصين، وأنهم عادوا كلهم مظفرين يحملون الجزية و الغنائم حتى من القسطنطينية .

عند خروجه خلف ولده بيثرب ، وأن تبعاً بلغه أن يهود يثرب اغتالت ابنه فقتلته ، فقفل بجيوشه إليها فتوجه نحو المدينة وسار حتى نزل بأحد ، واحتفر بها بئراً وهى التى تسمى اليوم بئر الملك . وحارب اليهودَ ، ومنعت الأوسُ والخزرجُ أحلافها من اليهود ، وقد تحصنوا فى آطامهم (١) وامتنعوا منه . وكان يشنّ عليهم الغارات بالنهار ، فإذا وصل الليل دلوا إليه التمر فى المكاييل (٢) يقرونه ، فقال تبع : نعم القوم قومى يغازوننى نهاراً ويقروننى ليلا .

ثم إن الأوس والخزرج قالت له — أبيت اللعن (٣) — إن اليهود لم تكن لتجترئ أن تقتل ابنك وإنما قتلته امرأة ، وأعلموه بسبب قتله .

ثم نزل إليه حبر (٤) من أحبار اليهود ، وقد أتت عليه مائتان وخمسون سنة ، فقال له : أيها الملك ! ! إن مثلك من لا يحمل على الرعية الغضب ، ولا يقبل فيهم قول الزور ، وشأنك أعظم من ذلك ، وأنك لا تستطيع أن تخرب هذه القرية . قال : ولم ذلك ، قال الحبر : إنها مهاجر نبى يخرج من عند هذه البنية — يعنى مكة - حرسها الله ! ! قال تبع : ومتى ذلك ؟ قال : بعد زمانك هذا بأزمن وأزمان ! ! فوقع قول الحبر فى قلب تبع فانصرف عنها وأخذ الحبر معه . وخرج تبع نحو مكة فلما دنا منها ، أتاه نفر من هذيل ابن مدركة (٥) وقالوا : أيها الملك ! ! إن هذا البيت تعظمه العرب وتحج إليه

---

(١) الأطم : الحصن والجمع آطام .

(٢) المكيل والمكيلة ، والجمع مكايل ، والمكيال والجمع مكاييل : ما يكال به .

(٣) كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة (٥٨٣ — ٦٠٢ م) يخاطب « بأبيت اللعن » ، وكان النعمان راعياً للأدب والشعر وكان بلاط الحيرة فى عصره مقصد شعراء العرب الذين كان من أحبهم إلى النعمان « النابغة الذبيانى » . وقد ذكر المسعودى فى كتابه مروج الذهب أخباراً متنوعة عن النعمان وعن مدح النابغة الذبيانى له .

(٤) الحبر والحبر عند اليهود (بالفتح والكسر) : رئيس الكهنة ، والجمع أحبار وحبور .

(٥) هذيل من العرب الشمالية .

وفيه أنواع من الجواهر والذهب ما لا يحصى وأنت أيها الملك أحق به ، مع أن الرأى أن تنقل حجارته إلى اليمن فتكون فى حمير ، وحيث الملك والريف والخصب ، فيكون حج الناس إليكم وتعظمكم العرب إلى آخر الدهر ! !

فحدث بذلك نفسه وهم بما قالوا له ، فأصبح وبه كأشد وجع فى فؤاده ، وضربان فى |٥٢| جسده لا يقره (١) . فدعا الأطباء والمعالجين فنظروا فلم يعلموا ما به ، وهو لا تقره الأرض من الوجع . فأرسل إلى الحبر ، فأتاه وأعلمه ما به فقال الحبر : أيها الملك ! إنى سمعت مقالة النفر من هذيل لك ! أفكنت هممت بالذى أشاروا به عليك ؟ قال : نعم قد كان ذلك . قال : فإن الذى تجد من الوجع لذلك فانو غير ما أملت ونويت واردد نيتك إلى أحسن الفعل وأجمل الصنع ! ! فانتقل تبع عن نيته ورأيه ، فأصبح وما به مرض ولا فى قلبه وجع . فأمر عند ذلك بالهذيليين فضرب أعناقهم وصلبهم . ولعله قال فى هذا المعنى شعراً .

قد أتتنى عصابة من هذيل	أهل لؤم ومن قبيل لئام
زعموا أن بيت مكة بيت	قد بنوه على كنوز عظام
فأردت الذى أردت فرد	الله عن قلع لبن بيت الحرام
فردت الذى أردت به البيت	بقطع الأكف والأقدام
ذاك بيت مطهر لقبيل	سوف يأتى بأفضل الأيام
بنبى يجىء بعد زمان	يمنع الناس خدمة الأصنام
فلوانى أخرت حتى أراه	كنت منه بمنزل الإبهام
ولظاهرته على كل ذام	ولساعدته بكل مقام
معشرى خير معشر أن منا	من يراعى عن أحمد ويحامى
معشر ساكنون يثرب من غسا	ن أهل النخيل والآطام

(١) أى لا يجعله ثابتاً أو ساكناً .

ينصبون الحروب للناس طراً برماح وكل عضب (١) حسام
كلهم ناصر ومن نصر الدين أضاءت له فجاج الظلام
بعد أن تجحد الكتاب قريش وتذم القرى بغير احتشام
وتروم انتهاك حرمة دين الله جهلا تعصباً للحرام
فتحامى الأنصار عن ملة الدين وتعلو شرائع الإسلام
وينال النبي بالأوس والخزرج مما يشاء كل مرام (٢)

وقال تبع فى صنيعه بالهذيليين على قافية الدال المهملة :

ولقد أتانى من هذيل أعبد يستنصحون فرمت قول الأعبد
[٥٣] قالوا بمكة كنز إرث داثر ومعالق من لؤلؤ وزبرجد
فأردت أمراً حال ربى دونه والله يدفع عن خراب المسجد
فالحمد لله الذى قد صدنى عنه ولولا منه لم اهتدى

* * *

وإن تبعاً لما قدم مكة آمن بالله سبحانه وبمحمد صلى الله عليه وسلم(٣). وأمر بالبيت فكسى القصب (٤) والحبر(٥) اليمانى ، وإنما كان يكسى

---

(١) عضبه عضباً : قطعة . طعنه ، أقعده عن الحركة .

(٢) ظاهر أن هذا الشعر وضع بعد ظهور الإسلام فى مدح الأنصار فى يثرب الذين نصروا الرسول عليه الصلاة والسلام على قريش ، والذين رحبوا بالرسول الكريم أشد ترحيب حين هاجر إليهم هو والجماعة المسلمة.

(٣) المعروف كما ذكرنا أن دولة حمير زالت قبل ظهور الإسلام ، وأن بلاد اليمن احتلها الأحباش ثم الفرس قبيل الإسلام .

(٤) القصب: ثياب رقيقة ناعمة ، وقد تكون مهلهلة النسج كأنها المنخل .

(٥) الحبر والحبير من الثياب : الناعم الجديد ، البرد الموشى ، وجمع حبير حبر . والحبرة ، والحبرة (بفتح الحاء وكسرها) : ضرب من برود اليمن .

الخصاف وهى كالبوارى(١) من خوص النخل . ونحر (٢) بمكة ستة آلاف جزور (٣) ، فأطعم جميع من ورده من العرب ومن أهل مكة . وطاف بالبيت ، وجعل لبابه إقليداً (٤) ، ولم يكن يقفل من قبله . وأتته سدنة من جرهم(٥) ، فوصلهم وكساهم . وأمر الجرهميين أن لايقربوا البيت ميتة(٦) ولا ينضح به دم ، وقد كانوا يرمونه بلحم النسك(٧) ودمائه .

وأنشأ تبع يقول :

وجلبنا جيادنا من ظفار فرمينا بها مكاناً بعيدا

وأنا التبع المليك على النا س ورثت الجدود ثم الجدودا

وكسوت البيت الذى حر(٨) اللـه ملاء(٩) معضدا وبرودا

ونحرنا بالشعب ستة آلا ف ترى الناس حولهن ورودا

وأمرنا لا يقرب البيت منه لحم ميت ولا دماً مفصودا

ثم سرنا نؤم قصد سهيل ورفعنا لواءنا المعقودا

بعد أن دوخت معدا(١٠) جنودى فغدت لى معد صغراً عبيدا

بعد اطوافنا من الشهر عشراً وجعلنا لبابه إقليدا

* * *

(١) البوارى : الحصير .

(٢) نحر نحراً الإبل : ساقها .

(٣) الجزور : ما يجزر من النوق أو الغنم . والجمع جزر وجزورات وجزائر ، وكتب فى المخطوطة « جزوراً » .

(٤) الإقليد والجمع مقاليد : المفتاح .

(٥) قيل إن العمالقة هم أول من سكن مكة ، ثم خلفهم قبيلة جرهم اليمنية ، وفى عهدهم نزل سيدنا إسماعيل وأمه السيدة هاجر فى مكة .

(٦) الميتة مؤنث الميت : الحيوان الذى مات حتف أنفه أو على هيئة غير شرعية ، الجمع ميتات .

(٧) النسك والنسك : (بسكون السين وضمها) الذبيحة ، ما يقدم لله تعبداً وزهداً .

(٨) حر حراراً : عتق وصار حراً .

(٩) الملىء : الغنى المقتدر ، والجمع ملاء .

(١٠) يقصد أن جنوده دوخت معد بن عدنان ، وعدنان ينتسب إليه العرب المستعربة أو العرب الشمالية .

قال : فحدثنا زيد بن الورقاء عن أبى لهيعة (١) عن أبى زرعة عمر ابن جابر عن سهيل بن سعد الساعدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتسبوا تبعاً فإنه قد أسلم » .

وقال محمد بن عمر الأسلمى ، حدثنا معمر عن همام(٢) بن المنبه عن أبى هريرة قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن سب تبع الأسدى الحميرى .

---

(١) أبو لهيعة : هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة الحضرمى الغافقى المصرى الفقيه . ولد فى سنة ٩٧ هـ أو ٩٦ هـ وولى قضاء مصر عشر سنين (١٥٥ — ١٦٤ هـ) وهو من علماء مصر ومحدثيها وفقهائها .

وذكر ابن خلكان فى كتابه وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣١٣ (طبعة القاهرة ١٢٩٩ هـ)، وأبو المحاسن ابن تغرى بردى الأتابكى فى كتابه النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ٢ ، ص ٧٧ (طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٠ هـ) ، والسيوطى فى كتابه حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٢٠ (طبعة القاهرة ١٣٢٧ هـ) ، أن الفقيه المحدث أبا لهيعة توفى بمصر فى سنة ١٧٠ هـ .

ولكننا وجدنا شاهد قبره المحفوظ فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة (دار الآثار العربية سابقاً) وعليه كتابة تنص على أن وفاته سنة ١٧٤ هـ (انظر صورة الشاهد والكتابة فى : دكتورة سيدة إسماعيل كاشف ، مصر فى فجر الإسلام ، ص ٣١٩ — طبعة القاهرة ١٩٤٧ م).

(٢) أعتقد أن الكاتب يقصد « وهب بن منبه » الذى توفى سنة ١١٠ هـ — ٧٢٨ م الذى عرف بالدراية فى أخبار العرب فى العصر الجاهل ، وأخبار الأمم التى اتصلت بهم .

الباب السادس

فى ذكر أصحاب الأخدود وسبب خروج الحبشة إلى اليمن

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أن قوماً من العرب كانوا بنجران وكانوا قد تمسكوا بالهدى بعد المسيح عليه السلام . وكان على اليمن ملك يقال له ذو نواش(١) ، وأن الملك مرض فأرسل إلى طبيب يهودى فقال له : داونى ! فقال له الطبيب : إن لى أصحاباً أطباء دعنى أجئ بهم لنتعاون على طبك وصحتك . فلما حضروا بين يدى الملك [٥٤] قالوا للملك : إن نحن داويناك من مرضك فما جزاؤنا عليك ؟ فقال لهم الملك : علىّ رضاكم. فأخذوا عليه العهود والمواثيق بذلك ثم داووه من مرضه . فلما برئ قالوا : أجرتنا ! فقال لهم الملك : تمنوا ما شئتم . فقالوا له : لانسألك مالا ولكن نسألك أن ترد هؤلاء النصارى — يعنون نصارى نجران — إلى ديننا ، لأنهم خرجوا من ديننا واتبعوا دين المسيح عيسى بن مريم . فقال لهم الملك : لا أرد أحداً عن دينه ، ولكن ما طلبتم من المال فأنا أعطيكم ، ودعوا هؤلاء القوم على دينهم . فقالوا لانبغى من مالك شيئاً ولكن نسألك أن تردهم يهوداً كما كانوا . فأرسل الملك إلى نصارى نجران ، وأخبرهم الخبر وقال إنى قد بذلت لهم المال فأبوا إلا أن ترجعوا عن دينكم إلى دينهم . فناشدوه الله أن لايفعل فأبى . فلما أبى عليهم قالوا نخبرك بخبرنا وخبرك أيها الملك . أن موسى صلوات الله عليه جاء بالتوراة فآمنا به وبما جاء به ، فلما كان بعد زمان بعث الله المسيح بن مريم صلوات الله عليه بالإنجيل فآمنا به وآمنا بهما جميعاً كليهما . ولم تؤمن اليهود بالمسيح وكذبوه ورموه بالسحر ، ونحن

---

(١) هو « ذو نواس » آخر ملوك حمير ، الذى اعتنق اليهودية وتحمس لها .

آمنا بهما جميعاً وبما أنزل عليهما . وإنا نبهناك أن تترك (١) مايأمرك هؤلاء اليهود فإنا والله لانرجع عن ديننا أبداً ولا خير لك أن تكرهنا على دين لانريده !!

فدعا الملك اليهود فأخبرهم بما قالوا . قالت اليهود : إنا نأمرك بأمر إن فعلته فقد برئت ووفيت بذمتك ورضينا عنك قال لهم الملك : وماذا ؟ قالوا : تحفر لهم أخدوداً وأوقد ناراً فى ذلك الأخدود ، فمن رجع منهم عن دينه فخل سبيله وهو آمن ، ومن لم يرجع عن دينه فألقه فى النار(٢) .

ففعل الملك ما قالت له اليهود ودعاهم فأبوا أن يرجعوا عن دينهم ، فمنهم من كان يثب فيها وثباً ، ومنهم من كان يحيد عن النار فيلقى فيها كرهاً . حتى جاءت امرأة قد حملت صبياً رضيعاً فخيروها بين أن ترجع عن دينها ، وترجع إلى بيتها ، أو أن تلقى فى النار ، فحادت عن النار ، فقال لها الصبى : يا أماه لاترجعى عن دينك وقعى فى النار أنا وأنت فإنه ليس بعد هذه النار نار !!

وكانت طائفة منهم غائبة ، فلما علموا وبلغهم مالقى أصحابهم خرجو إلى النجاشى ملك الحبشة وأخبروه بخبرهم والذى صنع بهم ، والحبشة يومئذ نصارى . فبعث النجاشى جيشاً (٣) إلى اليمن مع ابن

---

(١) كتبت فى المخطوطة : « تركب » .

(٢) المعروف أن « يوسف ذا نواس » ملك اليمن كان متعصباً لليهودية أشد التعصب وأنه اضطهد رعاياه المسيحيين . وقيل إنه انتهز فرصة أتيحت له للفتك بالمسيحيين فى نجران ، وذلك أن غلامين يهوديين قتلا ووجهت تهمة قتلهما للمسيحيين ، فسير ذو نواس جيشاً إلى المسيحيين فى نجران وخيرهم بين اليهودية والقتل فلم يقبلوا الخروج عن دينهم واختاروا القتل .

(٣) تذكر المراجع العربية أن سبب فتح الحبشة لليمن يدور حول قصة الأخدود . ذلك أنه حينما لم يقبل المسيحيون فى نجران الخروج عن دينهم ، أمر ذو نواس بحفر أخدود كبير وأحرقهم فيه . وإلى ذلك تشير الآيات الكريمة فى سورة البروج من القرآن الكريم :=

له يقال له أرباط ، وأمره أن يقتل كل من ساعد « ذونواش » فى قتلهم « ثم اكتب إلى بما صنعت » . فجاء أرباط (١) [٥٥] إلى اليمن فقتل كل من والى ذا نواش على قتل أهل الإيمان .

وأقام أرباط مستولياً عليها أربعين سنة (٢) .

خبر أصحاب الفيل :

قال الكلبى : كان خروج أصحاب الفيل إلى مكة حرسها الله تعالى قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث وعشرين سنة : وروى عن ابن عباس رحمه الله أنه قال : كان سبب ذلك فتى شاب خرج فى أصحاب له يريدون أرض الحبشة ، فأخذوا على ساحل البحر فأواهم المقيل إلى بيعة النصارى ، وكانت تدعى ماشرحبشان ، وهى على شاطئ البحر . فخبر القوم واصطحبوا ، وكانوا قد جمعوا حطباً كثيراً ، فلما كان عند رحيلهم عمد الشاب القرشى إلى ما فضل من الحطب فأزعج فيه النار ثم رحلوا .

فأخذت النار فى بيعة النصارى فأحرقت بيعتهم ، فبلغ ذلك النجاشى

= (قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) الآيات ٤ — ٨ .

وتزعم المراجع العربية أن الذين أحرقوا ، أو قتلوا بالسيف من المسيحيين فى نجران على يد ذى نواس بلغوا نحو عشرين ألفاً . ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه لأن نجران كانت مدينة صغيرة ، ولم يكن أهلها كلهم من المسيحيين .

ويقول المؤرخون العرب : إن رجلا مسيحياً من نجران أفلح فى الهرب وفر إلى إمبراطور بيزنطة يستنجده ، فاعتذر الإمبراطور ببعد بلاد اليمن عن بيزنطة ووعده بالكتابة إلى ملك الحبشة ليتولى فتح الحبشة وحماية المسيحيين .

(١) كتب اسمه فى المخطوطة « أرباط » والشائع أنه « أرياط » .

(٢) استولى أرياط على الحبشة سنة ٥٢٣ م ، ثم وليها أبرهة الأشرم سنة ٥٢٥ م ودام حكم الأحباش نصف قرن من الزمان .

وهو الأول قبل النجاشي الذى أسلم وكان كل من ملك الحبشة اسمه النجاشي ، وملك العرب اسمه تبع ، وملك العجم اسمه كسرى ، وملك الروم اسمه قيصر وهرقل ، ولكل ملك اسم ، وكان اسم ذلك النجاشي طحينة . فغضب غضباً شديداً وكان ابنه أرباط باليمن قد ملك اليمن بسبب أهل نجران وما جرى لهم .

فلما احترقت البيعة : وهى ما شرحبشان ، كتب النجاشي إلى ابنه أرباط « أن ابعث إلىّ بنصف الجيش وبقى معك نصفه ». فأبى ابنه عليه، فكتب إلى ابن عم له وكان مع آرباط فى الجيش يقال له أبرهة بن الصّباح ، وهو الأشرم ، « أن اعرض على ابنى أن ينفذ(١) إلىّ بنصف الجيش ، فإن أبى فأنت المسلط عليه » . فعرض(٢) عليه أبرهة ، فأبى أرباط فاقتتلا ، ولهم خبر تركته اختصاراً .

فقتل أرباط ،وكتب أبرهة إلى النجاشي فأعلمه(٣) بخبره . فقال له : نعم ما فعلت !! أنفذ(٤) إلىّ بنصف الجيش ، وكان جيشه سبعين ألفاً : فكتب إليه أبرهة ، إنى أنا عبدك وتحت أمرك ، وقد عزمت على أن أخرب البيت الذى يحجه العرب مكان ماشرحبشان وأجعل حجّ البيت إلى القلس(٥) ، بيعة بصنعاء اليمن ، فأذن له بذلك .

فسار أبرهة بمن معه من الجيش من أرض اليمن يريدون مكة — حرسها

---

(١) كتب فى المخطوطة « ينقذ » .

(٢) كتب فى المخطوطة « فأعرض » .

(٣) كتب فى المخطوطة « فعلمه » .

(٤) فى المخطوطة « أنقذ » .

(٥) يبدو أن أبرهة الأشرم رأى أن قبيلة قريش فى الحجاز يزداد شأنها وتحمل إليها الخيرات من كافة أنحاء الجزيرة وأنها تسيطر على طرق التجارة ، فأراد أن يحطم نفوذها الدينى ، وأن يحول الحج من الكعبة إلى كنيسة عظيمة جداً شيدها فى صنعاء عرفت باسم « القليس » ، (ولعلها تحريف كلمة « ecclesia » اليونانية بمعنى كنيسة) .

الله — فلم يزل يسير إلى أن بلغ عرنة من عرفات ومعه فيل اسمه محمود ، وسائسه يقال له أنيس . فلما وصل الفيل إلى أن قرب من الحرم وضرب بجرانه(١) الأرض ، وكلما عالجه إلى الحرم رجع إلى أرض اليمن يهرول . وكان لعبد المطلب مائة ناقة ترعى بعرفات الأراك(٢) فأخذوها . فجاء راعيها لعبد المطلب على فرس وهو يقول : ياصباحاه !! ياصباحاه !! فخرجوا إليه وقد ذعروا فقالوا له : ويلك ما وراءك ؟! فقال : تركت جيشاً قد نزل بعرفة ببطن عرنة وهو جيش أبي ابكشوم الحبشي بعساكره وجنده(٣) ، وقال لعبد المطلب : إن إبلك قد أخذت .

٥٦

فركب عبد المطلب على الفرس التي كانت تحت العبد ، وأقبل إلى نحو العسكر وحمل عبد الله وأبا طالب معه . فلما أتى العسكر إذا برجل عليه عمامة من برود اليمن يقال له شرحبيل بن حجر من ملوك كندة ، وكان صديقاً لعبد المطلب ، فقال شرحبيل : يا عبد المطلب النجا النجا !! الحذر الحذر !! ارجع إلى مكة وكن على حذر !! فقال عبد المطلب : إني قد فقدت إبلي . فقال له : يا عبد المطلب إبلك قد أخذت وأنت ارجع إلى قومك . فقال عبد المطلب : لا أرجع إلا بإبلي وإلا يأخذوني معها . فلما أبى عليه أدخله شرحبيل بن حجر الكندي على أبرهة وقال له : هـذا

---

(١) الجران : مقدم العنق .

(٢) الأراك : نوع من الشجر .

(٣) بلغت الحبشة حداً من القوة فى القرن الأول الميلادى جعلها تطمع فى الاستيلاء على اليمن ، وتتابعت الحروب بين الحبشة واليمن منذ بداية القرن الثانى الميلادى . أما الفتح الحبشى الرئيسى لليمن — وهو الفتح الذى ذكره المؤرخون العرب — فقد حدث فى سنة ٥٢٣ م فى عهد ملك حمير يوسف ذى نواس ، أو دميانوس ، كما يسميه المؤلفون اليونانيون . والحق أن هذا الفتح كان الحلقة الأخيرة فى النزاع بين اليهودية والمسيحية فى بلاد اليمن . وكانت الحبشة وبيزنطة تعضدان المسيحيين فى اليمن ، أما الفرس فكانوا يعضدون اليهودية فى اليمن . ولم تكن بيزنطة تشجع الحبشة على قتال دولة حمير لحماية المسيحيين فحسب ، بل كانت ترمى بذلك إلى تحقيق هدفها فى السيطرة على تجارة الشرق .

عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . فقال له : وما يطلب ؟ قال شرحبيل : يطلب إبله ، وكان أبرهة قد ارتاع مما نظر من خلقه وخُلُقه وحسن صورته ، قال أبرهة : ظننت أنك تطلب فى قومك والبيت الذى هو شرفك ، وزعموا أنك ذو رأى فى قومك ! ! قال له عبد المطلب : أنا ربّ إبلى ولهذا البيت ربّ سيمنعه ، إذا أنت هدمته اجعل فى عنقى حبلا ! ! فرد عليه إبله . وبلغ أهل مكة الخبر فهربوا فى رءوس الجبال وبطون الأودية .

فلما رجع عبد المطلب إلى مكة وقف بين الحجر الأسود والباب ، وأمسك أستار الكعبة وقال : « اللهمّ ان المرء يمنع رحله ، فامنع حلالك ، لا يغلبنك صليبهم ، ومحالهم أبداً محالك ، إن كنت تاركهم وبيتك ، فافعل إلهى ما بدا لك »(١) .

ذكر خبر أنه كان معهم أعرابى من بنى صعصعة فقال لأبرهة : أيها الملك لا ترم لهذا البيت فإنه لا يرام ! ثم اعتزل الأعرابى ناحية وعليه كساء ، فقيل والله أعلم إنه لما أرسل عليهم الطير ترميهم بالحجارة لم يصل إلى ذلك الأعرابى شىء ، ومن دخل تحت كساه سلم بقدرة الله تعالى للإنكار الذى أنكره على الملك . فكل من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو فى كنف الله .

وبلغنا أن الأعرابى أدرك الإسلام فاسلم ، وهلكت الحبشة ، وسلم أبرهة فى نفر قليل .

---

(١) راجع فيما يختص بغزو أبرهة لمكة فى عام الفيل وموقف عبد المطلب : ابن هشام : كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ج ١ ، ص ٥١ — ٥٣ ؛ التيجان فى ملوك حمير ، ص ٣٠٣ ؛ الأزرقى : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، ص ٨٦ — ١٠٢ ؛ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ١١١ — ١١٤ ، وانظر أيضاً الجزء الأول من مروج الذهب للمسعودى .

ولم يزل ملك الحبشة فى اليمن إلى أن خرج عليهم سيف بن ذى يزن الحميرى فاستنصر بهرقل ملك الروم فلم ينصره وخذله لأن الحبشة نصارى على دينه ، فخرج إلى كسرى ملك العجم فاستجاش به ونصره وأزال ملك الحبشة من اليمن .

ولسيف بن ذى يزن أخبار كثيرة مع الوفود ، فانه |٥٧| أخبر بنبوة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم ، وأخباره موجودة فى كتب الحديث .

وفى سيف بن ذى يزن يقول رجل من حمير شعراً :

ولا مثل من قد غاص فى البحر شاخصاً — أبى مرة الفياض حين أنارا
سما ببنى الأحرار بيض وجوههم — فأنزلهم بالمندبين جهارا
ووافاه أطراف البلاد بفيلق — وظاهر سربال الحديد ظهارا
فأرضاك من كيد امرئ غير زمّل — نفوساً سقى من ذى الجيوش حرارا
ونفّر عما استودعوا كل حامل — متم بأطراف الرماح نفارا
فأدرك وتراً واشتفى بعد غلة — ورد عمايات وكان ضمارا
كذلك لا يفضى على الوتر مثله — مدى الدهر إلا أن ينام غرارا

وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى شعراً :

لله درهم من عصبة خرجوا — ما إن أرى لهم فى الناس أمثالا
بيض الوجوه كرام من ذوى يمن — أسد ترشح فى الغيطان أشبالا
لا يرمضون إذا طال الوقوف بهم — ولا ترى لهم فى الطعن ميّالا
لا يتكلون إذا نادت طلائعهم — إلا اركبوا فلقد نبهت أبطالا
كيد الأنيس ورمى الجن عن شزر — رهص أسد إذا انكلن انكالا
لم يطلب الثأر أمثال بن ذى يزن — فى البحر خيم يبغى العز أحوالا
أتى هرقلا وقد شالت نعامته — فلم يجد عنده نجح الذى سالا
لم انتحى نحو كسرى بعد ثالثة — من السنين لقد ابغلن ابغالا

صب الأسود على سود الكلاب (١) فقد أضحى شريدهم فى الناس شلالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً فى رأس غمدان (٢) قصراً منك محلالا
واشرب هنيئاً فقد شالت نعامتهم واسبل اليوم فى برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان (٣) من لبن شيبا بماء فصارا بعد أبوالا

وفى ابن ذى يزن يقول أمية بن عبد شمس شعراً :

جلبنا النصح تحقبة المطايا على اكوار اجمال ونوق
مغلغلة مراتعها تعالى إلى صنعاء من فج عميق
[٥٨] يؤم بها ابن ذى يزن ويفرى ذعوب بطونها امر الطريق
وترعى من مخائله بروقاً مواصلة الوميض إلى بروق
فلما واقعت صنعاء صارت بدار الملك والحسب العريق
إلى ملك يرد لنا العطايا بحسن بشاشة الوجه الطليق

* * *

(١) يعنى هنا الحبش .
(٢) غمدان : من أشهر قصور اليمن القديمة . ذكر ياقوت فى معجم البلدان ، أن ملكاً من ملوك اليمن فى القرن الأول الميلادى هو الذى بناه . أما الهمدانى (توفى بصنعاء فى سنة ٣٣٤ هـ — ٩٤٥ م) فقد وصف قصر غمدان وصفاً مفصلا فى كتابه « الإكليل » .
(٣) القعب : القدح الضخم الغليظ ، والجمع أقعب وقعاب وقعبة .

الباب السابع

فى ذكر مبعث النبى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصى ابن كلاب بن مـرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر(١) بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان(٢).

ومن سيرة ابن عطية أن الله برأفته على العباد ، ومنته على خلقه سبحانه وتعالى بإرادته ومشيئته أن استنقذهم من الهلكة والضلالة ، بعث النبى صلى الله عليه وسلم جل قدره وعظم شأنه على حين فترة (٣) من الرسل ، ونقص من العمل ، واقتراب من الساعة ، وضلالة من الناس . والناس يومئذ أهل جهل جاهلية يعبدون الأوثان ، ويطيعون الشيطان ، ويموجون فى سكرة ويعمهون فى فترة من أمور شتى ، وأديان مختلفة ، يقتل بعضهم بعضاً ، ويسبى بعضهم بعضاً . منهم أهل الكتاب ضلوا بعد أنبيائهم بالغلو فى دينهم والافتراء على الله ، واتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وكفرهم بآيات الله ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، وصدهم عن سبيل الله ، ونبذهم كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . وقد أمروا ألا يعبدوا

---

(١) كتبت فى المخطوطة « النظر » . والنضر هو قريش على رأى ، وفهر هو قريش على رأى آخر .

(٢) وإلى ذلك يشير الحديث الذى أثر عن الرسول عليه الصلاة والسلام : « اختار الله من إسماعيل كنانة ، واختار قريشاً من كنانة ، واختار بنى هاشم من قريش ، واختارنى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار »

انظر : دكتور حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسى ج ١ ، ص ٥٢ ، (الطبعة الثانية — القاهرة ١٩٤٨ م) .

(٣) فترة هنا بمعنى فتور وانقطاع .

إلا إلهاً واحداً إلى ما شاء الله ، من الناس من تمسك بكتاب الله ربه وهم يومئذ شرذمة قليلون . ولذلك مدحهم البارئ سبحانه فى كتابه الذى : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)(١) وهو قوله وقليل ماهم (وقليل من عبادى الشكور) (٢) .

وما آمن معه إلا قليل ، مع ماذم من الكثرة بقوله :

(وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) (٣) فى آيات من القرآن ذم الكثرة ومدح القلة ، إلى أن بعث نبى الرحمة فى قوم أميين ، أهل وثن ، ليس فيهم كتب يدرسونها ، ولا اثارة من علم يأخذون بها ، ضلال عماة جفاة يعبدون الأوثان ويستقسمون بالأزلام . لا يؤمنون ببعث ولا حساب ، ولا جنة ولا نار ، مثل البهائم الراتعة ، من أضل خلق الله وأشقاه ، فى ضنك معيشة وذل . [٥٩] فبعثه الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة إنسيهم وجنيهم ، أميهم وأهل كتابهم . فأرسله بالذى أرسل به الرسل من قبله : أن تكون العبادة كلها والطاعة له ، وأن يبرءوا من الأصنام والأوثان ، وأن يخلعوا الأنداد وأن يدعوا إلى كلمة التقوى وقول الحق وشهادة أن لا إله إلا الله لا رب سواه ولا معبود إلا إياه ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن يؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والبعث والحساب ، والإقرار بما جاء به من الله. فمن استجاب له وآمن به ، وأقر بما أنزل عليه ، وبرىء مما كان عليه من عبادة الأوثان كان مسلماً وكان أجره على الله . ومن رغب عنه إلى غيره لم يضر إلا نفسه ، واستغنى الله عنه هو الغنى الحميد .

وأخذ الله عليهم مثل ما كان أخذ على الأنبياء وأتباعهم ، وأن يتولوا الأنبياء الذين مضوا من قبله ويؤمنوا بما أنزل عليهم ، وأن يأخذوا بما

(١) سورة فصلت : آية ٤٢ .
(٢) سورة سبأ : آية ١٣ .
(٣) سورة الأعراف : آية ١٠٢ .

أخذوا به و بالذى يحدث إليهم من طاعته وأمره والتصديق بالرسل ، وأنهم كانوا على حق . وأن يعملوا بما أنزل على نبيهم ويتبعوا ما يأمرهم به لأن الله سبحانه جعل لكل شرعة ومنهاجاً . وكلمتهم التى تجمعهم كلمة الإيمان بالله والتوحيد ، وهى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنهم أنبياء الله وعبيده ورسله ، وليهم من أطاع الله وعمل بأمره ؛ وعدوهم من عصى الله وكفر به وضيع ما أمر به رسله صلى الله عليهم أجمعين .

وكان دعوته بمكة — حرسها الله — فلبث بمكة عشر سنين أو ماشاء الله ؛ يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادلهم بالتى هى أحسن ، يأمرهم بطاعة الله وتوحيده ، وينهاهم عن أن يشركوا به ورسله ؛ وكانوا يجتمعون فى الموسم ، وكان يدعوهم فى لطف ولين ويمن .

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو الحر والعبد ، والضعيف والقوى ، لايحتقر أحداً ولايقاتل أحداً ولا يكره أحداً على شىء ، إنما أمره أن يدعو فمن استجاب له قبل منه ، ومن أبى لم يكرهه على شىء . وهو يلقى من قومه الهجر والأذى ، فتحمل ذلك فى جنب الله وصبر لأوامر الله وطاعة الله .

لم يكتب عليه قتال ولم تنزل عليه الحدود والأحكام ، ولا يحرم عليهم إلا ما حرم الله . لا يدعى هجرة ولا يكره أحداً على الإسلام ، يسلم الرجل وتحته مشركة لا يطلقها ، وتستجيب له المرأة وتسلم وهى تحت مشرك لا يعاب ذلك عليهما . ولا يحرم شيئاً من الأشربة [٦٠] التى كانوا يشربونها لأن الله سبحانه لم يكن حرمها عليهم . يتوفى المشرك يومئذ فيرثه المسلم ، ويتوفى المسلم فيرثه المشرك .

فلبث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ما شاء الله ، وكان قد التقى فى الموسم بناس من أهل المدينة فآمنوا به وصدقوا بالذى جاء به .

ويجتمع المسلم والمشرك فى الموسم ولا يخف بعضهم بعضاً لأن الله

سبحانه وتعالى لم يكن أذن لهم بالقتال ولا أمرهم به . وأمرهم بالتى تأتى الفاحشة من نسائهم أن يمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا .

وكان فلك أمره بمكة يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة إلى أن أمره الله بالهجرة من دياره وأهله ومولده إلى المدينة لما سبق فى علم الله من الخير والشرف لأهل المدينة ، وأن يكونوا أنصاراً لله ولرسوله . فآووا نبى الله ، واستبشروا حين أخرجه قومه وعززوه ونصروه ، وواسوه بأموالهم وأنفسهم ، وجعل الله المدينة دار هجرته كما قال ابن الصباح الحضرمى :

أخرجه الله إلى المدينة أعز فيها نصره ودينه

* * *

فلما أمره الله بالهجرة إلى المدينة ، وجعلها دار الإيمان ، أمر الناس صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة ، حرهم وعبدهم ، وذكرهم وأنثاهم ، فلم يسع أحد أن يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن تخلف لم يكن له معه ولاية فانقطعت الحقوق . وأنزل الله عليه أمر الهجرة وأنه لا يقبل الإسلام إلا بها . وهو قوله عز وجل : (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا)(١) .

فصل فى بيان الهجرة

وفرضت الهجرة على الناس كافة فصارت منزلة لا يقبل الإسلام إلا بها . وهاجر من كان بمكة من المسلمين ، وتعقبت (٢) طائفة منهم ممن كان أقر

---

(١) سورة الأنفال : آية ٧٢ .

(٢) تعقب عن الخبر : شك فيه وعاد للسؤال عنه ، أو سأل عنه غير من كان سأله أول مرة . تعقب من أمره : ندم .

بالإسلام ولم يلحق بنبي الله صلى الله عليه وسلم . فلما كان بعد وقعة بدر ؛ أنزل الله تعالى : (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً) (١) ؛

فلما بلغ من كان بمكة من المسلمين أيقنوا بالهلكة فخرجوا إلى ذلك عباديد (٢) إلى نبى الله وإلى دار الهجرة ، يعلمون أنهم لا يقبل منهم غير ذلك .

وبلغنا - والله أعلم - أنه كان رجل بمكة من بنى ليث أو قضاعة أو خزاعة ، يقال له ضمرة بن جندب ، وكان شيخاً [٦١] كبيراً مريضاً ، فلما سمع بذلك قال لأهله : احملونى إلى المدينة ، ونيته الهجرة ، فحملوه على سرير له ، حتى إذا بلغوا به التنعيم أو ما شاء الله من ذلك توفى بها ، فاختلف المسلمون فيه فى المدينة فأنزل الله فيه : (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) (٣) وعذر الله أناساً بمكة فقال عز وجل : (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً) (٤) فعذر الله المستضعفين ولم يعذر من كان له قوة حتى يلحق بنبى الله وبدار الهجرة وبالمسلمين . فصارت الأرض كلها دار شرك إلا المدينة جعلها الله دار الهجرة ودار الإيمان ، لا كما قال الخوارج (٥) وأهل اللغو فى الدين إن الهجرة من دار الإيمان إلى دار الإيمان ، فإنما الهجرة كانت من دار الشرك إلى دار الإيمان .

---

(١) سورة النساء : آية ٩٧ .

(٢) عباديد : العباديد والعبابيد ، الفرق من الناس أو الخيل .

(٣) سورة النساء : آية ١٠٠ .

(٤) سورة النساء : الآيتان ٩٨ - ٩٩ .

(٥) يعنى بالخوارج هنا المتطرفين والمغالين منهم مثل فرق الأزارقة والصفرية .

فاستوطن بها صلى الله عليه وسلم، ومن هاجر معه من المسلمين. وواساهم إخوانهم بأنفسهم وأموالهم ، بنو قبيلة الأوس والخزرج ، رحمهم الله وغفر لهم ورضى عنهم كما ذكر فى كتابه العزيز وهو قوله عز وجل :

(والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (١) :

فى أمر القتال :

ثم كتب الله على نبيه القتال حين نزل بالمدينة وهو قوله تعالى :
(وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (٢) :

وفرض الله عليه الفرائض ، وحد الحدود . ولم ينزل عليه القرآن جملة واحدة ، بل كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً ويحدث الله من أمره ما أحب ، ما حرمه الله من النساء والطعام والشراب وغيره حرمه ، وما نسخ من القرآن وأحدث إليه من الحكم أمر به صلى الله عليه وسلم . والمسلمون يأخذون عنه ويأتمرون بما أمروا وينزجرون عما نهاهم عنه وزجر ، وآمنوا بما كانوا عليه من قبل ذلك وانه كان رضا الله وطاعته لأنه أمر الله :

وكان نبى الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه ، ويعاهد من عاهده . وكان كل ذلك بأمر الله . وكان يلحق به الرجل وامرأته من مكة وغيرها ، أحدهما مشرك ، فبين الله كيف يصنع فى ذلك ، وأوضح له حكمه فيهم فقال : (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن [٦٢] علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن

---

(١) سورة الحشر : آية ٩ .
(٢) سورة البقرة : آية ١٩٠ .

إلى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم * وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) (١) وكان ذلك حكماً حكمه الله بينهم وبين المشركين ، أهل العهد منهم ، وأمرهم به : وكان إذا خرجت امرأة من أهل حرب النبي صلى الله عليه وسلم ، مهاجرة تريد الإسلام قبلها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يردها إلى المشركين ، ولم يرد على زوجها شيئاً مما كان آتاها وأنفق عليها ، وإن لحقت امرأة من المشركين من أهل عهد النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرة تريد الإسلام لا تريد غير ذلك قبلها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نكحها المسلمون في دار الهجرة بشهود وصداق بعد انقضاء عدتها ، ورد على زوجها المشرك من أهل العهد ما كان أنفق . وإن خرج رجل مهاجر إلى نبي الله ، وامرأته مقيمة في دار الشرك ، فوجد أختها في دار الهجرة قد استجابت للإسلام نكحها بشهود وصداق ، وانقطعت عصمة امرأته التي في دار الشرك . إلا أن تهاجر امرأة ثم هاجر زوجها بعد ذلك ، فإن أدرك امرأته قبل أن تزوج فهو أحق بها بالنكاح الأول إذا كان أصل نكاحها رشداً في دينها ، فإن كرهها زوجها فلا يحل لها أن تزوج بغيره حتى تنقضي عدتها منه ثم تتزوج بعد ذلك بمن شاءت وإن وجدها حين هاجرت قد تزوجت فلا سبيل له عليها . وإن لحقت امرأة بأهل حرب نبي الله فإذا غنم رد على زوجها المسلم ما كان أنفق عليها وكان كذلك ، ثم أنزل الله : (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) (٢) ؛ (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) (٣) فكان حراماً على المسلمين بعدما نزلت هذه الآية ، لم يقر مسلم

(١) سورة الممتحنة : آيتا ١٠ - ١١ .
(٢) سورة البقرة : آية ٢٢١ .
(٣) سورة البقرة : آية ٢٢١ .

عند مشركة ولا مسلمة عند مشرك ، أو يقيم رجل وامرأة بدار الشرك حتى يلحق بنبي الله صلى الله عليه وسلم وبدار الهجرة ، وقد كانت منازلهم عشر سنين غير ذلك .

فلما هاجرت النساء والعبيد والولدان من دار الشرك إلى المدينة لم يكن عليهم جهاد بعد ذلك ولا خروج في قتال يجبر عليهم .

وأما النساء الخوالف أمرن أن يقرن في بيوتهن بعد الهجرة إلى المدينة ، فان عارض معارض من أهل الغلو فقال على النساء جهاد ، وتأول قوله تعالى : [٦٣] (أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار) (١) فقد صدق الله أنه لا يضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى . وقال عز من قائل : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) (٢) غير أن الله فرض على الرجال حقوقاً لم يفرضها على النساء ، وأحل للرجال أشياء لم يحلها للنساء ، وأحل للرجل أربع نسوة وما شاء مما ملكت يمينه وحرم ذلك على النساء ، وجعل شهادة الرجل كشهادة امرأتين ، وجعل للذكر من الميراث مثل حظ الأنثيين ، فهذا وأشباهه كثير . وأحل الله للنساء الزينة من حلى الذهب والفضة ، وحرم ذلك على الرجال . وليس على النساء جمعة وهي على الرجال . وأمر النساء بالاستتار وضرب الخمر على الجيوب وإدناء الجلاليب فوق الخمر ولم يجعل ذلك على الرجال . ونهى النساء أن يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن (٣) ولم ينه عن ذلك الرجال ، ولم يحل للمرأة شيئاً مما ملكت يمينها وأحله للرجال وأشباه ذلك كثير .

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٩٥ .

(٢) سورة التوبة : آية ٧١ .

(٣) قال الله تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن =

فمن أطاع الله فيما أمر به رجلا كان أو امرأة وعمل بطاعة الله وأخذ بأمر الله ورضى بحكم الله ، بما حكم به عليه لم يضع الله أجره ؛ فهذا تفسير هذه الآية .

وأما العبيد فلا شهادة لهم ، ولا جمعة عليهم ، ولا جهاد ولا هجرة ، ولا صدقة عليهم بعد هجرتهم الأولى إلى نبى الله فى المدينة . وقد ضرب الله فى كتابه العزيز مثلا فقال : (عبداً مملوكاً لا يقدر على شىء)(١) وعلى العبد حقوق (٢) ليست هى على الحر ، وعلى الحر حقوق ليست على العبد يعرفها ذوو الألباب . والله سبحانه لا يضيع (أجر من أحسن عملا)(٣) من العبيد والنساء والأحرار إذا أطاعوه وأخذ كل صنف منهم بالذى أمره الله به .

حدود ما أنزل الله على نبيه بالمدينة :

فنزلت الحدود وعامة الفرائض بالمدينة . قال الله تعالى :

(الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)(٤) يعنى البكر من النساء والرجال ثم أمر بالرجم إذا كان محصناً ، وقد كانت منزلتهم قبل ذلك أن يمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ، وجعل سبيلهن الجلد ، وجعل الرجم |٦٤| على من كان محصناً .

= أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) . سورة النور : آيتا ٣٠ - ٣١ .

(١) سورة النحل : آية ٧٥ .

(٢) يستخدم كلمة « حقوق » هنا بمعنى واجبات .

(٣) سورة الكهف : آية ٣٠ .

(٤) سورة النور : آية ٢ .

وقال : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله) (١) .

وقال سبحانه : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم) — أى بأكل الميتة بعدما حرمها الله عليكم ونهاكم (إنكم لمشركون) (٢) فأنزلها الله فى الذبيحة . وقد تأولها أهل الغلوّ والخدع على غير تأويلها ، فزعموا أنهم عرفوا شرك أهل القبلة قبل هذه الآية .

وقال عزّ من قائل : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون)(٣) .

وأنزل فى الخمر فقال : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) (٤) وقال فى آية أخرى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) (٥) ثم أنزل فى آية أخرى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) (٦) .

فلما نزل ذلك عرف المسلمون أنها قد حرمت عليهم فانتهوا عنها وتركوها . وإنما نبى الله عبد مأمور لا يتكلف من قبله شيئاً حتى يؤمر به . وكان يقاتل من قاتله ويكفّ عمن كف عنه ويعاهد من عاهده وكل ذلك بأمر الله سبحانه .

---

(١) سورة المائدة : آية ٣٨ .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٢١ .

(٣) سورة النور : آية ٤ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢١٩ .

(٥) سورة النساء : آية ٤٣ .

(٦) سورة المائدة : الآيتان ٩٠ — ٩١ .

الباب الثامن

فى سيرة نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم فى جميع الملل

بعد ما أمر بالقتال فلبث نبى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ثم أنزل عليه : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة)(١) و (اقتلوهم حيث ثقفتموهم)(٢) وأنزلت براءة بقتل المشركين عامة إلا الذين كان بينهم و بين نبى الله عهد فجعل مدتهم أربعة أشهر ؛ ولم يكن بينهم وبينه عهد بانسلاخ الأشهر حتى يسيحوا فيها حيث شاءوا من الأرض ويعلموا أنهم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين (٣) أى مخيرون فى المدة إن شاءوا دخلوا فى الإسلام وإن شاءوا هربوا فى الأرض ، والتمسوا لأنفسهم مأمناً وحرزاً . فأمر الله نبيه أن يكف عنهم إلى المدة التى جعلها لهم ، فإذا انقضت المدة أن يضع السيف فيهم كافة ، ولا يقروا المشركين على شركهم وكفرهم . ولم يبتل المسلمون بمنزلة أشد منها ، لأنهم أمروا أن يحاربوا أهل الأرض جميعا [٦٥] وهم قليل فى كثير ، مستضعفون فى الأرض ، وبدار ليس لهم فيها زرع ولا مال .

وأمسك الناس عنهم الأسواق ومنعوا من الميرة فصبروا لأمر الله وطاعته بالذى أحدث إليهم وأمر أن لا يقبل منهم غيره . وفى ذلك يقول كعب بن مالك :

الناس لد(٤) علينا ليس فيك لنا ... إلا السيوف وأطراف القنا وزر(٥)

---

(١) سورة التوبة : آية ٣٦ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٩١ .

(٣) قال الله تعالى : (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين) .

(سورة التوبة : الآيتان ١ - ٢ .)

(٤) اللد : الخصم الشديد الخصومة .

(٥) الوزر : الملجأ .

ثم أنزل عليهم : (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا)(١) وقد كانوا قبل ذلك يلتقون فى الموسم ، فيصيبون من طعام المشركين وبيوعهم ومرافقهم ، فلما أنزل الله عليهم ذلك قاتلوهم ومنعوهم وصدوهم عنه ، فلم يقربوه بعد ما أنزل الله هذه الآية عليهم .

فقاتل نبى الله المشركين كافة حين أمر بذلك ، أميهم وأهل كتابهم ، وأصاب المسلمين فى ذلك ضيق ومخمصة . وعلم الله شدة منزلتهم وقلة مرافقهم وما بهم من الفاقة والحاجة وصبرهم على أمره وطاعته . فأنزل سبحانه : (وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله)(٢) .

وقال عز من قائل : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)(٣) . أنزل الله فى أهل الكتاب خاصة دون غيرهم من مشركى العرب ، وجعل الله أخذ الجزية بلاغاً لهم ، وسعة فى أرزاقهم ، وقوة لهم فى قتال عدوهم .

وصار المشركون صنفين وقد كانوا قبل ذلك صنفاً واحداً ومنزلة واحدة حين أمر بقتالهم كافة . فلما أنزل الله ذلك فيهم قاتل نبى الله صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب حتى أقروا بالجزية ، فضربوا عليهم فى ذل منهم وصغار إلى أن يدخلوا فى الإسلام . وأما أهل اللات والعزى من مشركى العرب ، فإن حكم الله فيهم القتل أو الدخول فى دين الإسلام ، ولا تقبل منهم جزية ولا يسبون ، إنما السبى والجزية على أهل الكتاب ممن يقر على دينه ، فلا يتناكحون ولا يتوارثون ولا تؤكل ذبائحهم ولا

---

(١) سورة التوبة : آية ٢٨ .

(٢) سورة التوبة : آية ٢٨ .

(٣) سورة التوبة ، آية ٢٩ .

تقبل لهم شهادة ولا يزكون(١) أن يقربوا المسجد الحرام فهذا فى مشركى العرب خاصة ، لأنه صلى الله عليه وسلم أمر بقتال المشركين عامة ، ثم استثنى أهل الكتاب ، وأمر بقتالهم حتى يقروا بالجزية ، فلما أحل طعامهم يعنى ذبائحهم ، وأحل تزويج نسائهم ، إذا كانوا سلماً فنساؤهم حلال : وحرم موارثهم ، وإذا كانوا حرباً للمسلمين فنساؤهم حرام لأنه لا يحل لمسلم أن يتزوج بامرأة يحل سباؤها لغيره من المسلمين .

وكانت [٦٦] هذه سيرة نبى الله صلى الله عليه وسلم فى المشركين ، لا يستحل شيئاً حرمه الله ، ولا يحرم شيئاً أحله الله . ولا يختلفون فى شىء إلا أنزل الله فيه كتاباً ناطقاً وحكماً بيناً فلا يخفى عليهم ما يأتون وما يتقون فقاتل نبى الله صلى الله عليه وسلم الناس ، لا ينتحل الأمور من قبله ، ولا يتكلف إلا ما أمره الله به .

منزلة الناس بعد الهجرة :

فلما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة — حرسها الله — ودخل الناس دين الله أفواجاً ، رفعت الهجرة ، ولم يتسم بها أحد إلا من كان مهاجراً إلى نبى الله من قبل . وسمى الناس تابعين بإحسان ، فأنزل الله : (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) (٢) الآية . وكان المهاجرون الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم وعشائرهم إلى نبى الله ، ورابطوا معه ، وواسوه بأنفسهم فى الشدة والرخاء ، ولم يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، وكان ذلك اسماً لهم .

وكان الأنصار أهل المدينة الذين آووا نبى الله ونصروه .

وكان التابعون بإحسان الذين دخلوا فى الإسلام بعد الفتح وسموا مسلمين ، وصارت الدور بعد ذلك كلها يقبل فيها الإسلام .

وجعل الناس يأتون نبى الله صلى الله عليه وسلم من الآفاق فيقبلون

---

(١) لا يليق ، يقال « هذا لا يزكو بك » أى لا يليق .

(٢) سورة التوبة : آية ١٢٢ .

الإسلام ويقرون بحكم الله وكتابه ثم يرجعون إلى بلادهم وأوطانهم(١) ووسعهم ذلك . وأنزل الله تعالى : ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾(٢) . وقال تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين إتبعوه فى ساعة العسرة﴾(٣) . فهذه منزلتهم بعد الفتح ، وقد كانت منازلهم من قبل غير ذلك . فلما دخلت جزيرة العرب فى الإسلام طائعين وكارهين أنزل الله : ﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾(٤) الآية ، أنزلت المجوس ومن حذا حذوهم من عبدة الأوثان ، وعلم المسلمون أنهم ليسوا بمنزلة أهل الأوثان من العرب ، فقبلوا منهم الجزية ولم يستحلوا طعامهم ولا نساءهم(٥) سلماً كانوا أو حرباً . فصار حكم الله وسنة نبيه فى المشركين على أصناف شتى : صنف قوتلوا حتى دخلوا فى الإسلام كرهاً لم يقبل منهم غير ذلك وهم مشركو العرب ، وصنف آخر قوتلوا حتى أقروا بالجزية وأحل نساؤهم وطعامهم وهم أهل الكتاب ، وصنف آخر قوتلوا حتى أقروا بالجزية ولم تحل نساؤهم ولا طعامهم وهم المجوس ، وصنف آخر لم يقبل منهم إلا الدخول فى الإسلام أو القتل ولا يحل طعامهم ولا نساؤهم ولا سبى عليهم وهم مشركو العرب من أهل الأوثان . فهذه [٦٧] أصناف المشركين التى وجدناها فى كتاب الله عز وجل ، وسار فيها نبى الله والمسلمون ، وحكم الله فيهم على قدر ما كانوا عليه . وحكم فى أهل القبلة حكم كتابهم على قدر احداثهم لإقرارهم به ولم يلحقهم بمنازل المشركين لما اختلف من قولهم وقول المشركين ، لأن أهل القبلة مقربين بالشهادة

---

(١) يشير بذلك إلى ما عرف فى التاريخ الإسلامى « بالوفود » .

(٢) سورة التوبة : آية ١١ .

(٣) سورة التوبة : آية ١١٧ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٥٦ .

(٥) كتبت فى المخطوطة « نساؤهم » .

لقوله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا إله إلا الله وانى رسول الله فقد حرم ماله ودمه إلى أن يحدث حدثاً أو يصيب أحداً فيجرى عليه حد ما أصاب من ذلك » . من قتل قتل ومن سرق قطع ، ومن زنا وهو محصن رجم ، ومن قطع سبيل المؤمنين وقدر عليه قتل وصلب ، فإن لم يعلم منه حدث بعد إقراره فقد حرم دمه وماله وحسابه على الله فيما اختار به نفسه فيما بينه وبين ربه . وإن كان حدث يعلم طلب بذلك ، فإن رجع قبل منه ، وأجرى عليه حد ما أصاب ، وإن امتنع بما قبله من الحق وبغى وامتنع بحدثه وأبى أن يعطى الحق من نفسه وهو يدين بتحريمه صار باغياً كافراً كفر نعمة لا كفر شرك ، وحل قتاله على بغيه ذلك ، وقوتل هو وأتباعه قتالا لا قصاص فيه ، ولا يستحل منه ولا من أتباعه إلا الدماء ، ولا يحل سبيهم ولا أموالهم ولا ذراريهم .

قال عز من قائل : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله)(١) :

يقول فإن أعطوا الحق من أنفسهم وأقروا بالذى أصابوا قبل منهم فقد فاءوا ، فإن امتنعوا به وصاروا بغاة محاربين قوتلوا ، وإن تابوا فاقبلوا منهم وأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »

فصل فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى المنافقين

فلما فشا الإسلام ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ، ودخل ناس فى دين الله كرهاً بغير نية ولا تقوى ، وإنما دخلوا فى الإسلام خشية على أموالهم ودمائهم ، وأقروا بما أقر به المسلمون من التوحيد فى الظاهر وضميرهم غير ذلك . وعصموا دماءهم بذلك ، وأموالهم ، وسماهم الله بذلك منافقين ، اسماً لم يسم به أحد من أديان أهل الشرك . أنزل الله فيهم قوله :

---

(١) سورة الحجرات : آية ٩ .

(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون * اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن(١) سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون)(٢) .

ومنهم من نسبه الله إلى النفاق بعد ذلك ، وهم الذين اتخذو مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين .

ومنهم من نسبه الله تعالى إلى النفاق بالبخل ونقض العهد . فقال عز من قائل : (ومنهم من [٦٨] عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما أتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون)(٣) .

(ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا)(٤) الآية ومنهم المتخلفون عن نبي الله(٥) . فبكل هذه المنازل نسبهم الله إلى النفاق : منهم من كان يضمر غير الذى يظهر وإنما اتخذ إيمانه جنة ، ومنهم من لم يعرف ضميره غير الذى كان يقول ، فلما أظهروا الإقرار بالتوحيد أجرى عليهم حكم كتابهم ولم يلحقوا بملل أهل الشرك ، وأضافهم إلى حكم كتاب الله باقرارهم له ونفيهم الشرك . إنما اختلجتهم أعمالهم القبيحة وسوء صنعهم

---

(١) كتبت فى المخطوطة « فى » .

(٢) سورة المنافقون : الآيتان ١ — ٢ .

(٣) سورة التوبة : الآيات ٧٥ — ٧٧ .

(٤) سورة التوبة : الآية ٥٨ .

(٥) وإلى ذلك تشير الآيات الكريمة فى سورة آل عمران :

(وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون . الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) . الآيات ١٦٧ — ١٦٨ .

ونياتهم الفاسدة فى المؤمنين ، فهم لا فى حظ الإسلام استقروا ، ولا إلى الشرك رجعوا ، فهم كما قال العزيز الحكيم : (مذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء)(١) ، لا مع المؤمنين ولا مع المشركين ، أحل الله مناكحتهم وموارثتهم والصلاة عليهم والحج معهم وسائر الحقوق التى أحل معهم ، وحرم ولايتهم ، والاستغفار لهم ، والصلاة عليهم . وهـذه الفرائض التى لا يكمل الدين إلا بها . لم يدع ربنا تبارك وتعالى شيئاً من الدين إلا بينه فى كتابه ، ولم يترك عباده فى عمى كما قال عز من قائل وصدق (قد تبين الرشد من الغى)(٢) .

وقال أيضاً : (يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم)(٣) .

وفرض الفرائض ، وحد الحدود ، وسن السنن ، وفرض الصلاة وبين وضوءها ووقتها وركوعها وسجودها والوقت الذى يصلى فيه . وأمر بالزكاة ، وبين قسم الميراث . وفرض الحج على من استطاع إليه سبيلا ، وبين المشاعر والمناسك من الحج ، وبين الصدقات وكيف تؤخذ من أهلها ، وفرض الصوم وبينه . وحض على الجهاد وبين سهام الإسلام ، وبين الغنيمة(٤) كيف تقسم ، وبين الفيء(٥) كيف يؤخذ .

---

(١) سورة النساء : آية ١٤٣ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥٦ .

(٣) سورة النساء : آية ١٧٦ .

(٤) معنى « الغنيمة » اللغوى هو ما يناله الرجل والجماعة بسعى . أما المعنى الاصطلاحى فهو مال الكفار الذى يظفر به المسلمون عنوة ، أى بالتغلب على الكفار ، أو ما يحصل عليه المسلمون بالقوة من أهل دار الحرب .

والمفروض أن الغنائم لا تقسم فى أثناء انشغال الجند بالحرب وذلك لئلا يتشاغل الجند بها كما حدث لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد . وتشمل الغنائم الأسرى والسبى من النساء والأطفال ، والأموال المنقولة ، وكذلك تشمل الأرضين .

(٥) « الفيء » مأخوذ من فاء يفيء أى رجع . والمصطلح عليه أنه المال الذى يصل المسلمين من المشركين عفواً من غير قتال مثل مال الهدنة والجزية والخراج .

وبين جميع ما يحتاج إليه ، فلم يدع ربنا برحمته شيئاً مما أحب أن يعمل به أو كرهه إلا بينه . وقال عز من قائل :

(تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه)(١) وقال : (فأولئك هم الظالمون)(٢) . وقال تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)(٣) .

وقال سبحانه |٦٩| : (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون)(٤) . ثم قال عز من قائل : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم)(٥) وقال عز من قائل لمن انتهك ذلك أو فعله : (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم * أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)(٦) . وقال سبحانه : (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم)(٧) معنى قوله سبحانه وتعالى الذين عملوا بمعصيتى بعدما أسلموا وقبلوا من طاعتى ، وكفروا بعد إيمانهم ، ولم يتوبوا من ذنوبهم ومعاصيهم ، الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم .

ثم أمر الله المسلمين بالتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهى

---

(١) سورة الطلاق : آية ١ .
(٢) سورة المائدة : آية ٤٥ .
(٣) سورة النور : آية ٥٥ .
(٤) سورة الأعراف : آية ١٢٩ .
(٥) سورة محمد : آية ٢٢ .
(٦) سورة محمد : الآيتان ٢٣ — ٢٤ .
(٧) سورة محمد : آية ٢٥ .

عن المنكر ، ونهى عن الفرقة والاختلاف . فقال عز من قائل وصدق : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)(١) .

وقال : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)(٢) .

فلما أكمل الله دينه وتمت شريعته وبين لكم منار الإسلام وشرائع الحلال والحرام ، أنزل الله على نبيه عليه السلام : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)(٣) .

وقال سبحانه وتعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)(٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم في وصية حجة الوداع :

« يا أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا وإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه الأوثان ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم . فقد تركت فيكم إذا اعتجمت الأمور عليكم كتاب الله وسنتي . اللهم إني قد بلغت وأنذرت فحرام الله حرام إلى يوم القيامة وحلال الله حلال إلى يوم القيامة ، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »(٥) .

ثم أمر سبحانه أن ينذر عشيرته الأقربين فجمع صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة المائدة : آية ٢ .
(٢) سورة آل عمران : آية ٢٠٠ .
(٣) سورة المائدة : آية ٣ .
(٤) سورة الأنعام : آية ١٥٣ .
(٥) راجع هذه الخطبة في ابن هشام : كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ٤ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

قبل موته(١) أقرباءه وأهله وقال : يا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويا صفية عمة رسول الله ، ويا بنى عبد المطلب ، ويا بنى هاشم !! اعملوا لما عند الله فإنى لن أغنى عنكم من الله شيئاً فلا يجىء الناس بالدين وتجيئون [٧٠] أنتم بالدنيا !! فان لكل امرئ ما اكتسب ، وعرفهم أن قرابته صلى الله عليه وسلم لن تغنى عنهم من الله شيئاً إلا بالتقوى واتباع أمر الله والعمل بطاعة الله . كقول إبراهيم صلى الله عليه لبنيه : (يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)(٢)، وقال يعقوب صلى الله عليه وسلم : (ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون)(٣) .

هذا ما أكرمنا الله به من كتابه — لا كما قالت الحشوية — إن لهم الجنة ولو سفكوا الدماء ، وأكلوا أموال اليتامى ظلماً ولم يصلوا ولم يصوموا . نعوذ بالله من الخذلان فى الدين والمخالفة للمؤمنين !! هذا كتاب الله نور لمن أخذ به وعصمة لمن اعتصم به ، وفلح(٤) لمن احتج به ، ولا يهتدى أحد إلا باتباعه ، ولن يضل أحد إلا بتركه .

وقد قال الله فيما أنزل : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين)(٥) .

---

(١) دعا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الإسلام فى بداية الأمر سراً ، وبعد ثلاث سنين من بداية الدعوة أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالجهر بالدعوة . وقال الله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون) .
(سورة الشعراء : الآيات ٢١٤ — ٢١٦) .
وهذا غير ما أشار إليه الكاتب من أنه جمع عشيرته الأقربين قبل وفاته عليه الصلاة والسلام .

(٢) سورة البقرة : آية ١٣٢ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٣٣ .

(٤) الفلح والفلاح : الفوز ، صلاح الحال ، البقاء ، النجاة .

(٥) سورة آل عمران : آية ١٤٤ .
المعروف أن هذه الآية نزلت فى غزوة أحد .

الباب التاسع

فى ذكر فضائله وتاريخ مولده صلوات الله وسلامه عليه

قال الرواة : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول لثلاث وعشرين سنة خلت من عام الفيل (١) . ولد صلى الله عليه وسلم مختوناً مسروراً . وماتت أمه آمنة بنت وهب وهو ابن ست سنين . وخرج إلى الشام مع عمه أبى طالب وهو ابن تسع سنين . وفى سن (٢) إحدى وعشرين سنة شهد صلى الله عليه وسلم حرب الفجار ، وهى حرب كانت بين قريش وقيس (٣) . وفى سن (٤) ست وعشرين تزوج صلى الله عليه وسلم بخديجة بنت خويلد وهى بنت أربعين سنة . وفى سنة ست وثلاثين بنيت الكعبة وتراضت قريش بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود فى موضعه من الركن .

وفى سنة إحدى وأربعين (٥) بعثه الله إلى الناس كافة فى يوم الاثنين لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول . وفى سنة ست وأربعين حصرت قريش النبى فى الشعب ، وأهل بيته . وفى سنة خمسين خرج رسول الله

---

(١) تروى كثير من الروايات العربية أن الرسول عليه الصلاة والسلام ولد فى سنة ٥٧١ م وهى السنة المعروفة بعام الفيل ، أى السنة التى غزا فيها الأحباش مكة بقيادة أبرهة الأشرم .

(٢) كتبت فى المخطوطة « وفى سنة » .

(٣) روت المصادر القديمة أن حرب الفجار كانت بين قريش وهوازن . وهوازن من بطون قيس .

(٤) كتبت فى المخطوطة « سنة » ، يقصد بالسنة عمر الرسول عليه الصلاة والسلام .

(٥) ذكرت جل المصادر أن تجديد بناء الكعبة تم والرسول عليه الصلاة والسلام فى سن الخامسة والثلاثين ، أما مبعثه عليه الصلاة والسلام فكان وهو فى سن الأربعين .

[٧١] صلى الله عليه وسلم إلى الطائف . وفى سنة اثنتين وخمسين أسرى به صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس .

وفى سنة أربع وخمسين هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة . ودخل المدينة فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى من الهجرة ، وفى تلك السنة بنى صلى الله عليه وسلم مسجده . وفى تلك السنة دخل بعائشة رضى الله عنها . وفى تلك السنة رأى عبد الله الأذان فى منامه ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا بالأذان . وفى تلك السنة تزوجت فاطمة رضى الله عنها بعلى بن أبى طالب . وفى تلك السنة فرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم صوم شهر رمضان(١). وفى تلك السنة توفيت رقية (٢) بنت النبى صلى الله عليه وسلم . وفى تلك السنة كانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان(٣). سنة ثلاث من الهجرة تزوج صلى الله عليه وسلم بنت مخرمة (٤) فماتت عنده لشهرين . وفى تلك السنة تزوج صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر . وفى تلك السنة تزوج عثمان بأم كلثوم . وفى تلك السنة ولد الحسن بن على ابن أبى طالب وتوفى فى شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين من الهجرة .

وفى تلك السنة وهى سنة ثلاث من الهجرة غزا صلى الله عليه وسلم غزوة أحد واستشهد حمزة بن عبد المطلب وجماعة من المسلمين .

---

(١) المتواتر أن صوم رمضان شرع فى السنة الثانية للهجرة .

(٢) توفيت رقية بنت النبى عليه الصلاة والسلام أيام غزوة بدر .

(٣) كانت غزوة بدر الكبرى فى السنة الثانية للهجرة .

(٤) لعلها زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال ابن عامر بن صعصعة ، وكان يقال لها أم المساكين لرحمتها إياهم ورقتها عليهم . تزوجها عبيدة بن الحارث وقتل عنها ببدر ، فتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم سنة ٣ هـ وأبثت عنده ثمانية أشهر أو أقل ، وماتت عنده بالمدينة .

وسنة أربع من الهجرة غزا صلى الله عليه وسلم غزوة ذات الرقاع ، وفيها صلى صلاة الخوف (١) . وفى تلك السنة تزوج أم سلمة بنت أبى أمية (٢) .

وفى تلك السنة غزا بنى النضير (٣) فتحصنوا منه فأمر بقطع نخيلهم .

وفى تلك السنة غزا بنى المصطلق (٤) . وفى تلك السنة ولد الحسين

---

(١) ذكر ابن هشام فى السيرة ، والطبرى فى تاريخه غزوة ذات الرقاع . واختلف فى التى كانت بعد غزوة النبى صلى الله عليه وسلم بنى النضير من غزوات . فذكر محمد بن إسحاق أن الرسول عليه الصلاة والسلام أقام بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهرى ربيع وبعض شهر جمادى ثم غزا نجداً ، يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلا ، وهى غزوة ذات الرقاع . فلقى بها جمعاً عظيماً من غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين صلاة الخوف ثم انصرف بالمسلمين .

وأما الواقدى فإنه زعم أن غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات الرقاع كانت فى المحرم سنة خمس من الهجرة .

وقيل سميت ذات الرقاع لأن الجبل الذى سميت به ذات الرقاع جبل به سواد وبياض وحمرة ، نسميت الغزوة بذلك الجبل . ويقال أيضاً سميت ذات الرقاع لشجرة بذلك الموضع يقال لها « ذات الرقاع » . وقيل لها غزوة ذات الرقاع لأنهم رقعوا بها راياتهم . وقيل إنه نزل فى هذه الغزوة الآية ١١ من سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) .

(راجع سيرة ابن هشام ، ج ٢ ، ص ١٨٢ — ١٨٣ ، مطبعة البابى الحلبى بمصر ١٩٣٦ م ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ — ٥٥٩ ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر) .

(٢) أم سلمة واسمها هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانت قبل الرسول عليه الصلاة والسلام عند أبى سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وشهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فارس القوم ، وأصابته جراح يوم أحد فمات منها . وكان ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضيعه ، وأمه برة بنت عبد المطلب .

(٣) كتبت فى المخطوطة « النظير » .

(٤) كانت غزوة بنى المصطلق فى سنة ٦ هـ وليس فى سنة ٤ هـ .

ابن على بن أبى طالب وقتل فى المحرم يوم عاشوراء من سنة أربع وستين(١).
وكان مولد فاطمة رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بثمان سنين . وفى سنة خمس من الهجرة غزا صلى الله عليه وسلم غزاة الخندق وحفر على المدينة . وفى هذه السنة غزا بنى قريظة(٢)وقتلهم ، وحكم فيها سعد بن معاذ رحمه الله ، فحكم بقتل المقاتلة وسبى الذرية(٣) .

وفى هذه السنة تزوج زينب بنت جحش . وفى هذه السنة تقوّل أهل الإفك (٤) على عائشة رضى الله عنها .

وفى سنة ست من الهجرة استسقى [٧٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم . واعتمر عمرة الحديبية(٥) ووادع (٦) المشركين . وفى هذه السنة أخذ فدك .

وفى هذه السنة تزوج أم حبيبة بنت أبى سيفان بن حرب (٧) . وفى هذه السنة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله إلى كسرى وقيصر .

---

(١) المعروف أن موقعة كربلاء التى استشهد فيها الحسين بن على كانت فى المحرم من سنة ٦١ هـ.

(٢) كتبت فى المخطوطة « قريضة ».

(٣) ظاهرت بنو قريظة قريشاً فى غزوة الخندق (الأحزاب) وأشير إلى ذلك صراحة فى سورة الأحزاب ، وكاد النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه يهزمون شر هزيمة . وبعد أن انتصر النبى على بنى قريظة ، حكم فيهم سعد بن معاذ ، فجاء حكمه مطابقاً للعرف العسكرى العربى القديم ألا وهو قتل المقاتل وسبى غير المقاتل .

(٤) حدثت حادثة الإفك حين رجوع المسلمين من غزوة المريسيع (أو غزوة بنى المصطلق ابن خزاعة) ، ونزلت الآيات القرآنية بعد شهر من تلك الحادثة تبرىء السيدة عائشة مما نسب إليها وتؤكد حصانتها وتنذر من يقذف المحصنين والمحصنات ومن يقولون بأفواههم ما ليس لهم به علم بعذاب عظيم . (سورة النور : الآيات ١١ — ٢١) .

(٥) فى سنة ٦ هـ تم صلح الحديبية ، أما عمرة القضاء ، أو عمرة الحديبية فقد كانت فى أواخر سنة ٧ هـ .

(٦) كتبت فى المخطوطة « ووداع المشركين » .

(٧) كانت من مهاجرات الحبشة هى وزوجها ، فتنصر زوجها وبقيت هى على دين الإسلام .

وفى هذه السنة أدى مكاتبته (١) جويرية بنت الحارث وتزوجها .
سنة سبع ، وفى هذه السنة افتتح خيبر واصطفى من أهلها صفية بنت حيى (٢) ابن أخطب . وفى هذه السنة اعتمر هو وأصحابه عمرة القضاء ، وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية . وفى هذه السنة قدم حاطب بن أبى بلتعة من عند المقوقس صاحب إسكندرية بمارية أم ولده إبراهيم صلى الله عليهما .

وفى هذه السنة قدم جعفر بن أبى طالب من أرض الحبشة . سنة ثمان ، وفى هذه السنة كانت وقعة مؤتة (٣) ، أصيب جعفر بن أبى طالب ، وزيد بن حارثة الكلبى ، وعبد الله بن رواحة الأنصارى رضى الله عنهم وغفر لهم .

وفى هذه السنة توفيت زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى هذه السنة افتتح مكة ، وفى هذه السنة هدمت العزى (٤) وكسرت الأصنام .

---

(١) كان من سبايا بنى المصطلق جويرية بنت الحارث سيد القوم ، وكانت قد وقعت من نصيب ثابت بن قيس ، فشق ذلك على نفسها واتفقت معه على أن تتحرر بطريق المكاتبة . فلما جاءت إلى الرسول عليه الصلاة والسلام تطلب منه العون على الحصول على هذا المال ، رأى من الحكمة أن يتألفها حتى ينزع من قلبها الحقد على الإسلام ، ولا سيما أنها بنت سيد قوم مات بسيف الإسلام . فقدم الرسول إليها المال وعرض عليها الزواج منها وتزوجها . وكان من أثر ذلك أن أعتق كل مسلم من كانت بيده من أهل بيتها استعظاما منهم أن يسترقوا أصهار الرسول عليه الصلاة والسلام (انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٢ ، ص ٢٥ ، طبعة ليدن ١٣٢٢ هـ ، والطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ٦٣ — ٦٦ ، طبعة القاهرة ١٣٢٦ هـ)

(٢) كتبت فى المخطوطة « حيين » وهى من بنى النضير .

(٣) مؤتة : قرية من قرى البلقاء فى شرق الأردن جنوب شرق البحر الميت .

(٤) جاء اسم العزى فى القرآن الكريم ففى سورة النجم : (أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى) الآيتان ١٩ — ٢٠ .

وكان الحجاج إلى مكة فى الجاهلية يقدمون الذبائح والقرابين لهذه الآلهة . وكان للعزى حرم بوادى نخلة شرقى مكة ، وكانت منزلتها عظيمة عند أهل مكة . وقد عرفها عرب الجنوب باسم عزيان . وفى أحد النقوش العربية الجنوبية أن عربيا قدم لها تمثالا من ذهب لتشفى أخته المريضة واسمها أمة عزيان . وكان بعض العرب يعبدونها فى صورة كوكب الزهرة .

وفى هذه السنة غزا غزوة حنين ، وفى هذه السنة غزا غزوة الطائف.
وفى هذه السنة أعطى المؤلفة قلوبهم وفيهم أبو سفيان بن حرب .

وفى هذه السنة ولدت مارية بإبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سنة تسع من الهجرة : وفى هذه السنة توفيت أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم . وفى هذه السنة حج أبو بكر رضى الله عنه بالناس (١) . وفى هذه السنة أمر أن لا يحج مشرك ، ولا يدخل المسجد الحرام ولا يطوف أحد بالبيت عرياناً .

سنة عشر من الهجرة : وفى هذه السنة مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام .

وفى هذه السنة حج حجة الوداع .

سنة إحدى عشرة من الهجرة : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول وهو صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث وستين سنة .

وفى هذه السنة توفيت فاطمة الزهراء رضى الله عنها يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان ، وهى بنت تسع عشرة سنة ، وصلى عليها العباس ابن عبد المطلب .

---

(١) حين عاد النبى عليه الصلاة والسلام والجماعة الإسلامية إلى المدينة بعد عمرة القضاء سنة ٧ هـ ، نزلت الآيات القرآنية بفرض الحج على المسلمين . وكان الوثنيون يحجون فى الكعبة مع المسلمين .وذكر ابن هشام فى « سيرته » أنه كان بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين فريق من المشركين عهد عام يتضمن « ألا يصد عن البيت أحد جاءه » ، كما كانت بينه وبين بعض قبائل العرب عهود خاصة لآجال معينة . ثم نزلت سورة التوبة (أو براءة) وهى السورة التاسعة من القرآن الكريم . وقال الله تعالى فى الآية الأولى من سورة التوبة :(براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) ، كذلك نهى الوثنيون عن الحج إلى الكعبة ومنع المشركون من أن يعمروا مساجد الله . ولما حل موسم الحج سنة ٩ هـ بعد نزول سورة براءة أرسل النبى عليه الصلاة والسلام أبا بكر من المدينة إلى مكة كأمير للحاج .

ذكر بعض أخلاقه صلى الله عليه وسلم ليقتدى بها :

كان صلى الله عليه وسلم دائم البشر ، طيب النشر (١) ، سهل الخلق ، لين الجانب ، لا بالفظ (٢) ولا غليظ الطبع ، لا صخاباً ولا فحاشاً ، ولا مغتاباً . يتغافل عما يشتهى [٧٣] ولا يحيد عن ترك نفسه من ثلاث : المراء (٣) والإكثار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : لا يذم ولا يعيب ، ولا يتبع العورة ، ولا يتكلم إلا بما يرجى فيه الثواب . وإذا تكلم أطرق جلساؤه ، وإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده . ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته (٤) . وقد جمع فيه الحلم والصبر ، لا يغلبه شيء ولا يستفزه . وجمع له الحسن فى أربع : أخذه الحق ليقتدى به ، وتركه القبيح لينتهى عنه ، واجتهاده فى الرأى فيما يصلح أمته ، والقيام فيما جمع لهم من خير الدنيا والآخرة .

وكان صلى الله عليه وسلم يبتدئ من لقى بالسلام ، ويعود أصحابه كما يعودونه ، ويشيعهم كما يشيعونه ، ويعتنقهم كما يعتنقونه ، ويقبلهم كما يقبلونه ، ويفدهم بأبيه وأمه كما يفدونه بآبائهم وأمهاتهم . وربما زادهم فيقولون : بأبى وأمى ، فيقول صلى الله عليه وسلم : بأبى وأمى وخالى وعمى افضالا منه لأمته فى كل شيء وسبقاً إلى كل مكرمة . يتفقد أصحابه ويسأل عنهم فمن كان مريضاً عاده ودعا له ، ومن مات استرجع له واتبعه الدعاء ، وإن تخوف أن أحداً وجد فى نفسه قال : لعل أبا فلان وجد علينا شيئاً ، أو رأى منا تقصيراً ، انطلقوا بنا إليه ! ! فينطلق إلى منزله حتى يأتيه فيه . وكان إذا دعاه أحد من المسلمين حراً أو عبداً ، كبيراً أو صغيراً ، قال له : لبيك ! ! وإذا دعاه رجل من المشركين كانت إجابته له : ما تشاء ؟ ! ولقد قيل له

---

(١) النشر : الريح الطيبة .

(٢) كتبت فى المخطوطة « بالفض » .

(٣) مارى ، مراء ، ومماراة : جادل ونازع .

(٤) المسألة : الحاجة ، المطلب ، والجمع مسائل .

وهو موازر قوماً للقتال ، لو لعنتهم يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ! فقال صلى الله عليه : إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعاناً . وكان إذا سئل أن يدعو على مسلم أو كافر ، عام أو خاص ، عدل عن الدعاء له

أتاه صلى الله عليه وسلم ، جبرائيل عليه السلام ، في أول مبعثه صلى الله عليهما ، لما آذاه قومه ، وقال له جبريل : أرسلني الله إليك : فخرج معه حتى توارى من البيوت ، وقال له جبريل عليه السلام : إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك فيما تأمرني به ، إن شئت أعذب قومك بما عذب به قوم لوط وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم شعيب ، فعلت : فقال صلى الله عليه وسلم : لا أريد أن أعذب قومي ولكن أسأل الله لهم الهداية .

ويوجد في بعض التواريخ أن من آدم إلى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائتا سنة ، وستة وثلاثون سنة ، والله أعلم . ومن شرفه صلى الله عليه وسلم تسليماً أن الله مدحه ، فقال : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)(١) ، [٧٤]

فهذا أفضل الأنبياء على الله وأكرمهم وأعلمهم وأعقلهم وأعزهم وأجلهم ، وخصه من بينهم بفنون الأشياء من ابتداء الأمر إلى انتهائه : فمن ذلك ما روى عن جعفر (٢) بن محمد عن أبيه عن جده عن عليّ بن أبي طالب أن الله خلق نور محمد صلى الله عليه وسلم قبل خلق السموات والأرض ، ثم نقله إلى صلب آدم صلى الله عليه وسلم ، ثم نقله من صلب إلى صلب إلى نوح صلى الله عليه وسلم ، ثم من صلب إلى صلب إلى أن أخرجه من صلب عبد الله بن عبد المطلب . قيل لما تزوج عبد الله بآمنة ودخل بها ، وحملت بالنبي صلى الله عليه وسلم مرّت وحش المشرق إلى وحش المغرب ، ووحش

---

(١) سورة التوبة : آية ١٢٨ .

(٢) هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

المغرب إلى وحش المشرق بالبشارات فقالت : أبشروا فقد آن لأبى القاسم أن يخرج . وبقى صلى الله عليه وسلم فى بطن أمه تسعة أشهر كملا لا تشكو وجعاً ولا مغصاً ولا ريحاً ، ولم يعرض لها ما يعرض للنساء . قالت آمنة : ما شعرت أنى حملت بمحمد لأنى لم أجد ما تجد الحبالى إلا أنى أنكرت رفع الحيض .

وقالت : لما خرج من بطنى نظرت إليه فإذا هو ساجد وقد رفع أصبعه إلى السماء كالمتضرع المبتهل . اللهم صل على نبيك محمد واجعله لنا شفيعاً فى المعاد !! إنك سميع جواد

الباب العاشر

فى ذكر ما خصه الله تعالى به صلى الله عليه وسلم

خص الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن جعل شريعته إلى يوم القيامة ، وجعله خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الخلق كافة وكون كتابه معجزاً لا يمكن الإتيان بمثله . وقال عزّ من قائل : (لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)(١).

وخص بخروج الماء من بين أصابعه ، وخص بليلة القدر ، ويوم الجمعة عيد لأمته . ومنعه من قول الشعر فلا يأتى له . وأنه كان يرى ما خلفه كما يرى من بين يديه . ووجوب السواك عليه خاصاً . وجعلت الأرض له مسجداً وترابها طهوراً . وخص بصلاة العشاء الآخرة ولم تكن لنبىّ قبله . وخص بصلاة الجماعة ، وصلاة الجمعة ، وصلاة الكسوفين ، وصلاة الاستسقاء ، وصلاة العيدين ، وصلاة الليل ، والأذان ، والإقامة ، وصلاة الوتر .

وخص بإباحة الغنيمة . وكان صلى عليه وسلم أفرس العالمين ، وكان لا يهزم [٧٠] إذا لقى العدوّ وإن كثروا . وأبيح له الوصال فى الصوم . وحرم الله نكاح أزواجه على الخلق ، وجعلهن أمهات المؤمنين لقوله عزّ وجل « أمهاتهم » . وخص بإسقاط المهر ، والنكاح بلا ولى ولا شهود . وخص بهبة المرأة نفسها وهو قوله عزّ وجل : (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين)(٢) .

---

(١) سورة الإسراء : آية ٨٨ .

(٢) سورة الأحزاب : آية ٥٠ .

وحرم عليه نكاح الإماء أبداً . وخص بعد الموت أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة . وأنه أكثر النبيين أمة يوم القيامة . وأنه يشهد لجميع الأنبياء بالأداء ،وله الشفاعة وله لواء الحمد،والحوض المورود،ونهر الكوثر ، وأول من يدخل الجنة . وذكر الله عز وجل خلقه فقال : (وإنك لعلى خلق عظيم)(١) .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أن الله أرسل سائر الأنبياء ، كل نبي إلى طائفة دون أخرى ؛ وأرسل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة وهو قوله تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)(٢)؛

وكذلك أرسله إلى الجن كما أرسله الى الإنس بدليل قوله عز وجل : (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن)(٣) الآية . وقوله تعالى : (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن)(٤) .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أن الله جعله أولى بالمؤمنين من انفسهم ، لأن أنفسهم تأمرهم بالسوء إلا ما رحم ربي . ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أن الله أعطاه قبل سؤاله ما أعطى سائر النبيين بعد سؤالهم ، فمن ذلك سؤال إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه حيث قال : (ولا تخزني يوم يبعثون) (٥) . وحكم الله لنبينا ولأمته فقال عز وجل : (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه)(٦)،وسؤال موسى صلى الله عليه وسلم حيث (قال رب اشرح لي صدري *ويسر لي أمري)(٧) ؛

---

(١) سورة القلم : آية ٤ .
(٢) سورة سبأ : آية ٢٨ .
(٣) سورة الأحقاف : آية ٢٩ .
(٤) سورة الجن : آية ١ .
(٥) سورة الشعراء : آية ٨٧ .
(٦) سورة التحريم : آية ٨ .
(٧) سورة طه : الآيتان ٢٥ — ٢٦ .

وقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾(١). ومن شرفه صلى الله عليه وسلم ما حكى ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : إن محمداً صلى الله عليه وسلم أعطى خلق آدم ﷺ ، ومعرفة شيث ، وشجاعة نوح ، وحلم إبراهيم ، ورضا إسحاق ، وقوة يعقوب ، وحسن يوسف ، وشدة موسى ، وصبر أيوب ، وفصاحة صالح ، وصوت داود ، وزهد يحيى ، وعصمة عيسى ، ووقار إلياس صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أن جميع السموات كانت لا تحرس عن الشياطين ولم يرموا بالشهب ، فلما بعثه الله [٧٦] تعالى حرست السموات جميعاً بالملائكة . ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أن ملك الموت أتاه فلم يدخل عليه إلا بإذنه وخيّره بين تركه وقبض روحه ، فاستنظره إلى أن يلقى أخاه جبرائيل عليهما السلام ، فجاء جبرائيل فخبره إما موتة طيبة ، وإما حياة لا هرم فيها فاختار صلى الله عليه وسلم الموت .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أنه كان يستأذن ربّ العزّة كل يوم سبعون ألف ملك ينظرون إليه ، لما يعلمون من كرامته على ربه . ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أن الله رفع له الدنيا وما فيها إلى النفخة الأولى فنظر إليها فقال صلى الله عليه وسلم : زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها .

وقال ابن عباس رضى الله عنه : ما خلق الله نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم ، ما أقسم بحياة أحد غيره ، وأقسم على هدايته فقال : ﴿والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى﴾ (٢) ، وأقسم على رسالته فقال : ﴿يس * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم * تنزيل العزيز الرحيم﴾(٣) ،

---

(١) سورة الشرح : آية ١ .
(٢) سورة النجم : الآيات ١ – ٤ .
(٣) سورة يس : الآيات ١ – ٥ .

وأقسم على محبته فقال : (والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) (١) . وأقسم على شرف أخلاقه فقال عز وجل : (ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإنّ لك لأجراً غير ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم) (٢) . وأقسم على براءته من كل العيوب فقال : (فلا أقسم بما تبصرون * ومالا تبصرون * إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من ربّ العالمين)(٣) . وأقسم بأن ينتقم ممن يؤذيه فقال : (كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة) (٤) الآية . قيل كلا ، أى حقاً . وأقسم على بعد أعدائه من الله عزّ وجل فقال : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (٥)

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أنه نهى الخلق أن يدعوه باسمه فقال عزّ من قائل وصدق : (لا تجعلوا دعاءَ الرسول بينكم كدعاءِ بعضكم بعضاً)(٦) وإنما ينبغى أن يقولوا : يا أيها النبى ، ويا أيها الرسول .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم ما أمر الله به من تعظيمه فى الكلام فقال : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا)(٧) الآية . فجعل رفع الصوت على صوته محل الكفر بعد الإيمان .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أن الله لم يبعث نبياً قط من لدن آدم إلا أخذ عليه الميثاق ، وهو قوله تعالى عزّ وجل : (لتؤمننّ به ولتنصرنه) (٨) ،

---

(١) سورة الضحى : الآيات ١ — ٣ .

(٢) سورة القلم : الآيات ١ — ٤ .

(٣) سورة الحاقة : الآيات ٣٨ — ٤٣ .

(٤) سورة العلق : الآيتان ١٥ — ١٦ .

(٥) سورة المطففين : الآية ١٥ .

(٦) سورة النور : الآية ٦٣ .

(٧) سورة الحجرات : الآية ٢ .

(٨) سورة آل عمران : الآية ٨١ .

وأخذ النبيون على قومهم مثل ذلك ، وأشهد الله النبيين بذلك على [٧٧] أنفسهم وأشهد الملائكة عليهم السلام وشهد الله وكفى بالله شهيداً ، وذلك قوله تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين * فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) (١) .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أن الله أقسم بحياته ولم يقسم بحياة نبيّ قبله فقال جل ذكره : (لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون) (٢) .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أن الله نصره بالرعب من مسيرة شهرين بين يديه ومن خلفه ، حتى لم يتحرك لقتال أحد إلا غشيهم الرعب وأيده الله بالملائكة ، ونصره بريح الصبا ، ورفع ذكره فى الناس مع ذكره فقال عز وجل : (ورفعنا لك ذكرك) (٣) .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى قرن اسمه مع اسمه ، فليس أذان ولا خطبة ولا تشهد ولا ذكر لله إلا ذكر معه .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أنه أمر أهل السموات والأرض بالصلاة عليه ، فقال عز من قائل : (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (٤) . فأخبر عز وجل أن الملائكة يصلون عليه ، هذا مع وصفه إياهم أنهم (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) (٥) فإذا صلوا عليه تركوا بعض تسبيحهم لكرامته على الله عز وجل . ثم أمر عباده عز وجل بالصلاة عليه صلى الله عليه ، وصلاة الله عليه رحمة ، وصلاة الملائكة طاعة ، وصلاة المؤمنين حسنات لهم .

---

(١) سورة آل عمران : الآيتان ٨١ — ٨٢ .
(٢) سورة الحجر : الآية ٧٢ .
(٣) سورة الشرح : آية ٤ .
(٤) سورة الأحزاب : آية ٥٦ .
(٥) سورة الأنبياء : آية ٢٠ .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم ، أن الله تبارك وتعالى اشتق له اسماً من أسمائه ؛ فالله تعالى المحمود ، وهو محمد . وأعطاه صلى الله عليه وسلم اسمين من أسمائه فقال عز وجل : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)(١) .

وقال عز من قائل : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (٢) وقال عز من قائل : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيما) (٣) فجعل سبحانه الأمر له لطهارته عند الله وأمانته عنده على عباده . وقال تبارك وتعالى :

(وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) (٤) فجعله مغنياً لعباده .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أنزل الله فى عتابه صلى الله عليه وسلم مالم يسمع السامعون لأحد من الأولين والآخرين أحسن منه ، فبدأ بالعفو قبل التأنيب فى المخاطبة ، وقبل أن يعرف الذنب فقال : (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) (٥) ثم أنزل الله على عباده : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٦) .

ثم وضع به الأغلال التى كانت [٧٨] فى أعناق العباد والآصار (٧) التى

---

(١) سورة التوبة : آية ١٢٨ .

(٢) سورة النساء : آية ٨٠ .

(٣) سورة النساء : آية ١٠٥ .

(٤) سورة التوبة : آية ٧٤ .

(٥) سورة التوبة : آية ٤٣ .

(٦) سورة الحشر : آية ٧ .

(٧) الأصر والإصر والأصر (بالضم) : العهد ، الثقل ، الذنب . والجمع آصار .

كانت عليهم ووصفه فى الكتابين التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم ، والأغلال التى كانت عليهم . ثم أكرمه الله عز وجل قبل حسابه والنظر فيما بين عباده فقال عز من قائل : (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما) (١) .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أنه جعله الله تبارك وتعالى رحمة للعالمين (٢) ، ورحمة لمن آمن به ، ورحمة لمن لم يؤمن به من الخسف والقوارع والمسخ والعذاب .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أنه خاطب الأنبياء جميعهم بأسمائهم فقال : (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) (٣) . (يانوح إنه ليس من أهلك)(٤) (يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا)(٥)(ياموسى إنى أنا ربك) (٦). (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض)(٧) (يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى)(٨) (يايحيي خذ الكتاب بقوة)(٩) (ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله) (١٠) . ولم يسمه صلى

---

(١) سورة الفتح : آية ٢ .

(٢) قال الله تعالى فى سورة الأنبياء آية ١٠٧ (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

(٣) سورة البقرة : آية ٣٥ .

(٤) سورة هود : آية ٤٦ .

(٥) سورة الصافات : آيتا ١٠٤ - ١٠٥ .

(٦) سورة طه : آيتا ١١ - ١٢ . وكتبت فى المخطوطة سهوا « الله » بدلا من « ربك » .

(٧) سورة ص : آية ٢٦ .

(٨) سورة مريم : آية ٧ .

(٩) سورة مريم : آية ١٢ .

(١٠) سورة المائدة : آية ١١٦ .

الله عليه وسلم فى مخاطبته إياه باسمه ، فقال : (يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) (١) (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) (٢) (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) (٣) . (يا أيها النبى إذا طلقتم النساء) (٤) (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك) (٥) (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين) (٦) (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) (٧) .

(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) (٨) .

(يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر (٩) .

(يا أيها المزمل) (١٠) . (يا أيها المدثر) (١١) .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أنه نهى العباد عن الجهر ورفع أصواتهم فوق صوت النبى ، فقال : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) (١٢) .

ومن شرفه صلى الله عليه وسلم أن جعل الصلاة عليه عبادة لما روى أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من ذكرت عنده فليصل علىّ فإنه من صلى علىّ مرة صلى الله عليه عشراً » .

---

(١) سورة الأنفال : آية ٦٤ .
(٢) سورة الأنفال : آية ٦٥ .
(٣) سورة الأحزاب : آية ١ .
(٤) سورة الطلاق : آية ١ .
(٥) سورة الأحزاب : آية ٥٠ .
(٦) سورة التحريم : آية ٩ .
(٧) سورة التحريم : آية ١ .
(٨) سورة المائدة : آية ٦٧ .
(٩) سورة المائدة : آية ٤١ .
(١٠) سورة المزمل : آية ١ .
(١١) سورة المدثر : آية ١ .
(١٢) سورة الحجرات : آية ٢ .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من ذكرت عنده فليصل على وإن صلاتكم على إجابة لدعائكم وزكاة لأعمالكم ومرضاة لربكم » .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمى في ذلك الكتاب » .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على » .

وعن عمر بن الخطاب أنه قال : أكثروا الصلاة على النبي في الليلة الغراء يعني ليلة الجمعة واليوم الأزهر يعني يومها .

وعن عبد الرحمن بن عوف |٧٩| رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقيت جبرائيل عليه السلام فبشرني وقال : إن الله عز وجل يقول لك من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه . فسجدت لله شكراً » . وفيه أكثر من هذا تركته اختصاراً .

الباب الحادى عشر

فى ذكر بيعة الأنصار والنقباء وفى ذكر شيء من أخباره صلى الله عليه وسلم

يروى باسناد عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : لما واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ليلة العقبة(١) أخرجنى خالى معهم ، فلما التقوا بالعقبة (٢) قالوا له : سل لربك ولنفسك ولمن شئت منا !! قال ، قال صلى الله عليه وسلم : « أسألكم لربى أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً ، وأسألكم لنفسى أن تمنعونى ما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم وأموالكم » ، قالوا : فما لنا ؟ قال : الجنة .

خبر بإسناد عن الشعبى قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس إلى السبعين من الأنصار ليلة العقبة عند الشجرة وكان خائفاً فقال : ليتكلم متكلمكم ولا يطل الخطبة فإن عليكم من المشركين عيناً ، وقال قائلهم وهو أبو امامه : يا رسول الله !! سل لربك ما شئت منا وسل لنفسك وأصحابك وأخبرنا بما لنا على الله من الثواب إذا فعلنا ذلك .قال :

---

(١) ذكر ياقوت فى معجم البلدان أن العقبة منزل فى طريق مكة على مقربة من منى .

(٢) لما اشتد أذى قريش للرسول عليه الصلاة والسلام وخاصة بعد وفاة عمه أبى طالب وزوجه خديجة ، أخذ الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو القبائل العربية إلى الإسلام فى مواسم الحج وفى الأسواق ولكنه لم يظفر بأى تأييد من تلك القبائل حتى لاح له أمل من يثرب (المدينة المنورة) حين لقى فى السنة الحادية عشرة للنبوة (نحو سنة ٦٢٠ م) ستة نفر من الخزرج عند العقبة فدعاهم إلى الإسلام فآمنوا ووعدوا أن ينشروا الدين الجديد فى يثرب . (راجع عن بيعة العقبة الأولى والثانية ما كتبه ابن هشام فى كتابه « سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ج ٢ ، ص ٣٣ – ٣٨) .

فإنى أسألكم لربى أن تعبدوه ولا تشركوابه شيئاً ، وأسألكم لنفسى وأصحابى أن تنصرونا وتمنعرنا ما تمنعون منه أنفسكم ولكم الجنة. قالوا : لك ذلك . قال : فما سمع الشيب ولا الشبان بخطبة أقصر ولا أبلغ منها .

خبر بإسناد عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث عشر سنين يتبع الحاج فى منازلها بمهجته فى سوق عكاظ ومنى يقول : من يأوينى وينصرنى حتى أبلغ رسالات ربى وله الجنة. فلا يجد أحداً يأويه ولا ينصره حتى ان الرجل من مضر ليحذّر صاحبه ، وذا رحمه ، يقول : احذر فتى قريش لا يفتنك ، وهو يمشى بين رجالهم يدعوهم إلى الله فلا يجيبوه ، حتى بعثنا الله إليه من يثرب ، فيأتيه الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم تبق دار من دور يثرب إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام .

ثم بعثنا الله إليه فائتمرنا واجتمعنا سبعين رجلا فقلنا : متى نذر رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرد فى جبال مكة ويخاف ؟ فرحلنا حتى قدمنا عليه فى الموسم ، فواعدنا فى شعب العقبة من رجل ورجلين حتى توافينا عنده ، فقلنا : يارسول الله صلى الله عليك ، على مانبايعك ؟ قال تبايعونى على السمع والطاعة فى النشط والكسل ، وعلى النفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر [٨٠] بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى أن تقوموا لله لاتأخذكم فى الله لومة لائم ، وعلى أن تنصرونى إذا قدمت عليكم بيثرب ، وأن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم وأزواجكم ، ولكم الجنة ، فقمنا إليه فبايعناه على ذلك .

عن قتادة باسناد قال : فنقب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة اثنى عشر رجلا كل رجل على قومه فنقب من الأوس أسيد بن خضير ، وأبا الهيثم ابن نبهان ، وسعد بن خيثمة. ونقب من الخزرج ثم فى بنى النجار أسعد بن زرارة ونقب من بنى الحرث بن الخزرج عبد الله بن رواحة وسعد بن الربيع . ونقب

من عوف بن الخزرج عبادة بن الصامت (١) ، ونقب من بنى ساعدة سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو ، ونقب من بنى جشم بن الخزرج ثم من بنى رزيق رافع بن مالك . ونقب من بنى سلمة البراء بن معرور ومن بنى حزام بن كعب أبا جابر بن عبدالله بن عمرو (٢) .

أنبأنى أبو معن عيسى من ولد كعب بن مالك عن أشياخه قالوا : قال كعب بن مالك أبياتاً يسمى فيها النقباء . وذلك قوله :

ألا أبلغ أبا سفيان أن قد أضاءنا … بأحمد نور من هدى الله ساطع
ودونك فاعلم أن نقض عهودنا … أباه الملا منا الذين تبايعوا
أتاه بن عمرو والبراء كلاهما … وأسعد يأباه عليك ورافع
وسعد أباه الساعدى ومنذر … لانفك ان حاولت ذلك جادع
وابن الربيع إن تناولت عقدة … بمسلمة لايطعن ثم طامع
وفاء به والخزرجى بن صامت … بمندوحة عما تحاول واسع
وأيضاً فلا يعطيك ابن رواحة … واخفاره من دونه السم ناقع
أبو هيثم أيضاً وفى بمثلها … صبور لما أعطى من الحق جامع
فأما ابن حصن إن أريد بمطمع … فهل انت عن أحموقة الغى نازع
وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه … نخوءون لما تنوى من الأمر مانع
أولاك نجوم أسعد يهتدى بها … ونجمك نحس فى دجى الليل طالع

* * *

(١) عبادة بن الصامت : هو أحد القواد الأربعة الذين أرسلهم عمر بن الخطاب على رأس أربعة آلاف جندى عربى مدداً لعمرو بن العاص فى أثناء فتحه لمصر . كما كان على رأس المفاوضين العرب فى المفاوضات التى دارت بينهم وبين المقوقس نائب الروم فى حكم مصر ، بعد فتح العرب لحصن بابليون ، وحين طلب المقوقس الصلح مع العرب .

(٢) انظر أسماء النقباء الاثنى عشر وتمام خبر العقبة فى ابن هشام : السيرة ، ج ١ ص ٢٦٧ — ٢٦٩ . (القاهرة ، طبعة محمد على صبيح ١٣٤٦ هـ) .

قال محمد بن جعفر الثقفى عن محمد بن إسحاق (١) قال :

شهد العقبة من الأوس أحد عشر رجلا ، ومن الخزرج من بنى النجار اثنى عشر رجلا ، ومن بنى الحرث بن الخزرج سبعة رجال ، ومن بنى عوف بن الخزرج ستة رجال ، ومن بنى جشم بن الخزرج خمسة وثلاثون رجلا ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان فذلك سبعون (٢) رجلا وامرأتان . [٨١]

وقال حسان بن ثابت الأنصارى (٣) فى ذلك ، أنشدنيه عمر بن عبد الخالق قال :

---

(١) محمد بن إسحاق : هو من أشهر تلاميذ محمد بن مسلم الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ ﻫ (٧٤١ م) ، والزهرى قرشى من قبيلة زهرة ، درس فى المدينة وتنقل بين الحجاز ودمشق . وألف كتاباً فى سيرة النبى عليه الصلاة والسلام لم يصلنا . أما محمد بن إسحاق فقد ألف كتاباً فى المغازى وصل إلينا بشىء من التعديل والاختصار عن طريق ابن هشام الذى كتب سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام والذى روى عن البكائى الذى تتلمذ على محمد بن إسحاق . وقد توفى ابن اسحاق فى سنة ١٥١ ﻫ (٧٦٨ م) . انظر : دكتورة سيدة إسماعيل كاشف ، مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه ، ص ٢٨ — ٣٠ (القاهرة ١٩٦٠ م) .

(٢) على حسب الأعداد التى ذكرها المؤلف نرى أن عدد الذين بايعوا ثلاثة وسبعون رجلا وليس سبعين رجلا .

(٣) كان الشعراء فى العصر الجاهلى مفخرة لقبائلهم كما كانوا يلعبون أدواراً سياسية هامة فى إثارة الحرب أو إقامة السلام وذلك عن طريق أشعارهم وبيانهم . ودخل فى الإسلام شعراء اشتهروا فى العصر الجاهلى مثل لبيد بن ربيعة وأعشى قيس وكعب بن زهير .

وكان للرسول عليه الصلاة والسلام شاعر خاص هو حسان بن ثابت كانت مهمته الإشادة بمآثر المسلمين ، كما كان يرد على بلغاء البدو فى أسلوبهم نفسه ، وكان شديداً على الشعراء الذين يجرءون على تسخير شعرهم للإساءة إلى الإسلام .

وتذكر الروايات التاريخية أن المقوقس حاكم مصر أرسل إلى الرسول عليه الصلاة والسلام بعض الهدايا من بينها مارية القبطية وأخت لها . وقد تزوج الرسول عليه الصلاة والسلام مارية القبطية التى ولدت له ابنه إبراهيم . أما أختها فقد تزوجها حسان بن ثابت .

(انظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، ج ٤).

كذب امرؤ أضحى يعد قبيلة ... نصرت بأجمعها النبي سوانا
فسل البرية هل أجبنا ربنا ... ورسوله للحق حين دعانا
ماضرنا أن البرية كلها ... جهدت لتدرك الحروب ذرانا
ولرب مغتبط بحسن بلائنا ... لو يستطيع الهدى لشنانا
نحن الذين سروا بمكة بعدما ... نام الرقيب فزاننا مسرانا
مشيا على خوف ولم نر مثله ... مشياً يعد أبر من ممشانا
حتى عقدنا للنبي وثيقة ... فيما أحب ومثلها أعطانا
عقد العقود ببيعة محفوظة ... ألا ترى فينا له خوانا
وكفى بنا فضلا على من غيرنا ... حب النبي المصطفى إيمانا

* * *

الباب الثانى عشر

فى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى فى الخبر أنه غزا ستاً وثلاثين غزوة (١) ، ثمانى عشرة منها خرج بنفسه ، وثمانى عشرة بعث سريته ولم يخرج بنفسه . وروى فى بعض الأخبار أنه غزا أربعين غزوة .

وكانت أول غزواته أنه بلغه أن جماعة من قريش خرجوا من مكة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة من أصحابه فى صفر بعد هجرته باثنى عشر شهراً فساروا حتى نزلوا موضعاً يقال له ودان (٢) . فبعث منها عبيدة بن الحارث مع جماعة من المهاجرين فالتقوا هم وجماعة من قريش ، وكان بينهم رمى ، ثم رجعوا ولم يكن بينهم قتال غير ذلك .

ومن غزواته غزوة نخلة(٣) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش بعد هجرته بستة عشر شهراً فى أحد عشر رجلا من المهاجرين إلى عمرو بن الحضرمى مع أصحابه من قريش قد حملوا أدماً وزيتاً ومتاعاً ، فنزلوا تحت نخلة . فلما مرت عير قريش خرجوا لهم

---

(١) فى الاصطلاح أن السرية هى التى يرأس فيها جنود المسلمين قائد ندبه النبى عليه الصلاة والسلام . أما المعارك التى تكون فيها القيادة للنبى عليه الصلاة والسلام نفسه فتسمى غزوة . وقد يطلق على بعض السرايا اسم غزوات ولكن هذا نادر . وفى سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام لابن هشام تفصيل الكلام على السرايا والغزوات .

(٢) هى قرية بين مكة والمدينة ، وبينها وبين الأبواء ثمانية أميال ، أما الأبواء فهى قرية بين مكة والمدينة . وتسمى هذه الغزوة غزوة الأبواء أيضاً .

(٣) نخلة : مكان بين مكة والطائف .

وقتلوا عمرو بن الحضرمى ، وأسروا اثنين منهم ، وهرب الباقون منهم وأخذوا جميع ما كان معهم من المال وجاءوا به إلى المدينة (١) .

غزوة بدر :

وبدر اسم موضع كان القتال فيه وكان القتال فى شهر رمضان فى السنة الثانية بعد الهجرة . وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم بلغه أن عير قريش خرجت من الشام فيهم أبو سفيان بن حرب مع أربعين رجلا من كبار قريش ، ويقال سبعين رجلا . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم [٨٢] مع ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا من أصحابه من المهاجرين والأنصار (٢)

(١) كانت سرية نخلة فى آخر جمادى الآخرة فى رواية وفى آخر رجب فى رواية أخرى . ولم يرض المسلمون عما فعله إخوانهم من انتهاك الأشهر الحرم ، ورفض النبى عليه الصلاة والسلام أن يأخذ خمس ما غنموه ، وثارت ثائرة قريش لأن النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه استحلوا الشهر الحرام واعتدوا فيه على قافلتهم وقتلوا وأسروا الرجال . وأراد اليهود انتهاز الفرصة للصيد فى الماء العكر . فنزلت الآية الكريمة من سورة البقرة : (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) . الآية ٢١٧ .

(٢) اجتمع لقريش جيش كبير وأصبح مركز النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه غاية فى الدقة والحرج ، فهم إن أقدموا على القتال تعرضوا للهزيمة بسبب قلة عددهم وحرص المشركين على أموالهم ، وهم إن هزموا تعرضوا لسخرية اليهود والمنافقين فى المدينة . وكانت بيعة الأنصار فى العقبة بيعة دفاعية . وهكذا عقد الرسول عليه الصلاة والسلام شبه مجلس حربى ليستشير أصحابه وليتبين قبل كل شىء موقف الأنصار الذين كانت بيعتهم بيعة دفاعية . وبعد أن تكلم أبو بكر وعمر وغيرهما قال النبى صلى الله عليه وسلم قاصداً الأنصار : أشيروا على أيها الناس ! ! فأدرك الأنصار أنه يعنيهم بهذا السؤال وأجاب عنهم سعد بن معاذ صاحب رايتهم فقال : « لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ .. قال : أجل ! ! فقال سعد : لقد آمنا بك . وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق .. وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة .. فامض لما أردت فنحن معك .. والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً .. إنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ! ! .. » .

فبلغ الخبر إلى مكة فخرج منها ألف ومائتان وخمسون رجلا . فلما وجدوا العير، رجع ثلثمائةوبقى تسعمائة وخمسون رجلا . فلما التقى الجمعان هزم(١) الله تعالى المشركين ونصر المسلمين ، فقتلوا من المشركين سبعين رجلا وأسروا منهم سبعين . ولم تكن فى الدنيا وقعة أعظم من وقعة بدر. وذلك أن إبليس جاء بنفسه وحضرت الشياطين وحضر كفار الجن كلهم وحضر تسعمائة وخمسون رجلا من صناديد قريش . وحضر ثلثمائة وثلاثة عشر من المؤمنين ، وهم جميع أهل الإسلام وهم أفضل الخلق ، وتسعون من مؤمنى الجن وألف من الملائكة .

وروى عن الحسن البصرى : « وكان إذا قرأ سورة الأنفال(٢) قال : طوبى لجيش قائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومبارزتهم أشداء لله ، وجهادهم طاعة الله ، ومددهم ملائكة الله ، وثوابهم رضوان الله تعالى » .

غزوة السويق(٣) :

وذلك أن أبا سفيان (٤) خرج وأصحابه بعد بدر إلى المدينة، وحلف أنه لا يرجع حتى يقتل بعض أصحاب محمد . فجاء فى نواحى المدينة ونزل فى بيت يهودى ، ثم رجع وأحرق بيتين وقتل رجلين من الصحابة . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة من أصحابه فى طلبه ، فخشى أبو سفيان أن يدركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألقى ما معه من الزاد فى الطريق وهرب مع أصحابه ؛ فسميت غزاة السويق . وكان أكثر زاد القوم السويق فرجعوا ولم يكن بينهم قتال .

(١) فى المخطوطة « وهزموا » .

(٢) سورة الأنفال هى السورة الثامنة فى القرآن الكريم . وهذه السورة تتحدث بالتفصيل عن غزوة بدر وتضع أحكاماً لما نتج عنها .

(٣) السويق : نوع من الدقيق للأكل .

(٤) هو أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وكان أمية من سادات قريش فى الجاهلية ، وكان فى الشرف والرفعة كعمه هاشم بن عبد مناف . وكان أمية وهاشم يتنافسان رياسة قريش فى الجاهلية مما أدى إلى قيام العداء بينهما .

غزوة بنى قينقاع (١):

وهى من بعض نواحى المدينة حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشفع إليه عبد الله بن أبى سلول (٢) مع جماعة من أهل المدينة فتركهم .

ومنها غزوة أحد :

وذلك أن قريشاً لما رجعوا من بدر جمعوا جمعاً فى السنة الثانية وخرجوا إلى المدينة وكان القتال عند جبل أحد . وكانت الهزيمة على الكفار حتى تركت الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتغلوا بالغارة (٣) . فقتل من المسلمين يومئذ سبعون ، وجرح كثير منهم ، وانهزم الباقون . ثم صرف الله عنهم الكفار فرجعوا . فذلك قوله تعالى : (ولقد صدقكم الله وعده) إلى قوله : (ثم صرفكم عنهم)(٤) يعنى رجع الأمر عليكم .

غزوة بدر الصغرى :

وذلك أن أبا سفيان قال حين رجع من أحد : فإن الموعد بيننا وبينكم بدر الصغرى ، وكان هذا سوقاً . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سبعين من (٥) أصحابه وانتهى إلى ذلك الموضع فلم [٨٣] يخرج أحد من الكفار فرجعوا سالمين . فذلك قوله تعالى :

---

(١) بنو قينقاع من اليهود ، وكانوا يعيشون فى الآطام خارج المدينة .

(٢) هكذا كتب اسمه فى المخطوطة والمتواتر هو عبد الله بن أبى بن سلول ، وكان زعيم الخزرج كما كان على رأس المنافقين فى المدينة .

(٣) ترك فريق من الرماة مكانه فوق الجبل واشتركوا فى جمع الغنيمة والأسلاب .

(٤) نزلت الآيات الكريمة من سورة آل عمران تشرح موقف المسلمين من معركة أحد وأسباب فشلهم فيها ، وفى تشجيعهم على الصبر وعدم الاستكانة . ومن تلك الآيات ، الآية ١٥٢ التى أشار المؤلف إلى كلمات منها . قال تعالى : (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) .

(٥) « من » زيادة من عندنا لتستقيم الجملة .

(الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) إلى قوله : (لم يمسسهم سوء) (١) .

ومنها غزوة بطن رجيع :

وذلك لما بعث مرثد بن أبي مرثد مع سبعة نفر منهم عاصم بن ثابت ، حتى نزلوا بطن رجيع . فخرج إليهم جميع المشركين فقتلوهم وأسروا حبيباً ورجلا آخر حملوهما إلى مكة وقتلوهما هنالك . ولم ينج منهم إلا رجل واحد حسبوه أنه مات فتركوه فنجى .

ومنها أنه بعث محمد بن مسلمة مع جماعة من أصحابه فخرج إليهم المشركون فقتلوهم كلهم إلا محمد بن مسلمة ظنوا أنه مات فنجى من بين القتلى .

ومنها غزوة بئر معاوية :

وذلك أن عامر بن مالك كان من فرسان العرب ، وكان ملاعب الأسنة ، كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن ابعث إلينا رجلا يعلمنا القرآن ويفقهنا فى الدين وهم فى ذمتى وجوارى . فبعث إليه منذر بن عمرو الساعدى فى أربعة عشر رجلا من المهاجرين والأنصار فلما ساروا إليه بلغهم أن عامر بن مالك قد مات . فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمدهم بأربعة نفر ، فساروا كلهم حتى انتهوا إلى بئر معاوية . فخرج إليهم عامر بن الطفيل مع بعض قبائل العرب من دعفل وذكوان وعصية (٢) ، فقاتلوهم فقتلوهم كلهم مع بئر معاوية إلا عمر بن أمية الضمرى وسعد بن بن أبي وقاص ورجلا آخر ، وقد كانوا تخلفوا عن القوم فلما علموا بقتلهم رجعوا إلى المدينة ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين يوماً على تلك القبائل .

---

(١) قال الله تعالى : (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) . سورة آل عمران : الآيات ١٧٢ - ١٧٤ .

(٢) عرب من نجد.

ومنها مقتل كعب بن الأشرف :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة مع ثلاثة نفر فقتلوه .

ومنها غزوة بنى النضير (١) :

وكان سببها أن عمرو بن أمية لما رجع من بئر معاوية ودنا من المدينة قتل رجلين من بنى كلاب قد كساهما (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطلبوا ديتهما . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير مع أبى بكر وعمر وعلى يستعين على دية الكلابيين ، وقد كان بينهم عهد أن يعينوا على معاقلهم . فهمت بنو النضير بقتل النبى فأتاه جبرائيل عليه السلام فأخبره . فخرج من بين ظهرانيهم ، فأتى المدينة فجمع العسكر فحاصرهم وقطع نخيلهم وخرب بنيانهم حتى اصطلحوا على أن يتركهم ليخرجوا أو يتركوا أموالهم ، فحمل كل رجل منهم مقدار ما يحمل على بعير واحد ، وجلاهم إلى الشام . فذلك قوله عز وجل : (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم) (٣)

ومنها غزوة بنى المصطلق :

التى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم [٨٤] مع العسكر وحمل معه عائشة وتكلم فيها أهل الإفك بما قالوا حتى نزل قوله تعالى : (إن الذين جاءوا بالإفك) (٤) وهى سبع عشرة (٥) آية نزلت فى براءة عائشة رضى الله عنها إلى قوله : (والطيبات للطيبين) (٦) .

---

(١) « بنو النضير » يكتبها المؤلف دائماً « النظير » .

(٢) « كساهما » تعنى هنا « أعطاهما الجوار والأمان » .

(٣) سورة الحشر : آية ٢ .

(٤) سورة النور : الآيات ١١ — ٢٦ .

(٥) كتبت فى المخطوطة « سبعة عشر آية » .

(٦) الواقع أن الآيات التى أشار إليها المؤلف هى ست عشرة آية وليس سبع عشرة آية .

ومنها غزاة (١) ذى قرد (٢) :

وذلك أن أناساً من الأعراب قدموا وساقوا الابل من بعض نواحى المدينة ، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عايه وسلم ، وقدم أبا قتادة الأنصارى مع جماعة من أصحابه فاسترد منهم ورجعوا .

ومنها غزاة الحديبية :

خرج إلى العمرة فنزلوا بعسفان ثم نزلوا بالحديبية ، وهى اسم بئر فسميت تلك المحلة باسم بئرها ، وكان بينهم وبين المشركين رمى بالحجارة .

ومنها غزاة الخندق (٣) :

وذلك أن أهل مكة جمعوا الأعراب وأتوا المدينة مقدار ثمانية عشر ألف رجل ، وهم الأحزاب ، وحاصروا المدينة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق (٤) كيلا يدخلها المشركون فى حال غفلتهم ، وكانوا هنالك عشرين يوماً أو أكثر ، فأرسل الله عليهم ريحاً باردة فذلك قوله : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها) إلى قوله تعالى : (وكفى الله المؤمنين القتال) (٥)

ومنها غزاة بنى قريظة (٦) :

كانت بقرب المدينة وكان بينهم وبين النبى عهد ، فنقضوا العهد

---

(١) الغزوة : المرة من الغزو والجمع غزوات ، والغزاة اسم من الغزو والجمع غزوات . والمؤلف يستعمل كلمة « غزوة » وكلمة « غزاة » وكلاهما صحيح .

(٢) كتبت فى المخطوطة « ذى وفود » والمعروف « ذى قرد » كما فى سيرة ابن هشام .

(٣) كانت غزوة الخندق أو الأحزاب فى السنة الخامسة للهجرة .

(٤) تروى المراجع العربية أن سلمان الفارسى هو الذى أشار على النبى صلى الله عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة استكمالا للدفاع عنها عند الحصار . ولم تكن هذه الطريقة مألوفة عند العرب فى التحصين ولكنها كانت مألوفة عند الفرس .

(٥) سورة الأحزاب : الآيات ٩ — ٢٥ .

(٦) كتبت فى المخطوطة « قريضة » .

بقدوم الأحزاب . فلما هزم الله الأحزاب ، أتاهم النبى صلى الله عليه وسلم وحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فحكم فيهم بأن يقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم (١) فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاتلهم وهم أربعمائة وخمسون رجلا ويقال أكثر وفيهم حيى بن أخطب وكعب ابن أسد (٢) وذلك قوله : (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم) (٣).

ومنها غزاة ذات الرقاع :

وقد صلى فى تلك الغزوة صلاة الحرب ، وقد كان أصحاب الصفة(٤) حفاة وكانوا يلفون أقدامهم بالخرق من شدة الطريق ، وكانت تسقط منهم الرقاع والخرق فسميت غزوة ذات الرقاع .

ومنها غزاة خيبر :

كانت فى سنة ست من الهجرة (٥) حتى فتحها واستولى عليها .

ومنها غزاة مؤتة(٦) :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا من المهاجرين والأنصار ،

---

(١) نجح المشركون فى استمالة بنى قريظة فى أثناء غزوة الخندق ، وكان ذلك خطراً كبيراً على المسلمين فضلا عن أنه أضعف الحالة المعنوية عند الضعفاء منهم . وكان من الطبيعى بعد انتهاء تلك الغزوة أن يفكر النبى عليه الصلاة والسلام فى إنزال العقاب ببنى قريظة وتطهير المدينة منهم .

(٢) انتدبت قريش حيى بن أخطب النضرى (من بنى النضير) لاستمالة بنى قريظة إلى جانبهم ، واستطاع حيى أن يقنع كعب بن أسد سيد بنى قريظة بالانضمام إلى قريش والأحزاب .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٢٦ .

(٤) أهل الصفة ، أو أصحاب الصفة : يقصد بهم الفقراء الذين كانوا يجلسون على الصفة فى مسجد المدينة على عهد النبى عليه الصلاة والسلام .

(٥) تقع واحة خيبر شمال المدينة على طريق الشام كما يذكر ياقوت الحموى فى معجم البلدان. ويذكر الطبرى فى تاريخه وابن هشام فى السيرة ، أن هذه الغزوة كانت فى السنة السابعة للهجرة .

(٦) مؤتة : قرية من قرى البلقاء تقع جنوب شرقى البحر الميت ، فى شرقى الأردن .

وأمّر عليهم زيد بن حارثة، فقتل فى تلك الغزوة زيد بن حارثة ، وجعفر الطيار (١) ، وعبدالله بن رواحة وغيرهم .

ومنها غزاة أنمار :

خرج رسول [٨٥] الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فلم يكن بينهم قتال .

ومنها غزاة فتح مكة :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عشرون ألفاً من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، وذلك بعد ثمانى سنين من الهجرة ففتحها وظهر بها الإسلام .

ومنها غزاة بنى خزيمة :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بعد ما فتح مكة إلى بنى خزيمة فقتلهم وسباهم ، وقد كانوا ادعوا الإسلام فلم يصدقهم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برد ما أخذ منهم وضمن بدية قتلاهم .

ومنها غزاة حنين (٢) :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ومعه اثنا عشر ألف رجل إلى هوازن ، فأعجبوا بأنفسهم لكثرتهم فابتلاهم الله بالهزيمة ، ثم

(١) هو جعفر بن أبى طالب . اقتحم فى قتال مؤتة من فرس له شقراء فعقرها فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فى الإسلام . وقيل إن جعفر بن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضى الله عنه .. فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء . ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين .
(سيرة ابن هشام ، ج ٢ ص ٢٥٣ ، طبعة صبيح) .

(٢) حنين : واد بين مكة والطائف وهو أقرب إلى الطائف ، وبينه وبين مكة ثلاثة أميال.

أعانهم ونصرهم حتى ظفروا بالمشركين وهزموهم وغنموا غنائم كبيرة وهو الذى يسمى يوم أوطاس(١)، وذلك قوله تعالى : (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم)(٢) الآية .

ومنها غزاة الطائف :

ولما رجع من غزوة حنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف فحاصرها أربعين يوماً حتى فتحها .

ومنها غزاة دومة الجندل :

بعث عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه إليها مع سبعمائة رجل فاصطلحوا فأقام وتزوج منهم بتماضر(٣) بنت أسبع بن عامر وهى أم أبى سلمة بن عبد الرحمن .

ومنها غزوة تبوك :

نحو الروم فظفر بهم وغنم غنائم كثيرة .

ومنها غزوة بنجد .

ومنها غزوات سواها كثيرة لم نذكرها فمن أرادها فليقرأ المغازى .

---

(١) حين أسفر القتال فى غزوة حنين عن هزيمة ثقيف وهوازن، فر بعضهم إلى الطائف وذهب آخرون إلى سهل أوطاس ونخلة ، فتتبع المسلمون من ذهبوا إلى أوطاس ومن ذهبوا إلى نخلة على حين انصرف الرسول عليه الصلاة والسلام من وادى حنين إلى الطائف ليحاصرها .

(٢) سورة التوبة : آية ٢٥ .

(٣) كتبت فى المخطوطة « بماضر » .

الباب الثالث عشر

فى ذكر شىء من الفاظه صلى الله عليه وسلم

روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » (١) . وقال صلى الله عليه وسلم : « مثل أصحابى فى أمتى كمثل الملح فى الطعام ولا يصلح الطعام إلا بالملح »(٢) .

وعنه صلى الله عليه وسلم من طريق واثلة بن الأسفع أنه قال: «لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآنى وصاحبنى » . وعنه صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب ولا فخر » (٣) وفى خبر : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش »(٤) .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «بعثت بكسر الصليب وقتل الخنزير وإراقة الخمر» . وعنه من طريق أبى هريرة أنه قال صلى الله عليه وسلم : «لا نبى بعدى ولا أمة بعد أمتى فحلال الله حلال إلى يوم القيامة وحرام الله حرام إلى يوم القيامة » . وقال صلى الله عليه وسلم |٨٦| : « يأتى على الناس زمان لا يسلم إلا من هرب بدينه من شاهق إلى شاهق » . قال أبو حكيمة : بكى النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقالوا : يارسول الله ما أبكاك ؟ !

---

(١) رواه البيهقى ، وأسنده الديلمى عن عبد الله بن عباس بلفظ « أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم » (العجلونى الجراحى : كشف الخفاء ، ج ١ ص ١٣٢) .

(٢) رواه ابن المبارك وأبو يعلى عن أنس ، والبغوى فى شرح السنة (كشف الخفاء ، ج ٢ ص ١٩٧) .

(٣ ، ٤) وكذلك ورد الحديث بلفظ « أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش » . أورده أصحاب الغريب ولا يعرف له إسناد (كشف الخفاء ، ج ١ ، ص ٢٠٠) .

قال : « ذكرت آخر أمتى و ما يلقون من البلاء [والصابر منهم يجىء يوم القيامة] وله أجر شهيدين » . وقال صلى الله عليه وسلم : « سيلونكم بعدى أمراء يعذبونكم ويعذبهم الله بنار جهنم » .

عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا حليم إلا ذو عثرة ولا حكيم إلا ذو تجربة » (١) .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه مر بهوازن فقال : « لو كان حل على عربى رق وسبى لحل على هوازن » (٢) . ثم قال صلى الله عليه وسلم : « لا رق على عربى » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الود يتوارث والعداوة مثل ذلك » (٣) .

---

(١) رواه ابن ماجه عن أبى سعيد ، وأحمد والترمذى وابن حبان (كشف الخفاء ج ٢ ص ٣٥٤) .

(٢) المعروف أن هوازن من القبائل القيسية الذين كانوا ينتشرون انتشاراً واسعاً فى نجد ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام تربطه صلة وثيقة بهوازن إذ أن حليمة السعدية التى أرضعته من هوازن وقد قضى الرسول عليه الصلاة والسلام أيام طفولته بين قبيلتهم . ويدلنا على كرم الرسول عليه الصلاة والسلام مع هوازن ، أنه بعد فتح مكة بخمسة عشر يوماً قدمت هوازن وعلى رأسها مالك بن عوف من بنى نصر ، ومعهم ثقيف من الطائف لمحاربة المسلمين . ولما انتصر المسلمون عليهم فى غزوة حنين فى سنة ٨ هـ ، وعاد الرسول عليه الصلاة والسلام بعد حصار الطائف إلى الجعرانة (تقع الجعرانة بين مكة والطائف وهى إلى مكة أقرب) حيث كانت الغنائم التى غنمها المسلمون فى حنين ، قدم على الرسول عليه الصلاة والسلام وفد هوازن مسلمين تائبين ومتوسلين أن يرد عليهم ذراريهم وأموالهم . وقد خيرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بين أخذ السبى أو الأموال ففضلوا نساءهم وأبناءهم . وتنازل الرسول عليه الصلاة والسلام عن نصيبه ونصيب بنى عبد المطلب ، واقتدى به المهاجرون والأنصار .

(راجع أيضاً : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٤ ص ١٣٥ — ١٣٦) .

(٣) رواه الطبرانى ورواه العسكرى عن أبى بكر ، وفيه روايات أخرى مثل : « الود والعداوة يتوارثان » ، (كشف الخفاء ، ج ٢ ص ٣٣٥) .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ولو كان كافراً وبغض من أساء إليها ولو كان مؤمناً » (١) ، وفى خبر « على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها » .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى » (٢) . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الأناة من الله والعجلة من الشيطان » (٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تمح السيئ بالسيئ ، ولكن امح السيئ بالحسن فإن الخبيث لا يمحوه الخبيث » .

ومن قوله صلى الله عليه وسلم : « ما أقبح السيئات بعد الحسنات وما أحسن الحسنات بعد السيئات » . وعنه صلى الله عليه وسلم : « خير الناس أنفعهم للناس » (٤) .

ومن قوله صلى الله عليه وسلم : « بيان الخط يزيد فى الحق وضوحاً » . « حسن الملكة يمن وسوء الخلق شؤم » . « أشأم الشؤم اغتشاش الناصح » .

---

(١) بلفظ « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها » رواه أبو نعيم فى الحلية ، وابن حبان فى روضة العقلاء ، والخطيب وآخرون عن خيثمة موقوفاً وفيه كلام . (كشف الخفاء ، ج ١ ص ٣٣٠) .

(٢) بلفظ « من رآنى فى المنام فقد رأى الحق » متفق عليه عن أبى هريرة وأبى قتادة ، ورواه ابن ماجه ، ورواه أحمد والشيخان عن أبى قتادة بلفظ « من رآنى فى المنام فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتزيا بى » . (كشف الخفاء ، ج ٢ ص ٢٥٠) .

(٣) « إذا تأنيت أصبت أو كدت تصيب » رواه البيهقى عن ابن عباس ، وتكملته : « وإذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطىء » (كشف الخفاء ، ج ١ ص ٨٥) .

(٤) رواه القضاعى عن جابر (كشف الخفاء ، ج ١ ص ٣٩٣) .

« طاعة المرأة ندامة »(١) . « الهم نصف الهرم »(٢). «الرفق نصف العيش»(٣) « الداعى بلا عمل كالرامى بلاوتر». « صدقة رغيف خير من نسك مهزول ».

« الشيب نور فلا تنتفوه »(٤) . « الشعر من كسوة الله فأكرموه » .

« من لا يرحم لا يرحم » . « كل قلب إذا قسا لا يبالى إذا أسل » .

« أشعر كلمة تكلم بها العرب كلمة لبيد بن ربيعة : ألا كل شىء ما خلا الله باطل » .

« من دعى إلى طعام فلم يجب فكأنه قد عصى الله» . « من عشق فعف وكتم ومات فهو شهيد » . « لا يدخل الجنة قتّات نمام »(٥) .

« من آذى ذمياً كنت أنا خصمه يوم القيامة » (٦) . « لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى كنت مكانه »(٧) .

« ما ظفر من ظفر بإثم ». « توقّ وتنقّ » ، وروى ، « توقّه وتنقّه » .

« التحدث بالنعمة شكر » .

« انتظار الفرج عبادة » .

---

(١) بلفظ « طاعة النساء ندامة » رواه القضاعى والعسكرى والديلمى بسند ضعيف عن عائشة مرفوعاً . (كشف الخفاء ، ج ٣ ص ٢) .

(٢) رواه الديلمى عن أنس (كشف الخفاء ، ج ٢ ص ٣٣٣) .

(٣) الوارد « ما كان الرفق فى قوم إلا نفعهم ولا كان الخرق فى قوم إلا ضرهم » عن عائشة ورواه محمد بن المنكدر عن جابر « إن الرفق فى المعيشة خير من بعض التجارة » . (كشف الخفاء ، ج ١ ص ٢٣٠) .

(٤) رواه ابن منيع عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بلفظ : « الشيب نور المؤمن » . وورد بلفظ : « لا تنتفوا الشيب فإنه نور المسلم يوم القيامة » . رواه أبو داود والترمذى (كشف الخفاء ، ج ٢ ص ٢١٦ — ٣٦١) .

(٥) متفق عليه وفى معناه (كشف الخفاء ، ج ٢ ص ٣٧٢) .

(٦) بلفظ « من آذى ذمياً فأنا خصمه » أخرجه الخطيب عن ابن مسعود بهذا اللفظ وزاد : « ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » . (كشف الخفاء ، ج ٢ ص ٢١٨) .

(٧) رواه مسلم وابن ماجه عن أبى هريرة (كشف الخفاء ، ج ٢ ص ٣٤٣) .

ومن طريق أنس عنه |٨٧| صلى الله عليه وسلم : « افضل العبادة انتظار الفرج »(١) . « حسن الظن بالله من العبادة »(٢). « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس »(٣). ومن طريق أبي هريرة أنه قال صلى الله عليه وسلم: « والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين »(٤) .

---

(١) أو « انتظار الفرج عبادة » رواه الترمذى وابن أبى دينار « فى الفرج » عن سعد بن أبى وقاص ، ورروياه أيضاً وأبو داود والنسائى والبيهقى والديلمى ، كلهم عن ابن مسعود مرفوعاً . (كشف الخفاء : ج ١ ص ٢٠٦) .

(٢) رواه الحاكم وأبو داود عن أبى هريرة (كشف الخفاء : ج ١ ص ٣٥٩) .

(٣) رواه ابن ماجه والدارقطنى والحاكم والبيهقى عن عائشة مرفوعاً . (كشف الخفاء : ج ١ ص ٣٠١) .

(٤) رواه أحمد والبخارى والنسائى عن أبى هريرة (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٣٤٤).

الباب الرابع عشر

فى ذكر شئ من كلامه الذى لم يسبقه إليه احد

« ياخيل الله اركبى » (١) . « لا تنتطح فيها عنزان » (٢) . « الحرب خدعة » (٣) .

« هدنة على دخل(٤) ، ويروى ، على دخن » (٥) . « لا يجنى المرء إلا على يديه » . « ليس الخبر كالمعاينة » . « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » . « الآن حمى الوطيس » . « ابدأ بمن تعول » (٦) . « الشـــديد

---

(١) عن أنس بن مالك ، ورواه أبو داود فى السنن (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٣٧٩) .

(٢) رواه ابن عدى عن ابن عباس (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٣٧٥) .

(٣) تروى الروايات التاريخية أنه حين حاصرت قريش وأحلافها ، المدينة فى غزوة الخندق (أو الأحزاب) ، دهشت عندما رأت الخندق وفشلت فى عبوره ، ولهذا لجأت إلى الحيلة واستطاعت أن تستميل يهود بنى قريظة الذين كانوا حتى ذلك الحين موالين للمسلمين وكانت الجهة التى ينزلونها معراة اعتماداً على إخلاصهم وموالاتهم للمسلمين . ورأى النبى عليه الصلاة والسلام أن الحيلة التى اتبعتها قريش يمكن نقضها بحيلة أخرى ، فلما جاء إليه نعيم بن مسعود من قبيلة غطفان مسلماً قال له النبى عليه الصلاة والسلام : «خذل عنا فإن الحرب خدعة » . ونجح نعيم فى تفريق كلمة الأحزاب ، وساعد الله المسلمين على النجاة من نكبة كان يمكن أن تكون أشد من هزيمتهم فى أحد .

(٤) الدخل : الخديعة .

(٥) الدخن : الحقد ، الفساد .

(٦) تكملة الحديث « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » رواه الشيخان . (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٣٨٥) .

من غلب نفسه » . « الشاهد يرى ما لا يرى الغائب »(١) . « المجالس بالأمانة »(٢). « ساقى القوم آخرهم رياً »(٣). « المسلم مرآة أخيه المسلم»(٤): « ترك الشر صدقة »(٥) .

« البلاء موكل بالمنطق »(٦) : « الغنى غنى النفس »(٧) . « لاداء أدوى من البخل » . « الأعمال بالنيات » . « الحياء شعبة من الإيمان »(٨): « الحياء خير كله » . « سيد القوم خادمهم »(٩) . « اعجل الشر عقوبة البغى » . « اليمين الفاجرة تدع الديار بلا قع » .

---

(١) رواه أحمد ، ورواه أبو نعيم عن على ، والقضاعى عن أنس مرفوعاً .
(كشف الخفاء : ج ٢ ص ٣) .

(٢) رواه الديلمى والقضاعى والعسكرى عن علىّ رفعه ، ورواه أبو داود والعسكرى عن جابر بن عبد الله رفعه مع زيادة « إلا ثلاثة مجالس : سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، و اقتطاع مال بغير حق » . وأخرجه آخرون بقريب من هذا المعنى .
(كشف الخفاء : ج ٢ ص ١٩٨) .

(٣) رواه مسلم عن قتادة مرفوعاً ، وأخرجه أبو داود والبيهقى فى الدلائل ولفظ النص الوارد « شرباً لا رياً » . (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٤٤٦) .

(٤) ورد بلفظ « المؤمن مرآة المؤمن » رواه أبو داود عن أبى هريرة .
(كشف الخفاء : ج ٢ ص ٢٩٤) .

(٥) فى المواهب دون نسبة إلى أحد (كشف الخفاء : ج ١ ص ٣٠٣) .

(٦) رواه القضاعى عن حذيفة وعن على مرفوعاً . ورواه البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس ، وفيه « موكل بالقول » ورواه آخرون . وحكم عليه الصاغانى بالوضع وكذلك ابن الجوزى ذكره فى الموضوعات (كشف الخفاء : ج ١ ص ٢٩٠) .

(٧) متفق عليه عن أبى هريرة مرفوعاً ، والديلمى عن أنس رفعه بزيادة « والفقر فقر النفس» وأخرجه آخرون عن أبى ذر (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٨٠) .

(٨) متفق عليه عن ابن عمر . ورواه مسلم عن أبى هريرة (كشف الخفاء ج ١ ص ٣٦٩) .

(٩) أخرجه الخطيب عن يحيى بن أكثم ، والديلمى فى مسنده عن سهل بن سعد .
(كشف الخفاء : ج ١ ص ٤٦٣) .

« إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه »(١) . « كل ذى نعمة محسود »(٢) . « ابغ الرفيق قبل الطريق والجار قبل الدار »(٣) . « الخيل فى نواصيها الخير »(٤) . « العدة دين »(٥) .

« عدة المؤمن كأخذ باليد(٦) » .

« ليس منا من غشنا » . « المرء ذو الخديعة فى النار » ..

« المرء مع من أحب »(٧) . . من تشبه بقوم فهو منهم »(٨) .

---

(١) رواه ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعاً . ورواه أبو داود عن الشعبى مرسلا بسند صحيح ، وغيرهما كالترمذى (كشف الخفاء : ج ١ ص ٧٥) .

(٢) رواه ابن ماجه وابن عساكر عن معاذ (كشف الخفاء : ج ٢ ص ١٢١) .

(٣) وروى أيضاً « والزاد قبل الرحيل » رواه الطبرانى فى الكبير ، وابن أبى خيثمة والعسكرى فى الأمثال . ورواه الخطيب فى جامعه عن على (كشف الخفاء : ج ١ ص ١٧٩ ، وص ٣٢٧) .

(٤) تعدد رواته ومخرجوه ، وجاء بلفظ « الخير معقود بنواصى الخيل » ومتفق عليه من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه بلفظ « الخيل فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة » . وفى رواية للبخارى « معقود بنواصيها » ولمسلم « معقوص » ورواه أحمد والنسائى وأبو داود وابن ماجه عن عروة بن الجعد (كشف الخفاء : ج ١ ص ٣٩٧) .

(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط ، والقضاعى وغيرهما عن ابن مسعود ، ورواه البخارى . (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٥٧) .

(٦) رواه الديلمى : ولفظه « كالأخذ باليد » (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٥٧) .

(٧) متفق عليه عن أنس وأبى موسى وابن مسعود مرفوعاً . ورواه الترمذى عن أنس بزيادة « وله ما اكتسب » (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٢٠٢) .

(٨) رواه أحمد وأبو داود والطبرانى فى الكبير عن ابن عمر مرفوعاً .

(كشف الخفاء : ج ٢ ص ٢٤٠) .

« المرء بأخيه كبير »(١) . « رب مبلغ أوعى من سامع »(٢) .

« شر الأمور محدثاتها »(٣) .

« كلكم لآدم وآدم من تراب » . « الندم توبة »(٤) . « كل معروف صدقة »(٥) . « مطل الغنى ظلم »(٦) . « حبس المعسر ظلم » .

« الولد للفراش وللعاهر الحجر »(٧) .

« الدال على الخير كفاعله »(٨) .

« حبك للشئ يعمى ويصم »(٩) .

---

(١) رواه بلفظ « المرء كثير بأخيه » الديلمى والقضاعى عن أنس مرفوعاً . ورواه العسكرى عن سهل بن سعد مرفوعاً بزيادة « يكسوه ويحمله ويرفده » . (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٢٠٢) .

(٢) رواه أصحاب السنن وغيرهم بطرق كثيرة وألفاظ مختلفة عن ابن مسعود وغيره . (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٣١٩) .

(٣) رواه الديلمى عن عقبة بن عامر (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٧) .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم عن أبى سعيد الأنصارى مرفوعاً بزيادة : « والتائب من الذنب كمن لا ذنب له » . ورواه أحمد وابن ماجه وآخرون عن ابن مسعود . (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٣١٥) .

(٥) رواه البخارى عن جابر ، ومسلم عن حذيفة مرفوعاً مع الزيادة عند آخرين . (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ١٢٤) .

(٦) رواه الشيخان عن أبى هريرة (كشف الخفاء : ج ٢ ص ١٧٤) .

(٧) رواه الشيخان عن أبى هريرة . قال المناوى : وهو متواتر فقد جاء عن بضعة وعشرين صحابياً (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٣٣٩) .

(٨) رواه العسكرى وابن منيع والمنذرى عن ابن عباس مرفوعاً . ورواه الترمذى عن أنس وفيه روايات أخرى (كشف الخفاء : ج ١ ص ٣٨٩) .

(٩) رواه أبو داود والعسكرى عن أبى الدرداء مرفوعاً وموقوفاً ورواه أحمد عن ابن أبى مريم (كشف الخفاء : ج ١ ص ٣٤٣) .

« لا يأوى الضالة إلا ضال » .

« اتقوا النار ولو بشق تمرة »(١).

« مداراة الناس صدقة »(٢) .

« السفر قطعة من العذاب »(٣) .

« الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف »(٤)

« من تمام التحية المصافحة » . « الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس »(٥) .

« الرجل أحق بصدر مجلسه ، وصاحب الدابة أولى بصدر دابته ، وإمام المسجد أولى بإمامة مسجده »(٦) .

« احثوا فى وجوه المداحين التراب »(٧) .

« ما نقص مال من صدقة » .

---

(١) رواه الشيخان عن عدى بن حاتم ، والحاكم عن ابن عباس ، وأحمد عن عائشة ، وآخرون (كشف الخفاء : ج ١ ص ٤٢) .

(٢) رواه الطبرانى وأبو نعيم وابن السنى وابن حبان عن جابر (كشف الخفاء ج٢ ص٢٠٠)

(٣) رواه الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٤٥٣) .

(٤) رواه الشيخان وأبو داود عن أبي هريرة ، وأبو يعلى والزبير بن بكار عن عائشة ، وهو متعدد الروايات (كشف الخفاء : ج ١ ص ١١١) .

(٥) رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٣١٨) .

(٦) رواه أحمد عن حبيب بن مسلمة ، والطبرانى عن قيس بن سعد مرفوعاً . (كشف الخفاء : ج ٢ ص ١٨) .

(٧) رواه مسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم عن المقداد بن الأسود . ورواه الترمذى عن أبي هريرة ، وابن عساكر عن عبادة بن الصامت بلفظ « احثوا فى أفواه المداحين التراب » . ورواه البخارى فى الأدب المفرد . ورواه الترمذى وأبو داود بلفظ « إذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب » (كشف الخفاء : ج ١ ص ٥٦) .

« المسلمون على شروطهم فلو تكاشفتم ما تدافنتم »(١) .

« الجنة تحت أقدام الأمهات » .

« انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً »(٢) .

« يسروا ولا تعسروا »(٣) .

« لا إيمان لمن لا أمانة له »(٤) .

« المعتدى فى الصدقة كمانعها » .

|٨٨| « الرؤيا أول عابر » . « كفى بالموت واعظاً »(٥) .

« لا نذر فى معصية الله » . « على المرء رد ما أخذ حتى يؤديه »(٦) .
« اتقوا دعوة المظلوم فليس من دونها حجاب » .

---

(١) بزيادة « والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالا » . رواه أبو داود وأحمد والدارقطنى عن أبى هريرة (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٢٠٩) .

(٢) رواه البخارى عن أنس مرفوعاً بزيادة قال : « يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ .. قال : تأخذ فوق يديه » وفى لفظ « تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه » . ورواه مسلم عن جابر بلفظ مقارب (كشف الخفاء : ج ١ ص ٢٠٩) .

(٣) بزيادة « وبشروا ولا تنفروا » رواه أحمد والشيخان والنسائى عن أنس . (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٣٩٨) .

(٤) بزيادة « ولا دين لمن لا عهد له » رواه أبو يعلى والبيهقى عن أنس . ورواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر بلفظ « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له » وموضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٣٤٩) .

(٥) بلفظ « كفى بالشيب واعظاً » . رواه الديلمى عن ابن عباس (كشف الخفاء : ج ٢ ص ١١٢) .

(٦) بلفظ « على اليد ما أخذت حتى تؤديه » رواه أحمد والنسائى وابن ماجه مرفوعاً . ورواه أبو داود والترمذى بلفظ « حتى تؤدى » (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٦٩) .

« المستشير معان ، المستشار مؤتمن »(١)

« الايمان قيد الفتك » .

« طيب النفس من النعيم » .

« احترسوا من الناس سوء الظن » .

« الولد مجبنة مبخلة »(٢) .

« سبقك بها عكاشة »(٣) .

« اعقلها وتوكل » .

« الولاء لمن أعتق » .

« كل بدعة ضلالة » .

« لا طاعة فى معصية الله » .

« أزنى الزنا شتم الأعراض » .

« دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » .

« إذا غضبت فاسكت » .

« الظلم ظلمات يوم القيامة » .

« ما هو آت قريب » .

« دفن البنات من المكرمات »(٤) .

« زر غباً تزدد حباً » .

---

(١) رواه العسكرى عن عائشة بلفظ « إن المشير معان والمستشار مؤتمن » بزيادة « فإن استشير أحدكم فليشر بما هو صانع لنفسه » (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٢٠٥) .

(٢) رواه ابن ماجه عن عبد الله بن سلام ، والحاكم عن الأسود بن خلف . (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٣٣٩) .

(٣) متفق عليه عن ابن عباس (كشف الخفاء : ج ١ ص ٤٤٨) .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط ، والقضاعى عن ابن عباس (كشف الخفاء : ج ١ ص ٤٠٧) .

« طلب العلم فريضة على كل مسلم» (١).

« أنفق يابلال ولاتخش من ذى العرش إقلالا ».

« الخير أسرع إلى المنيب ».

« خياركم أحسنكم أخلاقاً ».

« ماقل وكفى خير مما كثر وألهى »(٢)

« كل الصيد فى جوف الفرا »(٣).

« إياكم وخضراء الدمن فما ينبت الربيع لما يقبل حبطاً أوبلم » (٤).

« الأنصار كرشى (٥) وعيبى ».

« اليد العليا خير من اليد السفلى »(٦) .

« فضل العلم خير من فضل العبادة »(٧) .

---

(١) رواه ابن ماجه وابن عبد البر عن أنس مرفوعاً (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٤٣) .

(٢) رواه أبو يعلى والعسكرى عن أبى سعيد ، وأخرجه الديلمى عن عقبة بن عامر جزء حديث ، والعسكرى عن أبى امامة الثعلبى فى قصة ثعلبة بن حاطب بلفظ « ويحك ياثعلبة ! ! قليل تطيق شكره خير من كثير لا تؤدى حقه » (كشف الخفاء : ج ٢ ص ١٩٢) .

(٣) رواه الرامهرمزى فى الأمثال عن نضر بن عاصم الليثى ونحوه عند العسكرى . (كشف الخفاء : ج ٢ ص ١٢١) .

(٤) رواه الدارقطنى فى الأفراد ، والرامهرمزى والعسكرى فى الأمثال ، والقضاعى فى مسند الشهاب وغيرهم (كشف الخفاء : ج ١ ص ٢٧٢) .

(٥) الكرش : الجماعة من الناس ، عيال الرجل .

(٦) رواه الشيخان وأحمد والنسائى عن ابن عمر بزيادة « واليد العليا هى المنفقة واليد السفلى هى السائلة » . ورواه الشيخان عن حكيم بن حزام بزيادة « وابدأ بمن تعول » . (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٣٨٥) .

(٧) رواه البزار والطبرانى فى الأوسط عن حذيفة ، والحاكم عنه وعن سعد بن أبى وقاص لكن بلفظ : « فضل العلم أحب الى من فضل العبادة وخير دينكم الورع » . (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٨٦) .

« إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً » (١) .

« نية المؤمن خير من عمله »(٢) .

« عمل الكافر خير من نيته » .

« استعينوا على الحاجات بالكتمان »(٣).

« لا تحقرن من المعروف شيئاً فإن المعروف كاسمه »(٤).

« قل خيراً تغنم و اسكت تسلم »(٥).

« من صمت نجا » . « الصمت حكم و قليل فاعله »(٦) .

---

(١) رواه البخارى عن أبى بن كعب ، والترمذى عن ابن عباس رفعه بلفظ « إن من الشعر حكماً » وأوله عند أبى داود بلفظ « جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكمة » . ومثل ذلك عند الطبرانى عن ابن عباس بتقديم الشعر على البيان (كشف الخفاء : ج ١ ص ٢٥٤) .

(٢) « نية المؤمن خير من عمله » و « عمل المنافق خير من نيته » أخرجه الطبرانى عن سهل بن سعد الساعدى مرفوعاً معطوفاً عليه بالواو « وعمل المنافق خير من نيته » . كما أخرج العبارة الأولى منهما البيهقى فى شعب الإيمان . وأخرجه العسكرى بسند ضعيف وفيه « ونية الفاجر شر من عمله » (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٣٢٤) .

(٣) بلفظ « استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود » . رواه الطبرانى وأبو نعيم بسند ضعيف عن معاذ ، رفعه . وكذا البيهقى والعسكرى والقضاعى . وفى رواية « استعينوا على طلب حوائجكم ... » و « استعينوا على قضاء الحوائج ... » . (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ١٢١) .

(٤) الذى رواه الطيالسى « اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط .. » (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٤٣) .

(٥) رواه العسكرى عن ابن مسعود أنه قال : « يا لسان ، قل خيراً تغنم واسكت تسلم قبل أن تندم » فقيل له : تقوله أو سمعته ؟ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه » (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٤٢٦) .

(٦) رواه البيهقى فى الشعب عن أنس مرفوعاً بسند ضعيف وصحح أنه موقوف من قول لقمان الحكيم ولفظه « الصمت حكمة ... » . ورواه الديلمى عن ابن عمر والبيهقى عن أنس ، وابن حبان فى روضة العقلاء . (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٣٣) .

« الكذب مجانب للإيمان »(١) .

« ذو الوجهين لايكون وجيهاً » .

« الخير عادة والشر لجاجة »(٢). « الخير كثير وفاعله قليل »(٣) .

« الصبر ضياء » . « رأس العقل التودد »(٤) .

« إذا تأنيت أصبت أو كدت تصيب » (٥) .

« الدين النصيحة » (٦). « ليس المواصل كالمكافئ » .

« القناعة مال لاينفد »(٧) .

« المعونة على قدر المؤونة » .

---

(١) رواه ابن عدى عن أبي بكر مرفوعاً بلفظ « إياكم والكذب فإنه مجانب للإيمان » . وهو ضعيف وإن صح معناه (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ١٠٨) .

(٢) رواه ابن ماجه والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم وآخرون عن معاوية مرفوعاً . (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٣٩٦) .

(٣) رواه الطبرانى والعسكرى عن عبد الله بن عمر مرفوعاً . وفى لفظ « ومن يعمله » ، وفى آخر « ومن يعمل به » . وأخرجه الخطيب بلفظ « وقليل فاعله » . (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٣٩٧) .

(٤) رواه الديلمى عن ابن عباس بلفظ « رأس العقل التحبب إلى الناس فى غير ترك الحق » ورواه الطبرانى فى الأوسط عن على بمثله . ولفظ البيهقى بروايات متعددة « رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس » . (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٤٢١) .

(٥) رواه البيهقى عن ابن عباس وتكملته « وإذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطىء » . (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٨٥) .

(٦) رواه مسلم عن تميم الدارى مرفوعاً . ورواه البخارى فى التاريخ عن ثوبان . ورواه البزار عن ثوبان . ورواه الترمذى والنسائى عن أبى هريرة بلفظ « إن الدين النصيحة » وهو معلق فى كتاب الإيمان من صحيح البخارى دون « إن » . ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى عن تميم (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٤١٤) .

(٧) رواه الطبرانى والعسكرى عن جابر بزيادة « وكنز لا يفنى » . ورواه القضاعى عن أنس دون الزيادة (كشف الخفاء : ج ٢ ص ١٠٢) .

« من كثّر كُثّر له » . « حصن المال زكاته »(١) .

« كاد الفقر يكون كفراً »(٢).

« العبد أخوك ».

« كرم الرجل دينه ومروءته عقله »(٣).

« من قصّر به عمله لم يبلغ به حسبه »(٤) .

« من بدا جفا والجفىّ فى النار » .

« من اتبع الصيد غفل »(٥).

« من كثر كلامه كثرت ذنوبه »(٦).

« من كثر ماله اشتد حسابه ».

---

(١) الوارد « حصنوا أموالكم بالزكاة » ضمن حديث ، رواه الطبرانى وأبو نعيم والعسكرى والقضاعى عن ابن مسعود موفوعاً . ورواه الطبرانى فى الدعاء عن عبادة بن الصامت .
(كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٣٦١) .

(٢) بلفظ « كاد الفقر أن يكون كفراً » . رواه أبو نعيم فى الحلية ، وابن السكن فى مصنفه والبيهقى فى الشعب وغيرهم . (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ١٠٩) .

(٣) بلفظ « كرم المرء دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه » . رواه أبو يعلى والعسكرى والقضاعى عن أبى هريرة مرفوعاً . والحديث روايات أخرى مع اختلاف اللفظ .
(كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ١٠٩) .

(٤) بلفظ « من أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه » رواه مسلم عن أبى هريرة . ورواه القضاعى والعسكرى . (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٢١٩) .

(٥) رواه الطبرانى عن ابن عباس ، وأحمد فى مسنده ، والبيهقى بسند صحيح عن أبى هريرة بلفظ « من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل » (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٢٣٦) .

(٦) بلفظ « من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه .. » رواه الطبرانى وأبو نعيم والعسكرى وغيرهم عن ابن عمر رفعه . وقيل إنه من قول عمر .
(كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٢٧٥) .

« من تقرب من السلطان تباعد من الله عز وجل »(١) .

« المرء على دين خليله »(٢) .

« لاخير فى صحبة من لايرى لك من الحق مثل ماترى له »(٣) .

« لاتظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك » (٤) .

« أحب حبيبك هوناً ما »(٥) .

« المؤمن ينظر بنور الله »(٦) . « الوحدة خير من جليس السوء »(٧) .

« لاتصلح الرياضة إلا فى النجيب » .

« الحق ثقيل مرى والباطل خفيف وبى »(٨) .

---

(١) بلفظ « ومن أتى أبواب السلاطين افتتن وما ازداد أحد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً » . رواه الطبرانى عن ابن عباس ، وأحمد فى مسنده ، والبيهقى بسند صحيح عن أبى هريرة (كشف الخفاء : ج ٢ ، ٢٣٦) .

(٢) وبزيادة « فلينظر أحدكم من يخالل » رواه أبو داود والترمذى ، ورواه البيهقى والقضاعى عن أبى هريرة (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٢٠٢) .

(٣) رواه الديلمى عن أنس بلفظ « لا خير لك فى صحبة ... » ورواه العسكرى بلفظ « المرء على دين خليله ولا خير فى صحبة من لا يرى لك من الخير أو من الحق مثل الذى ترى له » . (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٢٠٢) .

(٤) رواه الترمذى والطبرانى (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٣٥٦) .

(٥) تكملته « عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما » رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة . ورواه الطبرانى عن ابن عمر وابن عمرو . ورواه الدارقطنى وابن عدى والبيهقى عن على موقوفاً . ورواه البخارى فى الأدب المفرد . (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٥٣) .

(٦) بلفظ « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » . رواه الطبرانى والترمذى . (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٤١) .

(٧) رواه الحاكم وأبو الشيخ والعسكرى عن أبى ذر ، والديلمى عن أبى هريرة . (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٣٣٤) .

(٨) رواه ابن عبد البر « الحق ثقيل » وزاد « فن قصر عنه عجزه ومن جاوره ظلم ومن انتهى إليه فقد اكتفى » قال ابن عبد البر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الحق ثقيل ! ! رحم الله عمر بن الخطاب تركه الحق ليس له صديق » (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٣٦٣) .

« الأمر إلى آخره وملاكه خواتمه » .

« ارضح (١) من فضل ولا تلم على الكفاف »

« الرجل الصالح يأتى بالخبر الصالح » .

« الناس [٨٩] معادن »(٢) .

« الناس كالإبل المائة لاتكاد توجد فيها » . « راحلة الناس بأزمنتهم أشبه » .

« الناس بأزمانهم أشبه منه بآبائهم » (٣) « ليس شىء خير من ألف مثله إلا الإنسان ، وعمر خير من ألف مثله »(٤) .

« مستريح ومستراح منه »(٥) . « البادى أظلم »(٦)

« الآخر أشر الدنيا » .

« دول المال عارية » . « كن فى الدنيا كأنك غريب »(٧) . « إياك وما يسوء الأذن »(٨) . « أخذنا فألك من فيك (٩) . « لا تطرحوا الدر فى أفواه الكلاب » .

---

(١) الرضح : القليل من العطية ، اليسير .

(٢) بزيادة « كمعادن الذهب والفضة » . رواه العسكرى عن أبى هريرة . ورواه الطيالسى وابن منيع والحارث والبيهقى عن أبى هريرة بزيادة أخرى (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٣١٢) .

(٣) من قول عمر بن الخطاب وقيل إنه من قول على (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٣١١) .

(٤) « ليس شىء خير من ألف مثله إلا الإنسان » رواه الطبرانى والعسكرى عن سلمان مرفوعاً . ورواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى دينار بلفظ « لا نعلم شيئاً خيرا من ألفى مثله إلا الرجل المؤمن » مع روايات أخرى (كشف الخفاء : ج ٢ ص ١٧٠) .

(٥) متفق عليه عن أبى قتادة . قاله النبى صلى الله عليه وسلم عن جنازة مر بها عليه . (كشف الخفاء : ج ٢ ص ٢٠٥) .

(٦) قيل بلفظ « البادىء بالشر أظلم » ، ومثله « البادىء بالشر خسران » . (كشف الخفاء : ج ١ ص ٢٨٣) .

(٧) تكملته « أو عابر سبيل ، وعد نفسك فى أهل القبور » رواه البيهقى فى الشعب ، رواه العسكرى عن ابن عمر مرفوعاً . وأخرج البخارى فى صحيحه شطره إلى « أو عابر سبيل » ، وله روايات أخرى (كشف الخفاء : ج ٢ ص ١٣٤) .

(٨) رواه أحمد وأبو نعيم (كشف الخفاء : ج ١ ص ٢٧٥) .

(٩) رواه أبو الشيخ عن ابن عمر ، وأبو داود عن أبى هريرة . (كشف الخفاء : ج ١ ص ٦٦) .

« العلم خزائن ومفاتيحه السؤال» (١) . « حسن المسألة نصف العلم»(٢)
« لاغم إلا غم الدين»(٣). «تهادوا تحابوا »(٤). « العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر» (٥) . « أخبر تقله » .
« المال مفرجة » . « إذا لم تستح فاصنع ماشئت »(٦)
« الصبر معول المؤمن » . « الصبر شعار الكرام » .
« الصبر عند الصدمة الأولى » » . « العفو عز » .
« الود والعداوة يتوارثان »(٧). « المؤمن يألف المؤمن » (٨) .
« وهو غر كريم والفاجر خب لئيم»

---

(١) رواه أبو نعيم والعسكرى وبلفظ « مفتاحهما » وفى الدرر بلفظ الجمع « ومفاتيحها » وفى كليهما تأنيث الضمير (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٦٥) .
(٢) بلفظ « حسن السؤال نصف العلم » رواه الديلمى والبيهقى والعسكرى وابن السنى والقضاعى عن ابن عمر (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ١٥٨) .
(٣) الرواية « لا هم إلا هم الدين بدال مفتوحة وياء ساكنةولا وجع إلا وجع العين» رواه البيهقى والطبرانى فى الصغير عن جابر (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٣٦٩) .
(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط ، والحربى فى الهدايا ، والعسكرى فى الأمثال عن عائشة مرفوعاً . وقد جاء بروايات أخرى فى هذا المعنى (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٣١٨) .
(٥) رواه البيهقى عن الحسن البصرى . رواه ابن عبد البر والطبرانى فى الكبير والبيهقى وغيرهم فى روايات متعددة (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٦٦) .
(٦) رواه البخارى عن أبى مسعود ، ورواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى الطفيل مرفوعاً. وغيرهم ، (كشف الخفاء : ج ١ ، ص ٩٨) .
(٧) رواه العسكرى عن أبى بكر ، ورواه الطبرانى عنه ، وفيه روايات أخرى . (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٣٣٥) .
(٨) بلفظ « المؤمن يألف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » . رواه الحاكم عن أبى هريرة قال صحيح على شرط الشيخين . ورواه البيهقى والقضاعى والعسكرى عن جابر مرفوعاً بلفظ « المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس » . (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٢٩٥) .
(٩) المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم » رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة مرفوعاً . بلفظ « المنافق » بدل « الفاجر » . (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٢٩٣) .

« السعيد من وعظ بغيره » (١). « الشابان الشيطانان ». « المنتعل راكب ». « الشيب نور المؤمن » (٢). « لداخل دهشة » (٣). « نعم الشيء الهدية ». « الهدية امام الحاجة » (٤). « ترك العشاء مهرمة » (٥). « كما تدين تدان ». « التصافح يذهب بالسخيمة » (٦). « ما أملق تاجر صدوق ». « ما عال مقتصد وما يعيل ».

« لا تزال أمتي بخير ما لم يروا الأمانة مغنماً والصدقة مغرماً ». « استعينوا على المشي بالسعي ».

* * *

وجميع ما مضى من كلام النبي صلى الله عليه وسلم شواهد من كلام العرب والشعر تركته اختصاراً.

فصل فى مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته

فلما أكمل الله دينه وتمت نعمته واختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ماعنده أنزل الله تبارك وتعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) (٧).

وكان بين نزول هذه الآية وبين وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما وجدت اثنان وثلاثون ليلة.

---

(١) تكملته « والشقى من شقى فى بطن أمه » رواه مسلم عن ابن مسعود، والعسكرى فى الأمثال، والقضاعى عن ابن مسعود مرفوعاً، والبيهقى فى المدخل، والطبرانى فى الصغير دون التكملة (كشف الخفاء: ج ١، ص ٤٥٢).

(٢) خرجه الحافظ ابن حجر، رواه منيع عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله ابن عمرو، ورواه البيهقى فى الجامع عن ابن عمرو مع زيادة (كشف الخفاء: ج ٢، ص ١٦).

(٣) بلفظ « لكل داخل دهشة ». ويروى عن ابن عباس أنه قال « لكل داخل برقة »، والبرقة الدهشة (كشف الخفاء: ج ٢، ص ١٤٥).

(٤) بلفظ « نعم المفتاح الهدية امام الحاجة » رواه الديلمى عن الكشف. (كشف الخفاء: ج ٢، ص ٣٢٠).

(٥) المهرمة: بلوغ أقصى العمر.

(٦) السخيمة: الضغينة.

(٧) سورة المائدة: آية ٣.

ومذ نزلت هذه الآية لم ينزل بعدها حلال ولا حرام ، ولا أمر ولا نهى ، فحلال الله حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام الى يوم القيامة .
وأنزل قبل وفاته بليلتين : (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)(١) .

مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة رضى الله عنها ، والمسلمون يختلفون إليه فى مرضه ويقولون له : يارسول الله من خليفتك علينا ؟! وإلى من نشكو أحزاننا ؟

قال صلى الله عليه وسلم : خليفتى عليكم |٩٠| وعلى أمتى إلى يوم القيامة ؛ ولم ينص على إمام بعينه وإنما كان يأمر أبابكر بالصلاة ، لا كما قالت الروافض أنه نص على علىّ وذريته ، وإن الصحابة رضوان الله عليهم كتموا ذلك وصاروا يوم بويع أبوبكر كفاراً ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تجتمع أمتى على ضلال » ،(٢) . وقد اجتمعت الأمة على خلافة أبى بكر ، ومما يبطل دعواهم ماروى عن على بن أبى طالب أنه قال : « والله لو ولانى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر لقاتلت عليه وما أسلمته لغيرى » . وصدق على لو ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقم بما أمره لكفر . لأن الله سبحانه وتعالى قرن طاعة نبيه بطاعته ؛ فقال عز من قائل : (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)(٣). وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن وليكم بعدى حبشى مجدع فأقام فيكم كتاب الله وسنتى فاستمعوا له وأطيعوا » .
وقال صلى الله عليه وسلم فى مرضه : « يابنى هاشم ، ويابنى عبد مناف ؛

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٨١ .
(٢) « على ضلالة » : رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وغيرهم بألفاظ مختلفة . (كشف الخفاء : ج ٢ ، ص ٣٥٠) .
(٣) سورة النساء : آية ٥٩ .

ويافاطمة بنت رسول الله ، ويا صفية عمة رسول الله ، ويابنى عبد المطلب !! اشتروا أنفسكم فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً فإن الله سبحانه وتعالى يقول : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل • لأخذنا منه باليمين)(١) الآية ، وقال : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)(٢). فمن أطاع الله أدخله الجنة ولو كان عبداً حبشياً ، ومن عصاه أدخله النار ولو كان هاشمياً ، لا تنفع قرابة رسول الله مع معصيه الله فلو نفعت قرابته لنفعت أبا طالب وأبا لهب أعمامه ، ولنفعت أبويه عبدالله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب لما استغفر لهما منع من الاستغفار لهما بقوله عز وجل : (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) (٣) الآية » . ولما ثقل فى مرضه صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر رضى الله عنه فصلى بالناس . فقيل يارسول الله : إن أبا بكر رجل أسيف (٤) رحيم القلب ومتى قام مقامك يبكى فلو أمرت عمر فليصل بالناس !! فقال : يأبى الله ذلك والمسلمون ! ثم عادت عليه حفصة (٥) رضى الله عنها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إنكن لصويحبات يوسف » (٦).

ثم دعا أبا بكر رضى الله عنه وأمره بالصلاة ، فصلى بالناس إلى أن مات صلى الله عليه وسلم . وروى أنه صلى الله عليه وسلم : كشف [٩١] الستر ونظر إلى المسلمين وهم فى صلاة الفجر وأبو بكر إمامهم ، وهم صفوف خلف أبى بكر رضى الله عنه ثم تبسم فرحاً مسروراً بإمامته . فمن رضيه الله ورسوله

---

(١) سورة الحاقة : الآيتان ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) سورة المجادلة : آية ١١ .

(٣) سورة التوبة : آية ١١٣ .

(٤) الأسوف والأسيف : السريع الحزن والرقيق القلب .

(٥) حفصة : هى زوج الرسول عليه الصلاة والسلام وبنت عمر بن الخطاب .

(٦) ظاهر من توجيه الإهانة بهذا الشكل إلى حفصة بنت عمر أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يرد تدخلا من نسائه فى أمر الخلافة ، وإن كنا نستبعد مثل هذه الألفاظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحدى زوجاته .

صلى الله عليه وسلم وقدمه على أمته فى حياته ونصبه فى محرابه ، واختاره للدين وجعله إماما للمسلمين ، وأقامه فى مقامه فى حياته ؟! مع قوله صلى الله عليه وسلم : « أئمتكم شفعاؤكم إلى الله فقدموا خياركم فإنهم شفعاؤكم إلى ربكم » . وما قدمه فى الصلاة ، وهى أشرف قواعد الإسلام وأرفع الدرجات لأهل الإيمان ، إلا لفضله على من سواه .

ولذلك قالت المهاجرون والأنصار بأجمعهم رضيك رسول الله واختارك لديننا فكيف لانرضاك لدنيانا ، ولما قال لهم أقيلونى ! قالوا بأجمعهم : لاتقال ولاتستقال !! قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يؤخرك !! قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : كان رجوع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة عن سعد بن عبادة إلا بكلام قاله عمر رضى الله عنه ، إن الأنصار رضى الله عنهم قالوا : منا أمير ومنكم أمير ، فقال عمر رضى الله عنه : إن أبا بكر قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختاره للصلاة ، وهى علم الإسلام فمن يؤخره منكم ؟ ! ثم قال : نشدتكم الله !! هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر يصلى بالناس ؟! قالوا : اللهم نعم !! قال : فأيكم تطيب نفسه من أن يزيله من مقام أقامه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) ؟!

فصل فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بلغ رسالته ، وأظهر دعوته ، وبين حجته ، وأخمد الكفر والشقاق والنفاق ، وأظهر دين الله على رغم المشركين وأهل النفاق . وتوفاه الله عز وجل إلى رحمته فجزاه الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن أمته . قال الله عز وجل : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين)(٢) .

---

(١) انظر : ابن هشام ، سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ج ٤ ، ص ٣٣٥ — ٣٣٩ والطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، ٢٠٠ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٤٤ .

ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر : والله لا أسمع أحداً يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض إلا ضربته بسيفى !!

فأمسك الناس . ثم قال عمر لسالم : انطلق إلى صاحب رسول الله فادعه !! قال سالم : فأتيت إلى أبى بكر وهو جالس فى المسجد وأنا أبكى ، فلما رآنى قال : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ؟

قلت : إن عمر يقول : لا أسمع أحداً يقول إن رسول الله قبض إلا ضربته بسيفى !! فقام معى حتى أكب عليه |٩٢| وقبله ثلاثاً وهو يقول(١) وانبياه ! واحبيباه ! وامحمداه !

ثم خطب الناس فقال : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت . ثم تلا عليهم الآية الكريمة : (إنك ميت وإنهم ميتون)(٢) ، وقال عز من قائل : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) (٣) ، وقال سبحانه : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين)(٤) .

فلما خطبهم وتحققوا موت النبى صلى الله عليه وسلم قالوا : يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نصلى عليه ؟ قال : نعم ! قالوا : كيف نصلى عليه ؟! قال : يدخل قوم ويكبرون عليه ويخرجون .

فقالوا : ياصاحب رسول الله أيدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : نعم !! قالوا : أين يدفن ؟ قال : فى المكان الذى قبض فيه روحه فإن الله لا يقبض روحه إلا فى مكان طيب .

ثم أمرهم فغسلوه ثم ألحدوا له وقبروه صلى الله عليه حياً وميتاً .

---

(١) كتبت فى المخطوطة بعد يقول (فى الأولة) .

(٢) سورة الزمر : آية ٣٠ .

(٣) سورة الأنبياء : آية ٣٤ .

(٤) سورة آل عمران : آية ١٤٤ .

الباب الخامس عشر

فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه

وهو عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب ، ويقال له عتيق . وسمى الصديق لأنه أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كذبته قريش المشركون . وفيه يقول أبو محجن الثقفى شعراً :

وسميت صديقاً وكل مهاجر ... سواك يسمى باسمه غير منكر
سبقت إلى الإسلام والله شاهد ... وكنت جليساً فى العريش المشهر
وبالغار إذ سميت بالغار صاحباً ... وكنت رفيقاً للنبى المطهر

وفيه يقول أبو الهيثم :

وإنى لأرجو أن يقوم بأمرنا ... ويحفظنا الصديق والبر من عدى
أولاك خيار الحى فهم بن مالك ... وانصار هذا الدين من كل معتدى

* * *

وهو أول من أسلم من الرجال رضى الله عنه ، وأول من أسلم من النساء خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، ومن العبيد بلال بن حمامة رضى الله عنه :

وسئل ابن عباس رضى الله عنه ، أى الناس كان أولهم إسلاما ؟ فقال : أما سمعت قول حسان بن ثابت الأنصارى شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال شعراً :

إذا تذكرت شجواً من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

| ٩٣ |

خير البرية أزكاها وأعدلها بعد النبي وأوفاها بما فعلا
والثاني الثاني المحمود مشهده وأول الناس طراً أصدق الرسلا

* * *

وقيل سمى صديقاً لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما أسرى به من مكة إلى بيت المقدس فأصبح فأخبر الناس ، فأعظموه وارتاب بعض الناس ، ثم جاءوا إلى أبي بكر فقالوا له : يا أبا بكر ! ! ما بلغك ما قال محمد ؟ فقال : وما قال ؟ قالوا : إنه يزعم أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس ورجع إلى مكة ! ! فقال أبو بكر رضى الله عنه : إن قال لكم ذلك فقد صدق والله إنه ليخبرنى عن الخبر يجيئه من السماء فى ساعة واحدة فى ليل أو نهار فأصدقه ، وهو صادق فيما قال .

وقال ابن عباس : سمعت أبا الحصين يقول : ماولد آدم مولوداً بعد النبيين أفضل من أبي بكر رضى الله عنه ، ولقد قام يوم الردة (١) مقاماً لا يقومه إلا نبى من الأنبياء ، ولقد أسلم على يدى أبي بكر رضى الله عنه(٢) أكثر من أسلم بالسيف . ولقد منعت العرب الزكاة وارتد من ارتد منهم ، وكرهت الصحابة قتالهم وجبنوا عن الحرب وخافوا من سطوة العرب(٣) ، فتقلد أبو بكر سيفه وقال : والله لو منعونى عقال بعير مما أعطوه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه .

---

(١) اشتهر أبو بكر الصديق بالشجاعة والثبات فى الخطوب فضلا عن أنه كان محبباً لقومه . وتجلت شجاعة أبي بكر وصموده فى موقفه من المرتدين وحركة الردة ، واستطاع أبو بكر فى خلال سنة من توليه الخلافة أن يقضى على حركة الردة وأن يوحد كلمة العرب بعد أن تمزق شملهم أو كاد ، وأن ينهض بإتمام نشر الدعوة الإسلامية .

(٢) « عنه » زيادة من عندنا .

(٣) أشار المؤرخون إلى شجاعة أبي بكر وثباته فى الخطوب وإلى ما فعله مع المرتدين ، وقد خرج بنفسه لقتالهم عندما هاجموا المدينة ، وكان قد أرسل الجيش الذى كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد أمر عليه أسامة بن زيد بن حارثة ليغزو قضاعة فى أطراف الشام . وقد ناشد الصحابة أبا بكر ألا يعرض نفسه للخطر فأبى وقال : « والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسى » . (الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ص ٢٢٤) .

وقال عمر رضى الله عنه كنا نرى أن لنا من العلم على أبى بكر، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما كان علمنا عنده إلا كعلم الصبيان عند المعلم، وهو أرسخ الصحابة علماً وأعلاهم حكما وأقربهم فى المشكلات فهماً ثم لم يكن شىء من الحوادث المهمة والنوازل المشكلة إلا وجد عنده بها علم، وفضائله أكثر من أن تحصى. فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستخلف على أمته أحداً، علم المسلمون أنه لا يسعهم أن يقيموا دين الله إلا بإمام يعمل بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله وعليه وسلم، ويقوم بأمور المسلمين ومصالحهم وقبض صدقاتهم، وإقامة الحدود، وحفظ الأموال، وتجهيز الجيوش، والجهاد، وتصريف الأمور، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغيره، كما قال عز وجل: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)(١) الآية، فلم يروا أفضل من أبى بكر رضى الله عنه ولا أولى بالتقدم منه. لأنه أولهم إسلاماً، وأقدمهم هجرة، وأولهم لرسول الله محبة، وأكثرهم معرفة، وأشجعهم قلباً، وأثبتهم جأشاً، وأحسنهم سيرة، وأسمحهم نفساً [٩٤] وأضبطهم سياسة. رتب أمور المسلمين بأحسن ترتيب، وهذبها أفضل تهذيب. وجمع شمل الدين بعد تشتيته، ورأب صدع الإسلام بعد تشعبه، وساس الأمور، وانتظم به الجمهور، فقدموه، وكان للملك أهلا. واتبع كتاب الله وأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحارب من ارتد إلى الشرك، ومن منع الزكاة حتى دخلوا فيما كانوا منه خرجوا. ولقد بلغنا أنه قال: «والذى نفس أبى بكر بيده لو منعونى عقالا من الزكاة لقاتلتهم عليه حتى ألحق بالله أو يعطوا ما منعوا من حق الله». فلما رأى المسلمون أنه مستحق الإمامة، عقدوها له فى سقيفة بنى ساعدة بعد تنازع من المهاجرين والأنصار حتى قال الحباب بن المنذر أنا جذيلها المحكك (٢)، وعذيقها المرجب(٣)!! منا أمير ومنكم أمير.

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠

(٢) «أنا جذيلها المحكك» أى الذى يحتك به كثيراً، وهو مثل لمن يلتجأ إليه ويستغنى برأيه.

(٣) رجب [...] به وعظمه رجب النخلة جعل لها ما تعتمد عليه لضعفها، أو وضع حولها الشوك لئلا يصل إليها أحد، ومنه قول القائل: «أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب».

قال لهم أبو عبيدة بن الجراح (١) رضى الله عنه : من ذا الذى يعزله عن مقام أقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ؟! فأذعن الجميع وقالوا : رضينا بمن رضيه رسول الله لنا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاره لديننا ، فنحن نختاره لديننا ودنيانا . ثم بايعوه رضى الله عنه ، ثم بايع الناس . ثم صعد المنبر فى اليوم الثانى فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال : وليتكم ولست بخير منكم ، إن زغت(٢) فقومونى وإن أحسنت فأعينونى ، ثم أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم . ثم قال فى خطبته . لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق(٣).

ثم جهز جيش أسامة بن زيد وبث السرايا والأجناد ، وقاتل أهل الردة وغيرهم حتى دخلوا فيما كانوا منه خرجوا ، وأعطوا ما منعوا من حق الله ، فأعانه الله و نصره وأرشده وحفظه . وقد قال العزيز الحكيم : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً)(٤) ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً . (ومن يتوكل على الله فهو حسبه)(٥). فسار رضى الله عنه أحسن سيرة ، ولم ينقم

---

(١) اشتهر أبو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح بالشجاعة وتفانيه فى خدمة الدين الإسلامى فسماه النبى عليه الصلاة والسلام « الأمين » . وقد أسرع لنجدة النبى عليه الصلاة والسلام فى واقعة « أحد » ، كما رافقه فى غزواته الأخرى ، وكانت له قيادة الجند فى كثير منها . ثم بعث به النبى عليه الصلاة والسلام إلى نجران ليعلم الإسلام هناك .

(٢) زاغ : زوعاً وزوغاناً : مال وجار .

(٣) القسطلانى : إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى ، ج ١٠ ، ص ٢١٩ .
(باب وجوب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن تلك الطاعة معصية) إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . ومن الأحاديث فى ذلك : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى » . وقال عليه الصلاة والسلام « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

(٤) سورة الطلاق : آية ٢ .

(٥) سورة الطلاق : آية ٣ .

عليه أحد من المسلمين فى حكمه وقسمه ، واتبع آثار النبى صلى الله عليه وسلم حتى فارق الدنيا والمسلمون عنه راضون ، وله مجامعون ومؤازرون ، كلمتهم واحدة وطاعتهم له قائمة .

فلما حضرته الوفاة لم يأل أن ينصح لله ولدينه وللمسلمين ، وأن يختار لهم أفضلهم فى نفسه وأعلمهم بما يأتون وما يتقون ، فسدده الله [٩٥] تعالى وأرشده ، وكانت خلافته سنتين .

الباب السادس عشر

فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ، وهو الفاروق ، وقيل سمى الفاروق لأنه قتل رجلا لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو الذى دعا له النبى صلى الله عليه وسلم أن يعز الله الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل بن هشام ، فاستجيبت الدعوة فى عمر رضى الله عنه ، فأظهر الله به الدين ونصر به المسلمين وأعز به الحق المبين .

فلما أسلم عمر (١) ، قال : لا يعبد الله سراً بعد اليوم !! فأنزل الله فيه : (يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)(٢) : قال ابن عباس أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة وثلاثون رجلا ثم أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فصاروا أربعين رجلا فأنزل الله على نبيه (يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) فكان عمر يقول لأهل مكة وهو يحاربهم (٣)

---

(١) عمر بن الخطاب : ينتسب عمر بن الخطاب إلى عبد العزى بن رباح بن عدى بن كعب ، ويجتمع نسبه مع الرسول عليه الصلاة والسلام فى الجد السابع ، ويجتمع معه من جهة أمه فى الجد السادس . وأمه من بنى مخزوم ومنهم الأرقم بن أبى الأرقم الذى كان يجتمع فى داره الرسول عليه الصلاة والسلام ، والمسلمون فى مرحلة الاستتار . وقد أسلم عمر بن الخطاب هو وحمزة ابن عبد المطلب فى السنة الخامسة للدعوة . وحين أتى عمر بن الخطاب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام معلنا إسلامه كبر الرسول عليه الصلاة والسلام وكبر المسلمون . ولما أسلم عمر اشتد ساعد المسلمين وهابتهم قريش ، وصار المسلمون يدعون إلى الإسلام جهارا وخرجوا من دار الأرقم .

(انظر ابن هشام : سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ج ١ ، ص ٣٦٤ - ٣٧٠ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ١٧ ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ج ٤ ، ص ٥٣ ، ٥٨) .

(٢) سورة الأنفال : آية ٦٤ .

(٣) كان عمر بن الخطاب من أشد الناس على الكفار بعد إسلامه . وصحب عمر الرسول عليه الصلاة والسلام بعد إسلامه فأحسن صحبته ووقف حياته على نصرة الإسلام والذود عنه. =

ويخاصمهم ويناظرهم (١) : لو بلغت عدتنا مائة رجل لتركتموها لنا أو تركناها لكم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم له : « والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك » .

وكان كثيراً مانزل من القرآن بموافقته (٢) ، فمن ذلك تحريم الخمر وغيره كثير .

وكان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو اتخذنا مقام إبراهيم مصلى !! فأنزل الله : (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) (٣) . وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يدخل عليك البر والفاجر فلو حجبت نساءك ! فأنزل الله آية الحجاب (٤) .

ولما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى على عبد الله بن أبى بن سلول (٥) المنافق أخذ عُمر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : يارسول الله : تصلى عليه وهو منافق وقد نهاك الله أن تستغفر لهم !! فقال

= وكان مع الرسول عليه الصلاة والسلام فى بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان وفى غزوة خيبر والفتح وغيرها . وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يستشير عمر فى كثير من الأمور وكثيراً ما كان يشير بالأمر فينزل القرآن الكريم موافقاً لما أشار به . وكذلك كان أبو بكر يستشير عمر فى مهام الأمور . وأثر عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « عمر معى وأنا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان » . (انظر : الطبرى : تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، ج ١ ، ص ١٦٢) .

(١) كتبت فى المخطوطة « ويناضرهم » .

(٢) وهو ما أشرنا إليه فى هامش (٣) من الصفحة السابقة ، أى أنه كثيراً ما كان يشير على الرسول عليه الصلاة والسلام بالأمر ، فينزل القرآن الكريم موافقاً لما أشار به .

(٣) سورة البقرة : آية ١٢٥ .

(٤) أنزل الله تعالى الآيات الكريمة الخاصة بنساء النبى عليه الصلاة والسلام فى سورة الأحزاب : الآيات ٢٨ — ٣٤ .

(٥) أشرنا قبل ذلك إلى أن عبد الله بن أبى بن سلول كان زعيم المنافقين فى المدينة.

عليه السلام : إنما خيرنى الله فقال : (استغفر لهم أو لاتستغفر لهم)(١) . فأنزل الله : (ولاتصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره)(٢)

ولما استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر ، فأشار أبو بكر رضى الله عنه بالفداء ، وأشار عمر رضى الله عنه بالقتل . فلما فاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله : (ماكان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما [96] أخذتم عذاب عظيم)(٣).

فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو نزل عذاب ماسلم منه إلا عمر » ، وفى رواية : « لو عذبنا الله فى هذا الأمر مانجى غير عمر » .

وهو الذى فتح الفتوح ، وأمات الكفر ، وأظهر الإسلام ، وقوى الدين ، وسد فاقة المسلمين بتدوينه الدواوين (٤) . وأعلى منار المسلمين، وفتح العراقين (٥) ، وبلاد فارس ، وخراسان ، وكرمان ، وسجستان وجميع مكران ، وبلاد الشام ، ومصر ، وأدربيجان (٦) ، حتى علت كلمة أهل الإيمان والإسلام ، وذلت عبدة الأوثان والأصنام ، وهدمت بيوت النيران .

(١) سورة التوبة : آية ٨٠ . (٢) سورة التوبة : آية ٨٤ .

(٣) سورة الأنفال : الآيتان ٦٧ ، ٦٨ .

(٤) كان عمر بن الخطاب أول من دون الديوان من العرب فى الإسلام ، وكان ديوان عمر هو ديوان الجند . وكان الدافع لذلك كثرة الأموال الواردة من البلاد التى فتحها المسلمون فأراد عمر تنظيم توزيعها . كذلك أراد عمر أن يحفظ سجلا بأسماء المحاربين هم وأسرهم وأن يخصص لكل راتباً معيناً ليضمن مورده المالى . أما من لم يكن فى ديوان الجند فكان عمر يوزع عليهم الأموال مما يجبى من الصدقات (انظر : البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤٥٣ — ٤٥٦ ، ٤٦٣ ؛ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ١٦٢ — ١٦٣ ؛ الجهشيارى : كتاب الوزراء والكتاب ، ص ١٦ — ١٧ ، الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٩١ ؛ ابن طباطبا (ابن الطقطقى) : الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ص ٧٩ — ٨٠) .

(٥) كان العراق البيزنطى ، أو شمال العراق ، بيد الروم (البيزنطيين) ، وكان العراق العجمى ، أو جنوب العراق ، بيد الفرس .

(٦) أذربيجان .

واشتد على أهل الدعارة (١) والنفاق ، وأخذ بكتاب الله ، وحكم بحكم الله ، واقتدى بسنة رسول الله . واتبع طريق أبى بكر الصديق رحمه الله . وفرض فرائض الله ، وأقام حدود الله . وأنزل نفسه وأهل بيته بمنزلة رجل من المسلمين لايستأثر عليهم بشىء ولايجوز عليهم شيئاً .

يستعمل خيار المسلمين ، ولا يشتكى من عامل(٢) ، أو ذى ريبة إلا عزله ، فجعل القريب والبعيد فى العدل سواء . فلبث ماشاء الله أن يلبث ، والمؤمنون له حامدون وعنه راضون ، لايرتابون بشىء من عمله ، ولا يرون منه إلا مايحبون ، مذعنين لطاعته ، يعلمون أن طاعته من طاعة الله . قال عز من قائل : (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (٣) .

فلما اختار الله له مالديه أكرمه الله بالشهادة على يدى عدو الله بى لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة الثقفى : طعنه ، فجعل الناس يبكون حوله . فقال رضى الله عنه : مايبكيكم ؟ قالوا : نخاف من بعدك الفتنة !! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرهم الفتنة ، وكان رسول الله صلى الله وسلم يقول : « فيكم من هو أشد على أمتى من الدجال »

فقال عمر رضى الله عنه : دينكم واحد ، وسنتكم واحدة ، وكتابكم واحد ، وقد أثر الأول للآخر فمن أعطاكم الحق فاسمعوا له وأطيعوا ومن خالف الحق فاضربوا أنفه بالسيف ، ألا وإنى تركت الإيمان من بعدى على مثل المحجة (٤) فمن تركها فارغموا أنفه !!

---

(١) الدعارة : الخبث ، والفسق ، والفساد ، وسوء الخلق .

(٢) العامل : يعنى الأمير أو صاحب الولاية ، أو صاحب المنصب الإدارى أو السياسى أو الحربى ، فيقال مثلا العامل على مصر أو صاحب مصر ، والعامل على الشرطة أو صاحب الشرطة ، والعامل على الحرب أو صاحب الحرب وهو القائد الأعلى للجيش ، والعامل على البريد أو صاحب البريد ... إلخ .

(٣) سورة النساء : آية ٥٩ .

(٤) المحجة : جادة الطريق ، أى وسطه : الجمع محاج .

و طلب الناس أن يستخلف عليهم فقال رضى الله عنه : إن تركتكم فقد ترككم من هو خير منى ، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن استخلفت عليكم فقد استخلف من هو خير منى ، يعنى أبا بكر رضى الله عنه ، ولكن اجعل الأمر بينكم شورى .

ذكر الشورى :

فاختار |٩٧| عمر رضى الله عنه ستة نفر لم يألوا أن يختاروا أفضلهم فى نفسه منهم ، عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبى وقاص (١) . فجعل أمر الناس إليهم ، وأمر صهيب الرومى أن يصلى بالناس حتى يجتمع أهل الشورى .

وبلغنا أن عمر رضى الله عنه قال لهم لما طلبوا أن يستخلف عليهم ، قال : لو كان سالم حياً لوليته عليكم ولم تخالجنى فيه الشكوك ، سالم مولى أبى حذيفة (٢) .

وقيل إن عمر رضى الله عنه أحضر ستة نفر الذين اختارهم للشورى فقال لهم ووعظهم وحذرهم ، وقال لعثمان بن عفان : اتق الله إن وليت أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلا تحملن بنى أبى معيط (٣) على رقاب الناس ، واتق

---

(١) كان هؤلاء الستة من أصحاب النفوذ بين الصحابة ولكل منهم مؤيدوه ، فكان على بن أبى طالب رئيس بنى هاشم ، وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف زعيما بنى زهرة ، وعثمان بن عفان شيخ بنى أمية ، وطلحة سيد بنى تيم ، والزبير بن العوام سيد بنى أسد .

(٢) تروى الروايات أن عمر بن الخطاب قال : « لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً استخلفته فإن سألنى ربى قلت : سمعت نبيك يقول : إنه أمين هذه الأمة ، ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً استخلفته ، فإن سألنى ربى قلت : سمعت نبيك يقول: إن سالماً شديد الحب لله » .

(انظر ما روى بشأن خليفة عمر : الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ، ص ٣٤ — ٣٧) .

(٣) من بنى أبى معيط ، الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وهو أخ عثمان لأمه .

الله يا على إن أنت وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلا تحملن بنى هاشم على رقاب الناس ، وقال ذلك لعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله ، والزبير ، وسعد ، وهم الذين اختارهم .

أمر الشورى :

فلما قبض عمر رحمه الله ورضى عنه اجتمع النفر وتشاوروا بينهم ، فأقبل المقداد بن الأسود ، فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فناشدهم وقال لهم ، لاتولوا أمركم رجلا لم يشهد بيعة الرضوان ، وفر يوم أحد ، يعنى عثمان بن عفان . فولى القوم أمرهم عبد الرحمن بن عوف رحمه الله لحفظ رأيه وحرصه على الخير ومنزلته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلم يأل عبد الرحمن أن يختار أفضلهم فى نفسه ، وآخذ عليهم العهدو الميثاق أن من تولى الأمر منهم ، أن يعمل بكتاب الله وسنة نبى الله ، وأن يسير سيرة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . فولى الأمر عثمان واختاره منهم لسنه وقدمه فى الإسلام ، ولما كان يرجى عنده من الخير . فولاه أمر المسلمين ، وأول من بايعه عبد الرحمن بن عوف على طاعة الله وطاعة رسوله وسنته ، وعلى ما مضى عليه نبى الهدى صلى الله عليه وسلم ، وسيرة الخليفتين رضى الله عنهما ، وأخذ عليه العهد والميثاق وأشهد الله وملائكته والمسلمين عليه .

وكانت خلافة عمر رضى الله عنه عشر سنين .

الباب السابع عشر

فى خلافة عثمان بن عفان بن أمية بن عبد شمس

فقبل عثمان البيعة لما سبق فى علم الله من وقوع الفتنة ، وقد حذرهم الله إياها ، ولم يبرئهم منها ، إذ يقول فيما أنزل ، على لسان نبيه : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) ، يعنى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (واعلموا |٩٨| أن الله شديد العقاب) (١) . وقال عز من قائل : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) (٢) وقال سبحانه : (الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)(٣). فعمل عثمان بالحق ماشاء الله ست سنين ، وهو فى ذلك دون صاحبيه ، والمسلمون له مجامعون وموازرون ، يعلمون أن طاعته عليهم واجبة ، حتى بسطت له الدنيا ، وفتحت له خزائن الأرض ؛ أحدث أحداثاً أنكرها المسلمون ولم يعرفوها من سيرة نبى الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من سيرة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، من تعطيل الحدود ، وإدالة المال بين الأغنياء(٤) واستعمال(٥) السفهاء من قرابته ، وتحريفه كتاب الله (٦) ، وتوليته للوليد بن عقبه بن

---

(١) سورة الأنفال : آية ٢٥ .

(٢) سورة محمد : الآيتان : ٢٢ – ٢٣ .

(٣) سورة العنكبوت : الآيتان ١ – ٢ .

(٤) قال الله تعالى : (كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم) سورة الحشر : آية ٧ .

(٥) استعمال : تولية العمال .

(٦) نقم عليه المسلمون لأمور كثيرة منها أنه أخذ خمس « الله » فى الغنائم لنفسه وأعطى منه أقاربه ، وكان ذلك تبديلا لحكم الله . فقد فرض الله تعالى الخمس لله (وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) سورة الأنفال آية ٤١ . (انظر كتاب عبد الله بن أباض إلى عبد الملك بن مروان : البرادى : الجواهر المنتقاة ، ص ١٥٦ – ١٦٧ ، السيابى السمائلى : إزالة الوعثاء عن أتباع أبى الشعثاء ، ص ٨٦ – ١٠٠) .

أبي معيط على أهل الكوفة ، وهو من أفسد أهل زمانه ، وارتقائه بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحمى قطر (١) السماء عن عباد الله ، وحمى البحر أن تجرى فيه السفن ، وحمى سوق المدينة ، ورد الحكم بن أمية ؛ وهو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوصله من بيت مال المسلمين بمائة ألف ، ووهب لمروان بن الحكم خمس إفريقية وإيثاره قرابته وبناته ونساءه. وأنفق على صناعة دوره من مال الله ما لم يأذن الله به ، وتوليته عبدالله ابن أبي سرح ، وهو عدو الله ، وقد أهدر نبي الله دمه لأنه ارتد عن الإسلام إلى الشرك . ونفى أباذر – رحمه الله – إلى الربذة (٢). وضرب عمار بن ياسر رحمه الله إلى أن فتق بطنه ، وضرب عبدالله بن مسعود إلى أن كسر أضلاعه ومات من ضربه ولما قتل عبيد الله بن عمر الهرمزان فلم يقده به وعطل الحدود (٣) وكتب إلى عامله بمصر يأمره بقتل المسلمين لما نقموا عليه فعله ، وأظهر لهم التوبة من ذنبه ، وكتب إلى عامله بقتلهم ثم بدأهم بالفتنة ، رمى رجل من أصحابه رجلا من المسلمين يقال له دينار ابن عياض ؛ فطلبوا إليه أن يقيدهم بصاحبهم فامتنع وعزل خيار المسلمين وولى السفهاء من قرابته ، ومنع كبار الصحابة أعطياتهم مثل ابن مسعود وغيره ، وفي ذلك يقول عبد الرحمن يعدد عليه مساوئه

---

(١) جاء في كتاب عبد الله بن أباض إلى عبد الملك بن مروان أن عثمان منع مواضع القطر وحماها لنفسه ولأهله ، ومنع الرزق الذي أنزله الله لعباده متاعاً لهم ولأنعامهم . وقد قال الله عز وجل (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون) سورة يونس آية ٥٩ (انظر السيابي السمائلي إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء ، ص ٩٠) .

(٢) الربذة : قرية صغيرة بالقرب من المدينة .

(٣) أفاضت كتب أهل السنة ، والأباضية ، والخوارج والشيعة ، في الحديث عما نسب إلى عثمان بن عفان بعد السنين الأولى من حكمه . مثلما نجد في السيرة النبوية لابن هشام ، والأخبار الطوال للدينوري ، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ، ومروج الذهب للمسعودي .

أحلف بالله جهد اليمين ما خلق الله أمراً سدى

[٩٩]

ولكن جعلت لنا فتنة لكى يبتلى بك من يبتلى

دعوت الطريد فأدنيته خلافاً لما سنّه المصطفى

ووليت قرباك أمر العباد خلافاً لسنه من قد مضى

وأعطيت مروان خمس الغنيـ ـمة آثرته وحميت الحمى

ومالا أتاك به الأشعرى من الفيء أعطيته من دنا

وأن الأمينين قد بينا منار الطريق عليه الهدى

فما أخذا درهماً غيلة ولا قسما درهما فى هوى

* * *

« اللهم إنا نسألك الثبات على طاعتك ياكريم »(١) .

واستعمل الوليد بن عقبة على الكوفة ، فجعل يلعب بالسحرة ، والساحر والساحرة ، إنه يقتل إنساناً ويحييه ، فلما مر جندب بن زهير الأزدى ، وهو يفعل ذلك ، ضربه بالسيف وقطع رأسه ، وقال له : إن كنت صادقاً فأحيِ نفسك !! وفيه يقول سراقة الطائى :

ولا جندب ارضاك بالسيف ضربة

على ساحر فى حافة السوق لاعب

وصلى الوليد بالناس وهو سكران ، وزاد فى الصلاة . وفيه يقول على بن الهيثم شعراً :

---

(١) جملة اعتراضية للمؤلف .

تكلم فى الصــلاة وزاد فيها مجاهرة وغالا بالنفـــاق
اردت الخمر عن سنن المصلى ونادى والجميع إلى افــتراق
ازيدكم على أن تحمــدونى فمالــكم ومالى من خــلاق

* * *

وصلى(١) فى منى أربع ركعات ، وإنما صلى نبى الله وأبو بكر وعمر ركعتين . وحرم قراءة ابن مسعود ، وقراءة أبى بن كعب ، وأمر الناس أن يقرءوا على حرف واحد ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم إن القرآن أنزل على سبعة أحرف(٢) كلها شاف وكاف . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سره أن يقرأ القرآن غضاً كيوم ما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد »(٣) .

وحرق المصاحف . قال أبو ذر : يا عثمان لا تحرق كتاب الله فيحرق الله جلدك ويهرق دمك ! !

وفى ذلك يقول الحجاج بن عمر الأنصارى أحد بنى مازن بن النجار شــعراً :

أتيت بتحريق الكتاب عظيمة تعرضت فيها للردى والمهالك
أتحرقه من بعد ما قد أتى به من الوحى جبرائيل خير الملائك

|١٠٠|

وقال بعض الصحابة :

ضربت الحبر عبد الله حتى ثوى فى قبره للــترب ميتــا

---

(١) يعنى عثمان بن عفان .
(٢) الأحرف معناها « القراءات » .
(٣) ابن أم عبد : يعنى عبد الله بن مسعود .

وأحرقت المصاحف يا ابن أروى (١)   ووليت الجبابر واعتديتا

* * *

وقد قال عز من قائل : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) (١) .

وبلغنا أن عثمان بن عفان دخل على عبد الله بن مسعود (٢) رضى الله عنه حين حضره الموت فقال له عثمان : أبعث إليك بالطبيب ! فقال ابن مسعود : الطبيب أمرضنى . فقال : ألا آمر لك بعطائك ! فقال : منعتنيه وأنا إليه محتاج وتعطينيه وأنا قد استغنيت عنه ! فقال : تدخره لولدك ! فقال : لا أخاف على ولدى الفاقة والله حى لا يموت !!

وبلغنا أن عبدالله بن مسعود قال له : أذكرك الله يا عثمان !! هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم : « من رضى عنه ابن مسعود فأنا راض عنه ، ومن سخط عليه ابن مسعود فأنا عليه ساخط » . قال : اللهم نعم !! فقال ابن مسعود : إنى أشهد الله ومن حضرنى انى عليك ساخط . وبلغنا أن عبد الله مسعود رضى الله عنه ذكر حديثاً قاله النبى صلى الله عليه وسلم لقوم وفيهم عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ، وكانوا يتذاكرون أمر الدجال فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : « فيكم من هو أشد على أمتى من الدجال وأعظم فتنة » فذكر له ابن مسعود أسماء الذين كانوا فأثنى عليهم عثمان خيراً ولم يكن بقى من أولئك غير عثمان وعبدالله بن مسعود . فقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : أما أنا فهذا آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من

---

(١) أروى : هى أم عثمان بن عفان وتنتسب إلى حبيب بن عبد شمس ، أما أمها فهى البيضاء بنت عبد المطلب عمة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكانت توأمة لعبد الله والد الرسول .

(٢) سورة المائدة : آية ٤٧ .

(٣) يذكر المقريزى أن أهل الكوفة كانوا يتبعون على الأكثر فتاوى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (الخطط ج ٢ ، ص ٣٣٢) .

أيام الآخرة ، وأنت صاحبها ياعثمان ، أو كما قالت عائشة رضى الله عنها : « بالله مارأيت شيخاً أقرّ على نفسه بمثل ما أقر به عثمان !! » .

وبلغنا أنه قال : إن مات فلا تسبقونى بجنازته !! فلما انصرف عثمان مات ابن مسعود رحمه الله فقاموا فى جهازه ولم يعلموا به عثمان فبلغه ذلك ، فأتى ليصلى عليه فوجدهم قد دفنوه ؛ فهمّ ينبّشه ليصلى عليه فقال الزبير متمثلا شعراً :

[١٠١] لأعرفنك بعد الموت تنبذنى   وفى حياتى ما زودتنى زادا

وقال بعض الصحابة :

تعاطى ابن مسعود لينبش قبره   ألا شلّتا كفاه من كفّ نابش
تصلى عليه بعدما قد قتلته   فياشر ذى نيلٍ وياشرّ رايش
رويدك تلقى من غدٍ ذات قتلة   وتلقى بن مسعود غداة التناوش

ذكر من نفى عثمان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

نفى أباذر ، ومسلم الجهنى ونافع بن الحطام ، ومن أهل الكوفة كعب بن أبى نجدة ، وعمر بن زرارة ، وزيد بن صوحان ، والأسود بن صوحان ، والأسود بن دريح ، ويزيد بن قيس ، وكردوس بن الحضرمية ، وجندب بن زهير الأزدى ، وسيّر من أهل البصرة عمار بن عبد الله العنبرى ومذعور العنبرى فى جماعة منهم تركت أسماءهم .

وقد قال الله تعالى : (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون * ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرّم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون * أولئك

الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون) (١) .

ثم عمد عثمان إلى الصدقة فجعلها لنفسه ولأهل بيته من دون أهلها الذين جعلها الله لهم ، وأعطى مروان منها مائة ألف . وقد قال الله تعالى : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)(٢) .

فأنقص أهل بدر من أعطياتهم من كل واحد ألفاً مما فرضها لهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . (٣) وكنز الذهب والفضة وقد قال الله تعالى : (والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ما(٤)كنتم تكنزون) . (٥)

|١٠٢| ومنع أهل المدن طعامهم حتى يباع طعام الإمارة ، والله سبحانه وتعالى يقول . (وأحلّ الله البيع وحرم الرّبا) (٦) . وخالف فى جميع أموره ما أنزل الله وسنه نبيه والخليفتان من بعده . والله يقول:

---

(١) سورة البقرة : الآيات ٨٤ — ٨٦ .

(٢) سورة التوبة : آية ٦٠ .

(٣) فرض عمر بن الخطاب لمن كان له إسلام كإسلام أهل بدر ومن مهاجرة الحبشة ممن شهد أحد أربعة آلاف درهم لكل رجل ، وفرض لأبناء البدريين ألفين ألفين إلا حسناً وحسيناً فإنه ألحقهما بفريضة أبيهما لقرابتهما برسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف (انظر : البلاذرى ، فتوح البلدان ص ٤٥٥ — ٤٥٦ ؛ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ، ص ١٦٢ — ١٦٣) .

(٤) كتبت فى المخطوطة خطأ وسهوا « بما » .

(٥) سورة التوبة : الآيات ٣٤ — ٣٥ .

(٦) سورة البقرة : آية ٢٧٥ .

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (١) والظالمون والفاسقون وقال عزّ من قائل : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) (٢) . وقال عزّ من قائل : (ألا لعنة الله على الظالمين) (٣) . وقال : (لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة) (٤) . وقال : (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً) (٥) . وقال سبحانه : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) (٦) .

فلما رأى المسلمون ذلك لم يستعجلوا عليه ولم يغتنموا عثرته ولازلته، بل أعذروا إليه واحتجوا عليه. والمسلمون ناظرون لأعمال العباد، شهود الله فى أرضه ، يعرفون اعمال الناس على القرآن فما وافق منها الحق أخذوا به وجامعوهم عليه، وماخالف منها الحق خالفوهم وفارقوهم وقاتلوهم عليه ، كما قال عز من قائل : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (٧) .

فعلم المسلمون أن طاعته على احداثه لاتجوز ، ولزمهم الإنكار عليه والتبيّن ، فساروا إليه من أطراف البلاد مع من كان فى المدينه، وأزواج النبي يحرّضن عليه . وخرجت عائشة رضى الله عنها بمصحف كان معها وهى تقول : أشهد بالله أن عثمان كفر بما فى هذا المصحف !!

فلما اجتمعوا دخلوا عليه فذكروه بآيات الله وعددوا عليه صنيعه

---

(١) سورة المائدة : آية ٤٤ .
(٢) سورة النساء : آية ١١٥ .
(٣) سورة هود : آية ١٨ .
(٤) سورة آل عمران : آية ٢٨ .
(٥) سورة النساء : آية ١٤٤ .
(٦) سورة هود : آية ١١٣ .
(٧) سورة التوبة : آية ١٠٥ .

والذى ارتكب من المعاصى ، فزعم أنه يعرف ما يقولون وأنه يتوب إلى الله ويرجع إلى الحق . فرضى المسلمون بقوله واعترافه وتوبته ، فقبلوا منه وكان حقاً عليهم أن يقبلوا منه إذا رجع إلى الحق ويجامعوه ، ويقبلوا عذره وتوبته ، ويؤازروه إذا استقام على منهج الحق . وكذلك يلزمهم أن لا يردوا التوبة على أهلها .

ثم تفرق الناس من عنده على الذى أعطاهم من المراجعة إلى الحق ، (١) وإلى التوبة من الذنوب . فألحقهم يريد فى آثارهم ، وكتب إلى |١٠٣| عماله : « إن أتوكم ليلا فلا يصبحون وإن أتوكم نهاراً فلا يمسون » فأظهر الله المسلمين على كتابه بيد خادمه وعليه ختمه بخاتمه(٢) فرجعوا إليه ، فقالوا له : إنه كان من جورك وفعلك وظلمك قبل اليوم ما قد عرفت وأقررت به على نفسك ، وزعمت أنك تتوب منه ، فقبلنا منك ذلك !! وكنا نتهمك قبل ذلك فى دين الله فصار من أمرنا وأمرك اليوم أن صرنا نتهمك فى دين الله وفى دمائنا ، فاعتزل أمرنا لنستعمل على أنفسنا من يعدل علينا ونأمنه على ديننا ودمائنا !! فأبى عليهم ، وزعم أنه لا يخلع سربالا سربله الله إياه ، يعنى الملك !!

فاتخذ مال الله مأكلة كفعل الميراث ، واستجاش بأحبابه وأهل بيته . ولم تكن من المسلمين عجلة ولا بطر عليه ، فجعلوا يناشدونه الله ويذكرونه فأبى إلا عتواً وجوراً . وكره المسلمون أن يبدءوه بالقتال ، حتى بدأ رجل من أصحابه فرمى رجلا من المسلمين كما بلغنا يقال له دينار بن عياض فقتله . فطلبوا إليه أن يقيد لهم بقتيلهم فأبى وامتنع وقال : لا أقيد لكم رجلا ينصرنى وأنتم تريدون قتلى !!

---

(١) الواو : زيادة من عندنا .

(٢) روى بعض المؤرخين أن عثمان أنكر ذلك الكتاب وحلف لهم أنه لا يعلم من أمره شيئاً ، فظنوا أن الكتاب كتبه مروان بن الحكم ، كاتب عثمان وابن عمه ، وطلبوا إليه أن يسلم إليهم مروان فلم يرض عثمان بذلك إذ أن مروان حلف هو الآخر أنه لم يكتبه ، فطلبوا إليه أن يعتزل الخلافة فأبى وتمسك بها (انظر ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٤١ — ٤٨ ، وابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٣ ص ١٢٨ — ١٣٦) .

فلما امتنع قاتلوه وعلموا أنه قد امتنع وبغى ببغيه ، وأبى أن يقيد لهم بصاحبهم ، حملوا عليه وقاتلوه عند ذلك .

ذكر وقعة الدار وحصار عثمان وأهل الدار

فلما حمل المسلمون على الدار خرج عليهم مروان بن الحكم من الدار فى عصابة ، وخرج سعيد بن العاص فى عصابة ، وخرج المغيرة بن الأخنس الثقفى فى عصابة ، وخرج عبد الله بن الزبير فى عصابة ، فاقتتلوا قتالا شديداً . وكان بلغ عثمان أن مدده من البصرة قد أقبل ونزلوا ضرار ، وهى من المدينة على ليلة : وأن أهل الشام قد توجهوا مقبلين ، فقاتلهم المسلمون قتلا شديداً على باب الدار . فجعل المغيرة بن الأخنس يحمل على المسلمين وهو يرتجز ويقول شعراً :

قد علمت جارية عطبول (١) لها وشاح (٢) ولها حجول
انى بنصل السيف خنشليل احمى اذا حمّ بنا الرعيل
بصـارم لى ما به فلـول وصارم فى كفه مصقول

* * *

فحمل رفاعة وهو يقول :

إن كنت بالسيف كما تقول فاثبت لقرن (٣) ماجد يصول

ثم حمل رفاعة بن رافع الأنصارى على مروان بن الحكم فضربه فصرع (٤) عنه وهو يرى أنه |١٠٤| قد قتله ، وجُرح عبد الله بن الزبير جراحات ، وانهزم القوم حتى الجئوا (٥) إلى القصر فأقاموا ببابه واقتتلوا قتالا شديداً فقتل فى المعركة ابن زياد بن نعيم المهرى فى أناس من أصحاب عثمان. وعلىّ بن أبى طالب فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه

---

(١) العطبل والعطبول والعطبولة والعيطبول : المرأة الجميلة ، والجمع عطابل وعطابيل .
(٢) الوشاح : السيف .
(٣) القرن : كفؤك ، نظيرك فى الشجاعة ، من يقاومك .
(٤) صرع : طرح على الأرض .
(٥) كتبت فى المخطوطة « الجوا » .

السلاح وهو يحرّض الناس على القتال ، وطلحة بن عبيد الله (١) فى جماعة من الناس وعليه السلاح عند باب القصر ويحث المسلمين على الدخول عليه (٢) . ولم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصارى باب داره فدخلوا عليه ، وهى التى جنب دار عثمان ، بعد أن حاصروه يزيد على شهر وقيل أربعين يوماً . ثم نادى عمرو بن حزم الناس وقال يامعاشر المسلمين ! هلموا فادخلوا عليهم من داره . فقاتلوهم فى جوف الدار حتى انهزموا وخلى بينهم وبين باب الدار ، فخرجوا هرباً فى سكك المدينة ، فلم يغنموا لهم مالا ولا سبوا لهم ذرية .

ذكر قتل عثمان بن عفان

الذين حاصروه وتولوا قتله منهم رفاعة بن رافع بن مالك الأنصارى أحد بنى رزيق ، وجبلة بن عمرو الأنصارى أحد بنى ساعدة ، وعمرو ابن حزم الأنصارى أحد بنى سلمة بن عوف ، ومحمد بن أبى بكر الصديق ، وعبد الله ومحمد ابنا بديل بن ورقاء الخزاعى ، ومحمد بن أبى حذيفة بن عبيد بن أبى ربيعة (٣) ، وعبد الرحمن بن عـــدس القضاعى (٤) ، ونفر من العراق تركت أسماءهم . وضربوا أكثر من عشر ضربات ، وأمسك المسلمون عن أصحابه ، لا أخذوا لهم مالا ولا سبوا لهم ذرية .

عن داوُد بن الحصين : قال محمد بن مسلمة الأنصارى ، قال : يوم قتل عثمان مارأيت يوماً قط أقرّ للعيون ، ولا أشبه بيوم بدر من هذا اليوم !!

---

(١) كتبت فى المخطوطة « عبد الله » .

(٢) لاحظ هنا موقف على بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله وتأييدهم للثوار . أما الطبرى فينفى عن على ذلك (تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ، ص ١١٣) . وكذلك ابن طباطبا ؛ الفخرى : ص ٥٥ وابن طباطبا من المؤرخين العلويين .

(٣) هو محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

(٤) هو عبد الرحمن بن عديس البلوى قائد الثوار الذين خرجوا من مصر (انظر : الكندى : ولاة مصر وقضاتها ص ١٧ ، المقريزى : الخطط ، ج ٢ ص ٣٣٥) .

وقتل صبيحة الاثنين لثمانى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمس وعشرين من وفاة النبى صلى الله عليه وسلم (١) .

وقال محمد بن أبى حذيفة مرتجزاً بأبيات من الشعر :

لقيت رجالا أنكروا الجور خشية ... الا لا بحق الله ما أنت صانع
وقالوا كتاب الله غيّرت بدعة ... وهذا كتاب الله والنور ساطع
وسنة مهديه النبى مستبينة ... فرائضها فيها وفيها الشرائع
فأبطلتها كفراً وسرت بغيرها ... أشارت بها طراً إليك الأصابع

|١٠٥|

فجاءوا إليه واستتابوا وأنبوا ... وقالوا له عثمان ما ذى البدائع
ألست ترى الإسلام والعدل والهدى ... وتعلم أن الله رائى وسامع
فإنّ له فيها شفاء ونعمة ... وإنك مقبوض إليه وراجع
وإنك لاقيه ولاق حسابه ... يقيناً وقارى كل ماأنت جامع
فما زال عن جور ولا خاف ربه ... عتواً ومن لا يحفظ الله ضائع

* * *

وقال محمد بن سمرة القرشى شعراً :

جزى الله شراً نعثلا(٢) وفعاله ... وأعقبه خزياً بما كان يصنع
رأينا ابن عفان أبى الله نصره ... وخذل عنه كل من يتورع
وأعوانه أهل البصاير والتقى ... وأرماحهم فى وجه نعثل شرّع

* * *

---

(١) روى المؤرخون أن قتل عثمان كان فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة ٣٥ هـ (٦٥٥ م). وهذا يتفق مع ما رواه المؤلف من أن مقتل عثمان بن عفان كان سنة خمس وعشرين من وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) النعثل : الشيخ الأحمق .

وقال عمرو بن حزم الأنصارى شعراً :

ولما أبى عثمان إلا تمادياً وجاهدنا بالجور عين المخاتل
وفرق مال المسلمين وفيئهم وضيعه فى كل غى وباطل
وحرق للكفر المصاحف عادياً وأسقط منها محكمات الفواصل(١)
دلفنا إليه حمية بجموعنا لندفعه عن جوره بالمناصل
فظلنا إلى ذى نخوة فى حجابه بعيد عن السوآت للحق جاهل
فلم يعطنا للحق خطة تائب ولم يعطنا بالحق خطة عادل
ولما تمادى فى الغواية والهوى وزال إلى رأى من الرأى مائل
شددنا احتساباً والقلوب ضغينة(٢) على تارك للحق بادى المقاتل
فأسلمه أنصاره وتفرقوا فغودر مذبوحاً رقيب الحلايل

* * *

وقال الحجاج بن عمرو الأنصارى أحد بنى مازن بن النجار :

إنا استتبنا نعثلا فلم يتب ودسس السوآت فى سر الكتبُ
فظل نسوان عليه تنتحب وظلت الأوداج منه تنشخب(٣)

* * *

ثم رمى بجثته على مزبلة بالمدينة ثلاثة أيام لم تدفن ، ثم إن حكيم بن حازم القرشى أحد بنى أسد بن عبد العزى ، وجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل ابن عبد مناف كلما علياً (٤) فى دفنه ، وطلبا إليه أن يأذن لأهله فى ذلك ففعل . فأذن لهم ألا يدفن |١٠٦| مع المسلمين (٥) فى مقابرهم . فلما سمع الناس ذلك قعدوا له فى الطريق بالحجارة . فلما خرج به أهله يحملونه ، وهم

---

(١) قصل قصلا الشىء : قطعه فهو قاصل .

(٢) كتبت فى المخطوطة « ظغينة » .

(٣) شخب أوداج القتيل دماً : قطعت فسالت دما .

(٤) على بن أبى طالب .

(٥) المقصود بالمسلمين هنا : الذين لم يغيروا شيئاً من القرآن والسنة على رأى مخالفى عثمان .

يريدون به حسبه (١) حائطاً فى المدينة يقال له حسركوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم . فلما خرجوا به على الناس رجموه فى سريره وهموا بطرحه وهم يقولون : نعثل ! نعثل ؟ فعلم على بن أبى طالب ، فأرسل إلى الناس ، ومنعهم عنه حتى دفن فى حسر كوكب ، إلى أن تولى معاوية فأمر أهل المدينة أن يدفنوا موتاهم حوله حتى اتصل بمقابر المسلمين .

ودفن بين المغرب والعتمة ، ولم يحضره إلا ثلاثة من مواليه ، ومروان بن الحكم ، وابنته ، الخامسة . وكلما رفعت ابنته صوتها تندبه ، أخذ الناس بالحجارة وقالوا : نعثل ! نعثل ! فكادوا أن يرجموه .

ذكر من قتل من قريش مع عثمان

قتل من بنى أسد بن عبد العزى عبد الله بن وهب بن ربيعة ، وشيبة ابن عبد شمس من عبد مناف ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن العوام بن خويلد ، ومن بنى عبد الدار بن قصى ، عبد الله بن هبيرة بن عوف بن شيبان ، ومن بنى زهرة من حلفائهم ، المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفى ، هؤلاء من قريش ، وقتل معه عبده زياد .

مسألة :

فإن عارض معارض وقال إن علياً لم يرض بقتل عثمان ، وكذلك المهاجرون والأنصار ، وإنما غلبوا عليه وأنه قتل مظلوماً .

الجواب :

قيل له لو كان عثمان قتل مظلوماً ما وسع على بن أبى طالب ولا المهاجرين والأنصار وأهل المدينة أن لا يغضبوا على قتل خليفتهم وهو بين أظهرهم ، لو شاءوا لمنعوه بأطراف أرديتهم ، لأنهم يغضبون للأمر اليسير من

(١) حسب الميت : دفنه . وكتبت فى المخطوطة (حسيرته) .

معصية الله ، فكيف لايغضبون على قتل خليفتهم ؟ ! وكيف يسع علياً والمسلمين ذلك وهم غير عاجزين ! ! فقد صح أنهم أنفذوا كلمة الحق فى قتاله ، فاجتمع الجميع على قتله فهم ما بين فاعل وراض(١) ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لاتجتمع أمتى على ضلال » .

شعر لبعض المسلمين :

عجباً للمهاجرين والأنصار فى قتل قائد الأحزاب(٢)
فى ثلاثين راكباً أقبل القوم إليه من(٣)مصر فوق الركاب

---

(١) يعلق المرحوم الدكتور حسن إبراهيم حسن أستاذ التاريخ الإسلامى السابق فى جامعة القاهرة على مقتل عثمان بن عفان تعليقاً مشابهاً فيقول : « ويظهر أن أهل المدينة قد تواكلوا فى الدفاع عن عثمان ، إذ يبعد كل البعد أن يعجزوا عن نصرته وصد تلك الفئة الباغية عنه ، وهم الذين مرنوا على الحروب وبرهنوا فى مواقفهم مع رسول الله وأبى بكر وعمر عن شجاعة نادرة واستبسال لا يزال مضرب الأمثال . فلو أنهم نشطوا للذود عن عثمان لما تمكن الثوار مع قلة عددهم من قتله والاستبداد بالأمر والتحكم فى المدينة ومن بها .

ولا شك أن كثيراً من علية القوم فى المدينة نقموا على عثمان وإيثاره بنى أمية على غيرهم من أجلة الصحابة فنفضوا أيديهم من تلك الفتنة لما بلغ الهياج أشده ولم تجد نصائحهم نفعاً ، فظلوا يشاهدون تمثيل هذه الرواية المحزنة على بعد ظناً أن عثمان يخلع نفسه إذا اشتد عليه التضييق »

(انظر : دكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ج ١ ص ٢٧٨ - ٢٧٩) .

(٢) لا نعرف بالضبط ما الذى يرمى إليه الشاعر من وصف عثمان باسم « قائد الأحزاب » . وربما يشير إلى ما بذله عثمان من المال فى سبيل الإسلام فى تجهيز جيوش المسلمين . والمعروف أن عثمان بن عفان اشترك فى الغزوات إلا غزوة بدر لاشتغاله بتمريض زوجته السيدة رقية التى ماتت ودفنت فى اليوم الذى انتصر فيه المسلمون فعده الرسول عليه الصلاة والسلام من البدريين .

(٣) كانت مصر سبباً فى تعجيل الحوادث وفى إشعال نار الثورة التى انتهت بقتل عثمان بن ابن عفان . وقد خرج منها ستمائة رجل من المسلحين إلى المدينة ثائرين ضد عثمان ، وكان على كل مائة منهم رئيس أما قائدهم الأعلى فكان عبد الرحمن بن عديس البلوى ، وكان من بينهم محمد بن أبى بكر الصديق .

(انظر دكتورة سيدة إسماعيل كاشف : مصر فى فجر الإسلام ص ١١٠ - ١١٩ وما ذكرته من مصادر) .

يتعاطونه ثلاثة أيام قتيلا معرضاً للكلاب

١٠٧

وهم بضعة وعشرون ألفا أو يزيدون من رواه الكتاب
لو أرادوا أن يمنعوه حموه كلهم بالنعال أو بالثياب
ليتكم عنه توقعوا قاتليه للذى كان منهم للصواب
إن للخاذلين منهم لحظاً علم الله من أليم العقاب

* * *

وقال الوليد بن عقبة فى عثمان وكان أخاه لأمه وكان يذكر إبلا وسلاحاً قبضها منه وكان عثمان أنجدها من إبل الصدقة ، شعراً :

بنى هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ولا تنهبوه لاتحل مناهبه
بنى هاشم لاتعجلونا فإننا سواء علينا قاتله أو سالبه
فإنا وإياكم وما كان بيننا كصدع الصفا لايرأب الدهر شاعبه
قتلتم أمير المؤمنين بخيانة كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه
فقد يجبر العظم الكسير وينبرى لذى الحق يوماً حقه فيطالبه
بنى هاشم كيف التغادر بيننا وعند على درعه ونجائبه
بنى هاشم كيف الصلاح لديكم وعند علىّ سيفه وحرائبه
فإن لم تكونوا قاتليه فإننا سواء علينا ممسكوه وضاربه
لعمرك ما أنسى ابن أروى وقتله وهل ينسين الماء ما عاش شاربه
هو الأنف والعينان منى فليت لى سوى الوجه والعينين وجه اعاتبه
وإنى لمجتاب إليكم بجحفل يصم السميع جرسه وجلابه(١)

* * *

(١) جلب القوم : صاحوا وضجوا ، جلب وأجلب القوم : تجمعوا للحرب . الجلب والجلبة : اختلاط الأصوات والصياح .

فأجابه عبد الله بن سفيان بن الحرث بن عبد المطلب شعراً :

بكت عين من يبكى ابن عفان بعدما
تنكب عن قصد المحجة جانبه
سعى جاهداً فى نقض سنة أحمد
وآثر بالمال الكثير أقاربه
أضاع الحدود فى الوليد وغيب
الشهود عن الحق المبين طالبه
فلا تسألونا عن سلاح ابن أختنا
ولكن سلوا كيف الوليد وصاحبه
ولاتسألونا سيفكم إن سيفكم
أضيع فألقاه لدى الباب صاحبه
هما أفسدا عثمان ثم تغيبا
بشعبين من نعمان تعوى ثعا'ه

الباب الثامن عشر

فى خلافة على بن ابى طالب

فلما قتل عثمان اجتمع |١٠٨| المسلمون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوا علياً على طاعة الله ورسوله وأن يتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسير سيرة الخليفتين المرضيين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما بعد أن ترددوا إليه أياماً وهو يأبى عليهم. فلما بايعوه قام فصعد المنبر وعمار ابن ياسر(١) عليه السلاح عن يمينه، ومحمد بن أبى بكر الصديق عن يساره، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم، وطلب من الله الإعانة على ما أولاه من أمر الناس، ودعا لنفسه بالعون، وأمر الناس بتقوى الله وحثهم على الاجتماع على طاعة الله والمعاونة على أمر الله. ثم قال فى آخر كلامه: « إلا ان كل قطيعة قطعها عثمان ومال أعطاه من مال الله فهو مردود على المسلمين فى بيت مالهم، فإن الحق قديم لا يبطله شىء!!

---

(١) قبل مقتل عثمان كانت الحالة فى البصرة والكوفة والشام ومصر من الحرج بحيث اضطر عثمان إلى ندب أربعة من رجاله ليتبينوا حقيقة الحال وليقفوا على أسباب التذمر فى الولايات الإسلامية. فأرسل عثمان، محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعبد الله بن عمر إلى الشام، وعمار بن ياسر إلى مصر. وقد عاد مندوبو عثمان بن عفان إلى المدينة إلا عمار بن ياسر الذى استماله الثوار المصريون (انظر: دكتورة سيدة إسماعيل كاشف مصر فى فجر الإسلام، ص ١١٣ – ١١٤). وعمار بن ياسر من عنس من اليمن وهو حليف لبنى مخزوم، ويكنى أبا اليقظان. وكان عمار من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم السابقين إلى الإسلام وكان من المستضعفين بمكة. وقد بايع عمار عثمان مع غيره من المسلمين، ولكن لم يلبث أن ظهرت معارضته لعثمان عنيفة حادة. واشترك عمار مع جماعة من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام فى كتاب كتبوه إلى عثمان يلومونه ويعظونه وأقبل عمار بالكتاب فكان أشد الناس معارضة لعثمان. ونزل عمار بالكوفة ولم يزل مع على بن أبى طالب يشهد معه مشاهده وقتل فى صفين فى سنة ٣٧ هـ ودفن هناك (انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦ ص ١٤، والطبرى: تاريخ، ج ٥ ص ٣٨).

والله لو وجدته قد تزوج عليه النساء وتفرق فى البلدان لرددته فان لكم فى العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل فان الجور عليه أضيق ». ثم أمر بكل سلاح كان فى دار عثمان ، أو مال تقوى به على قتال المسلمين من مال الله إلا قبضه . وأمر بقبض نجائب كان اتخذها عثمان من إبل الصدقة فقبضت . وقبض سيف عثمان ودرعه وترك لعثمان ما كان ميراثاً بين ولده على كتاب الله .

وقبض ما كان عثمان قبضه من الفىء ، والعقد الذى كان اشتراها من مال الله ، وقبض ما كان قبضه وحازه من مال الله .

وكان شرط المسلمين على علىّ بن أبى طالب أن يبايعوه (١) على طاعة الله وطاعة رسوله والعمل بكتاب الله وسنة نبيه والأخذ بسيرة الخليفتين من بعد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وعلى قتال الفئة الباغية ، وكل فرقة امتنعت عن الحق طاغية ، وعلى كل من نقض عهد الله وغير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكم بغير ما أنزل الله حتى يظهر نور الله وتطفأ كلمة الجور ، وإماتة البدع والفجور ، أو تفنى على ذلك أرواحهم . فأعطاهم على ذلك العهد والميثاق ، وعلى أنه متى (٢) خالف من ذلك شيئاً أو نقض منه شيئاً فلا بيعة له عليهم .

ا . فرضى على بذلك وبايعهم ، وبايعه طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام فيمن بايعه من المهاجرين والأنصار . فقام بأمر الله وأمر المسلمين ، فولى فى الأمصار ، والمسلمون له موازرون ، ولحكمه طائعون .

وحذّره بعض المسلمين احداث عثمان ، فقال : |١٠٩|

خذها إليك واحذرن أبا الحسن إنا نمر الحق إمرار الرّسن

---

(١) كتبت فى المخطوطة « وكان شرط على المسلمين على بن أبى طالب أن يبايعوه ... » .

(٢) فى المخطوطة « من » .

مسألة : فإن زعم أهل الشك والريب أن المسلمين من المهاجرين والأنصار والتابعين لم يرضوا بقتل عثمان وإنما قتله محمد بن أبى بكر فى نفر معه وعامة المسلمين كارهون لقتله ، قيل لهم فلم لا يؤازرونه وينصرونه وهو بين أظهرهم ؟ ! لم يقتل غيلة وإنما هو حوصر شهراً أو دونه ! ! أم كيف يجعلون علياً أميراً على أنفسهم ولم يشهد بذلك ولم يرض به ؟ ! أم كيف يجوز لعلى أن يصحب قتلة عثمان ولا يقيم عليهم حد الله ورسوله ؟ ! أم كيف يجوز له أن يحارب ويمنع من طلب بدمه ؟ ! بل قد علم أهل البصائر ، وأولو الألباب أن المسلمين اجتمع رأيهم على قتله بما استوجب عندهم من بغيه ، واحداثه ، ووضعه الأمور فى غير مواضعها . وقد علم أهل البصائر وأولو الألباب أن أبا بكر وعمر لم يكونا أقرب إلى رسول الله من عثمان وعلى ، ولم يكن لهما مع المسلمين فضل منزلة إلا بتقوى الله وطاعته واتباع أمره .

فلما خالفا هذان (١) وتركا حكم كتاب الله ، وخالفا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خالفهما المسلمون وشهدوا عليهما بما شهد به عليهما كتاب الله ، وأنزلوهما حيث أنزلا أنفسهما .

فليتق الله أهل الشك والريب والضلال لا يقذفون المسلمين بالافتراء والبهتان ، وقد استبان لكل ذى لب صنيعهما .

مسألة : فإن زعم أهل الشك أنهم يمنعهم من الشهادة عليهما بفعلهما ، سابقتهما ومنزلتهما وقربهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنهما فى الجنة وأتباعهما فى النار ، قيل لهم إن علياً وعثمان قادا الناس إلى طاعتهما ، فسمع الناس لهما وأطاعوهما ، وقتل من اتبعهما على مثل دينهما ومناهجهما ورأيهما . فكيف يكونا هما فى الجنة والأتباع فى النار ؟ ! لو كان هذا من

---

(١) يعنى عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب .

حكم البشر لكان جوراً ! ! فكيف يفترون على ربهم والله أعدل من ذلك !!
بل الأتباع مع القادة ، والقادة مع أتباعهم ، ويحمل القادة من أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم بغير علم (ألا ساء ما يزرون) (١) .

فليتقوا الله أهل الشك ولا يقولون على الله ولا على كتابه ولا على المسلمين إلا حقاً :

---

(١) سورة الأنعام : آية ٣١ .

الباب التاسع عشر

فى خروج طلحة والزبير وعائشة

ولما استقام الناس على علىّ بن أبى طالب ، خرج طلحة والزبير مخالفين مشاقين مفارقين للمسلمين بعد أن |١١٠| بايعاه وأعطياه صفق (١) أيديهما ، فأتيا عائشة أم المؤمنين وهى بمكة فقالا لها : إن علياً استأثر هذا الأمر لنفسه من غير رأى المسلمين ولا مشورتهم ، وإن عثمان قتل مظلوماً بعد أن تاب ! وخدعاها عن رأيها وبصيرتها فى عثمان بعدما كانت تخرج المصحف من حجرها وتقول : أشهد بالله أن عثمان كفر بما فى هذا المصحف ! ! فلم يزالا بها حتى أخرجاها من بيتها وقالا لها : ألا يجب عليك أن تقومى وتردى الأمر إلى عامة المسلمين فيختارون لأنفسهم من شاءوا ! ! (٢) فنحب أن تسيرى معنا إلى العراق وتصلحى بين الناس وتكفى بعضهم عن بعض ويصلح الله أمر هذه الأمة على يديك ويوليك الله أمر ذلك !

فسارا بها إلى البصرة يطلبان أمر الدنيا ، وقد شهدا قتل عثمان وبايعا علياً ودخلا فيما دخل فيه المسلمون . ودخلا (٣) البصرة ومعهما غواة الناس والشواذ وأهل الفتنة ، وهم قليلو الفقه والمعرفة ، الدين ، جاهلين بأمور المسلمين ولحطام الدنيا طالبين . فلما قدموا البصرة التقت بهم (٤) طائفة من المسلمين

---

(١) البيعة معناها فى اللغة إبرام عقد البيع بإيجاب وقبول يصحبهما صفق الكفين ، وانتقلت من هذا المعنى إلى تقديم الطاعة ، وطريقتها أن يبسط الخليفة أو الرئيس يده فيضع فيها المبايع يده علامة الطاعة .

(٢) كانت الخلافة أول مسألة سياسية عرضت للمسلمين بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام . ونشأت الفرق والمذاهب المختلفة فى الإسلام نتيجة للاختلاف حول الخلافة الصحيحة والإمامة العادلة وكيفية انتخاب الخليفة .

(٣) فى المخطوطة « فلما دخلا » .

(٤) فى المخطوطة « التقتهم » .

فناشدوهم الله ، فمال عليهم طلحة والزبير وأشياعهم فقتلوا جماعة من المسلمين ، فيهم حكيم بن جبلة العبدى مع جماعة من أصحابه ، ونتفوا لحية عثمان بن حنيف وكان(١) والياً على البصرة .

ذكر وقعة الجمل

فلما بلغ على بن أبى طالب ومن معه من المسلمين بالمدينة فعالهما لم يسع على بن أبى طالب والمسلمين إلا الخروج عليهم والقيام لله بحقه ، وان من نكث فلا دين له .

فخرج علىّ ومن معه من المسلمين فلما قدم الكوفة وخرج معه من شاء الله من الكوفة حتى قدم البصرة ، فزحف إليهم الزبير بن العوام وطلحة ابن عبيد الله ومن اتبعهما . وبرزوا بأم المؤمنين على جمل ، وحمل بعضهم على بعض وأعان(٢) الله المسلمين فقتل طلحة بن عبيد الله فى المعركة وقيل تولى قتله مروان بن الحكم (٣) . وهرب الزبير فقتله عمر بن جرموز التميمى ثم السعدى من بنى مجاشع بوادى السباع ، وعقر بأم المؤمنين جملها . وقيل عقر بأم المؤمنين جملها رجل له من بنى تميم يقال له عين بن حكيم . وأعطى الله المسلمين يومئذ الظفر على عدوهم .

فنادى منادى على أصحابه : « الا من أغلق بابه فهو آمن ! » واستتيب الناس يومئذ من ولاية عثمان وطلحة والزبير . ورجعت عائشة تائبة نادمة .

---

(١) «الواو» : زيادة من عندنا .

(٢) «الواو» : زيادة من عندنا .

(٣) قيل إن مروان بن الحكم رمى طلحة بسهم فقتله لما كان يتهمه بتحريض الناس على قتل عثمان ، على الرغم من أن مروان كان فى جيش طلحة بن الزبير والسيدة عائشة . أما السيدة عائشة فإن مروان بن الحكم حماها فى نفر من قيس وكنانة وبنى أسد ، وظل مروان كلما وثب رجل إلى الجمل ضربه بالسيف وقطع يده حتى قطع نحو عشرين يداً ، ثم أتاه رجل من خلفه فضربه وضرب عرقوب الجمل .

(انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ١٠٣-١٠٤ ؛ ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ص ١٢٥ — ١٣٠) .

[١١١] ولما دخل عليها عمار بن ياسر رحمه الله قال لها : أخبرينا عن القتال الذى تقاتلينا عليه؟! أعهد عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم رأى رأيتيه من نفسك؟ فقالت بل رأى رأيته وأنا أستغفر الله وأتوب إليه . فكبر المسلمون وقبلوا توبتها ، وكذلك عليهم واجب أن لا يردوا التوبة على أحد. وأظهرت أم المؤمنين توبتها وندمت على ما كان منها ورجعت إلى بيتها . فقبل المسلمون منها وتولوها(١) ولم يغنموا يومئذ مالا ولم يسبوا ذرية ، إلا أن ضعفاء الناس من المسلمين أخذوا سلاحاً أصابوه فى المعركة ، فلما هزم الله عدوهم واستقام أمر المسلمين ردوا عليهم ما أخذوا منهم من السلاح . وأصيب من المسلمين يومئذ زيد بن صوحان(٢) رحمه الله الذى قال فيه نبى الله صلى الله عليه وسلم: « تقطع يده فى سبيل الله ثم تتبعها سائر جسده » فاستشهد يومئذ رحمه الله . ودخل أهل البصرة يومئذ فى طاعة على بن أبى طالب واجتمع أمر الناس عليه .

---

(١) انظر فى هذا الشأن وما كان من على بن أبى طالب (ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ١٢٥ — ١٣٠ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٣ ، ص ٢٠ ، ٥٦ ؛ ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٨٣ — ٨٥) .

(٢) أنظر ترجمة زيد بن صوحان فى الاستيعاب لابن عبد البر ج ١ ص ٥٤٠ — ٥٤١ .

الباب العشرون

فى خروج معاوية بن أبى سفيان

فلما استقر الأمر لعلى بن أبى طالب خرج معاوية بن أبى سفيان بن حرب بأهل الشام يدعو الناس إلى قتال على بن أبى طالب ، وأنه يطلب بدم عثمان ، وأن عثمان قتل مظلوماً .

وصحبه عمرو بن العاص والتقاه على يومئذ بالمهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. والتقوا بصفين(١) موضع بالشام ، فاقتتلوا قتالا شديداً إلى أن كثرت القتلى بينهم ، وقيل إنه بلغ عدد القتلى سبعين ألفاً . وقيل فى ليلة واحدة يقال لها ليلية الهرير ثلاثون ألفاً . ولما كثر القتل فى أهل الشام وخاف معاوية أن يستولى القتل على أصحابه استشار عمرو بن العاص فى أمره فطلب الحيلة والخدعة ، فقال له عمرو بن العاص : علق المصاحف على أطراف الأسنة وكاتب علياً سراً أن بينك وبيننا حكم كتاب الله . فكتب معاوية إلى على سراً وطلب منه أن يجعلا حكمين فما حكما به رضيا به(٢) ، فأنعم له بذلك (٣) . فبلغ ذلك عمار بن ياسر رحمه الله فقال عمار لأصحابه: ائتوا علياً فعاتبوه ، فأتوا علياً فعاتبوه ، فقال لهم: إنى تارك ذلك . فأعلموا عماراً رضى الله عنه بقول على فقال : جروا الخطام(٤) ما اجتر .

مقتل عمار بن ياسر رحمه الله :

وبلغنا أن عمار بن ياسر قال لعلى إن القوم سيقولون لك بيننا وبينك

---

(١) تقع صفين فى جانب الفرات الأيمن بإزاء الرقة فيما فوقها . وكانت صفين مدينة رومانية خربة ، وكانت الرقة قاعدة لديار مضر فى أرض الجزيرة التى تقع شمال بلاد ما بين النهرين .

(٢) « به » زيادة من عندنا .

(٣) أنعم له : قال له نعم .

(٤) الخطام : كل ما وضع فى أنف البعير ليقاد به . وتر القوس ، والجمع خطم .

كتاب الله !! [١١٢] فقل على ترك كتاب الله قاتلناكم !! وسيقولون نجعل بيننا وبينك حكمين فما حكما به من شيء رضينا به فقل (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)(١) . فإن قالوا تجعل بيننا وبينك مدة نصطلح إلى تلك المدة فقل إن الله قال : (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله)(٢) .

وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لعمار بن ياسر : «تقتلك الفئة الباغية وقاتلك وسالبك فى النار» .

وبلغنا أنه يوم بنى مسجد المدينة والمسلمون ينقلون حجراً حجراً وعمار ينقل حجرين حجرين فوقع مغشياً عليه وهو ناقه من مرض كان أصابه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه وجعل يمسح عن وجهه التراب ويقول: «ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية ، وقاتله وسالبه فى النار» .

وبلغنا أنه قال له آخر عهدك فى الدنيا شربة من ضياح(٣) .

وبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم ، مر بعمار والمشركون يعذبونه فقال له : «أبشر يا ابن ياسر بالجنة» .

وبلغنا أنه قال لهم: «مالكم ولعمار يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار» .

وبلغنا أن حذيفة بن اليمان خرج يوماً ومعه من يتبعه ويتعلم منه فقال له حذيفة: كيف أنت إذا اقتتل الشيطان والقرآن ، قال له تلميذه عما تأمرنى به جعلنى الله فداك ؟ قال حذيفة : آمر أن تتبع القرآن ، ثم سكت ، فقال حذيفة : أما تسألنى إذا اقتتل أهل القرآن ! فقال له الرجل : بما تأمرنى به جعلنى الله فداك ؟ قال آمرك أن تتبع ابن سمية فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « حشا الله قلبه وسمعه وبصره إيماناً » . فلا يعرض له حق إلا أخذ به ولا باطل إلا تركه .

وبلغنا أن حذيفة كان يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:

---

(١) سورة المائدة : آية ٥٠ .

(٢) سورة الحجرات : آية ٩ .

(٣) الضياح : اللبن الممزوج بالماء . المرق .

« اقتدوا بالذين من بعدى وعليكم بهدى عمار ، وهدى ابن أم عبد » يعنى عبد الله بن مسعود رحمه الله .

وبلغنا أن علياً بعث إلى عمار بن ياسر أن يقسم على ربه أن يهزم عدوهم وقد شرب الشربة التى وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها آخر عهده من الدنيا : فقال له عمار : اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه !! هذا اليوم الذى وعدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ألقاه فيه .

وبلغنا أن عماراً قال : اتق الله يا على والحق بالله قبل تحكيم الحكمين .

وبلغنا أن عماراً قال لأصحابه : أين الرايح إلى الجنة قبل تحكيم الحكمين ؟ اليوم تزينت الحور العين ، يا قوم ردوا الماء قبل الظمأ [١١٣] فإنى أرى الجنة تحت البارقة (١) ! لنضربنهم اليوم ضرباً يرتاب منه المبطلون ، والذى نفس عمار بيده لو ضربونا حتى يبلغون شغفات (٢) هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل . ولو ضربونا حتى يبلغوا بنا الغاف (٣) من عمان لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل . ثم قال هل من رائح إلى الجنة قبل تحكيم الحكمين ؟

وبلغنا أنه عاتب علياً وقال له أشككنا فى ديننا وارتددنا عن بصائرنا ؟ لنحكم عدونا فى ديننا ودمائنا فهلا كان ذلك قبل وضع السيف ؟! وقبل قتل طلحة والزبير ؟ وهم يدعونك إلى ذلك فأبيت وقلت إنى على الحق دونكم . فإن كان القوم كفرة مشركين فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يسلموا ، وإن كان القوم كفرة أهل كتاب فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وإن كان القوم بغاة فليس لنا أن نرفع السيف عنهم حتى يفيئوا إلى أمر الله ، ثم قال : والله ما أسلموا ولا أدوا جزية ، ولا فاءوا إلى أمر الله ، ولا وضعت الحرب أوزارها !! ثم إن عماراً خرج هو ومن معه من المسلمين إلى حرب معاوية فقاتل هو وأصحابه حتى استشهدوا رحمهم الله واستشهد معه كما بلغنا خمسة وعشرون رجلا من المهاجرين والأنصار ، وفيهم ابنا بديل وخزيمة بن ثابت الأنصارى ذو الشهادتين رحمهم الله وغفر لهم .

---

(١) البارقة : السيوف .

(٢) الشغف : قشر شجر الغاف ، والشغفات موضع ينبت الغاف .

(٣) الغاف : شجر ينبت فى الرمل ، ورقه أصغر من ورق النعناع وله ثمر حلو .

فصل

فى شأن الحكمين أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص

ولما أوتى برأس عمار إلى معاوية عرف الناس أن قتاله على الملك والدنيا وأنه لا يقاتل على دين ، وقال عمرو بن العاص : يا معاوية أبعد رأس عمار تقاتل أهل الدين؟ لأفسدن عليك أمرك أو تجعل لى مصراً مأكلة . فبلغنا أن معاوية أشار على بعض أصحابه بما طلب إليه عمرو بن العاص فرد عليه سعد شعراً :

أعطه مصر وزده مثلها   إنما مصر لمن عز وبز
إن مصراً لعلىّ أو لنا   يغلب الآن عليها من عجز

فزعموا أن معاوية جعلها له مأكلة ليس لمعاوية عليها سلطان ولا يملك منها شيئاً ، وأعطاه على ذلك العهد(١) . ولما أصيب عمار ومن معه ارتاب المبطلون ، وأراد الله أن يمحص الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، تفرق الناس وتراجعوا ورجع علىّ على الكوفة ومعاوية إلى الشام ولبثوا ما شاء الله أن يلبثوا ::

(١) عقب مقتل عثمان بن عفان استطاع معاوية بن أبى سفيان أن يستميل إليه رجلا من أكبر دهاة العرب ألا وهو عمرو بن العاص . ويذكر اليعقوبى (تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢١٦ — ٢١٧) أن عمرو بن العاص اشترط على معاوية بن أبى سفيان أن تكون ولاية مصر طعمة له نظير مساعدته له ضد على بن أبى طالب فقبل معاوية ذلك .

وبعد أن اتفق معاوية وعلى على التحكيم بعد صفين أرسل معاوية جيشاً بقيادة عمرو بن العاص لاستخلاص مصر من ولاة على بن أبى طالب. وتذكر المصادر أنهما لما اتفقا على التحكيم غفل على أن يشترط على معاوية ألا يقاتل أهل مصر (الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢٨ ؛ المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٣٧) ويذكر المؤرخ أبو المحاسن أن معاوية طمع فى مصر لما اختلف أهل العراق على على ، وأنه قصد باستيلائه على مصر أن يستعين بها على ضرب على ، ولأهمية تلك المسألة استشار معاوية خواصه ومن بينهم عمرو بن العاص . فقال عمرو : « أهمك أمر مصر وخراجها الكثير وعدد أهلها فتدعونا لنشير عليك فيها فاعزم وانهض ؛ فى افتتاحها عزك وعز أصحابك وكبت عدوك . فقال له معاوية : يا ابن العاص إنما أهمك الذى كان بيننا » (أبو المحاسن ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ١٠٧ — ١٠٨).

واستطاع عمرو بن العاص أن يستخلص مصر فعلا من حكم على بن أبى طالب فى صفر سنة ٣٨ هـ ، وقبل أن يخرج للتحكيم ، وجعلها معاوية طعمة له بعد عطاء جندها النفقة على إدارتها. (الكندى : الولاة والقضاء ، ص ٣١ ؛ المقريزى : خطط ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ ؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ١١٠) .

ثم إن علياً جعل يكاتب معاوية سراً ومعاوية يكاتب علياً سراً من دون المسلمين فكتب إلى معاوية : من على [١١٤] أمير المؤمنين إلى معاوية فكتب إليه معاوية : لو أعلم أنك أمير المؤمنين لم أقاتلك فامح اسم أمير المؤمنين ففعل على ذلك . فبلغ المسلمين ذلك فقالوا له يا على : ماحملك أن تخلع نفسك من اسم سماك به المسلمون ، ألست أنت أمير المؤمنين ومعاوية أمير الكافرين فتب عما صنعت ، فتاب من ذلك . ثم إن معاوية جعل يكاتبه سراً فى تحكيمهما الحكمين فهما حكما به رضياه ورضى به على ، واختار من جنده أبا موسى الأشعرى واختار معاوية عمرو بن العاص شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم . لأن عمراً كان هجا النبى صلى الله عليه وسلم ، بسبعين بيتاً من الشعر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنى لا أحسن الشعر ولا ينبغى لى فالعنه اللهم بكل بيت لعنة . فرضى على بحكومته وترك حكم كتاب الله وكتابه . فلعمرى لئن كانت الحكومة عدلا وصواباً لقد هلك على بسفكه الدماء قبلها وكان معاوية أحق بالعدل منه ، لأنه الداعى إليها ، وإن كانت الحكومة خطأ وضلالا لقد هلك على بدخوله فيها ، فأى الأمرين كان فلا لعلى مخرج(١) .

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « سيكون فى أمتى حكمان ضالان مضلان يضلان ويضل من اتبعهما » .

---

(١) نلاحظ هنا أن المؤلف يدين علياً بسبب قبوله التحكيم ، وهو فى اعتراضه على على بن أبى طالب يمثل وجهة نظر الأباضية وكذلك الخوارج .

الباب الحادي والعشرون

في خروج أهل النهروان رحمهم الله

فلما علم بذلك المسلمون وتحققوا منه الحكومة ورجع إليها بعد التوبة، فارقوه وخرجوا منه محكمين الله تعالى وهم سيارة الله في الأرض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. فخرجوا من عنده ونزلوا أرضاً من أرض الكوفة يقال لها حرورا(١) فاجتمع فيها يومئذ عشرة آلاف من خيار الصحابة ورؤساء المسلمين وفقهائهم وقرائهم وعلمائهم، فيهم يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي وهو أول إمام عقدوه، وفيهم حرقوص بن زهير السعدي، وزيد بن حصن الطائي، وحمزة بن سنان الأزدي، وشريح بن أوفى العبدي، وعبد الله بن سرح الأزدي السلمي، وجماعة من المهاجرين والأنصار. واجتمعوا في بيت عبد الله بن وهب الراسبي، فعرضوا الإمامة على حرقوص ابن زهير فأبى، فعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي بعد أن تناجلوها(٢) بينهم فقال: هاتوها أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا أدعها فراراً من الموت. فبايعوه وجعلوا الموعد بينهم النهروان(٣).

---

(١) حروراء: قرية بظاهر الكوفة تبعد عنها بميلين، نزل بها من اعتزل على بسبب التحكيم. وقد ذكرها ياقوت في معجم البلدان. وذكر كتاب الفرق مثل البغدادي صاحب الفرق بين الفرق أن الخوارج الذين اعتزلوا علياً نسبوا إليها وسموا حرورية.

ويقول الطبري في تاريخه (ج ٦، ص ٣٥): خرجوا إلى صفين مع على وهم متوادون أحباء فرجعوا متباغضين أعداء، ما برحوا من عسكرهم بصفين حتى فشا فيهم التحكيم. ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كله ويتشاتمون ويتضاربون بالسياط، يقول الخوارج: يا أعداء الله أدهنتم في أمر الله عز وجل وحكمتم. ويقول الآخرون: فارقتم إمامنا وفرقتم جماعتنا. فلما دخل على الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حروراء فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً.

(٢) نجل نجلا الشيء وبالشيء: رمى به. وتناجل القوم: تنازعوا.

(٣) النهروان عند سامراء في العراق شمالي بغداد، وعند مجرى قناة عند دجلة تعرف باسم مجرى النهروان.

ولما علم على بنزولهم [١١٥] ذلك بعد اجتماع الحكمين بدومة الجندل بسبعة وأربعين يوماً ، أرسل على إليهم قوماً يطلبون منهم الرجوع إليه ، وذلك أنهم لما فارقوه وخرجوا من عسكره فقدهم ، فقال مالى لا أسمع قراءة القرآن كما كنت أسمعها من قبل . قيل له قد خرج أصحابها من عسكرك (١) .

فلما بلغ معاوية خروج أهل النهروان من عسكر على كتب إلى على أنه بلغنى أن طائفة من أصحابك خالفوك وخرجوا من عسكرك ، وقد تعلم أن الأمر بيننا لا يتم إذا كان له منازع ، فإن كان ذلك منهم من غير رأيك وأجبت أن أكفيكهم فعلت . فأراد على أن يولى ذلك منهم معاوية ، فأشار إليه أهل رأيه وقالوا : إن صار معاوية يدخل عليك فى بلادك ويقتل أصحابك قوى عليك ، ولكن عاجل القوم وبادرهم قبل اجتماعهم فى الأمصار .

التقاء الحكمين :

ثم إن الحكمين التقيا بدومة الجندل فخلع أبو موسى الأشعرى صاحبه على بن أبى طالب ، وثبت عمرو بن العاص صاحبه معاوية بن أبى سفيان . فلما علم على ذلك ندم على ما فعل وكتب إلى أهل النهروان وطلبهم لحرب معاوية والرجوع إليه .

كتاب على بن أبى طالب إلى أهل النهروان :

بسم الله الرحمن الرحيم . من أمير المؤمنين على بن أبى طالب إلى زيد ابن حصن وعبد الله بن وهب ومن معهما من المسلمين : سلام عليكم فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو .. أما بعد فإن الحكمين نبذا كتاب الله وراء ظهورهما ، وحكما بغير ما أنزل الله فبرئ الله منهما ورسوله وأنا منهما برىء فهلموا نعطيكم الرضا ، ونرجع إلى الأمر الأول الذى طلبتموه منى ونقاتل عدونا وعدوكم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، والموعد بيننا وبينكم نجران .

---

(١) يشير بذلك إلى القراء ، وهم حفظة القرآن الذين كانوا فى جيش على بن أبى طالب وانشقوا عليه لما قبل التحكيم .

فكتبوا إليه جوابه وبدءوا في كتابهم بعبد الله بن وهب الراسبي رحمه الله وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم . من إمام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبي وزيد بن حصن ومن معهما من المسلمين إلى علي بن أبي طالب الخالع لنفسه ، سلام على من اتبع الهدى ، وتجنب متالف الردى .. أما بعد فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو وبلغنا كتابك تذكر فيه أن الحكمين نبذا كتاب الله وراء ظهورهما وحكما بغير ما أنزل الله وقد علمنا ، فالحمد لله أن أمرهما كان مخالفاً للحق من أوله وأنت بتحكيمك إياهما أعظم جرماً منهما |١١٦| وذكرت أنك ترجع إلى الحق وتعطى الرضا وترجع إلى الأمر الأول ، فلسنا نرد عليك توبتك فإن كنت صادقاً فادخل فيما دخل فيه المسلمون من طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة إمام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبي فقد بايعناه بعد خلعنا إياك لاستحقاقك منا أن نخلعك ولا يسعنا إلا ذلك والسلام .

الباب الثانى والعشرون

فى مناظرة المسلمين مع ابن عباس رضى الله عنه

فعند ذلك أرسل على بن أبى طالب إليهم عبد الله بن العباس رضى الله عنه وطلب منهم الرجوع ، فقالوا له : إن صاحبك ترك اسم أمير المؤمنين ، وطلب الحكومة وخلع سربالا ألبسه الله إياه . فقال ابن عباس رضى الله عنه : ما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد أهل مكة ومشركى قريش ومشركى العرب عام الحديبية حين صده المشركون عن المسجد الحرام وبما جرى إلى المدة التى سماها فيما بينهم من ترك القتال والدماء ، فأما ما ذكرتم من خلعه نفسه من اسم أمير المؤمنين فقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كتب الكتاب لقريش وأملاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا ما قاضى به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً ، فقال المشركون : لو علمنا أنك رسول الله ما خالفناك فأبوا ذلك ، فكتب من محمد بن عبد الله : وأما ما ذكرتموه من الحكومة وأنها لا تجوز له فقد قال عز من قائل : (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة)(١) .. وقال عز من قائل: (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما)(٢) . قالوا : يا ابن عباس قد سمعنا قولك والذى أرسلت به واحتجاجك فنذكرك الله لما سمعت حجتنا وفهمت عنا قولنا ثم كنت عدلا بيننا وبين من أرسلك ، قال : اللهم نعم . قالوا : أخبرنا عن من قتل الصيد وهو محرم هل يسعه أن يحكم فى الصيد من دينه استحلال قتل الصيد وهو محرم ويستحل قتل الصيد فى الحرم ؟ .. قال : لا ؛ قالوا : كيف يسع علياً أن يحكم فى دين الله من يدين باستحلال ما حرم الله من دماء المسلمين ، ويحرم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية، ومن يدين بولاية

---

(١) سورة المائدة : آية ٩٥ .

(٢) سورة النساء : آية ٣٥ .

من عادى الله ورسوله وبعداوة أولياء الله ويدين بخلاف ما عليه المسلمون من الحق الذى هم عليه وفارقوهم على خلافه ؟ فوالله لو كانت [١١٧] الحكومة عدلا لكان على قد ترك الحق بتحكيمه فى دين الله من يدين بخلاف دين الله مما استحل من قتل المؤمنين وسفك دمائهم وتحريم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية ، وما حرم الله من قتل الفئة الباغية ، مع ولاية من يدين بدينه من ولاية من عادى الله ورسوله ، وعداوة أولياء الله على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والله سبحانه وتعالى يقول ومن (يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)(١). ثم قالوا نذكرك الله يا ابن عباس هل تعلم أن أبا موسى كان شاكاً فى قتال الفئة الباغية يحرم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية ويخذل الناس عن القتال ؟ قال : اللهم نعم . قالوا : إن علياً حكم فيمن قتل الصيد وهو محرم ، من يعلم أنه لا يحرم قتل الصيد على من قتل الصيد فى الحرم ولا يحرم على من قتل الصيد وهو محرم ، لكان بتحكيمه من كان هذا أمره وصفته على هذا الوجه ضالا إذ حكم شاكاً مرتاباً فيما حكم الله من تحكيم قتل الصيد فى الحرم إذا كان محرماً ، لضل بتحكيمه من هذا أمره وصفته . ولو كانت الحكومة عدلا لكان بحكومة من يستحل قتل المؤمنين ويعاديهم ويكفر بدينهم ، وحرم بحكومته ما أحل الله للمؤمنين من قتال من بغى عليهم ، واتبع سبيلا غير سبيلهم ، وأبى أن يقر بحكم القرآن فيما خالفوه فيه . فنذكرك الله يا ابن عباس هل تعلم أن عمرو بن العاص استحل ما حرم الله من دماء المسلمين ، وحرم ما أحل الله من قتل من بغى عليهم ، وتولى من عادى الله وعادى المسلمين ، ومن دان بدينهم ، وما هم عليه من الحق من قتال أهل البغى ، فقال اللهم نعم قد خصمتم علياً بهذا وقولكم الحق . ثم قالوا : أما ما ذكرت من قول الله : (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما)(٢) ، فأخبرنا عن رجل من المسلمين عنده يهودية

---

(١) سورة النساء : آية ١١٥ .

(٢) سورة النساء : آية ٣٥ .

أو نصرانية فكان بينهما اختلاف ومنازعة، هل ينبغي له ولمن حضره من المسلمين أن يدعوا اليهود والنصارى يحكمهم بما هم كافرون به من أحكام المؤمنين ؟ قال : لا.. قالوا : كيف حكم عليّ عمرو بن العاص وهو يكفر بما حكم فيه ويستحل ما حرم الله عليه من دماء المسلمين ويدين بغير دينهم ويوالى من عادوا ويعادى من والوا ، فنذكرك الله هل يسع علياً هذا ؟! .. قال : لا يجوز هذا لمن فعله ولا يسعه . قالوا : أما ما ذكرت من أمر الموادعة والقضية التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين المشركين فإنها كانت منازل ونقل عنها منزلة منزلة، نقل الله نبيه عنها وأمره بغيرها وحرم عليه الإقامة عليها ١١٨ وحرم على المسلمين أيضاً أن يقيموا على ما نقله عنه من ذلك القبلة التي كانت إلى بيت الله المقدس ، نقل الله نبيه والمؤمنين عنها باستقبال البيت الحرام . ومثل ذلك الخمر كانت حلالا ثم حرمها الله ونهى الله عنها أولا نهيين : نهى تأديب ثم اتبعها نهى تحريم ، وكل ذلك من نعمه وطوله ومننه على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى المؤمنين . وكذلك من فداء أهل بدر وما كان من ذلك ففاداهم النبي صلى الله عليه وسلم . ولم يكن فى فداهم أمر ولا نهى ولا وعيد ، وقال الله فيما فعلوا من ذلك بغير أمر منه : (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)(١) . وقد كان سبق من أمر الله العفو عنهم والمغفرة لهم فيما فعلوا . وقال بعض المفسرين سبق من الله أن لا يعذب أحداً إلا بعد بيان ، وقالوا سبق من الله لهذه الأمة أن يحل لهم الغنائم من عدوهم إذا حاربوهم وقاتلوهم . ثم أنزل الله على نبيه بعد ذلك فى براءة تحريم معاهدة المشركين فقال : (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين * وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب

---

(١) سورة الأنفال : آية ٦٨ .

أليم. إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين. فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم. وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)(١) . فجاءت براءة بنقض كل عهد وتحريم أمان المشركين وقتلهم حيث ما وجدوا وحصرهم والقعود لهم بكل مرصد ، وتحريم الجنوح إليهم ولا يقبل منهم إلا الدخول في الإسلام والإقرار به ، أو الجزية من أهل الكتاب، ولم يحل لنبيه أمان أحد منهم إلا من استجار به حتى يسمع كلام الله فإذا سمع كلام الله(٢) ولم يؤمن أبلغه مأمنه . ثم قال: (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا تقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا)(٣) . فليس لأحد أن يقيم على ما نقل الله نبيه عن معاهدة المشركين وحرم ذلك فى براءة فما حجة صاحبك علينا فيما |١١٩| نقل الله نبيه والمؤمنين عنه وحرم عليه ذلك فى براءة. فإن جوز فى ذلك فليرجع إلى قبلة بيت المقدس فليستقبله، وإلى جميع ما وصفنا مما نقل النبي عنه قد علمته أنت .

ثم قالوا : يا ابن عباس نذكرك الله هل تعلم أن الذى احتج به صاحبك علينا منتقض غير جائز فى الدين ؟ قال : اللهم نعم .. ثم قالوا : يا ابن عباس، ألست تعلم أن الله قال فى كتابه: (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)(٤) . وقال: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله)(٥) . قال اللهم نعم. قالوا فهل تعلم أن قتال الفئة الباغية حد

---

(١) سورة التوبة : الآيات ١ — ٦ .

(٢) « الله » : زيادة من عندنا .

(٣) سورة التوبة : آية ٢٨ .

(٤) سورة النور : آية ٢ .

(٥) سورة المائدة : آية ٣٨ .

من حدود الله علمه عباده كما علمهم جلد الزانى والزانية، وقطع يد السارق والسارقة . قال : بلى .. قالوا : فاخبرنا عن زان زنا وسارق سرق فقامت عليه بينة بسرقته فأراد إمام المسلمين أن يقيم ذلك الحد عليه وامتنع عن ذلك وأبى أن يقر لحكم الله ، وقامت طائفة من الناس يمنعونه من إقامة ذلك الحد عليه وامتنع بهم أليس قد أحل الله قتالهم؟.: قال : بلى .. قالوا : فان المسلمين(١) قاتلوهم حتى فشت القتلى بينهم ثم إنهم بعد ذلك دعوا المسلمين أن يبعثوا حكماً منهم وحكماً من المسلمين فما اجتمع عليه رأيهما أنفذوه وأمضوه وسلموا له :: أيسع المسلمين قبول ذلك ممن دعاهم إليه حكماً بالظلم وتعطيل الحدود ؟ .: أكان على المسلمين قبول ذلك منهما والرضى به ؟! والتحريم لقتال من عطل الحدود ودان بتعطيلها ؟ قال : اللهم نعم ، لا يسع ذلك من فعله . قالوا : كيف يسعنا أن نحكم فى دين الله من يدين بتعطيل الحدود وبتحريم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية، وإنما قتال الفئة الباغية حد من حدود الله كما حكم فى الزانى والسارق ، وكل ما حكم الله فيه فليس للعباد التخيير فيه، قال الله: (وأن أحكم بينهم بما أنزل الله)(٢) : وقال: (فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون)(٣) . وقال: (أفغير الله أبتغى حكماً وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا)(٤) . وقال: (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم . ولكن أكثر الناس لا يعلمون)(٥) : وأما من جعل حكمه إلى الرجال ولم يكن منه حكم معلوم ولا من النبى صلى الله عليه وسلم سنة معروفة، فالحكم فى ذلك إلى من جعله الله إليه وهم عدول المسلمين ، وأما ما حكم الله به ولم يجعل لأحد فيه الخيرة كما قال الله تبارك |١٢٠| وتعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة

---

(١) كتبت سهوا فى المخطوطة « فإن المسلمون » .

(٢) سورة المائدة : آية ٤٩ .

(٣) سورة المائدة ، آية ٤٩ .

(٤) سورة الأنعام : آية ١١٤ .

(٥) سورة يوسف : آية ٤٠ .

من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً)(١) . وقال : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)(٢) فكيف يحكم فى دين الله من لم يحكمه الله ورسوله ووجد فى نفسه حرجاً مما قضى الله ورسوله وأبى أن يسلم لحكم الله تسليماً . وإن معاوية وعمرو بن العاص أبيا أن يسلما لحكم الله ورسوله . قال: اللهم نعم . قالوا: يا ابن عباس إن كان معاوية وعمرو بن العاص أبيا أن يسلما لحكم الله وما أنزل الله من القرآن ثم رجعا عما كانا عليه وفاءا إلى أمر الله ورجعا إلى دين المسلمين فالحق علينا أن نقبل منهم ونتولاهم على ذلك: لأن الله أمر بقتال الفئة الباغية حتى تفىء إلى أمر الله. فاذا فاءوا إلى أمر الله قبل ذلك منهم ولم يسع أحد رد ذلك عليهم. فاما أن نحكم الرجال فيما قد فرغ الله من الحكم فيه وإن كانوا حكموا بنقض ما جاء من الله قبلنا ، وان انتقل عما نحن عليه من البينات إلى الضلال والعمى ، والترك لحكم الله والإيمان الذى عليه حتى نستحل ما حرم الله ونحرم ما أحل الله ونوالى من كنا نعاديه بدين وفريضة ، ونعادى من كنا نواليه بدين الله وبحكم كتاب الله وما افترض علينا من ولاية من أقر بديننا، فمعاذ الله أن نفعل ذلك إن شاء الله حتى تذهب أنفسنا أو نظهر على عدونا . فقال ابن عباس: اللهم هذا هو الحق .

قالوا: ألست تعلم أن فيما شرط علىّ ومعاوية كل واحد منهما على صاحبه أن أيما رجل أحدث حدثاً من أصحاب علىّ ودخل فى دين معاوية وحكمه فليس لعلى إقامة ذلك الحد عليه لدخوله فى دين معاوية وحكمه ، وكذلك أيما رجل دخل من أصحاب معاوية وأحدث حدثاً ودخل فى دين على فليس لمعاوية إقامة الحد عليه لدخوله فى دين علىّ وحكمه ، فكيف ندخل فى دين قوم قد أقروا على أنفسهم بأن من أحدث حدثاً منهم ففر من حكم الله عليه وكره إقامة الحد بأن يقول دخل فى دين معاوية وضع ذلك الحكم والحد عنه ؟

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٦ .

(٢) سورة النساء : آية ٦٥ .

وكيف ندخل فى دين رجل وحكمه وقد خلع نفسه من إمارة المؤمنين ولم يرجع ولم يستغفر مما قد أتى مما وصفناه وذكرناه من أمره فيما سوى ذلك قد استحق من الله البراءة والخلع حتى يتوب من ذلك ويستغفر ربه ويراجع من ذنبه .

ألست تقول إن علياً قاتل طلحة والزبير بكتاب الله [١٢١] وبما افترض الله عليه فيه من قتال الفئة الباغية فقال : (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله)(١) وعلى ذلك الأمر قاتل معاوية. قال : اللهم نعم . قالوا : وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قاتل عمار بن ياسر رحمه الله ومن معه بصفين حتى قتل عمار بن ياسر ومن معه من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، والتابعين بإحسان على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقتال الفئة الباغية حتى تفىء إلى أمر الله وبأمر الله وبإذنه قاتلوا !! قال : اللهم نعم .

قالوا أخبرنا عن على حين حكم الحكمين أليس قد حرم القتال الذى قد أحله الله من معاوية وجنده حتى يحكم الحكمان ويأذنا به. قال : اللهم نعم ، قالوا أخبرنا عن على أحرم دماءهم بتوبة من معاوية وجنده ودخول منهم فى الإسلام؟ فقال : بل حرم دماءهم بغير توبة منهم ولا دخول فى الإسلام ، بل حرم دماءهم بالعهد الذى أعطاهم حتى يحكم الحكمان بغير توبة ولا دخول منهم فى الإسلام . قالوا أليس قد حرم على منهم ما أحل الله من قتالهم بغير انتقال منهم عن الذى أحل دماءهم ، واستحل دم من استحل دماءهم وهم على المنزلة التى أمرهم الله بقتالهم فيها بغير أمر حدث من الله فحرم دماءهم فمن قام الآن بكتاب الله وسنة نبيه ؟ وبما قام به عمار ومن معه من المسلمين فقاتل من قاتل عماراً واستحل من استحل عمار دمه فهو من الكافرين عند صاحبك ، وكيف يكون عمار من المهتدين ويضل من عمل عمله واقتدى بهداه من بعده ؟ فإن كان قتالهم عماراً هدى فقد اهتدى من اقتدى بهداه من بعده ، وإن كان قتالهم ضلالا فقد ضل على وأتباعه بولاية عمار ومن معه من المسلمين لقتالهم معاوية . وكيف يكون القتال لمعاوية ضلالا اليوم ومعاوية على الدين الذى

(١) سورة الحجرات : آية ٩ .

استحل عمار منه قتاله وقتال من معه ، ثم لم يتوبوا ولم يرجعوا عما هم عليه إلى دين المسلمين وقولهم ؟ فكيف لم يكن القتال لطلحة والزبير على البغى ضلالا وقد كانا أفضل من معاوية ؟ ويكون القتال لمعاوية ومن معه ضلالا وهم على الدين الذى كان عليه طلحة والزبير ؟ .. فهذا ما نعرف من خطأ علىّ ورجعته عما كان عليه من الحق ورغبته عما مضى عليه خيار المسلمين . وكيف يحل الله قتال قوم ويأمر به ، ثم يهتدى من حرمه وهم على ذلك الدين ويضل من استحله ؟ وكيف يحل الله قتال قوم ويأمر به |١٢٢| ويأذن فيه ثم يكفر من استحله حتى يأذن فيه من يستحل تحريمه من الحكمين ؟ وذلك أن علياً حرم القتال الذى أحله الله من معاوية وجنده حتى يأذن فيه عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعرى . وزعم على أن من قام بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ويستحل ما أحل الله من قتال الفئة الباغية حتى تفىء إلى أمر الله فهو من الكافرين حتى يأذن فيه من يدين بتحريم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية حتى تفىء إلى أمر الله بغير كتاب من الله حدث يحرم فيه ما أحل من قتالهم ، وحتى يأذن فيه من يدين بتحريمه ويستحل ما حرم الله من دماء المسلمين ، ويحرم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية ، ويعادى أولياء الله ويوالى أعداء الله ، فنذكرك الله يا ابن عباس هل يسع هذا من فعله ويهتدى به ؟ قال اللهم لا ..

وانصرف من عندهم وهو مقر لهم ومعترف أنهم قد خصموه ونقضوا عليه ما جاء به مما احتج به عليهم .

فرجع ابن عباس إلى علىّ فلما رآه قام إليه فناجاه وكره أن يسمع أصحابه قولهم وحجتهم التى احتجوا بها ، فقال له على : ألا تعيننى على قتالهم ؟ .. فقال له ابن عباس : لا والله لا أقاتل قوماً خصمونى فى الدنيا وأنهم يوم القيامة لى أخصم وعلىّ أقوى ، إن لم أكن معهم لم أكن عليهم !! واعتزل عنه ابن عباس رضى الله عنه ثم فارقه فكتب إليه علىّ يؤنبه بمال أخذه من البصرة من بيت المال ، فكتب إليه : قد عرفت وجه أخذى المال أنه كان ثم بقية دون حتى

من بعد ما أعطيت كل ذى حق حقه ، وقد علمت أخذى المال من قبل قولى فى أهل النهروان ، ولو كان أخذى المال باطلا كان أهون من أن أشرك فى دم مؤمن فكف عن القوم فأبى .

ذكر مقتل أهل النهروان رحمهم الله :

فلما أفلجوه(١) زحف إليهم بمن شايعه من الرافضة وأهل الكوفة وشواذ الناس وهم كافون عنه يناشدونه الله فى دينهم ودمائهم ، وكرهوا أن يبدءوه بالقتال حتى بدأهم فقتل منهم يومئذ أربعة آلاف من أفاضل الصحابة فيهم فيما بلغنا سبعون من أهل بدر ، وأربعمائة يقال لهم السوارى كانوا لا يفقدون من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأن جباههم وركبهم من شدة اجتهادهم ثفن الإبل(٢) خيار الناس وفقهاؤهم وأهل الشرف فى الدين والرأى والقدم من المهاجرين والأنصار ١٢٣ والتابعين لهم بإحسان ، وقتل فيهم حرقوص بن زهير الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما بلغنا ، ثلاثة أيام أول من يدخل عليكم من هذا الباب رجل فهو من أهل الجنة ، وكل ذلك دخل منه حرقوص بن زهير ، وهو الذى دفن دانيال الحكيم وكان دانيال سأل ربه أن يدفنه رجل من أهل الجنة ، فلم يزل دانيال فى تابوت فى أيدى أهل الضلال من أهل الكتاب يستسقون به إذا أمسك عنهم القطر ، حتى فتح أبو موسى الأشعرى السوس(٣) فوجده فى تابوت وكتب إلى

---

(١) أفلج برهانه : أظهره وقدمه . أفلج على خصمه : استظهر عليه .

(٢) ثفن الإبل : الثفنة من البعير والناقة ، الركبة وما مس الأرض .. وقيل هو كل ما ولى الأرض من كل ذى أربع إذا برك أو ربض . والجمع ثفن ، وثفنات .
(ابن منظور : لسان العرب) .

(٣) بلاد السوس هى الجزء الغربى من بلاد المغرب المطل على المحيط الأطلسى . وقد ذكرها الرحالة والجغرافيون المسلمون مثل ابن حوقل فى كتابه المسالك والممالك . وكذلك ذكرها ياقوت فى معجم البلدان فى مادة « سوس » .
وكان السوس يقسم إلى قسمين : السوس الأقصى ويضم سلسلتى جبال الأطلس وما فى جنوبهما وغربهما ، والسوس الأدنى ويشمل الجزء الشمالى من بلاد المغرب الحالية .

عمر بن الخطاب رحمه الله، فكتب إليه عمر أن يدفنه ولا يشعر به أحد ويكون دفنه سراً ، وأنفذ إليه عمر حرقوصاً حتى دفنه ووجد فى التابوت حلة فكساها عمر حرقوصاً . وبلغنا أن أبا موسى سأل عن حرقوص بعد ذلك فقال: مافعل حرقوص فقيل له: إنه أصيب فى أهل النهروان ، فقال والذى نفسى بيده لو اجتمع على الرمح الذى طعن به حرقوص ما بين المشرق والمغرب لدخلوا النار كلهم .

وقتل فيهم أبو كعب فى نفر من بنى حطامة ، وقتل فيهم ثوملة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين من أهل بدر ، وبقيتهم من المهاجرين والأنصار .

فلما قتل على بن أبى طالب أصحاب النهروان وهم على الأمر الذى كانوا عليه معه بالأمس ندم على قتلهم وجعل يأتى على قتلاهم وهو يستغفر لهم ويقول: بئس ما صنعنا ، قتلنا خيارنا وفقهاءنا . ويوجد أنه قال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين قتلنا المشركين ، قال من الشرك فروا ، قال أفمن المنافقين؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيراً . ثم اختلف عليه أصحابه ففارقوه ، منهم من ارتاب ومنهم من عرف فعله فجعلوا يظهرون التوبة من قتلهم وبقى مخذولا ، ومنهم من أنكر الحكومة فخذله ، ومنهم من رضى بما حكم عليه فخذله ، وكان الواجب عليه إن تكن الحكومة حقاً أن يقبل بما حكما عليه ويوفى بما عاهد عليه ، وإن تكن الحكومة ضلالا فقد كان ينبغى له أن لا يحكم فلا هو رضى ممن حكمه ولا هو اتبع من نصحه ،

= والمعروف أن الذى وصل إلى بلاد السوس فاتحاً هو القائد الشهير موسى بن نصير ، وكان ذلك على عهد الوليد بن عبد الملك الأموى (٨٦ – ٩٦ هـ) . ولا نعرف أن أبا موسى الأشعرى اشترك فى فتوحات المغرب ، فضلا عن أنه فى زمن عمر بن الخطاب اكتفى الخليفة وقائده عمرو بن العاص بعد فتح مصر بفتح برقة وطرابلس (بين سنتى ٢٠ و ٢٣) هـ .

وطبيعى أن القصة الخاصة بدانيال الحكيم ، والتى أوردها مؤلف المخطوطة ، هى من نوع القصص والأساطير التى كان يوردها مؤرخو ديار الإسلام فضلا عن مؤرخى أوربا فى العصور الوسطى .

كذلك المقصود بالسوس هنا مدينة فى خوزستان وكانت عاصمتها قبل الإسلام ، وقد فتحها المسلمون فى سنة ١٧هـ / ٦٣٩م بقيادة أبى موسى الأشعرى .

فانسلخ من الأمر ، وبقى مخذولا حتى قتل وكانت خلافته ست سنين.

مقتل على بن أبى طالب :

فلما انسلخ من الأمر قيض الله له عبد الرحمن بن ملجم المرادى ضربه ضربة على باب داره ، وفيه يقول عمران بن حطان شعراً :

يا ضربة من تقيّ ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

[١٢٤] انى لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

الباب الثالث والعشرون

فى ذكر ولاية الحسن بن على بن أبى طالب

ولما قتل على تولى الحسن بن على أمر أصحابه وجهز قيس بن سعد بن عبادة لحرب معاوية. فلما علم معاوية ذلك كاتب الحسن وخدعه كما خدع أباه من قبله، فأرسل إليه بأوقار (١) من ذهب وفضة كما بلغنا ، وكتب إليه : والله إنك لعندى أعز من ابنى فاجعل الخلافة لى وادخل فى طاعتى فإنى أحق بها لسنى ، وإنى جاعلها لك من بعدى فيجمع الله أمرنا وتضع الحرب أوزارها . فركن الحسن إلى قوله وطمع فى الملك من بعد موته وترك ما كان يطلب بكتاب الله وسنة نبيه وقتال الفئة الباغية (٢) . فلما نال ذلك معاوية وأصاب حاجته أقبل إلى الكوفة ليدخلوا فى طاعته .

ذكر مقتل أهل النخيلة :

فلما مر بهم معاوية بن أبى سفيان استقبله أهل النخيلة فدعوه إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى ما كانت عليه الجماعة ، فأبى ذلك عليهم فقاتله أهل النخيلة قتالا شديداً حتى فشى القتل فى أصحاب معاوية . فنادى معاوية كما بلغنا أغدراً يا أهل الكوفة ! فخرج الحسن وأهل الكوفة لنصرة معاوية فاجتمعوا على أهل النخيلة فقتلوهم ، ثم قال الحسن لأصحابه : إنكم بايعتمونا على أن تسالموا من سالمنا وتقاتلوا من قاتلنا ألا وإنى قد سالمت

---

(١) أوقر إيقاراً الدابة : حملها ثقيلا .

(٢) ذكر اليعقوبى « وهو علوى » أن الدافع الحقيقى الذى جعل الحسن يتنازل عن الخلافة هو أنه وجد نفسه لا قبل له بمعاوية وجنده ، فعقد مع معاوية صلحاً نزل له فيه عن حقه فى الخلافة على أن يكون الأمر بعد معاوية شورى بين المسلمين يولون عليهم من أحبوا . (انظر تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٢٥٤) .

معاوية فسالموه ودخلوا فى طاعته(١) .

وباع الحسن الآخرة بالدنيا وقد قال الله تعالى: (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار)(٢) . الآية . وقال: (ولا تطع منهم آثماً أو كفورا)(٣). وبلغنا أن ابن عباس رضى الله عنه غضب غضباً شديداً عند ذلك مما صنع الحسن وقال : إنكم لأحق أهل بيت العرب من أن تنزلوا بمنزلة من تيهه الله من بنى إسرائيل أربعين سنة لأنكم خرجتم بزعمكم تطلبون كتاب الله وسنة نبيه، وتقاتلون بزعمكم الفئة الباغية، ثم صددتم الناس عن قتالهم وجبنتم أن تصبروا على أمر الله كما جبنت بنو إسرائيل عن دخول القرية .

---

(١) ذكر المؤرخون أن معاوية دخل الكوفة فى اليوم الخامس والعشرين من شهر ربيع الثانى سنة ٤١ هـ حيث أخذت له البيعة بحضور الحسن والحسين ، واجتمع عليه الناس ، فسمى ذلك العام عام الجماعة . (المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٦) .

(٢) سورة هود : آية ١١٣ .

(٣) سورة الإنسان : آية ٢٤ .

الباب الرابع والعشرون

فى اجتماع الأمر لمعاوية

فلما استولى معاوية على الأمر وتداولها هو وقومه بنو أمية اختفى الإسلام واستقام لهم الملك وقهروا الناس بالسيف ، وليس أحد ينازعه إلا ضرب عنقه بالسيف أو أرضاه بالدنيا .

فصل

فإن عارض معارض فقال إن الذى ذكرت من أمر عثمان وعلى وطلحة والزبير ومعاوية وغيرهم [١٢٥] من الصحابة مغفور لهم ومرضى عنهم بقوله عز وجل : (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة)(١) فهم مرضى عنهم ، قيل له : إن هذه الآية مخصوصة والدليل على ذلك قوله : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً)(٢) . وأما احتجاجك بالآية : (لقد رضى الله عن المؤمنين) فلم يقل رضى الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة . وكذلك لا يجوز فى مقتضى اللغة أن يرضى عن البعض لأن من كان عنده أولاد بعضهم مؤمنون وبعضهم فاسقون . وقال من قال رضى الله عن بنى فلان ، لا يقع الدعاء على الكل وإنما يقع على المؤمنين دون الفاسقين ، وكذلك إن قال بنو فلان ظلمة فسقة لا يقع التوبيخ على المؤمنين . وإنما يقع على الفاسقين والظالمين ومن هاهنا بطل اعتلالك .

ذكر خلافة يزيد بن معاوية :

فلبث معاوية ما شاء الله أن يلبث ثم استخلف ابنه يزيد وجعل الملك له

---

(١) سورة الفتح : آية ١٨ .

(٢) سورة الفتح : آية ١٠ .

من بعده وبايع له الناس وجمعهم على طاعته وأن يرضوا به ، ففعلوا وجعلها وراثة وترك الحسن بن على خليعاً مسلوباً ، ثم لم يف له بما عاهده ولبث معاوية ما شاء الله خليفة ، وقدكان من جوره وظلمه ما لا يخفى على ذى لب ، ولو لم يكن من جوره وظلمه إلا قتل عمار لكفاه . ثم إن الله أماته وتولى يزيد وكان أفسق من أبيه وأظلم .

خروج عبدالله بن الزبير :

فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج عبد الله بن الزبير بمكة وطمع فيما كان يطمع فيه أبوه من قبله من الملك(١) واتبعه من أهل الحجاز وغيرهم ، فأغرى الله بينهم العداوة والبغضاء ، ووقع بينهم الشر ، فبعث يزيد بن معاوية عقبة بن مسلم المرى فى جند من أهل الشام فساروا حتى أتوا المدينة فعملوا فيها ما لا يرضاه الله ورسوله من القتل واستباحة الفروج ونهب الأموال . ثم سار عدو الله من المدينة وهو يريد مكة فأماته الله من قبل أن يأتيها ، فأمر الحصين ابن تميم الحميرى على جنده فسار عدو الله حتى انتهى إلى مكة فاستجار ابن الزبير بالكعبة والمسجد الحرام وامتنع فيه بمن معه ، فنصب عليه الحصين المنجنيق وجعل يرميه بالنار ، فأحرق عدو الله البيت الحرام الذى جعله الله قياماً للناس وأمناً ، وقتلهم واستحل منهم ما حرم الله ورسوله إذ جعله الله حرماً آمناً ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم خبر موت الفاسق يزيد بن معاوية فتفرق عن الحصين جنده وتراجعوا إلى الشام ودخل الحصين فيما زعموا |١٢٦| فى طاعة ابن الزبير .

---

(١) ظهر طموح عبد الله بن الزبير إلى الخلافة فى حياة أبيه حين خرج معه فى موقعة الجمل إذ أرسلت السيدة عائشة إلى مروان بن الحكم ليصلى عبد الله بن الزبير بالناس .

تولية مروان بن الحكم :

ثم تأمر مروان بن الحكم(١) فطلب مطلب الفسقة من قبله وطلب الملك والدنيا وتبعه من تبعه من أهل الشام فقال مروان كما زعموا شعراً :

لما رأيت الأمر أمراً نهبا — عبأت غسان لهم وكلبا
والسكسكيين رجالا غلبا — ومن تنوخ مستهلا صعبا
والقين تمشى فى الحديد نكبا — لا يأخذون الملك إلا غصبا

وقد علم عدو الله أن قتالهم على الملك والدنيا، وتركوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون أهل الجاهلية . ودخل الحصين الشام فخدعه مروان ودخل فى طاعته وماكر خليفة عبد الله بن الزبير وهو الضحاك (٢) حتى قتله :

أمر مصعب بن الزبير :

وكان عبد الله بن الزبير بعث أخاه مصعباً إلى البصرة فغلب عليها وخرج بمختار الكذاب إلى الكوفة ، وأظهر المختار أنه يطلب بدم الحسين بن على ، وأنه يدعو إلى أهل البيت فاتبعه على ذلك سفهاء الناس وجهالهم فكثر أتباعه ، فجعل يزخرف لهم القول ويمنيهم الظهور فى حياة الموتى ، فبعث إليه مروان ابن الحكم جنداً من أهل الشام واستعمل عليهم عدو الله عبيد الله بن زياد

---

(١) لم يكن مروان بن الحكم جديداً فى عالم السياسة حين ولى الحكم فقد كان الذراع اليمنى للخليفة عثمان بن عفان وأصيب بجرح بالغ فى الدفاع عنه . كذلك ولى الحجاز عدة مرات فى عهد معاوية بن أبى سفيان .

وكان أبوه الحكم بن العاص يؤذى الرسول عليه الصلاة والسلام قبل أن يسلم ولما أسلم لم يخلص فى إسلامه واضطر الرسول عليه الصلاة والسلام أن ينفيه من المدينة .

(انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٥ ، ص ٢٦) .

(٢) بعد وفاة يزيد بن معاوية اجتمعت قيس بزعامة الضحاك بن قيس الفهرى فى مرج راهط فى الشام وبايعت عبد الله بن الزبير . وسار مروان إلى الضحاك وهزمه فى موقعة مرج راهط فى المحرم سنة ٦٥ هـ (أنظر الطبرى : تاريخ ، ج ٧ ، ص ٣٤ — ٣٩) .

والحصين بن نمير فالتقوا بحارد أرضاً بين الشام والكوفة . وعلى أصحاب المختار يومئذ إبراهيم بن الأشتر النخعى فالتقوا فأظهر الله المختار على أهل الشام فقتل عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير ورجع من رجع منهم هارباً إلى الشام . ثم إن مصعباً سار بأهل البصرة إلى المختار فبعث إليهم جنداً وأمر عليهم أحمر بن سُميط ، وكتب إليه المختار أن سر باسم الله إلى البصرة فإنك تدخلها صافية عافية بين يديك جبرائيل وميكائيل يصلحان لك الطريق وقد خاب من افترى .

فسار أحمر بن سميط بمن معه وهو يرجو الذى كتب إليه الفاسق المختار ، فالتقوا هم وأهل البصرة بالمدار فقتل الله أحمر بن سميط وعامة أصحابه ، وهرب بقيتهم إلى الكوفة فلحقوا بالمختار ، ثم خرج مصعب حتى أتى الكوفة فاقتتلوا بها فقتل المختار وعامة من كان معه من الناس ودخل الناس فى طاعة مصعب بن الزبير وصارت البصرة والكوفة لمصعب ومات مروان بن الحكم .

تولية عبد الملك بن مروان :

فجعل مروان الأمر من بعده لولده عبد الملك بن مروان ولعبد العزيز ابن مروان بعد عبد الملك . وكان ابن عم لهم يقال له عمرو بن سعيد(١) يضادهم فى الملك . فبعث عبد الملك الحجاج بن يوسف فى جند من أهل الشام إلى عبد الله [١٢٧] بن الزبير بمكة فقدم عليه الحجاج فاقتتلوا فقتل ابن الزبير فى المسجد الحرام واستحل كل الفريقين ما حرم الله ورسوله . وكان قتال كل الفريقين على الدنيا . ثم اجتمع لعبد الملك أهل الحجاز وأهل الشام . وكاتب أهل العراق وأهل البصرة فغدروا بابن الزبير مصعب فقتلوه وولى قتله فيما زعموا عبد الله بن ظبيان التميمى ، فانطلق برأس مصعب إلى عبد الملك ابن مروان ، وفى ذلك يقول عبد الله بن ظبيان شعراً :

تعاطى الملوك الحق ماقصدوا لنا   وليس علينا قتلهم بمحرم

واستولى عبد الملك على العراق والشام ، ثم ماكر ابن عمه عمرو بن سعيد حتى

(١) عمرو بن سعيد ، وليس ابن « سعد » كما كتب فى المخطوطة سهواً .

قتله وفيه يقول بشير بن مروان شعراً :

يا عين جودى بالدموع على عمر   عشية تأتينا الخلافة بالغدر
كان بنى مروان إذ يقتلونه   بغاث(١) من الطير اجتمعن على الصقر

فاستقام الأمر لعبد الملك بن مروان لا ينازعه فيه أحد إلا ضرب عنقه ، وهذا عمل أعداء الله وصنيعهم يقتل بعضهم بعضاً ويستحل بعضهم حرمة بعض حرصاً على الدنيا وركوناً إليها . وكانت فتن على أثر فتن عموا فيها وصموا واتبعهم الناس على ذلك كلهم ، إلا فريقاً من المؤمنين كانوا يكتمون إيمانهم ويفرون من جور أهل الضلالة والظلمة ، وينكرون عليهم بما قدروا. يتبعون أثر من كان قبلهم من المسلمين ، ويهتدون بهداهم ويسيرون بسيرتهم يتولى منهم الماضى القاعد ، ويقيم المقيم على سبيل الماضى ، كلمتهم واحدة وأمرهم واحد ، حسن جميل وفعلهم رشيد ، يلتمسون بذلك الفضل والأجر من الله على سبيل أوائلهم وسنة نبيهم ، لا يخافون فى الله لومة لائم ، يجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ليس بأموال الناس ، يحتملون الأذى فى الله ويخوضون الغمرات فى طاعة الله ويصبرون على ما أصابهم فى جنب الله ، يرجون ما عند الله. نسأل الله أن يسلك بنا سبيلهم واللحاق بهم على ما مضوا ، وأن يميتنا على سنة نبيه وملة خليله ، وأن يدخلنا الجنة بفضلة وينجينا من النار برحمته انه أرحم الراحمين ، وأكرم الأكرمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

تم كتاب ابتداء خلق السموات والأرض والملائكة والإنس والجن وذكر شىء من أخبار الأنبياء عليهم السلام : ويتلوه الكتاب الثالث فى ذكر افتراق الفرق والأديان وشرح فرقة أهل الاستقامة والإيمان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . [١٢٨] وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

(١) البغاث : طائر بطىء الطيران ، الجمع : بغثان .

الباب الخامس والعشرون

فى ذكر الفرق

بسم الله الرحمن الرحيم

نبتدئ بحمد الله ذى الجلال والإكرام ، والصلاة على نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وبه نستعين . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افترقت المجوس على سبعين فرقة ، واليهود على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى على اثنين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، الناجية من جميع الفرق فرقة واحدة » . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الفرقة الناجية فقال صلى الله عليه وسلم : « الناجى من سار بسيرتى وأخذ بكتاب الله وسنتى » . وتصديق ذلك قوله عز من قائل : (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)(١) . وقال سبحانه وتعالى : (وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)(٢) . فالدين واحد من لدن آدم إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . قال عز من قائل : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب)(٣) . وقال لنبيه عليه السلام : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)(٤) . وقال عز من قائل : (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان

---

(١) سورة الحشر : آية ٧ .

(٢) سورة البينة : آية ٥ .

(٣) سورة الشورى : آية ١٣ .

(٤) سورة الأنعام : آية ٩٠ .

من المشركين)(١) ، وقال سبحانه وتعالى : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)(٢) . وقد ذم الله المذبذبين أتباع كل ناعق ، لقوله تعالى : (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء)(٣) لا إلى أهل الكفر فيحكم عليهم بأحكامهم ، ولا إلى أهل الإيمان فيحكم عليهم بحكم الإيمان فيستحقون الثواب. وفيهم قال(٤) شعراً :

شريعة حق بين لم يردهـــا   إلى غير دين الله دين مذبذب

فدين الله واحد وإن اختلفت فيه المقالات وكثرت فيه الجهالات ، ووقع بين الأمة الافتراق ، وأغرى الشيطان بينهم العداوة والبغضاء والشقاق . ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك. فالناجي من اتبع كتاب الله وسنة نبيه وعمل بأوامره وانتهى عن معاصيه . وقال عز من قائل : (فماذا بعد الحق إلا الضلال)(٥) . والفرق كثيرة يكثر لتعدادهم الكتاب ويطول |١٢٩| لذكرهم الشرح والخطاب غير أني أميل إلى الاختصار ، وأذكر ما حضرني ذكره لأولي النهى والأبصار وبالله التوفيق .

---

(١) سورة النحل : آية ١٢٣ .

(٢) سورة الجاثية : آية ١٨ .

(٣) سورة النساء : آية ١٤٣ .

(٤) « وفيهم قال » : زيادة من عندنا .

(٥) سورة يونس : آية ٣٢ .

الباب السادس والعشرون

في ذكر فرق المجوس من كتاب الضياء

يقال إن المجوس كلمة فارسية معربة وأصله موكوس وذلك أنهم نسبوا إلى رئيس لهم كان كثير شعر الأذنين فقالوا بالفارسية موكوس ، ثم عربت فقالوا موجوس ، ثم أسقطوا الواو الأولى لكثرة ما يجرى على ألسنتهم فقالوا مجوس ، ثم قالوا في النسبة مجوسى . والمجوس تدعى أن لها شبه كتاب لما روى عن على أنه قال إن المجوس كان لهم علم يتعلمونه ويعلمون به ، وكتاب يدرسونه فسكر ملكهم ذات ليلة فوقع على ابنته فعلم به بعض أهل مملكته ، فلما أصبح أتوه ليقيموا عليه الحد ، فدعا أهل مملكته وقال لهم إن خير الأديان دين أبينا آدم فإنه كان ينكح بناته من بنيه ، ولست أرغب بكم عن دينه . فأجابوه إلى ذلك وقبل الجميع منهم قوله فأسرى بكتابهم ومحى من صدورهم ، ورفع العلم من بين أظهرهم ولأجل ذلك أخذ منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر الجزية . وقال بعض أهل العلم إن المجوس ليسوا بأهل كتاب وواجب قتالهم فإذا بذلوا الجزية وجب قبولها باتفاق الأمة . وقد روى قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المجوس فقال: سنوا بهم سنة أهل الكتاب . وقد روى عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قبل الجزية من مجوس هجر . والدليل على أن لا كتاب لهم قول النبي صلى الله عليه وسلم : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » ولو كان لهم كتاب ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « سنوا بهم سنة غيرهم من أهل الكتاب » . والدليل [الثانى على أن لا كتاب لهم فإن النبي صلى الله عليه وسلم ، لما كتب إلى قيصر كتب : (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم)(١) .. الآية . وكتب إلى كسرى «من محمد رسول الله إلى كسرى» ، وفى هذا دليل] على أن كسرى ليس من أهل الكتاب. وكسرى مجوسى وأكثر المجوس ثنوية ، لأنهم أثبتوا أصلين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد يسمون أحدهما

---

(١) سورة آل عمران : آية ٦٤ .

نوراً والآخر ظلمة واسمهما بالفارسية برداں واهرمن ، وهم فرق كثيرة . وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « افترقت المجوس على سبعين فرقة كلها هالكة » .

ومسائل المجوس تدور على قاعدتين إحداهما إثبات سبب امتزاج النور بالظلمة ، والثانى منه إثبات سبب خلاص النور من الظلمة . وقالت فرقة منهم [١٣٠] إن الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين ، بل النور أزلى والظلمة محدثة . ثم لهم اختلاف كثير فى سبب حدوثها ولهم خبط كثير ، ومنهم من يدعى نبوة كيومرت وأنه هو آدم ، ومنهم من يدعى نبوة زرادشت .

وأصل افتراقهم من أربع فرق : وهى الكيومرتية والزرادشتية والروانية والأومردية ، ثم تشعبت الأربع الفرق إلى سبعين فرقة . ومنهم الثنوية أصحاب الاثنين الأزليين بزعمهم يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان . ومنهم « من »(١) قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه . والثنوية قالوا بتساويهما فى القدم ولهم اختلاف كثير فى الجوهر والطبع والفعل والخير والمكان والأجناس والأزواج .

والمانوثية(٢) :

أصحاب ماثان بن الحكيم الذى ظهر فى زمان سابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى عليه السلام . وكان يأخذ بقول المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام ، وكان يزعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنهما أزليان لم يزالا .

المزدكية :

وهو مزدك الذى ظهر فى زمان قياد والدأنو شروان . دعا قيادا(٣) إلى مذهبه

---

(١) « من » زيادة من عندنا .

(٢) المانوثية : هى المانوية نسبة إلى أصحاب مانى الذين حاولوا التوفيق بين المسيحية والوثنية فى الشرق .

(٣) هو الملك « قباذ » .

فأجابه . وقول المزدكية كقول كثير من المانوية فى الكونين الأصلين ، لأن مزدك كان يقول النور يفعل بالقصد والاختيار ، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ، والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى . وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتل ، ولما كان يجرى من سبب النساء والأموال ، وأحل النساء وأباح الأموال ، وجعل النساء شركة فيهم كشركتهم فى الماء والنار والكلأ .

الديصانية :

أصحاب ديصان أثبتوا أصلين نوراً وظلاماً ، فالنور يفعل قصداً واختياراً ، والظلمة والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً ، فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور ، وما كان من شر وضر ونتن وقبح فمن الظلام . وزعموا أن النور عالم قادر حساس ، ومنه تكون الحركة والبركة والحياة ، والظلام ميت جاهل عاجز موات لا فعل له ولا تمييز ؛ وزعموا أن الشر يقع منه طناً وحرفاً .

المزقوبية :

أثبتوا أصلين قديمين متضادين ، أحدهما النور والثانى الظلمة وثبتوا أصلا ثالثاً وهو المعدل الجامع وهو سبب المزاج .

المكتوبية [١٣١] والصابئة :

زعمت المكتوبية أن الأصول ثلاثة النار والأرض والماء ، وإنما أحدثت هذه الموجودات من هذه الأصول دون الأصلين اللذين أثبتهما الثنوية ، وجميع المجوس يقولون بتعظيم النار . ويقولون فما كان من خير فى هذا العالم فمن النار ، وما كان من شر فمن الماء ، والأرض متوسطة ، ويتعصبون للنار تعصباً شديداً ، ولهم بيوت النيران. من بيوت نيرانهم ، فأول بيت بناه أفريدون بيت نار بطوس بمدينة بخارا ، ثم بيت نار بناه بهمن فى قرية تدعى كرايا ، ولهم بيت نار فى نواحى بجارام يسمى قباذان ، وبيت نار يسمى كوسيه بين فارس وأصبهان، بناه كيخسرو ، وبيت نار يسمى خرير ، وبيت نار يسمى كيليكرز

بناه سباوس فى مشرق الصين ، وبيت نار بأذربيجان من فارس اتخذه أرجان جد كسناسب . وهذه البيوت كانت قبل زرداشت ، ثم جدد زرداشت بيت نار بنيسابور ، وبيت نار بخوارزم نقلها كسناسب من فارس إلى كرمان ، ثم حملوا بعضها من كرمان إلى بلاد الروم على باب قسطنطينية . وبيت نار اتخذه سابور بن أزدشير فلم يزل كذلك إلى أيام المهدى ، وبيت نار بأسفينيا على قرب مدينة بغداد لبوران بن كسرى ، وكذلك بالهند والصين بيوت نيران.

والمجوس ممن يقول بالاثنين وقد رددنا عليهم فى أول الكتاب فى أول باب التوحيد وهو باب الرد على الثنوية . لا إله إلا الله إلهاً واحداً فرداً صمداً لم يتخذ ربنا صاحبة ولا ولداً ، ولا ضداً ولا نداً ولا يشبهه شىء من خلقه (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)(١) . ولقد أجاد وأحسن أحمد بن النظر حيث يقول شعراً :

ومن زعم الأشياء صاغت نفوسها	وتكوينها من جوهر النور والظلم
فما بالها إذ ملكت صنع نفسها	على ضعفها إذ ذاك وهى هناك دم
فعند وفور الجسم والعلم لم تطق	دفاع الذى يأتى من الضعف والهرم
تبارك علام الغيوب ومن له	يسبح موج اليم طوعاً ويصطدم
هو الله فرد واحد ليس عنده	شريك تعالى الله ذو المجد والكرم

(١) سورة الشورى : آية ١١ .

الباب السابع والعشرون

فى مذهب الصابئة

سموا صابئة لميلهم ، يقال صبا الرجل إذا مال إلى دين وزاغ عن الحق ، فلما مال(١) هؤلاء عن الحق وعن سنن الأنبياء وزاغوا عن نهج السبيل قيل لهم الصابئة . وبين الصابئة والحنفاء احتجاجات كثيرة |١٣٢| ومقالات موجودة تركتها اختصاراً . وأكثر ميل الصابئة التعصب للروحانيين . وفرقة يقال لها الحربائية وهى تقول إن على رأس كل ست وثلاثين سنة وأربعمائة وخمس وعشرين سنة زوجين من كل نوع من أنواع أجناس الحيوانات ذكر وأنثى يبقى ذلك النوع فى تلك المدة ، ثم إذا انقضى الدور بتمامه انقطعت الأنواع بنسلها وتوالدها ، فيبتدئ دور آخر ويحدث قرن آخر من الإنسان والحيوانات والنبات ، وأنه لا دار سوى هذه الدار ، ولا يهلكهم إلا الدهر . وعندهم أنه لا يتصور إحياء الموتى وبعث من فى القبور ، وهم الذين قال الله عنهم : (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم تخرجون * هيهات هيهات لما توعدون)(٢) . وهم الذين أخبر التنزيل عنهم بهذه المقالة. وإنما نشأ أهل التناسخ والحلول والرجعة من هؤلاء القوم . ومنهم فرقة تنسب إلى سولون جد أفلاطون لأمه ، ويزعم أنه كان نبياً وأنه حرم عليهم البصل والخريف (٣)والباقلا .

والصابئون كلهم يصلون ثلاث صلوات ، ويغتسلون من الجنابة ومن مس الميت ، وحرموا أكل الجزور(٤) والخنزير والكلب ، ومن الطير كل ذى مخلب واليمام ، ونهوا عن المسكر فى الشراب وأمروا بالتزويج بولى وشهود ولا يجوز الطلاق عندهم إلا بحكم حاكم ، ولا يجمعون بين امرأتين.

---

(١) كتبت فى المخطوطة « مالوا » .

(٢) سورة المؤمنون : الآيتان : ٣٥ - ٣٦ .

(٣) الخريف : الرطب المجنى .

(٤) الجزور : ما يجزر من النوق أو الغنم . والجمع جزر و جزورات وجزائر .

وأما الهياكل التى بناها الصابئة على أسماء الجواهر العقلية الروحانية وأشكال الكواكب السماوية ، فمنها هيكل العلة ، ومنها هيكل العقل ، وهيكل السياسة ، وهيكل الضرورة ، وهيكل النفس ، وهيكل مدور الشكل ، وهيكل زحل مسدس ، وهيكل المشترى مثلث ، وهيكل المريخ مربع مستطيل ، وهيكل الشمس مربع ، وهيكل الزهرة مثلث فى جوف مربع ، وهيكل عطارد مثلث فى جوف مربع مستطيل ، وهيكل القمر مثمن .

الباب الثامن والعشرون

فى مذهب الفلاسفة

الفلسفة باليونانية محب الحكمة وهو فيلا هو المحب وسوفاً الحكمة(١) أى هو محب الحكمة . فمن الفلاسفة حكماء الهند وهم البراهمة لا يقولون بالنبوة أصلا ، ومنهم حكماء العرب أكثر حكمهم بالطبع وخطرات الفكر ، وربما قالوا بالنبوات ، ومنهم حكماء الروم وهم مقتسمون منهم من يميل إلى القدماء مثل أرسطاليس ، وإلى الحكماء السبعة وهم صماس الملطى |١٣٣| وابنارقلس وإيكياعورس وفيثياعورس وسقراط وأفلاطون(٢) ، وللفلاسفة كلام كثير ومذاهب مختلفة تركتها اختصاراً.

---

(١) ذكر العرب أن كلمة « فلسفة » من كلمتى « فيلو » ومعناها محبة أو صداقة ، و« سوفيا » ومعناها الحكمة ، وهاتان الكلمتان معروفتان منذ أقدم عصور المدنية الإغريقية . ولكن فيلوسوفيا بهذا التركيب لم تكن معروفة فى العصور الأولى عند الإغريق . وروى مورخو الفلسفة أن هذه الكلمة جرت على ألسنة فيثاغورس وبيريكليس وغيرهما حيث نسبوا إلى فيثاغورس أنه قال : « لا حكيم إلا الله وحده وإنما الإنسان فيلسوف فحسب » .

وجاءت كلمة « فيلوسوفوس » بمعنى محب للحكمة . وليس من شك فى أن كلمة فيلسوف فى ذلك الحين لم تكن قد أخذت معناها الذى هى عليه الآن ، وإنما كانت كلمة متواضعة مرادفة لمحب الحكمة لا أكثر ولا أقل . (انظر الدكتور محمد غلاب : كتاب الفلسفة الإغريقية ، الجزء الأول ، ص ١٩ – ٢١ ، القاهرة ١٩٣٨ م) .

(٢) الحكماء السبعة : نبغ فى القرن السابع قبل الميلاد فى بلاد اليونان رجال معدودون أشهرهم « الحكماء السبعة » وعزى إليهم الحكم الفلسفية والعظات الخلقية والأمثال الاجتماعية والنصائح العمرانية التى ظلت تقود الأمة الهيلينية فى طرق الفضيلة والأخلاق وتنير لها سبل الحياة النافعة زمناً غير قصير . ويبدو أن تحديد عدد هؤلاء الحكماء بسبعة وإسناد كثير من الحكم والأمثال إليهم أمر رمزى أكثر منه حقيقى ، لأن المؤرخين اختلفوا فى أسماء الحكماء السبعة اختلافات شتى ولم يتفقوا إلا فى أربعة أشخاص من هؤلاء السبعة وهم : الفيلسوف طاليس (ثاليس) الملطى رأس المدرسة الأيونية ، وسولون مشرع أثينا ، وبياس حكيم مدينة بريينا الذى كرس كل عبقريته ومواهبه للدفاع عن العدالة ومناصرة الضعفاء ، وبيناكوس وهو طاغية لسبوس المثقف ، ويقال إن ضميره وخزه فتنازل عن السلطان ورد إلى الأمة حريتها .

وفلاسفة الإسلامية مثل يعقوب بن اسحاق الكندى ويحيي النحوى وأبى المفرج وأبى سليمان النحوى وأبى سليمان محمد بن المسعر وأبى بكر ثابت بن قرة الحرانى وأبى تمام يوسف بن محمد النيسابورى ، وأبى زيد أحمد بن سهل البلخى ، وأبى محارب الحسن بن سهل القمى ، وأحمد السرخسى ، وطلحة بن محمد وأبى حامد أحمد بن محمد الأسفراينى ، وعيسى بن عيسى الوزير ، وأحمد ابن على وأبى زكريا يحيى بن عدى ، وأبى الحسين عبد الله بن سينا . ولهم مقالات كثيرة فى الخلقة والفطرة والرجعة والحلول وتقسيم الأفلاك والدوائر ، والألفاظ والجنس ، والعرض والوجود والوهم وغير ذلك ، لم أشرحه لأن الحاجة إليه غير داعية .

= وذكر أفلاطون فى قائمته اسماء هؤلاء الحكماء الأربعة وأضاف إليهم أسماء ثلاثة آخرين وهم : خيلون الذى كان يعيش فى إسبرطة ، وكليوبولس صديق سولون ، ومسون . وهناك قوائم أخرى حذفت الثلاثة الآخرين واستبدلتهم بغيرهم مثل بريندروس طاغية كورنثا ، وإيبمينيدس وهو كاهن متنبىء كريتى ، وأناخرسيس الإسكينى وهو شاب أجنبى نزح إلى أثيناو اتصل بسولون ، وبريندروس وصار صديقاً لهما .(انظر الدكتور محمد غلاب ، كتاب الفكر اليونانى أو الأدب الهيلينى ، ج ٢ ، ص ١٧٣ — ١٧٥ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٨ ، طبعة القاهرة ، ١٩٥٣ م) .

الباب التاسع والعشرون

فى آراء العرب فى الجاهلية

نبدأ بذكر مقالات العرب فى الجاهلية ونعقبها بذكر أقاويل الهند . نبدأ بذكر البيت الحرام وسبب بنائه ثم نذكر سائر البيوت من بعده كما ورد فى التنزيل: (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً)(١) . واختلفت الرواة فى بنائه ، قيل إن أول من بناه آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض ، ووقع فى سرنديب من أرض الهند من جزيرة سيلان ، وكان محزوناً يتردد فى الأرض بين فقدان زوجته ووجدان توبته حتى فى زوجته حواء. والتقيا بجبال الرحمة بعرفات ، فعرفها وصار إلى أرض مكة فدعا ربه وتضرع إلى الله تعالى حتى يأذن الله له فى بناء البيت ليكون قبلة لصلاته ومطافاً لعبادته كما كان عهده فى السماء من البيت المعمور الذى هو مطاف الملائكة ومزار الروحانيين ، فأنزل الله عليه مثال ذلك على شكل سرادق من نور فوضعه مكان البيت ، وكان يتوجه إليه ويطوف به .

ثم لما توفى آدم صلى الله عليه وسلم ، وتولى وصيته شيث صلوات الله عليه بنى البيت من الحجر والطين على ذلك الشكل المذكور ولا زيادة فيه ولا نقصان ، ثم خرب ذلك طوفان نوح عليه السلام واشتد الزمان إلى أن انتهت النبوة إلى إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه ، حمل ولده إسماعيل وأمه هاجر إلى هناك ثم لما كبر إسماعيل وترعرع أمر الله تبارك وتعالى خليله ١٣٤ ببناء البيت وذلك قوله : (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل)(٢) فرفعا قواعد البيت على مقتضى أساسه وشرعا المناسك والمشاعر ودعا له بالتعظيم ، فهو معظم إلى يوم القيامة ، ثم بنته العمالقة على مقتضى أساسه ثم بنته جرهم على مقتضى أساسه ، وفيه يقول زهير بن أبى سلمى :

---

(١) سورة آل عمران : الآيتان ٩٦ – ٩٧ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٢٧ .

فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

وفى رواية إن الله خلق موضع البيت قبل الأرض بألفى عام فكانت ربوة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها. فلما أهبط الله آدم عليه السلام إلى الأرض وكان رأسه يمس السماء حتى صلع وأورث أولاده الصلع ، ونفرت من طوله دواب البر فصارت وحشاً يومئذ ، وكان يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم يأنس إليهم فهابته الملائكة واستكبر نفسه فنقصه الله إلى ستين ذراعاً بذراعه ، فلما فقد آدم ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك إلى الله تعالى ، فأنزل الله ياقوته من يواقيت الجنة لها بابان من زمرد أخضر باب شرقى وباب غربى فيه قناديل من الجنة ، فوضعه على موضع البيت الآن . ثم قيل له يا آدم إنى أهبطت إليك بيتاً يطاف به كما يطاف حول عرشى ويصلى عنده كما يصلى عند العرش ، وأنزل الله عليه الحجر ليمسح به دموعه وكان أبيض، فلما مسه الحيض فى الجاهلية اسود. وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة ولولا ما مسه المشركون بأنجاسهم ما مسه ذو عاهة إلا شفاه الله » . فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشياً فقيض الله تعالى له ملكاً يدله على البيت ، قيل لمجاهد يا أبا الحجاج ألا كان يركب ؟ قال وأى شىء كان يحمله فوالله إن خطوته مسير ثلاثة أيام وكل موضع وضع عليه قدمه صار عمراناً والذى تعداه صار مفاوز وقفاراً . فأتى مكة وحج البيت وأقام المناسك ، فلما فرغ تلقته الملائكة فقالوا يرحمك الله يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام .

قال ابن عباس حج آدم أربعين سنة من الهند إلى مكة على رجليه ، فهذا بدء أمر الكعبة حرسها الله فكانت على ذلك إلى أيام الطوفان فرفعه الله إلى السماء الرابعة وهو البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة |١٣٥| فأمر الله جبرائيل عليه السلام حتى خبأ الحجر فى جبل أبى قبيس صيانة له من الغرق ، فكان موضع البيت خالياً إلى زمن إبراهيم . ثم إن الله عز وجل أمر إبراهيم بعدما ولد إسماعيل وإسحاق عليهما السلام أن ابنيا بيتاً يعبد فيه ويذكر فيه . فلم يدر إبراهيم أين يبنى

فسأل الله تعالى أن يبين له موضعاً فبعث الله تعالى إليه السكينة لتدله على موضع البيت وهي ريح حجوج لها رأسان شبه الحية فتبعها إبراهيم حتى أتيا مكة فوقفت السكينة لتدله على موضع البيت ، وأمر إبراهيم عليه السلام أن يبنى حيث تستقر السكينة فبنى ، وهذا قول على بن أبى طالب والحسن ابن أبى الحسن .

وقال ابن عباس بعث الله سبحانه سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وإبراهيم فى ظلها إلى أن وافت مكة ووقفت على موضع البيت ونودى منها إبراهيم أن ابن على ظلها لا تزيد ولا تنقص فبنى بحيالها . وقال بعضهم أرسل الله جبرائيل عليه السلام ليدله على موضع البيت . فذلك قوله : (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) (١) فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت، جعل إبراهيم يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة . وسمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن حبيب يقول : سمعنا أبابكر محمد بن أحمد القطان النخلى ، وكان عالماً بالقرآن يقول : كان إبراهيم يتكلم بالسريانية وإسماعيل يتكلم بالعربية(٢) وكل واحد منهما يعرف ما يقول صاحبه ولا يمكنه التفوه به ، وكان إبراهيم يقول لإسماعيل هب لى كبنا ، يعنى ناولنى حجراً، ويقول له إسماعيل هاك الحجر فخذه . فبقى موضع للحجر فذهب إسماعيل يبغى حجراً لذلك الموضع فجاء جبرائيل بحجر من السماء فأتى إسماعيل وقد ركب إبراهيم الحجر فى موضعه فقال : يا أبت من أتاك بهذا الحجر ؟ فقال أتانى به من لم يتكل على بنائك فانما بنى البيت فذلك قوله: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل)(٣) .

---

(١) سورة الحج : آية ٢٦ .

(٢) المعروف أن سيدنا اسماعيل هو أب العرب العدنانية ، أو العرب المتعربة ، أو المستعربة وذلك لأن إسماعيل كان يتكلم العبرانية أو السريانية ، فلما نزلت قبيلة جرهم ، وهم من العرب القحطانية أو العرب العاربة ، بمكة ، وسكنوا مع إسماعيل وأمه هاجر ، تزوج منهم ، وتعلم هو وأبناؤه العربية فسموا لذلك العرب المستعربة . والعرب المستعربة هم جمهور العرب من البدو والحضر الذين يسكنون أواسط شبه جزيرة العرب وبلاد الحجاز إلى بادية الشام حين خالطتهم أخيراً فى مساكنهم عرب اليمن بعد انكسار سد مأرب .

(راجع الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ج ١ ص ٢٥ وماذكره من مراجع)

(٣) سورة البقرة : آية ١٢٧ .

قال ابن عباس يعنى أصول البيت التى كانت قبل ذلك. وقال الكلبى وأبو عبيدة أساسه واحدتها قاعدة فبنياه من خمسة أجبل(١)، جبل طور سيناء وطور زينا ولبنان والجودى وبنيا قواعده من حرا(٢). فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود، قال لإسماعيل جئنى بحجر حسن يكون علماً للناس فأتاه بحجر، فقال جئنى بحجر أحسن منه فمضى إسماعيل يطلبه فصاح أبو قبيس يا إبراهيم إن لك وديعة |١٣٦| فخذها، فأخذ الحجر الأسود ووضعه مكانه. وقيل إن الله تعالى أمر لإبراهيم وإسماعيل بسبعة من الملائكة يعينوهما على بناء البيت فلما فرغا من بنائه قالا: (ربنا تقبل منا) وفى هذه الآية إضمار تقديره: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل)(٣) ويقولان (ربنا تقبل منا) وهكذا هو فى قراءة عبدالله، وأبى، تقبل منا بناؤنا البيت، ثم اختلفت العرب فى زمان عمرو بن لحى الخزاعى(٤) لما ساد قومه بمكة واستولى على أمر البيت لأن خزاعة لما خرجت مع عمرو بن عامر ماء السماء من الجنتين انخزعت عنه فى بطن مر إلى مكة فسميت خزاعة، وفيهم يقول شعراً:

ولما حللنا بطن مر تخزعت ... خزاعة منا فى حلول كراكر
حماكل واد من تهامة واحتموا ... بسمر القنا والمرهفات البواتر

ولما نشأ عمرو بن لحى استولى على أمر البيت ثم سار إلى المدينة البلقا بالشام

---

(١) الجبل: ما ارتفع من الأرض إذا عظم وطال. والجمع جبال وأجبال وأجبل.

(٢) المقصود هنا جبل حراء الذى يقع فى شمال شرق مكة، وفيه الغار الذى كان يتعبد فيه محمد عليه الصلاة والسلام قبل البعثة.

(٣) سورة البقرة: آية ١٢٧.

(٤) قيل إن الذى أدخل الأصنام إلى الكعبة هو عمرو بن لحى الخزاعى. وجاء فى سيرة ابن هشام أن عمرو بن لحى خرج من مكة إلى الشام وقدم إلى مؤاب من إقليم البلقاء، وكان ينزل له العمالقة ورآهم يعبدون الأصنام، فسألهم عن أمرها فقالوا: «هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا» فأخذ منهم صنماً اسمه هبل نصبه فى الكعبة وأقبل الناس على عبادته.

ومهما يكن من صحة هذه القصة فإن الراجح أن فكرة الأصنام نقلها العرب من شمالى شبه الجزيرة، ولا سيما أن لفظ «صنم» مشتق من الكلمة الآرامية «صلم».

فرأى قوماً يعبدون الأصنام فسألهم عنها ، فقالوا هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العاوية والأشخاص البشرية نستنصرها فتنصرنا ونستسقى بها فتسقينا ، فأعجبه ذلك وطلب منهم صنماً من أصنامهم فدفعوا إليه هبل فسار به إلى مكة فوضعه فى الكعبة ، وكان معه اساف ونائلة على شكل زوجين ، فدعا الناس إلى تعظيمهما والتقرب بهما والتوسل إلى الله تعالى بهما وكان ذلك فى أول ملك سابورذى الأكناف ، إلى أن ظهر الإسلام فكسرت وزالت .

وللعرب والهند بيوت أصنام منها بيت بفارس على جبل أصبهان على ثلاثة فراسخ ، ومنها بيت بموليان من أرض الهند لم يغير ولم يبدل ، ومنها بيت بالسند من أرض الهند فيه أصنام كثيرة ، ومنها الثوبهار وهو الذى بناه بزرجمهر بمدينة بلخ ، فلما ظهر الإسلام خربه أهل بلخ . ومنها بيت بمدينة صنعاء اليمن بناه الضحاك بن قيس ذو الحيتين خربه المسلمون فى زمن عثمان ابن عفان ، ومنها بيت كاوسان بناه كاوس الملك بمدينة فرغانة خربه المعتصم . والأصنام التى كان قوم نوح يعبدونها (١) هى التى ذكرها الله فى محكم كتابه ، وهى ود وسواع ويغوث ويعوق ونسراً(٢) ، وكل صنم من هذه الأصنام صار إلى حى من أحياء العرب ، فلم يزالوا يعبدونها إلى أن أتى الله الإسلام . وقد ذكرت ذلك [١٣٧] فى أول الكتاب عند ذكر نبى الله نوح عليه السلام :

وللعرب مذاهب شتى وآراء مختلفة منهم معطلة محصلة :

---

(١) كتبت فى المخطوطة « التى كانوا يعبدونها قوم نوح » .

(٢) ذكر أسماء هذه الآلهة فى سورة نوح : الآية ٢٣ .

الباب الثالث

فى ذكر معطلة العرب

ومعطلة العرب أصناف شتى صنف أنكروا الخالق والمخلوق والبعث والإعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفنى ، وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد: (وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) إشارة منهم إلى الطبائع ، قال الله (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون)(١) . وقال عز من قائل: (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين)(٢) . وقال عز من قائل: (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء)(٣). وقال: (أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين)(٤) . وقال عز من قائل: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة)(٥). وصنف منهم أقروا بالخلق والإبداع وأنكروا البعث والإعادة وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد فى قوله: (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم)(٦). قال عز من قائل: (قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)(٧) . وقال عز من قائل: (أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد) (٨) .

---

(١) سورة الجاثية : آية ٢٤ .
(٢) سورة الأعراف : آية ١٨٤ .
(٣) سورة الأعراف : آية ١٨٥ .
(٤) سورة فصلت : آية ٩ .
(٥) سورة النساء : آية ١ .
(٦) سورة يس : آية ٧٨ .
(٧) سورة يس : آية ٧٩ .
(٨) سورة ق : آية ١٥ .

وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا أنها شفعاؤهم عند الله فى الآخرة وحجوا إليها ونحروا الهدايا وقربوا القرابين وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر وأحلوا وحرموا.

ومنهم من كان يعبد الملائكة ويقول بنات الله (١). ومنهم من يقول: (مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق) (٢) فاحتج الله عليهم بأن الرسل كلهم كانوا يأكلون الطعام. قال الله عز وجل: (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) (٣). وشبهات العرب مقصورة على هاتين الشبهتين إحداهما إنكار البعث بعد الأجساد، والثانية جحد البعث على الأولى قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإننا لمبعثون أوآباؤنا الأولون. وعبروا عن ذلك فى أشعارهم فقال أحدهم:

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمر

ولبعضهم مرثاة فى أهل بدر:

[١٣٨أ] فماذا بالقليب قليب بدر من السرى تكلل بالسنام
ويخبرنا الرسول بأن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام

ومن العرب من يعتقد التناسخ ويقول إذا مات الإنسان أو قتل اجتمع دم

---

(١) قال الله تعالى إشارة إلى قول العرب ببنات الله وأبنائه، وإن الملائكة «بنات الله» وإلى الشرك بالله: (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون * أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون * ألا إنهم من إفكهم ليقولون * ولد الله وإنهم لكاذبون * أصطفى البنات على البنين * ما لكم كيف تحكمون). سورة الصافات الآيات ١٤٩ — ١٥٤.

وقال تعالى فى سورة الزخرف (وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين * أم اتخذ مما يخلق بنات وأصطفاكم بالبنين * وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) الآيات ١٥ — ١٧.

وقال تعالى فى سورة الطور: (أم له البنات ولكم البنون) آية ٣٩.

وقال تعالى فى سورة النجم: (ألكم الذكر وله الأنثى). آية ٢١.

(٢) سورة الفرقان: آية ٧.

(٣) سورة الفرقان: آية ٢٠.

الدماغ وخرج منه طير يسمى الهامة فيرجع إلى رأس القبر فى كل مائة سنة ؛ وعن هذا أنكر عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال « لا هامة ولا طيرة ولا عدوى ولا صفر » .

ومنهم من أنكر الرسل فأخبر التنزيل عنهم بقوله تعالى: (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا)(١) ، وبقوله عز من قائل (أبشر يهدوننا) (٢) . فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتى ملك من السماء كما قال العزيز الحكيم : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك)(٣) . الآية . ومن كان يعترف بهم الشفيع والوسيلة إلى الله هذه الأصنام المنصوبة التى هى وسائل ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، وكان ود لكلب بدومة الجندل ، وسواع لهذيل كانوا يحجون إليه وينحرون له ، ويغوث لمذحج ولقبائل اليمن ، ونسر لذى الكلاع بأرض حمير ، ويعوق لهمدان ، واللات لثقيف بالطائف ، والعزى والهبل لقريش وكنانة ، ومناة للأوس والخزرج وغسان ، وهبل لخزاعة وقريش وهو من أعظم الأصنام عندهم وكان على ظهر الكعبة ، واساف ونائلة على الصفا والمروة وضعهما عمرو بن لحى الخزاعى ، وكان يذبح عندهما تجاه الكعبة .

وتزعم العرب أن اساف بن عمرو ونائلة بنت سهل أنهما فجرا فى الكعبة فمسخا حجرين ، وقيل كانا صنمين أثبتهما عمرو بن لحى فوضعهما على الصفا .
وكان لبنى ملكان بن كنانة صنم يقال له سعد وهو الذى يقول فيه قائلهم :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنـــا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة يلفظونها من الأرض لاتدعو لغى ولا رشد

وكانت العرب إذا لبت وهللت قالت: «لبيك اللهم لبيك لاشريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ». ومن العرب من كان يميل إلى اليهودية،

---

(١) سورة الإسراء : آية ٩٤ .
(٢) سورة التغابن : آية ٦ .
(٣) سورة الأنعام : آية ٨ .

ومنهم من يميل إلى النصرانية، ومنهم من يميل ويصبوا إلى الصابئة. وكانوا يعتقدون فى الأنواء (١) اعتقاد المنجمين فى السيارات حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقوم إلا بنوء من [الأنواء [١٣٩] فيقولون مطرنا بنوء كذا.

ومنهم من يصبوا إلى الملائكة فيعبدهم وكانوا يعتقدون فيهم أنهم بنات الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

---

(١) النوء: النجم مال للغروب والجمع أنواء، وقيل معنى النوء: سقوط نجم من المنازل فى المغرب، وطلوع رقيبه وهو نجم يقابله من ساعته فى المشرق، والأنواء كانت عند العرب ثمانية وعشرين معروفة المطالع فى أزمنة السنة كلها. والنوء: المطر والعطاء.. يقولون: صدق النوء، إذا كان فيه مصر ولم يخلف

الباب الحادى والثلاثون

فى ذكر علماء الجاهلية

وكان للعرب علم من علم اللسان(١) وعلم التواريخ. وممن كان يُجل ويرفع قدره ومجلسه، ويحكم بين الخصوم عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم، كان يأمر قريشاً بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور، وكان يتولى حكومات العرب، وخصومات المتخاصمين، وكان توضع له وسادة عند الملتزم فيستند عليها.

وكان هاشم بن عبد مناف خطيب العرب وله الخطبة المشهورة التى تسميها العرب الحكيمة، وقيل إنه وقع بين بنى عذرة وبنى خزاعة حرب فى سبب غلام لبنى خزاعة قتله غلام لعمرة ابنة قبيصة العذرية فلم ترض بنو خزاعة إلا بقتله. فلما تقاوموا للحرب خشى هاشم أن تنتهك حرمة الحرم نصب منبره إلى جانب الكعبة وقال: «يا أيها الناس نحن آل إبراهيم، وذرية إسماعيل، وولد النضر بن كنانة(٢)، وبنو قصى بن كلاب، أرباب مكة وسكان الحرم ولنا ذروة الشرف ولباب الحسب ومعدن المجد وغاية العز، ونحن جبال الأرض، ودعائم الحق، وسادات الأمم، فى كل خلف تحت نصرته وتلبى دعوته إلا ما دعى إلى عقوق عشيرته، أو قطيعة رحم، وقد جمعتكم خوف أن تقتادكم العجلة وسوء الرأى وجهل المعرفة إلى حصر القمه وجرد الساعد فليحتمل كل امرىء منكم صها على قطب أعداء الرأس قطع أخيه بحيث يستأصل به باسقات فروعه، وقطع أعلى الرأس يستدعى به ذراعاً فى الحرب، وأقسم

---

(١) علم اللسان عند العرب هو علم اللغة.

(٢) كتبت فى المخطوطة «النظر».

لئن أردت الحرة الحلب قبل خشمى السطية ليبلغن الحمة(١) العمق، وليناقبن استعادة شمل السحيق حتى قطع بردع الجهد فدنف الكبد ويتعلق السنان من الاجتماع الشأن سلطاناً المقددة البعيد أفواقها بكف وتقرع المهادن حمة الدخن(٢)، وتظهر قبصة من السهم والرمح قدد الأفواق (الأفواق جمع فوق وهو أعلى السهم) مضمرات الحواضن وهو مضمر مستودع أنفاسها . فإذا كان ذلك طاش حلم الأريب(٣) ، وضل رأى المصيب ، واتسع قوى السوية وسل ترح العرب ، واتصل لحام الفتن ، وقيل قد ضاق الطريق وقل الصديق فهنالك يغلب الامراء أمره ، ويملك السهم قصده ويفتر الحجر شدخة(٤) [١٤٠] ويشترى كل امرىء ما دفن ، يا بنى خزاعة إن بنى أبيكم حملوا إليكم قيمة عبد رمته المنية عن يد الخطأ فوافق أجله ، فلو كان عن إرصاد طالب وطالب طالبه كان عميداً، وقد أبيتم قبول ماهو سنة العرب لتعظيم نيران الفتنة فتكونوا هامة العرب يهتف بشؤمها ، وقد حكمت عليكم بقبول قيمته وعلى بنى عذره يدفع ذلك إليكم ، فمن أمحكه اللجاج (٥) وترك ما حكمت به عليه فإنا حلف عليه ومادة عدوه إليه حتى يحيفها السفر (٦) وترفل بها خوص الركاب إلى حكام العرب فتصير امتثالا .

أيها الناس الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والجود سؤدد ، والمعرفة كنز ، والحرب خدعة ، والأيام دول ، والدهر عبر ، والمرء منسوب إلى فعله ،

---

(١) الحمة : البئر الكثيرة الماء .

(٢) الدخن : الحقد والفساد ، تغير العقل والدين .

(٣) الأريب : العاقل .

(٤) الشدخ : الكسر فى كل رطب .

(٥) أمحكه اللجاج : المحك : المشاورة والمنازعة فى الكلام ، والمحك التمادى من اللجاجة عند المساومة ، والغضب ونحو ذلك . واللجاج والملاجة : الخصومة .

(٦) يحيفها السفر : الحيف : الميل فى الحكم والجور والظلم . حاف عليه فى حكمه يحيف حيفا : مال وجار . وفى التنزيل العزيز (أيحيف الله عليهم ورسوله) . أى يجور . والسفر : الكنس .

مأخوذ بعلمه ، فاستشعروا(١) بحكم العور(٢) ، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء، وأكرموا الجليس يعمر ناديكم، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة، وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشرف وتهدم المجد . ألا وقد أنبأت مخافة المستعجم فلرب بعير مستشعر مسرع النسعير ، سليم الشوا بعيد الخطا وفه فرع الرياضه ، وعلص هاديه ، حبذ الحرير ، فانقت مدحه رصيص الأماعز ، لبعد المدلجة ، فأرحل راكبه ، ومتعشى ركب أعطش أهله املاص وغرس السويه ، لترك أحكام عقد الكرب ، فلم ينج إلا بلمضة المرتضع وشدفاه وان تهنه الجاهل أهون من جريرته، ورأس العشيرة يحمل أثقلها ومقام الحكيم عظة لمن انتفع . ألا وإنى لأحب رأب الشعب ، وجمع الفرقة » .

ثم نزل ورمى القوم بأسلحتهم . تمت ولها تفسير يطول شرحه تركته اختصاراً.

قال ابن عباس وللعرب أقوال كثيرة ومذاهب شتى ، قال أهل مكة الله ربنا وحده لاشريك له والملائكة بناته فلم يؤمنوا، وقال عبدة الأصنام الله والأصنام شفعاؤنا عنده فلم يؤمنوا،وقالت اليهود الله ربنا وحده لا شريك له وعزير ابنه فلم يؤمنوا ، وقالت النصارى ربنا الله وحده لا شريك له والمسيح ابنه فلم يؤمنوا ، وقال عبدة الشمس ربنا الله والشمس تشفع لنا عنده فلم يؤمنوا، وقال المسلمون ربنا الله وحده لا شريك له والنبيون عبيده ورسله فآمنوا وصدقوا .

وكان للعرب علم الرؤيا وكان أعلم من فيهم أبوبكر الصديق رضى الله عنه. وكان يعبر الرؤيا فى الجاهلية فيصيب وكانوا يرجعون إليه ويستخبرون منه . وكان فى العرب بقية ، منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوة. فمنهم قس بن ساعده الايادى وكان يقول فى مواعظه كلا ورب الكعبة ليعودون

---

(١) استشعر القوم : تداعوا بالشعار فى الحرب .

(٢) العور : القبح .

من بادوا لان ذهب ليعودون ما ذهب . [١٤١] وقال كلا بل هو الله إله واحد ليس بمولود ولا والد أعاد وأبدأ وإليه المآب غداً . وفى ذلك يقول شعراً :

يا باعث الخلق والأموات فى جدث — عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم — كما ينبه من نوماته الصعق
حتى يجيبوا بحال غير حالهم — خلق مضى ثم هذا بعد ذا خلقوا
منهم عراة وموتى فى ثيابهم — منها الحديد ومنها الأزرق الخلق

وله أيضاً أخبار كثيرة تركتها اختصاراً .

ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل كان يسند ظهره إلى الكعبة ثم يقول : أيها الناس هلموا إلى فإنه لم يبق على دين إبراهيم غيرى . وسمع أمية بن أبى الصلت ينشد :

كل دين يوم القيامة عند — الله إلا دين الحنيفة زور

فقال له صدقت ثم قال زيد بن عمرو بن نفيل شعراً :

أما تكون لنفسى مثل واقية — يوم الحساب إذا ما يجمع البشر

وله أشعار كثيرة تركتها اختصاراً :

ومنهم عامر بن الضرار العدوانى وكان من حكماء العرب وخطبائهم ، وله وصية طويلة وموعظة حسنة يقول فى آخرها : « إنى ما رأيت شيئاً قط خلق نفسه ، ولا رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ، ولا جائياً إلا ذاهباً ، ولا حياً إلا ميتاً ، ولو كان يميت الناس الداء لأحياهم الدواء » ، ثم قال إنى لأعلم أموراً شتى وحتى ، فقيل له : ما حتى ؟ فقال : حتى يرجع الميت حياً ، ويعود لا شىء شيئاً ، ولذلك خلقت السموات والأرض .

وكان عامر قد حرم الخمر على نفسه وفى ذلك يقول شعراً :

إن أشرب الخمر أشربها للذتها — وإن أدعها فإنى ما قلت قالى
لولا اللذاذة والقينات لم أرها — ولم ترانى إلا من مدا العالى
سلابة للفتى ما كان فى يده — ذهابة لعقول القوم والمال
قد تورث القوم أضغاناً بلا آخر — وترتدى بالفتى ذى النجدة العالى
أقسمت بالله أنى لست أشربها — حتى يفرق رب الأرض أوصالى

وممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية قيس بن عاصم التميمى ، وصفوان ابن أمية بن الحارث الكندى ، وعفيف بن معدى كرب الكندى ، وقالوا فيها الأشعار . وفيها يقول الأسلوم وقد حرم الخمر والزنا على نفسه ، شعراً :

|١٤٢|

سالمت قومى بعد طول مضاضة والسلم أبقى فى الأمور وأعرف
وتركت شرب الراح وهى أثيرة والمومسات وترك ذلك أشرف
وعففت عنــه يا أميم تكرماً وكذاك يفعل ذو الحجى المتعفف

ومنهم عبد الله بن طابخة بن ثعلبة بن وبرة القضاعى كان يؤمن بالله وفى ذلك يقول شعراً :

وأنت القديم الواحد الماجد الذى بدأت بخلق الناس فى زمن القدم
وأنت الذى أحيبتنى غيب ظلمة إلى ظلمة من صلب آدم فى ظلم

ومنهم زهير بن أبى سلمى كان إذا مر بالشجر وقد أورق بعد يبس فيقول لولا أن تسبنى العرب لآمنت لمحييك ، إن الذى أحياك بعد يبس سيحيى العظام وهى رميم ، ثم آمن بعد ذلك . هو صاحب القصيدة التى يقول فيها :

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعــلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ومنهم غلاف بن شهيد التميمى كان يؤمن بالله واليوم الآخر والحساب ، وقال فى ذلك شعراً :

ولقد شهدت الخصم يوم رفاعة فأخذت منه حطة المتعــال
وعلمت أن الله يجــزى عبده يوم الحساب بأحسن الأعمــال

وكان من العرب من إذا حضرته الوفاة يقول لولده ادفنوا معى راحلتى حتى أحشر عليها وإن لم تفعلوا حشرت وسعيت على رجلى. وفى ذلك يقول حرشن بن الأشتم الأسدى فى الجاهلية لما حضرته الوفاة يوصى ابنه سعداً فقال شعراً :

يا ســعد اما أهلكن فإننى أوصيك ان اخا الوصاية أقرب
لا تتركن أبــاك يعثر راجلا فى الحشر يصرع لليدين وينكب

واحمل أباك على بعير صالح وثقي الحناية انه هو أصوب
ولقل بى مما تركت مطيـــة فى القبر أركبها إذا قيل اركبوا

ومنهم قيس بن صرمة بن أبي أنس ، أنبأني محمد بن جميل عن أبي إسحاق ، قال : حدثني عدي بن النجار ، قال : كان أبو قيس صرمة قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، وفارق الأوثان واغتسل من الجنابة ودخل بيتاً له اتخذه مسجداً لا تدخله عليه طامث ، وقال أعبد رب إبراهيم ، هداه الله للإسلام عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم . فمن قول أبي قيس صرمة في الجاهلية شعراً :

[١٤٣] سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه وكل هلال
عالم السر والبيـــان لدينا ليس ما قال ربنا بضلال
وله الطير تستدير وتأوى في وكور من آمنات الجبال
وله الوحش بالفلاة تراها في خفاف وفي ظلال الرمال
وله هودت يهود ودانت كل دين إذا ذكرت عضال
وله شمس النصارى وقاموا كل عيد لديهم واحتفال
وله الراهب الحبيس تراه رهن بوس وكل ناعم بال
يا بني الأرحام لا تقطعوها وصلوها قصيرة من طوال
واتقوا الله في ضعاف اليتامى ربما يستحل غير الحلال
واعلمـوا أن لليتيم ولياً عالماً يهتدي بغير سؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلـوه إن مال اليتيم يرعاه وال
يا بني النجوم لا تجزلوها إن جزل النجوم داء عضال
يا بني الأيام لا تأمنوهـا واحذروا مكره ومر الليالي
واعلموا أن مـــرها لمعـاد الخلق ما كان من حديد وبال
فاجمعوا أمركم على البر والتقـــوى وترك الخنا وأخذ الحلال

وقال عمر بن زيد التميمي يوصي ابنه عند موته :

ابني زودني إذا فارقتني في القبر راحلة برجل عابر
للبعث اركبها إذا قيل اظعنوا متوسعين معاً لحشر الحاشر
من لم يوافيه على عـبراته والخلق بين مدافع أو عاثر

ومنهم من كان يربط الناقة معكوسة الرأس إلى مؤخرها مما يلى ظهرها ومما يلى كاهلها أو بطنها ، ويأخذون ولية يشدون وسطها ويقلدونها عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر ويسمونها البلية ، وقال بعضهم ستة رجال كالبلايا فى أعناقها الولايا .

قال محمد بن السائب الكلبى قال : كانت العرب فى جاهليتها تحرم أشياء نزل القرآن بتحريمها ، كانوا لا ينكحون الأمهات ولا البنات ولا الخالات ولا العمات ، وكان أقبح ما يصنعون أن يجمع الرجل بين الأختين أو يتخلف على امرأة أبيه ، وكانوا يسمون من فعل ذلك الصنون . وعير أوس بن حجر التيمى قوماً من بنى قيس بن ثعلبة تناوبوا |١٤٤| على امرأة أبيهم واحداً بعد واحد .

وكان أول من جمع بين الأختين من قريش أبو أحيحة سعد بن العاص جمع بين هند وصفية بنت المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . قال وكان الرجل من العرب إذا مات عن المرأة أو طلقها قام أكبر بنيه فإن كان له فيها حاجة طرح ثوبه عليها وإن لم يكن له إليها حاجة زوجها بعض إخوانه . وقيل كانوا يطلقون المرأة ثلاثاً فأول من طلق المرأة ثلاثاً إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهما . قال وكانوا يحجون البيت ويحرمونه ويطوفون كما قال زهير بن أبى سلمى :

جعلنا القيان عن يمين وحرنة وكم بالقيان من محل ومحرم

وكانوا يطوفون بالبيت أسبوعاً ويمسحون الحجر ويسعون بين الصفا والمروة ، كما قال أبو طالب :

وأشواط بين المروتين إلى الصفا وما فيهما من صورة وتخايل

وكانوا يقفون المواقف كلها ، قال العبدى :

أ وبالبيت الذى حجت قريش وموقف ذى الحجيج على الآل

الآل : جبل عرفات . وكانوا يهدون الهدايا ويرمون الجمار ويحرمون الأشهر الحرم ولا يغزون ولا يقاتلون فيها سوى طى وخثعم وبعض بنى الحارث

ابن كعب ، أنهم لم يكونوا يحجون ولا يعتمرون ولا يحرمون الأشهر الحرم ، وإنما سميت قريش الحرب التى كانت بينها وبين قيس عام الفجار لأنه كان فى الأشهر الحرم ، فلما قاتلوا فيهن قالوا فجرنا ولذلك سمى عام الفجار . وكانوا يكرهون الظلم فى الحرم وفى ذلك يقول مضاض بن عامر بن عمرو الجرهمى شعراً :

ابنى لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير
ابنى من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور

وكانوا ينسئون فى كل عام شهراً وفيهم نزلت : (إنما النسىء زيادة فى الكفر)(١) وكانوا لا يخرجون إلى عرفة مع الناس ويقيمون بمنى ، وكانوا إذا ذبحوا للأصنام لطخوها بدم الهدايا يلتمسون بذلك الزيادة فى أموالهم ، ومنهم قصى بن كلاب كان يأمر بعبادة الله وينهى عن عبادة الأصنام ، قال شعراً :

تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل اللبيب

قال : وكانوا يغتسلون من الجنابة ويغسلون الموتى ، وفى ذلك يقول الأفوه الأودى شعراً :

١٤٥ ألا علانى واعلما كل من غدر فماقلت ينجينى الشقائق والحذر
وما قلت ينجينى إذا ما بدت لكم مفاصل أوصالى وقد شخص البصر
وجاءوا بماء بارد يغسلوننى فيالك من غسل سيتبعه غير

قال ، وكانوا يكفنون موتاهم ويصلون عليهم ، وكان صلاتهم إذا مات الرجل حمل على سريره ثم يقوم وليه ويذكر محاسنه كلها ويثنى عليها ثم يصلى عليه ثم يقول سلام عليكم ورحمة الله ثم يدفن . وقال رجل من كلب فى الجاهلية لابن عم له شعراً :

أعمرو إن هلكت وكنت حياً فانى مكثر لك من وصاتى
فاجعل نصف مالى لابن سام حياتى إن حييت وفى مماتى

قال ، وكانوا يداومون على طهارة الفطرة وهى العشر السنن التى ابتلى إبراهيم ربه بهن وهى عشر سنن خمس فى الرأس وخمس فى البدن ، فاللواتى فى

(١) سورة التوبة : آية ٣٧ .

الرأس فرق الشعر والمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والسواك ، واللواتى فى البدن قلم الأظفار ونتف شعر الإبطين وحلق العانة والاستنجاء من البول والغائط ، والختان . وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى إذا سرق . وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة يصلبون الرجل إذا قطع الطريق ، وكانوا يوفون بالعقود ويكرمون الضيف ، ويحمون الجار ، وكانت لهم الذمة وفيهم الفصاحة ، ويحفظون الأصول والتهجين ، وكانوا يتعايرون ويتمادحون ويحبون مكارم الأخلاق وفيهم الحمية والأنفة والهمة والذمة والعصبية والكرم والشجاعة والخطب والأشعار والفصاحة ، وهم أفضل ولد سام بن نوح . ويكفيهم من الفضل ما قاله نبى الله صلى الله عليه وسلم : « أحب العرب لثلاث : لأنى عربى وكتاب الله عربى ولغة أهل الجنة عربية . فمن أحبهم فليحبنى ، ومن أبغضهم فليبغضنى » . وللعرب أكثر من هذا تركته اختصاراً .

الباب الثاني والثلاثون

فى مذاهب الهند وآرائها

الهند أولاد حام بن نوح وهى أمة كثيرة وملة عظيمة وآراؤهم مختلفة ، فمنهم البراهمة المنكرون للنبوات ، ومنهم من يميل إلى الدهرية ، ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية ، وأكثرهم على مذاهب الصابئة ، ومنهم من يقول بالروحانيات ، ومنهم من يقول بالهياكل ، ومنهم من يعبد الأصنام والأوثان ، ومنهم من يقول بالحكمة وعلى طريق اليونانيين . وافتراقهم [١٤٦] على خمس فرق البراهمة وأصحاب الروحانيات وأصحاب الهياكل ، وعبدة الأصنام ، والحكماء فهذه خمس فرق ، ثم تشعبوا على فرق كثيرة وأهواء مختلفة :

البراهمة: نسبوا إلى رجل يقال له برهم وهم ينفون النبوات ويقررون مذهبهم على العقل وما حسن فيه ، ثم افترقت البراهمة أصنافاً كثيرة ، فمنهم مال إلى الهياكل والأنداد ، ومنهم أصحاب الفكرة المحتالة ، ومنهم أصحاب التناسخ ولهم أقاويل كثيرة وآراء مختلفة تركتها اختصاراً .

أصحاب الفكرة: وهم أهل العلم منهم بالفلك والنجوم وأحكامها وطريقتهم غير طريقة منجمى الروم والعجم ، وذلك أنهم يحكمون أكثر حكمهم باتصال الثوابت دون السيارات ، وينسبون الأحكام عن خصائص الكواكب دون طبائعها ، والروم يحكمون بالطبائع ، والهند يحكمون بالخواص وكذلك طبهم فإنهم يعتبرون خواص الأدوية دون طبائعها ، والروم تخالفهم فى ذلك ، ومنهم الكراسية يعنى المصفدين بالحديد ، وسنتهم حلق رءوسهم ولحاهم وتعرية الأجساد . ومنهم أصحاب التناسخ وهم أشد اعتقاداً ومن اعتقادهم أن أهل الدنيا تدور بهم الأفلاك ويعتبرون فى تلك الأدوار سير الثوابت لا السيارات ، وعند أكثر الهند أن الفلك مركب من الماء والنار والريح ، وأن الكواكب التى فيه نارية هوائية ، ولهم مقالات كثيرة تركتها اختصاراً :

أصحاب الروحانيات : من الهند جماعة أثبتوا متوسطات روحانية يأتونهم بالرسالة من الله عز وجل فى صورة البشر من غير كتاب فيأمرونهم بأشياء وينهوهم عن أشياء ويبينوا لهم السنن والشرائع ، ويبينوا لهم الحدود ، وإنما يعرفون صدقهم بتنزههم عن حطام الدنيا واستغنائهم عن الأكل والشرب والبعال .

والكابلية : زعموا أن رسولهم ملك روحانى يقال له شب، أتاهم فى صورة بشر متمسح بالرماد، على رأسه قلنسوة من لبود طولها ثلاثة أشبار وهو عريان فأمرهم أن يتزيوا بزيه ، وسن لهم حدوداً وشرائع .

والبهادونية : زعموا أن بهادون ملك عظيم أتاهم فى صورة إنسان وكان له اخوان قتلاه وعملا من جلده الأرض ومن عظامه الجبال ومن دمه البحر ، وأنه جاءهم راكب على دابة وهو كثير الشعر أسبله على وجهه وقسم شعره على جنبه قسمة منسوبة واسبله وأمرهم أن يفعلوا كذلك ، وسن لهم أن لا يشرب الخمر وإذا رأوا امرأة هربوا منها وأمرهم أن يحجوا إلى جبل عليه يد فقد |١٤٧| صورت على صورة بهادون ولهم خبط كثير ، تركته .

الباشمونية : زعموا أن رسولهم ملك روحانى نزل من السماء على صورة بشر وأمرهم بتعظيم انار وأن يتقربوا إليها بالعطر والأدهان والذبائح ، ونهاهم عن القتل والذبح إلا ما كان للنار . وسن لهم أن يتوشحوا بالخيط ويعقدونه من منكبهم الأيمن إلى تحت شمائلهم . ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وأن لا يأكلوا طعام غير منهم ، وأباح لهم الزنا لئلا ينقطع النسل ، وأمرهم أن يتخذوا على مثاله صنماً يتقربون إليه ويعبدونه ويطوفون حوله كل يوم ثلاث مرات ، وأمرهم بالغناء والرقص ، وأمرهم بتعظيم البقر والسجود لها حيث رأوها .

الناهودية : زعموا أن رسولهم ملك روحانى على صورة بشر واسمه ناهود

وهو راكب ثور وعلى رأسه إكليل من عظام رءوس الموتى ، ومتقلد بقلادة ، وأنه أمرهم بعبادة الله تعالى وعبادته معه ، وأن يتخذوا على مثاله صنماً يعبدونه وأن لا يعافوا الأشياء ، وأن الأشياء كلها خلقت مباحة ، وأمرهم أن يمسحوا رءوسهم بالرماد ؛

ومنهم **عبدة الكواكب** : وفى الهند من يعبد الكواكب وأكثر ما يعبدون النيرين الشمس والقمر ، ومذهبهم مقارب مذهب الصابئة .

الباب الثالث والثلاثون

فى عبدة الشمس

زعموا أن الشمس ملك من الملائكة لها نفس وعقل، ومنها نور الكواكب؛ وضياء العالم، وتكوّن الموجودات السفلية، وأنه ملك يستحق التعظيم والسجود التبجيل وهؤلاء عبدة الشمس . وقد اتخذوا على صورتها صنماً وبيده جوهرة على لون النار، وله بيت خاص قد جعلوا باسمه، ووقفوا عليه ضياع وأموالا ، وجعلوا له سدنة يدعون عنده ويصلون له ويستسقون به .

الباب الرابع والثلاثون

فى عبدة القمر

زعموا أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة وينسبون إليه تدبير العالم السفلى وبزيادته ونقصانه يعرفون الأزمان والساعات ، وهو تلو الشمس وقرينها. واتخذوا على شكله صنماً يعبدونه، ويسبحون له ويسجدون ويصومون له فى كل شهر ولا يفطرون حتى يطلع القمر، ويسألونه حوائجهم . ومنهم وهم الأكثر يعبدون كل ما يمرون عليه من حجر ومدر وشجر وبشر من غير حجة ولا برهان، وإنما يقولون إنما نعبد هؤلاء (ليقربونا |١٤٨| إلى الله زلفى)(١) . وكلهم على الضلالة والعمى والجهالة كما قال العزيز الحكيم (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين)(٢) . وقال عز من قائل: (إن الدين عند الله الإسلام)(٣) . وقال سبحانه: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)(٤) . وقال عز من قائل: (ليس البر أن تولو وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)(٥) . وقال سبحانه: (قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)(٦) .

---

(١) قال الله تعالى فى سورة الزمر : آية ٣: (ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) .

(٢) سورة آل عمران : آية ٨٥ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٩ .

(٤) سورة البينة : آية ٥ .

(٥) سورة البقرة : آية ١٧٧ .

(٦) سورة البقرة : آية ١٣٥ .

الباب الخامس والثلاثون
فى فرق اليهود

يقال هاد الرجل إذا رجع وأناب، وقيل لزمهم هذا الاسم خاصة لقول موسى عليه السلام : إنا هدنا إليك ، أى رجعنا إليك وتضرعنا . وقال الفراء فى قوله تعالى : (إلا من كان هوداً أو نصارى)(١) قال معنى هود اليهود . وقال مجاهد إنا هدنا إليك أى تبنا إليك . وقيل سموا اليهود بانتسابهم إلى يهوذ بن يعقوب . ويقال سميت اليهود لاشتقاقها من قولك هادوا أى تابوا وهم أمة موسى عليه السلام . وكتابهم التوراة وهو أول كتاب أنزل فيه الشرائع والحلال والحرام ، كما قال عز من قائل : (وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء)(٢). أنزل التوراة أسفاراً فذكر مبتدأ الخلق فى السفر الأول ، ثم ذكر الأحكام والحدود والقصص والمواعظ فى سفر . [وأما] الكتب التى أنزلت على الأنبياء شيث وإبراهيم ونوح وهود وغيرهم إنما كانت صحفاً . وأصل افتراقهم واختلافهم بعد موسى من ركوبهم الضلالة بعد الهدى بغياً بينهم . وافترقوا أربع فرق ثم تشعبت من كل فرقة فرقة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة » . وإنما أصل افتراقهم من أربع فرق، فرقة زعمت أن العزير ابن الله ، وفرقة قالت نحن أبناء الله وأحباؤه لا يعذبنا بذنوبنا ، وفرقة قالت : (إن الله فقير ونحن أغنياء)(٣) ، وفرقة استقامت على الحق ، وهى الأقل إلى أن بعث الله نبيه محمداً |١٤٩| صلى الله عليه وسلم ، فلحقهم فيه الحسد وكتموا ما أمروا به من طاعة الله وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه : قال كعب بن أسد وابو اصلوبا وعبد الله بن صوريا وساوس بن قيس لبعضهم بعض : اذهبوا إلى محمد فلعلنا

---

(١) سورة البقرة : آية ١١١ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٤٥ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٨١ .

أن نفتنه عن دينه فإنما هو بشر ، فقالوا : يا محمد إنك تعرف انا احبار اليهود وأشرافهم وساداتهم وانا إن تبعناك اتبعك اليهود ولم يخالفوك ولا يخالفونا فى شىء ، وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتحكم لنا عليهم وتقضى لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك ، فأبى صلى الله عليه وسلم ذلك فأنزل الله فيهم : (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) إلى قوله تعالى : (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)(١) ؛

واليهود فرق كثيرة منهم العنانية نسبوا إلى رجل منهم يقال له عنان بن داود يخالفون اليهود فى السبت والأعياد ويذبحون الحيوان من القفا . ومنهم اليعسوئية نسبوا إلى عيسى بن يعقوب الأصفهانى وكان يؤمن بنبوة عيسى عليه السلام ويحرم الذبائح كلها ونهى عن أكل ذى الروح ، وافترض على نفسه كل يوم عشر صلوات ، وخالف اليهود فى كثير من أحكامهم . ومنهم المقارنة والبوذعانية نسبوا إلى بوذعان ، رجل من همدان وكان يحب الزهد ويكثر الصلاة وينهى عن الحرام ويحرم الأنبذة ، وكان يزعم أن التوراة لها ظاهر وباطن وتنزيل وتأويل وخالف كثيراً من قول اليهود وخالفهم فى التشبيه ومال إلى القدر ، وأثبت الفعل حقيقة للعبد . ومنهم الموسكانية نسبوا إلى رجل يقال له موسكان ، كان على مذهب بوذعان وكان من قوله إثبات نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه يقول أرسل إلى العرب خاصة وسائر الناس سوى اليهود ، وكان يقول إن الله عز وجل كتب التوراة بيده واستوى على العرش قراراً وإنه على صورة آدم وإن له شعراً قططاً ووفرة سوداء ، وأنه بكى على الطوفان حتى رمدت عيناه ، وأنه ضحك حتى بدت نواجده إلى غير ذلك من التشبيه. جل الله وعلا علواً كبيراً !! وأكثر ما تعلقت به المشبهة وأخذت برهانها من اليهود ، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : « المشبهة يهود هذه الأمة » . ومنهم فرقة يقال لها السامرية أثبتوا نبوة موسى وهارون عليهما السلام ، ويوشع بن نون ، وأنكروا نبوة من بعدهم من الأنبياء . ومنهم فرقة يقال لها

---

(١) سورة المائدة : الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .

النعنانية ينسبون إلى رجل يقال له العان ادعى النبوة وزعم أنه هو الذى بشر به
|١٥٠| موسى . وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام بقريب من مائة سنة ؛
ومنهم فرقة يقال لها الكوسانية، وفرقة يقال لها الروسانية، فأما الكوسانية فهم
يقرون بالآخرة والحساب والثواب والعقاب ، والروسانية تزعم أن الثواب
والعقاب فى الدنيا وبين الفريقين اختلاف كثير ؛

ثم تشعبت منهم فرق كثيرة إلى إحدى وسبعين فرقة ؛

فصل فيما يؤمر (١) به اليهود

قال أبو المؤثر رحمه الله فى «سيرة المسلمين فى أهل الذمة» أن لا يضمون
شعورهم ولا يفرقونها ولكن يقصرون شعورهم من مقدم الرأس ، ويطيلون
شعر القفا حتى يعرفهم الطارىء من الناس، ولا يدورون العمائم على اللحى.
ويشدون على أوساطهم بالزنانير وهى الكسابيج ، ولا يتخذون حذاء المسلمين ،
ويقلبون شركهم ويقطعون الأخفاف إلى الكعبين ، ولا يركبون على السروج
ويركبون على الأكف(٢) ، ولا يزاحمون المسلمين فى مجالسهم ، ولايدخلون
المساجد ، ولا يرفعون أصواتهم فوق أصوات المسلمين ، ولا يظهرون الخمر
فإن أظهروها أراقها المسلمون . ولا يظهرون الصليب فى بيعهم ولا غيرها
ويخفوها فى بيعهم ، فان أظهروها فللمسلمين كسرها ، ولا يحدثون بناء
كنيسة لم تكن سبقت فى أرض الإسلام ، وكذلك النصارى لا يحدثون بيعة
لم تكن من قبل فإن أحدثوا بيعة أو كنيسة أهدمت ، ونساؤهم لا ينتطقن
ولا يعصبن رءوسهن بخرقة سوداء أو حمراء حتى يعرفن من نساء المسلمين ،
ولما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى أهل الذمة : « أصغروهم
كما أصغر الله بهم » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «اضطروهم إلى أضيق
الطريق » وجاء فى الحديث أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى
الأجناد يأمرهم أن يختموا فى رقاب أهل الذمة بالرصاص ويربطوا مناطقهم

---

(١) كتبت فى المخطوطة « يؤمرون » .
(٢) أكاف الحمار : بردعته ، جمعها أكفة وأكف .

ويجزوا نواصيهم(١) ويركبوا على الأكف عرضاً ولا يتشبهوا بالمسلمين فى ركوبهم . وأمر عمر بن عبد العزيز فى أهل الذمة أن يحملوا على الأكف وأن يجزوا نواصيهم .

فصل

ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً » وقال صلى الله عليه وسلم : « لا نترك بجزيرة العرب دينين » ، وعن أبى هريرة ، قال صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى توفى فيه « لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب » . ولا يجوز لليهود أن يسكنوا الحجاز لأن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بإخراجهم عنها ، وأجلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه المشركين من جزيرة العرب وقال لا يجتمع فى جزيرة العرب دينان .

مسألة [١٥١] : يروى أن نصارى نجران جاءوا إلى على بن أبى طالب وقالوا شفاعتك بلسانك وكتابك بيدك ، أخرجنا عمر بن الخطاب من أرضنا فردها علينا . فقال لهم على : ويلكم إن عمر كان رشيد الأمر فلا أغير شيئاً صنعه ! ! عن على أنه لما قدم الكوفة قال : ما جئت لأحل عقدة شدها عمر ! ! قد ثبت أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضرب لليهود والنصارى والمجوس أجلا ثلاثة أيام يستوفون بها يعنى المدينة . روى(٢) ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو محاصر اليهود بوادى القرى ، فقال يا رسول الله من هؤلاء الذين تحاصرهم ؟ فقال النبى صلى الله عيله وسلم : هؤلاء المغضوب عليهم ، وقيل يعنى النصارى والله أعلم .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى وجعه الذى قبضه الله عز وجل فيه : « لا يجتمع بجزيرة العرب دينان » . فأرسل عمر رضى الله عنه إلى اليهود قال : إن الله جل ثناؤه قد أذن فى إجلائكم ،

---

(١) يجزوا نواصيهم : يحلقوا نواصيهم . والناصية مقدم الشعر أو الرأس .

(٢) « روى » : زيادة من عندنا .

فمن كان عنده من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وإلا أنا فمجليه .] وأجلى عمر يهود الحجاز ومن لم يكن عنده عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام .

فصل

وليس لأهل الذمة إظهار المنكر فى بلاد المسلمين ينهون عن ذلك ويدخل عليهم فى منازلهم وتكسر الدهرة والدفوف إن كان عليها غناء أو لم يكن، وتكسر المزامير ولو لم يكن عليها غناء ، ويمنعون من إظهار شرائعهم فى بلاد المسلمين.

وقال أبو عبد الله، وعلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس حد الزنا إذا زنوا ، والقطع إذا سرقوا إذا شهدت عليهم بينة من المسلمين أو العدول من أهل ملتهم أوأقروا بذلك ، ولا تترك الإماء المسلمات فى أيديهم لأنه لا ينبغى أن يؤمن ذمى على مسلمة وهو يملكها أن يغلق عليها باباً أو يرخى عليها ستراً .

مسألة : ولا يترك اليهودى أن يتخذ مصحفاً ولا كتاباً فيه سورة من القرآن ويجبر على بيعه . وقال أبو الحسن رحمه الله: من وجدعند يهودى مصحفاً فله أخذه منه ولا له عليه شىء . ولا يترك الذمى يدخل المسجد : قال الشيخ أبو محمد: أجمع علماء أصحابنا فيما علمت على المنع من مصافحة اليهود والنصارى وأن لايعادوا إذا مرضوا ولا يكنوا إذا دعوا وأن لا ببدءوا بالسلام .

كماقال الشيخ أحمد بن النظر شعراً :

ولاتسلم على من فى الصلاة ولا ... على اليهود ولا من يعبد الصلبا
ونزه الله عنهم والسلام لـه ... وهوالسلام الذى فى ملكه احتجبا

مسألة : وقد روى عن النبى صلى اللهعليه وسلم أنه قال: « ما خلا يهودى بمسلم إلا هم بقتله » ، |١٥٢| وقال الله عز وجل: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)(١) وإذا قال الذمى من تلقاء نفسه :

(١) سورة المائدة : آية ٨٢ .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ثم رجع إلى دينه ولم يتم على إسلامه فلا يقتل ولا يجبر على الإسلام حتى يقول آمنت بمحمد وبما أنزل على محمد النبي فإذا آمن بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فقد لزمه الإسلام ، فإن تم على إسلامه وإلا قتل . وإذا أقر اليهودى أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله ، وأنه أرسل إلى الناس عامة ، وأنه مؤمن بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وخلع الشرك وبرىء منه ثم رجع عن ذلك وجب عليه القتل . وإذا تحول اليهودى والنصرانى إلى دين المجوسية لم تؤكل ذبيحته ، وإذا تحولت المجوسية إلى اليهودية والنصرانية لم يحل للمسلم نكاحها لأنهامشركة ، لأن الله تعالى لم يحل نكاح المشركات وإنما أحل نكاح أهل الكتاب ، وهذه فى الأصل ليست من أهل الكتاب .

مسألة : واليهود والنصارى سواء فى الأنجاس والأخباث والتزويج والذباح والديات وغير ذلك .

مسألة : واليهود والنصارى الذين يقرءون الكتاب مشركون بلا اختلاف لأنهم قالوا العزير ابن الله والمسيح ابن الله(١) والله ثالث ثلاثة(٢) .. قال عز من قائل: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم) إلى قوله : (سبحانه عما يشركون) (٣) ، فقد سماهم الله فى هذه الآية مشركين . وإذا قال اليهودى العزير ابن الله عوقب بالحبس ، وكذلك النصرانى إذا قال المسيح ابن الله عوقب وحبس وعذب ، وإذا شتم اليهودى مسلماً حبس وعزر ، وإن لطم مسلماً قطعت يده . وقيل إن يهودياً ذعر بامرأة حماراً فصرعت فانكشفت عورتها فأمر عمر رحمه الله أن تقطع يده ، وقال ليس على هذا صالحناكم ، وقيل إنه أمر به أن يقتل .

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أخبث اليهود يهود بنى شيبان ، وأخبث النصارى نصارى نجران » .

---

(١) اقرأ : سورة التوبة (آية ٣٠) .
(٢) اقرأ : سورة المائدة (آية ٧٣) .
(٣) سورة التوبة : آية ٣١ .

فصل

ولما غاب موسى عليه السلام عن قومه أربعين ليلة عبدوا العجل من دون الله وهم فى ذلك يزعمون أنهم خيرة الله وصفوته من عباده وأنهم أولياء الله من دون الناس، فقال الله نقضاً لقولهم: (يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين)، ثم قال: (ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) (١) . وقال مخبراً عن قولهم: (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) (٢) وهم أبناء الأنبياء والرسل والملوك قد كان الله [١٥٣] اختارهم واصطفاهم وأتاهم لم ما يؤت أحداً من العالمين ، فلق لهم البحر حتى ساروا فيه، ونجاهم من عدوهم فرعون وأورثهم أرضهم وأماكنهم، وخط لهم فى الألواح التوراة، وشق لهم الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم ، وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى ، وجعل منهم الأنبياء والرسل مع نعم كثيرة لا تحصى ، فلما كفروا وبدلوا وغيروا فلم يمنعهم عنه حين بدلوا نعمته وتركوا أمره وركبوا معصيته أن لعنهم وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، وفرقهم فى الأرض وضرب عليهم الذلة والمسكنة وبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة. وقال الله فى كتابه العزيز : (سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب) (٣). هؤلاء قوم موسى أنزل بهم الذلة والهوان والصغار لما نبذوا كتاب الله وبدلوا نعمه وتفرقوا واختلفوا وأخذوا بالهوى والبدع ، وأطاعوا ملوكهم فى معصية الله وآثروا الدنيا على الآخرة ، وركبوا الشهوات وتركوا كتاب الله وراء ظهورهم

---

(١) سورة الجمعة : الآيتان ٦ ، ٧ .

(٢) سورة المائدة : آية ٦٤ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢١١ .

كأنهم لا يعلمون ، ثم تمنوا على ذلك المغفرة وهم مصرون على الذنوب ، وقال الله (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق)(١) .

ثم قال لمن تمسك بالكتاب عند الفرقة والاختلاف ، وأحل حلاله وحرم حرامه وأقام الصلاة وآتى الزكاة وعمل بطاعة الله ونهى عن معصية الله إنا لا نضيع أجر المحسنين .

(١) سورة الأعراف : آية ١٦٩ .

الباب السادس والثلاثون

فى فرق النصارى

وهم قوم نبي الله وروحه عيسى بن مريم صلوات الله عليه وقيل سموا النصارى لأن المسيح صلوات الله عليه كان بقرية يقال لها ناصرة من أرض الخليل ، وكانت اليهود تسميه يسوع ومعناه بالعربية عيسى ، فلما كان مسكنه ناصرة سمي من تبعه ناصر ثم حذفت الألف فقالوا نصرانى وقالوا فى الجمع نصارى ، وقال بعضهم سموا بذلك لقول الله عز وجل: (قال الحواريون نحن أنصار الله)(١) فهو مأخوذ من ذلك لأنهم كانوا أنصار المسيح عليه السلام ، وهو مشتق من النصرة وواحد النصارى فيه قولان ، قالوا يجوز أن يكون واحده نصران ونصارى على وزن ندمان ونداما .

فصل

فالنصارى أصل افتراقهم من أربع فرق ثم تفرقوا إلى اثنين وسبعين فرقة كما قال صلى الله عليه وسلم: « افترقت المجوس على سبعين فرقة، واليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتى من بعدى على ثلاث |١٥٤| وسبعين فرقة والناجية من جميع الفرق فرقة : قيل : يا رسول الله من الناجية ؟ قال : « من اتبع كتاب الله وسنتى » ، وفى موضع : « من أخذ كتاب الله وسنتى » .

مسألة : فلما رفع الله عيسى بن مريم إليه واختار له ما لديه فلبث قومه من بعده ما شاء الله، ثم ضلوا واختلفوا وافترقوا على أربع فرق: فرقة زعمت أن المسيح ابن الله ، وفرقة قالت إن الله ثالث ثلاثة ، وفرقة قالت إن المسيح هو الله(٢) . وفرقة استقامت على طاعة الله(٣) وهم الأقل إلى أن بعث نبي

---

(١) سورة آل عمران : آية ٥٢ .

(٢) سورة المائدة : آية ١٧ .

(٣) قال الله تعالى فى سورة المائدة : آية ١١١ (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) .

الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفر .

خبر : يروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال: لما اختلفت النصارى بعد رفع المسيح عليه السلام اختاروا من علمائهم أربعة فأدخلوهم بيتاً وبين يدى البيت رحبة واسعة اجتمعت النصارى فيها والعلماء داخل البيت وهم أربعة: يعقوب ، ونسطور ، وإسرائيل ، وملك من ملوكهم ترك الملك ودخل فى التقسيس . قالت لهم النصارى عند اجتماعهم اعملوا لنا رأياً وأمراً نتبعه ونقيم عليه ويكون لنا فيه حياة ، فتكلم يعقوب فقال هل سمعتم برجل مذ خلق الله السموات والأرض كان يحيي الموتى غير عيسى ابن مريم ؟ قالوا لا والله ؛ قال فهل سمعتم برجل قط كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيصير طيراً غير عيسى ابن مريم ؟ قالوا لا والله ، قال وهل سمعتم برجل قط كان يبرىء الأكمه والأبرص والأعمى غير عيسى ابن مريم ؟ قالوا لا والله . قال يعقوب فان صاحبكم الذى كان يصنع هذه الأشياء هو ربكم فادعوه هو الله ! ! فأبى الآخرون عن قوله وكذبوه . فخرج يعقوب إلى الناس فأخبرهم بالذى قال فاتبعه من الناس طائفة وهى الفرقة التى تسمى اليعقوبية ، فأنزل الله فيهم : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم)(١) .

ثم تكلم نسطور وقال: لا أقول كما قال يعقوب لو كان المسيح هو الله لما كان يأكل الطعام ويشرب الشراب ويصلى ويصوم من خشية غيره ، وما كان ليصلب وأنتم تشهدون على المسيح بهذ فكيف يكون الرب ، ولكنى أقول كلمة ، إنه كلمة الله وابنه فادعوه إنه ابنه . وقال آخرون لا نقول هذا ، ثم خرج نسطور إلى الناس إلى رحبة البيت فأخبرهم بالذى قال فاتبعه طائفة فأنزل الله عز وجل : (وقالت النصارى المسيح ابن الله)(٢) .

ثم تكلم إسرائيل فقال : لا أقول بقول يعقوب ولا بقول نسطور ، ولكنى أقول وأتكلم بغير ما قالوا ، هو ثالث ثلاثة الله والمسيح ومريم آلهة فأنزل الله :

---

(١) سورة المائدة : آية ١٧ .

(٢) سورة التوبة : آية ٣٠ .

(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)(١) ، فخرج فتبعه من الحجرة طائفة [١٥٥] منهم وهم الروم وفرقتهم إسرائيلية .

ثم خرج الرابع عليهم وقال أنا أشهد أن لا إله إلا الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، لا شريك له ولا ضد ولا ند فأيده الله بالحجة فأنزل الله : (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين)(٢) بالحجة ، وقال الله : (ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون)(٣) . فهذا أصل افتراق النصارى وقد ذكرتهم فى آخر حديث الأنبياء : .

فصل

النصارى تسمي العالم بالعبرانية كبها والأسقف رأس من رءوسائهم وعلمائهم؛ وللنصارى عيد يقال له فصح النصارى يأكلون فيه اللحم وهو يوم فطرهم. والراهب اسم العابد منهم قال الله تعالى : (ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً) (٤). والهيكل دير النصارى وبيعتهم ، والهيكل أضخم(٥) من جميع الأشياء .

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «شر اليهود يهود شيبان وشر النصارى نصارى نجران». والنصارى واليهود سواء فى حكم المسلمين من الجزية والذبحة والنكاح وغيره لا فرق بين اليهودى والنصرانى فى حكم المسلمين .

مسألة : وقيل إن عيسى صلوات الله عليه دعا الناس إلى عبادة الله وطاعته وهو ابن ثلاثين سنة ومدة دعوته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام

---

(١) سورة المائدة : آية ٧٣ .

(٢) سورة الصف : آية ١٤ .

(٣) سورة المائدة : آية ٧٥ .

(٤) سورة المائدة : آية ٨٢ .

(٥) كتب فى المخطوطة « الضخم » .

ثم رفعه الله إليه ، ثم افترقوا من بعده فمن أسماء فرقهم : الملكانية ، واليعقوبية والنسطورية ، فانشعب منها الألبانية ، والبلارسية ، والمغنانوسية ، والمسالية ، والبرطونية ، والإسرائيلية . فمعظم الروم على مذهب الملكانية ولكل فرقة منهم مقالات كثيرة ومذهب وخبط تركته اختصاراً .

فصل

من أخبار نبي الله عيسى بن مريم صلوات الله عليه أول شيء تكلم به وهو في المهد حين ولد: (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً)(١) . فلما خالفوه وتركوا ما أمرهم به وخالفوا كتاب ربهم وسنة نبيهم وركبوا ما نهوا عنه وضيعوا وخالفوا ما أمروا به واتبعوا الهوى وأخذوا بالبدع أهلكهم فقتل بعضهم بعضاً ولعن بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض . وقد قال عز من قائل: (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين)(٢) .

ومن أخبار أهل المائدة مع نبي الله عيسى ابن مريم صلوات الله عليه تفسير قول الله تعالى: (إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين)... (قال الله إني منزلها عليكم ..)(٣) الآية |١٥٦| فلما أنزل الله عليهم المائدة أكلوا منها وعصوا وكفروا فجعلهم الله خنازير. ودعا عليهم نبي الله عيسى ابن مريم فقال: اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت! ! وكان أصحاب السبت قبل عيسى عليه السلام على زمان نبي الله داود عليه السلام ، فلما عصوا جعلهم الله قردة .

وفي الخبر أن نبي الله عيسى عليه السلام أقام بهم بعدما أنزل عليه الإنجيل سنتين ونصف ورفع إلى السماء وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر .

---

(١) سورة مريم : الآيات ٣٠ — ٣٢ .

(٦) سورة القصص : آية ٥٠ .

(٣) سورة المائدة : الآيات ١١٢ — ١١٥ .

وعاشت أمه بعده خمس سنين ، وولدته وهى ابنة اثنتى عشرة سنة وماتت مريم وهى ابنة تسع وأربعين سنة وستة أشهر . وقيل إن المائدة كانت أرغفة وسمكاً والله أعلم .

ومن أخبار النبى عيسى صلوات الله عليه أن الدنيا تعرضت له فى هيئة امرأة جميلة حسناء عليها الحلى والحلل وهى تسحب أذيالها وتقول له : يا ابن البكر البتول مالك لا تنال منى شيئاً فما بقى أحد إلا نال منى ، فلما نظر إليها عيسى بن مريم صلوات الله عليه شغف بها حباً ، فقال : أيتها المرأة أبكر أنت أم ثيب ؟ قالت : بل ثيب يا روح الله ، فقال : تزوجت أم زنيت؟ فقالت بل تزوجت ، فقال لها : ما فعل أزواجك ؟ قالت : كلا قتلت ! ! فقال لها عيسى صلوات الله عليه : فمن أنت التى قتلت أزواجك ؟ فقالت : يا روح الله .. أنا الدنيا أغر من اتبعنى ، وأخدم من تركنى . فقال عيسى صلوات الله عليه : أنت بؤس الباقين ومهلكة الأولين ! ! سبحان الله كيف لا يعتبرون بالماضين ، يا ابن آدم ارض بالله رباً وبالمسجد بيتاً وعود عينيك البكاء وقلبك الصبر وفؤادك الغر ألا تهتم برزق غد .

ومن أخباره صلى الله عليه وسلم ومواعظه عن وهب بن منبه ، أن عيسى صلوات الله عليه جمع بنى إسرائيل لما اتبعوا زينة الدنيا وتركوا أعمال الآخرة قام متوكئاً على عصاه بعد ما اجتمع إليه العلماء والأحبار والرهبان والعباد ، فقال لهم : « إن الناصت (١) شريك فى القول وأولى بهذا القول القائل ، يا بنى إسرائيل إن الله سبحانه وتعالى بسط لكم الدنيا لتطيعوه ولم يبسطها لكم لتعصوه ، وأخذتم العلم فجعلتموه تحت أقدامكم ، وأخذتم الدنيا فجعلتموها فوق رءوسكم ، فلا أنتم عبيد أبرار ولا أنتم أحرار كرام ، يا عبيد الدنيا أيحب أحدكم أن يقال فيه ما ليس فيه وأن يشار إليه بالأصابع ، يا عبيد الدنيا تحلقون رءوسكم وتقصرون قميصكم ولا تنزعوا الغل من صدوركم ، يا عبيد الدنيا مثلكم مثل القبور المشيدة بالبنيان يعجب الناظر ظاهرها وباطنها [١٥٧] عظام الموتى مملوءة خطايا ! ! يا عبيد الدنيا مثلكم كمثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه ، يا عبيد الدنيا

(١) كتب فى المخطوطة « المناصب » .

زاحموا العلماء فى مجالسهم ولو حبوتم على الركب فان الله تحيي بالعلم القلوب الميتة كما يحيي الأرض بوابل المطر ، يا عبيد الدنيا استحيوا من الله فى سرائركم كما تستحيون من الناس فى علانيتكم ، ويا علماء السوء جعلتم الدنيا فوق رءوسكم والحكمة تحت أقدامكم!! ويا علماء السوء جلستم على أبواب الجنة فلا أنتم تدخلون ولا تدعون الناس أن يدخلوا !! ويا علماء السوء لا تأخذوا للعلم ثمناً فانكم إن فعلتم ذلك سبقتم الزناة إلى النار . تظهرون للناس السكينة وتلبسون ثياب الصوف وتفترشون المسوح وقلوبكم مثل الذئاب! !يا بنى إسرائيل صلوا من قطعكم وأحسنوا إلى من أساء إليكم ، وسلموا على من لا يسلم عليكم وانصفوا من خاصمكم واعفوا عن من ظلمكم ، أما ترون أن الله سبحانه أشرق شمسه على الأبرار منكم والفجار ، وأن مطره نزل على الصالحين منكم والطالحين ، يا بنى إسرائيل إذا تصدقتم فلا تظهروا أحداً على صدقاتكم ، وإذا صليتم فوفروا صلاتكم واخفضوا أصواتكم ، ولا تصرخوا صراخ الحمير فى دعائكم ، فان ربكم يعلم ما تسرون وما تعلنون ، وإذا صمتم زكوا صيامكم ولا تلبسوا صيامكم بظلم ، فالجسد لا يقوم إلا بالنفس الحية ، وكذلك الدين لا يقوم إلا بالنية الصادقة ، وحاسبوا أنفسكم فيما تأكلون وتشربون، ويلكم!! اعتبروا بالطير والوحوش والبهائم والسباع الذين لا يزرعون ولا يحصدون ولا يتقوتون ولا يحسنون ذلك وليست لهم خزائن والله سبحانه يرزقهم يوماً بيوم وساعة بساعة ، تغدوا خماصاً وتروح بطاناً . يا بنى إسرائيل لاتظلموا الناس ولا تعاونوا الظالمين فان دار الظلمة خراب الظالم ولو بعد حين يا بنى إسرائيل من زرع مراً حصد مراً ، ومن زرع حلواً حصد حلواً : لا يجنى من الشوك العنب والدنيا خلقت مزرعة(١) من زرع خيراً حصد خيراً فى الآخرة . ومن زرع فى الدنيا وبذر شراً حصد ندامة فى الآخرة : بحق أقول لن تنالوا ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون!! بحق أقول لكم إن الشجر يتفاضل فى الثمرات، كذلك الرجال يتفاضلون بالأقوال والأعمال،

---

(١) كتبت فى المخطوطة « فمزرعة » .

والنفس نور كل حي ، والحكمة نور كل قلب ، والتقوى رأس كل حكمة ، والحق باب كل خير » .

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من جار عينه تراني
[١٥٨] وقلبه يرعاني إن تكن حسنة كتمها وإن تكن سيئة أبداها » .

وقيل إنه كان يمشي على الماء والحواريون يمشون على الساحل فقالوا له : يا نبي الله ما لنا لا نمشي على الماء مثلك فقال : لو صدق يقينكم طرتم على الهوا .

ولعيسى بن مريم صلوات الله عليه مواعظ تركتها اختصاراً .

الباب السابع والثلاثون

فى أطفال المشركين والمنافقين وما وقع فيهم من الاختلاف بين المسلمين

قال أبو محمد: اختلف أصحابنا فى أطفال المشركين والمنافقين على قولين: قالت طائفة منهم حكمهم فى الدنيا والآخرة حكم آبائهم(١) قياساً على حكم أولاد المؤمنين، لاتفاقهم على أن أطفال المؤمنين حكمهم حكم آبائهم فى الدنيا والآخرة فى حكم الظاهر والدعاء لهم والتولية والإرث ويقبرون فى قبور المسلمين، وفى الآخرة ينعمون مع آبائهم. وقالوا فلما كان أطفال المؤمنين أحكامهم فى الدنيا أحكام آبائهم وأحكام أطفال المشركين والمنافقين فى الدنيا أحكام آبائهم، ثم وجدنا الاختلاف فيهم فى حكم الآخرة كانت التسوية بينهم فى حكم الآخرة قياساً على ما اتفقوا عليه من استواء حكمهم فى الدنيا وقالوا، لما كان أطفال المؤمنين يتنعمون مع آبائهم بالاتفاق ولم يعملوا عملا صالحاً يجازون عليه جاز أن يعذب أطفال المشركين والمنافقين ما لم يعملوا والله يفعل ما يشاء وهو على كل شىء قدير.

وقالت الفرقة الأخرى: أطفال المؤمنين ينعمون مع آبائهم والاتفاق على ذلك، والدليل على ذلك من الكتاب قوله تبارك وتعالى: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم(٢) بايمان ألحقنا بهم ذريتهم)(٢). ثم وجدنا الاختلاف فى أطفال غير المؤمنين فنأخذ بقول ما اجتمعوا عليه ونقف عما اختلفوا فيه، وحجة هذه الفرقة الواقفة قالت، لما وجدنا الأخبار مختلفة فيهم والأمة مختلفة فى ذلك فى حكمهم وقفنا عنهم لأن الله سبحانه وتعالى لم يتعبدنا أن نعلم أنهم فى النار أو فى الجنة، فلما كان القول فيهم ما يسع جهله وكانت الأخبار

---

(١) كتبت فى المخطوطة « حكم آباؤهم ».

(٢) سورة الطور: آية ٢١.

لاحظنا أن الآية كتبت خطأ.

الواردة فيهم مختلفة أحكامها فى الظاهر ، رأينا الاعتصام بالسكوت عن حكمهم: ورأينا الوقوف أسلم فى أمرهم .

وعلى هذا المذهب الأخير أدركنا أشياخنا رحمهم الله ، منهم أبو مالك ، وأبو مروان ، وأبو يحيى ، ومن كان فى عصرهم وممن هو فى درجتهم رحمهم الله وغفر لهم . وقال الشيخ أبو مالك رضى الله عنه يعتذر بالوقوف عنهم للخبرين الموروثين عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه سئل عن أطفال المنافقين وأطفال المشركين فقال : « إنهم خدم أهل الجنة » وان خديجة بنت خويلد زوجة |١٥٩| النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها سألته صلى الله عليه وسلم عن أطفالها منه فقالت: يا رسول الله أين أطفالى منك ؟ فقال فى الجنة ، فقالت أين أطفالى من غيرك الذين ماتوا قبل مجيء الإسلام ؟ فقال فى النار ، وإن شئت أسمعتك ثغاءهم فيها!! فلما ورد هذان الخبران وجب أن نتوقف مع ما وجدنا من السعة من الله جل ذكره إذ لم يتعبدنا أن ندين فيهم بحكم أهل الجنة وحكم أهل النار .

وكان الإمام سعيد بن عبد الله يناظرنى فى هذا القول ، وقد كنت أنا أختاره ، وكان القول منى على سبيل التعجب منه ولم أقف على اعتقاده فى ذلك . وقال الشيخ أبو محمد رحمه الله: ولقد فكرت فى هذين القولين فوجدت فيهما نظراً وتبيناً لمن أراد الخلاف عنهما . وللخبرين تأويل إذ لا يجوز التضاد على أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما قوله صلى الله عليه وسلم : «إنهم خدم أهل الجنة» فيجوز لأن الله تبارك وتعالى قادر على أن يتفضل عليهم إذ لم يكونوا من أعدائه فيجوز أن يجعلهم خدماً لأوليائه كالولدان والحور العين الحسان إذا لم تتقدم لهم طاعات ولا تعبدوا بالعبادات . والله تعالى أكرم وأرحم من أن يعذب الأطفال الصغار العذاب الأليم ، ويؤلمهم الألم الشديد بنار جهنم دائمين فيها أبداً بذنوب آبائهم وهو جل ثناؤه يقول : (ولا تزر وازرة وزر أخرى)(١) . وقوله جل ذكره : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)(٢) :

(١) سورة الأنعام : آية ١٦٤ ؛ وسورة الإسراء : آية ١٥ .

(٢) سورة الإسراء : آية ١٥ .

والطفل لم يأته رسول فينكره ولا كتاب فيجحده . وقوله تبارك وتعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى)(١) وقال سبحانه: (وإبراهيم الذى وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى)(٢) . وقوله جل ذكره : (لا يصلاها إلا الأشقى * الذى كذب وتولى)(٣) . فأخبر تبارك وتعالى أنه لا يعذب بهذه النار التى تلظى إلا من كان شقياً مكذباً . وأما الخبر الأخير فانه يروى على وجهين ،ونقل على لفظين مختلفين رواه قوم أن خديجة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت له : أين أولادى منك يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ؟ فقال : هم فى الجنة ، وقالت : أين أولادى من غيرك ؟ فقال : هم فى النار ، إن شئت لأسمعك تثاغيهم فى النار. وهذا الخبر يحتمل التأويل لأنه أجاب عن البالغين ،لعلمه بأولادها ،وهذا يدل على أن التأويل يصح ويوافق الخبر ولا يخالف الخبر الأول |١٦٠| الذى ذكرناه. واللفظ الآخر الذى نقل أنها سألته عن أطفالها منه، فان كان الخبر صحيحاً فله تأويل صحيح يدل على ما قلناه ، لأن العرب تسمى البالغ طفلا. الدليل على ذلك قول عنترة شعراً :

عرضت لعامر والخيل تردى بأطفال الحروب مشمرات

وقال آخر :

لقينا بها أطفالكم وخيولكم عليهم سرابيل الحديد المسرد

والذى يركب ويلبس السلاح وينازل الأقران لا يكون إلا بالغاً. وكل الروايتين يدلان على صحة الخبر بما تأولنا والله أعلم .

فان احتج محتج وقال أليس الله تبارك وتعالى يقول : (ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً)(٤) . فأخبر جل ذكره أن ولد الكافر كافر مثله ؟ قيل له هذا غلط

---

(١) سورة النجم : الآيات ٣٩ — ٤١ .

(٢) سورة النجم : الآيتان ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) سورة الليل : الآيتان ١٥ ، ١٦ .

(٤) سورة نوح : آية ٢٧ .

فى التأويل فى ذلك. وأن نوحاً عليه السلام لم يكن يعلم الغيب ، ولكن لما قال الله إنه (لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) (١) علم صلى الله عليه وسلم أنه لا يولد منهم إلا من كان فاجراً كفاراً . فأخبر جل ذكره أن والد الكافر كافر مثله إذا بلغ وفعل الكفر والفجور . ألا ترى إلى قوله: (إنا خلقنا الإنسان)(٢) (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين)(٣) ، إخباراً عن العاقبة ليس يريد أنه خصيم مبين فى حال طفولته ولا فى حال ما هو نطفة وإنما يكون خصيما مبيناً إذا بلغ وعاند وكفر ، وإن قال ما أنكرت أن يكون أطفال المشركين وأطفال المنافقين يستحقون العذاب لعلم الله فيهم وعلمه بعاقبة أمرهم وأنه لو أبقاهم لكفروا ؟ قيل له لو جاز هذا لجاز أن يعذب سائر المؤمنين لعلمه بهم أن لو بسط الرزق لهم كما قال سبحانه وتعالى : (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض)(٤) وكان يعذبهم على البغى الذى علمه بهم إذا بسط الرزق عليهم ، فهذا يدل على صحة ما قلنا وبالله التوفيق.

فان قال قائل ما أنكرتم أن يكون الاقتصار على لزوم الفرائض والقيام بها وترك الخوض فيما لا يتعبد الإنسان بعلمه أفضل له وأولى من طلب استفادة علمه لو لم يعلمه كان سالماً ، إذا كان الخطر فى ذلك متوجهاً غير مأمون منه ، وقد وجدنا كثيراً من الناس طلبوا الفضل والازدياد فأداهم ذلك إلى الخطر العظيم والخطأ الذميم ، ولم يعذروا على ذلك ؟ قيل له هذا خطأ منك وممن ذهب إلى ما ذهبت إليه ، والدليل |١٦١| على هذا قول الله تبارك وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط)(٥) وقوله سبحانه : (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)(٦) . فمن القيام بالقسط وطلب الخير طاب

---

(١) سورة هود : آية ٣٦ .

(٢) سورة الإنسان : آية ٢ .

(٣) سورة يس : آية ٧٧ .

(٤) سورة الشورى : آية ٢٧ .

(٥) سورة المائدة : آية ٨ ، وفى المخطوطة لم يذكر سهواً « لله شهداء » .

(٦) سورة الحج : آية ٧٧ .

الأحكام وإنفاذها على العوام واستنباط مراد الله فى كتابه ، كما قال عز وجل لعلمه الذين يستنبطونه منهم ، ولذلك كان العالم أفضل من الجاهل بدرجات لا يعلم عددها إلا الله رب العالمين . وأيضاً فان حمل الشريعة وأدائها إلى أهلها مما تعبد الله به عباده وافترضه على كافة خلقه ، وإنما سقط الفرض عن البعض بقيام من قام به فى حمله هذه الشريعة تفسير ما يسع جهله وما لا يسع جهله وقد تعبد الله عباده لطلبها وحملها ، وندب إليها ، وأيضاً فالأمة بأسرها شهدت بالفضل لمن يطلب تعلم العلم ماكان واسعاً له جهله من مواريث المجوس والمتناسخ والخناثا وما جرى هذا المجرى .

فلو كان ما ذهب إليه هذا الغالط على عقله والمعقل عن حظه مصيباً ، لكان المسلمون جميعاً ينهون الجاهل عن الدخول فيما يسعهم جهله ، ويأمرون بترك التعرض ، ويأمرهم بأن لا يعلموا ما لا يعلمون حتى لا يخطئوا ولا يذهبوا عن الصواب لكانوا يستعملون هذا فى نصائحهم ويظهرون للناس ، فينبغى لمن ليس عليه فرض الحج لا يدخل نفسه فى الحج ، لعله أن لا يقوم به إذ يفعل فيه ما قد نهى عنه كذلك فى صلاة النفل والصوم وسائر أعمال البر لما يخاف أن يدخل على الإنسان من الخطأ والذهاب عن الصواب . فليس خطأ المخطىء وذهابه عن الحق إذا أراده بموجب على الإنسان أن يدع طلب الصواب ويتحرى الحق وما يدل عليه من وجوه الدلالة حتى يظهر الصواب . وأيضاً فان الله تبارك وتعالى تعبد الخلق من عباده من طريق الحكمة بأشياء ، وقد علم سبحانه أن بعضهم مخطئها وبعضهم يصيب مراد الله فيها ، وكان حكيماً فيما تعبد به عباده ولم يكن علمه بخطأ المخطىء مما يخرجه عن حد الحكمة . وكذلك قولنا إن طلب الصواب والتحرى لإصابته مما ندب الله إلى علمه ومعرفته وإن كان المطلوب قد يخطئه بعض الطالبين فهذا يدل على صحة قولنا وبالله التوفيق .

الباب الثامن والثلاثون

فى افتراق الفرق الإسلامية

اجتمعت العلماء والأحبار ورواة الأخبار |١٦٢| ونقلة الحديث على صحة قول النبي صلى الله عليه وسلم : «افترقت المجوس على سبعين فرقة، واليهود على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ، والناجية من جميع الفرق فرقة». وأنه قيل له يا رسول الله صف لنا الفرقة الناجية فقال صلى الله عليه وسلم: «الناجى من اتبع كتاب الله وسنتى أما قرأتم كتاب الله حيث يقول : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)(١) ... الآية » :

وقال عز وجل: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(٢) وقال (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)(٣) وقال سبحانه وتعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب)(٤) فالناجى من جميع الفرق من أطاع الله ورسوله وعمل بما أمر ما الله به، والهالك من عصى الله ورسوله وعمل بمعاصيه :

وقال عز وجل : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما اريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون)(٥) ولا يقبل الله الإسلام إلا بكماله لا كما قالت الحشوية الغوية إن لهم الجنة ولو سفكوا الدماء وأكلوا أموال اليتامى ظلماً وانهم مؤمنون ولو لم يصلوا ويصوموا ، كما قال بعضهم شعراً :

---

(١) سورة آل عمران : آية ١١٠ .

(٢) سورة الحجرات : آية ١٣ .

(٣) سورة البينة : آية ٥ .

(٤) سورة البقرة : آية ١٧٧ .

(٥) سورة الذاريات : الآيتان ٥٦ ، ٥٧ .

قرب الدّن قد صفا ومع الدن مصحف

اشرب من ذا قدحا واقرأ من ذا أحرفا

خير هــذا بشرّ ذا وإذا الرب قد عفا

وانه سبحانه وتعالى يكذبهم بقوله : (ألا لله الدين الخالص)(١) ؛ وقال سبحانه : (فماذا بعد الحق إلا الضلال)(٢) . وقال سبحانه : (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً * إنا هديناه السبيل إما شاكراً أو إما كفوراً)(٣). فالفرق كثيرة وأقاويلهم غير قليلة لا يأتى عليها كتاب ولا يستوعبها ذكر وخطاب غير أنى أذكر منها طرفاً يهتدى به من أراد الله هدايته وإرشاده ، وذلك شيء يكثر ويطول وذكره يتزايد ويعول غير أنى أميل إلى الاختصار ، [١٦٣] وأبين ما أحضر فى الله من ذكره لأولى الأبصار . ولم يزل الإسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما على النظام والاستقامة فى الأحكام والتحقيق والصواب، والكتاب إلى أن قبض عمر بن الخطاب ، فلما مضت تلك الأعلام وانقضت الشهور والأعوام وأراد الله تمحيص أهل الإيمان استخلف من بعد عمر عثمان بن عفان فعمل بالحق ما شاء الله ، وهو دون صاحبيه ست سنين ، ثم أحدث الأحداث المشهورة فى الدين .

كما قال الحطرى (٤) فى شعره :

فبويع فى شهر المحرم ذو الندى أبو عمرو عثمان الخليفة وارتدى

على الصبر منديل الخلافة واقتدى بهدى أبى حفص الغليظ على العدا

وصاحبه الصديق ذو الفضل والهدى بستة أحوال سنين وما اعتدا

على أحد فى ستة قدر قطمار

---

(١) سورة الزمر : آية ٣ .

(٢) سورة يونس : آية ٣٢ .

(٣) سورة الإنسان : الآيتان ٢ ، ٣ . وقد ذكر فى المخطوطة « هدينا » بدل « هديناه » .

(٤) لعلها « الحضرمى » .

فلما انقضت تلك السنون تجبرا ... أبو عمرو فى سلطانه وتكبرا
وأعجبه ملك البلاد كقيصرا ... وزاغ عن الحق المبين فأكبرا
فآوى طريد المصطفى (١) سيد الورى ... وغرب أهل الدين فى القفر والقرى
عن الأهل والأوطان بغياً باصرار

فلما أحدث عثمان الأحداث المشهورة التى تقدم ذكرها فى الكتاب ، اجتمعوا عليه من الآفاق مع من كان فى المدينة فطلبوا إليه أن يعدل أو يعتزل فامتنع فحاصروه وقتلوه . وافترقت الأمة بعد قتله على ثلاث فرق : فرقة قتلته ، وفرقة وقفت عنه وعن من قتله ، وفرقة طلبت بدمه. والفرقة القاتلة له ، فعلى بن أبى طالب وأصحابه وأهل المدينة والمهاجرون والأنصار . والفرقة الواقفة عنه سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد . والفرقة الطالبة بدمه فطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام ومعاوية بن أبى سفيان . فسميت الفرقة الأولى وهى القاتلة له أهل الاستقامة ، والفرقة الواقفة الشكاك ، والفرقة الطالبة بدمه العثمانية . ولما حكم على بن أبى طالب الحكمين افترق أصحابه فرقتين فرقة خرجت عنه فسموا الخوارج ، وفرقة شايعته فسموا الشيع ، فهذا أصل افتراق الفرق الإسلامية وهى أربع [١٦٤] فرق. وكذلك المجوس أصل افتراقهم من أربع فرق ، واليهود أصل افتراقهم من أربع فرق ، والنصارى أصل افتراقهم من أربع فرق، وقد سطرت من ذلك ما وجدته مسطراً عن أهل البصائر ونقلته من بطون الدفاتر ثم افترق من كل فرقة فرق إلى ثلاث وسبعين فرقة ، فالقدرية والمعتزلة

---

(١) طريد المصطفى : هو الحكم بن أبى العاص عم عثمان بن عفان . وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد أخرج الحكم وأهله من المدينة بسبب إيذائه للرسول عليه الصلاة والسلام وشفع عثمان بن عفان عند الرسول عليه الصلاة والسلام فى إعادته فلم يعده . ولما ولى عثمان الخلافة أعاد الحكم إلى المدينة وولى إبنه الحارث بن الحكم سوق المدينة فأساء السيرة ، واتخذ أبنه الآخر مروان بن الحكم كاتباً مشيراً .

والجهمية أصلها من الشكاك، والصفاتية والمشبهة والحشوية أصلها من العثمانية . والخوارج من الفرقة الخارجة عن على بن أبى طالب لتحكيم الحكمين ، والروافض والشيع الذين هم شايعوا على بن أبى طالب على قتل من أنكر عليه .

ذكر اعتقاد الفرق :

ونبدأ بذكر فرقة فرقة ونذكر احتجاجاتها وقولها والحجة عليها من كتاب الله وسنة نبى الله صلى الله عليه وسلم واجتماع الأمة .

الباب التاسع والثلاثون
فى اعتقاد المعتزلة والقدرية

قالت المعتزلة والقدرية إن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، وإن الرب سبحانه وتعالى منزه من أن يضاف إليه شر وظلم ، فان الحكيم لا يخلق إلا الخير ولا يخلق الشر . وزعموا أن من أثبت القدر فهو مشرك، وأرادوا أن يصفوا الله بالتنزيه فوصفوه بالعجز . وقد اجتمعت الأمة أن من كان فى ملكه ما لا يريد كان عاجزاً أو مكرهاً أو مغلوباً أو ساهياً أو ناسياً لا يعلم بذلك من طريق الجهالة والاستخفاء . وهذه الأشياء عن الله منفية باجماع الأمة وهو سبحانه وتعالى لا ناسى ولا جاهل ولا مغلوب ولا يخفى عليه شىء تعالى الله عن ذلك علواً كثيراً ! ! والله سبحانه وتعالى يقول : (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إلـه إلا هو فأنى يؤفكون)(١) . وقال كذلك : (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون)(٢) .

مسألة : فان قال قائل ما الدليل على أنه خلق المعاصى ؟ قيل له قوله تعالى : (وخلق كل شىء فقدره تقديراً)(٣) ، ومعاصيهم شىء . وقال سبحانه : و (كل شىء خلقناه بقدر)(٤) . وأفعالهم شىء ، وقال سبحانه : (والله خلقكم وما تعملون)(٥) . ومن اعتقادهم وقولهم ان الله لم يخلق أفعال العباد ولم يقدرها ولم يدبرها ولم يخلق الكفر قبيحاً ولا الإيمان حسناً ولا خلق تسبيح الملائكة المقربين ، ولا خلق طاعات المسلمين أجمعين، ولا شيئاً من أفعال

---

(١) سورة فاطر : آية ٣ .
(٢) سورة غافر : آية ٦٣ .
(٣) سورة الفرقان : آية ٢ .
(٤) سورة القمر : آية ٤٩ . قال تعالى (إنا كل شىء خلقناه بقدر) .
(٥) سورة الصافات : آية ٩٦ .

المؤمنين والكافرين ، ولا خلق [١٦٥] ضرب الملائكة الكفار وبمقامع من حديد ، ولا خلق شيئاً من الأفعال غير الآدميين والحيوانات والطير والبهائم والسباع والهوام وجميع ما خلق الله ما يتحرك ويسكن باكتساب .

وقال المسلمون ، وهم أهل الاستقامة والعدل والصواب ، إن الله خلق الإيمان إيماناً حسناً وخلق الكفر قبيحاً وخلق ما سوى ذلك من أفعال الملائكة والآدميين من المطيعين ، والعاصين ، والمؤمنين ، والكافرين ، وخلق أفعال الحيوان أفعالا ممن كانت منه وقدر ذلك كله على ما كان علمه فى جميع أموره من أوقاته وأقداره وحسنه وقبيحه . والدليل على ذلك قول الله فى آيات محكمات غير متشابهات وهو قوله :(خلقكم وما تعملون)(١) . وقوله : (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)(٢) وقوله : (وخلق كل شىء فقدره تقديراً)(٣) . وقوله : (إنا كل شىء خلقناه بقدر)(٤) : وقوله : (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله)(٥) : وقد علم أولوا الألباب أن منام العباد بالليل والنهار وابتغاؤهم من فضله من أفعالهم وقد أخبر أنهما من آياته . وقال : (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه)(٦) فهذا ما لا يقدر أحد على رده والنعاس من أفعال العباد وهو سبحانه يخبر أنه غشاهم إياه ، ولولا أنه غشاهم إياه ما نعسوا ولا قدروا على ذلك ، فان أقروا أن الله خلق أفعال العباد والحيوان دخلوا فى العدل وإن أنكروا ذلك وزعموا أن الله لم يخلقهما ولا صنع له فيهما فقد زعموا أن مع الله خالقاً غيره وهذا مما نفاه الله وعابه على من قال به .

---

(١) سورة الصافات : آية ٩٦ .

(٢) سورة الروم : آية ٢٢ .

(٣) سورة الفرقان : آية ٢ .

(٤) سورة القمر : آية ٤٩ .

(٥) سورة الروم : آية ٢٣ .

(٦) سورة الأنفال : آية ١١ .

ولو أن قائلا قال أفعال العباد خير من فعل الله لأنهم يزعمون أن الصلاة من أفعالهم وخلقهم وليست من فعل الله ولا من خلقه، ويقرون ويعترفون أن القردة والخنازير والشياطين والكفار وإبليس من خلق الله وفعله، وقد يعلم أولوا الألباب أن الصلاة خير من القردة والخنازير فصار فعل العباد وصنعهم خيراً من خلق الله وصنعه، فهل سمعتم أعظم إفكاً وإفتراء على الله من هؤلاء القدرية السفهاء ومن قال بمثل قولهم ؟!

وقال المسلمون من أهل الاستقامة إن الأشياء لا تكون إلا بإرادة الله ومشيئته فيها وكل كائن فقد شاء الله أن يكون على ما هو عليه، إن كان خيراً ممن كان منه فقد أراد أن يكون خيراً ممن كان منه، وإن كان شراً فقد أراد أن يكون شراً قبيحاً ممن كان منه. والدليل على أنه لا يكون |١٦٦| إلا ما أراد الله سبحانه وتعالى، قول الأمة والناس جميعهم ما شاء الله كان ومن لم يشأ لم يكن، وليس من شيء كان أو لم يكن إلا والله أراد لما كان أن يكون وما لم يكن لا يكون، فمن وصف ربه بغير هذه الصفة فقد افترى إثماً عظيما، ووصف الله بغير صفته. وزعموا أن الله أراد من العباد كلهم الإيمان، وقد علم أهل العقل، كلهم لم يكن منهم الإيمان وقد كان من بعضهم الكفر فقد كان غير ما أراد الله لأنه بزعمهم أراد أمراً فلم يكن ما أراد، وهذه صفة المغلوب المقهور المكره، لأن كل من أراد شيئاً فلم يكن ما أراد وكان خلاف ما أراد فقد غلب وأكره، فكفى بهذا من القول فحشاً بل جل ربنا عن هذه الصفة أن يكون يريد شيئاً فيكون غير ما يريد !! بل هو المريد لجميع الأشياء.

ومن قولهم واعتقادهم أن الاستطاعة قبل الفعل. وقال المسلمون أهل الاستقامة إن الاستطاعة غير المستطيع وإنها تكون مع الفعل للفعل وإن الله سبحانه وتعالى يحدثها مع الفعل ولا يكون إلا فعل واحد، والاستطاعة معنا على ضربين فمنها نعمة ومنها بلية، فأما النعمة فهي التي يعمل بها الطاعة، وأما البلية فهي التي يعمل بها المعصية وقد ذكرت جميع ذلك في باب الاستطاعة من هذا الكتاب :

ومن قولهم واعتقادهم أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الكفر ولم يرده، والله تبارك وتعالى يقول : (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً * إنا هديناه السبيل إما شاكر وإما كفوراً)(١) . وقال عز من قائل: (لبيلونى أأشكر أم أكفر)(٢) . وقال: (واشكروا لى ولا تكفرون)(٣) فخلق الشكر وجعله طاعة وخلق الكفر وجعله معصية . فالعاصى مجزى بما عصى والمطيع مجزى بما أطاع والله هو الخالق لجميع المخلوقات ، وقد قال الله سبحانه وتعالى: (هل من خالق غير الله)(٤). ومن قولهم واعتقادهم ان أهل الكبائر من أهل القبلة ليسوا بمؤمنين ولا كافرين ولا منافقين ولكنهم ضالون فاسقون، والله سبحانه وتعالى يقول خلافاً لقولهم: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون . وقال عز ومن قائل : (وجوه يومئذمسفرة * ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة * أولئك هم الكفرة الفجرة)(٥) .

وقال أهل الاستقامة إن الله سبحانه وتعالى جعل الناس على منزلتين : مؤمناً وكافراً ، فقال سبحانه وتعالى: (وسيق الذين كفروا |١٦٧| إلى جهنم زمرا)(٦) وقال : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً)(٧) . وقال عز وجل : (إناهديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً)(٨) فعلمنا أن المنافق والعاصى والظالم والفاسق إذا مات وهو مصر فهو كافر ، والكفر كفران، كفر نعمة

---

(١) سورة الإنسان : الآيتان ٢ ، ٣ .

(٢) سورة النمل : آية ٤٠ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٥٢ .

(٤) سورة فاطر : آية ٣ .

(٥) سورة عبس : آيات ٣٨ – ٤٢ .

(٦) سورة الزمر : آية ٧١ .

(٧) سورة الزمر : آية ٧٣ .

(٨) سورة الإنسان : آية ٣ . وذكر فى المخطوطة « هدينا » بدل « هديناه » .

وكفر شرك وجحود ، وكل من أدخله النار فهو كافر لقوله عز وجل : (واتقوا النار التي أعدت للكافرين)(١) .

ومن اعتقادهم في الفريقين في أهل صفين والجمل أن أحدهما مخطىء لا نعينه. وكذلك قولهم في عثمان وقاتليه وخاذليه إن أحد الفريقين فاسق لا محالة، ولا نعرف الفاسق منهم، كما أن أحد المتلاعنين فاسق لا نعينه ، وأقل درجات الفريقين معهم لا تقبل شهادتهم كما لا تقبل شهادة المتلاعنين ، ولم يجوزوا شهادة طلحة والزبير وعلى، على باقة بقل وكذلك عثمان وعلى، على باقة بقل. ومن اعتقادهم أن كلام الله مخلوق وأن كلامه ليس بقديم ، وأن الله سبحانه لا يوصف بقدم الكلام ، وأنه لم يكن في الأزل متكلماً بل إنه متكلم فيما لا يزال . وقالوا لا يجوز كلامه في ذاته لأن ذلك يوجب أن يكون ذاته محلا للحوادث ، ولا يجوز أن يكون كلام مخلوق في محل ، ولا يجوز أن يخلق في حي لأنه إذا خلق كلاماً في حي يكون المتكلم بذلك الحي لا هو، فوجب أن يخلق كلاماً في جماد فيكون هو المتكلم بذلك الكلام الذي أوجده في الجماد، والله يتعالى عما يقولون علواً كبيراً ! ! وقد ذكرت جميع ذلك والرد عليهم في باب الرد على من يقول بخلق القرآن من هذا الكتاب فأغنى عن الإعادة وبالله التوفيق.

مسألة : فان عارض معارض واحتج بقول الله سبحانه وتعالى: (خلق السموات والأرض وما بينهما)(٢) فكل شيء ما بين السماء والأرض فهو مخلوق، قلنا لهم قد قال الله تبارك وتعالى: (ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق)(٣) فالحق الذي خلق به السموات والأرض وما بينهما هو كلامه وهو خارج عن الأشياء. ومما يدل على أن الحق كلامه قوله عز من قائل : (والله يقول الحق)(٤) . قال فالحق والحق أقول والحق كلامه،

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٣١ .

(٢) سورة الفرقان : آية ٥٩ .

(٣) سورة الروم : آية ٨ (كتب في المخطوطة سهواً « وما خلقنا ») .

(٤) سورة الأحزاب : آية ٤ .

وبكلامه كانت السموات والأرض وجميع الأشياء . ولو كان على معنى ما قلتم لكان يقول : ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما والحق ، فلما قال بالحق ، علمنا أنه خلقهما بأمره ، وأمره كلامه ؛ وقال عز وجل : (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما |١٦٨| فى ستة أيام)(١) ، الأيام الستة التى كون فيها السماء والأرض بأمره ، أما سمعتم قول الله سبحانه (ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين)(٢) وإنما أجابتا بعدما أمرهما فصح ما قلنا وبالله التوفيق ؛

ومن اعتقادهم أن الله لم يخلق أفعالهم ولا حركاتهم ، وقد قال الله خلافاً لقولهم : (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) فقد أخبرنا أنه أنطق كل شىء ، وقال فى خلق الأفعال : (خالق كل شىء لا إلـه إلا هو فأنى تؤفكون * كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون)(٣) .

ومن اعتقادهم أن الله لم يخلق الإيمان حسناً والكفر قبيحاً وأن العباد جعلوا ذلك وأرادوه ، وقد قال الله تعالى خلافاً لقولهم وتكذيباً لهم : (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم)(٤) . وقال سبحانه وتعالى : (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها)(٥) الآية وقال سبحانه (حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان)(٦) والجعل فى هذا كله خلق من الله ، وقال خالق كل شىء والإيمان شىء ، تعالى الله عما يقول المفترون !!

---

(١) سورة ق : الآية ٣٨ .

(٢) سورة فصلت : الآية ١١ .

(٣) سورة غافر : الآيتان ٦٢ ، ٦٣ .

(٤) سورة الفتح : آية ٤ .

(٥) سورة الحديد : آية ٢٧ .

(٦) سورة الحجرات : آية ٧ .

ومن اعتقادهم قولهم إن المشيئة مفوضة إليهم، والله سبحانه وتعالى يقول : (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين)(١). ومن اعتقادهم نفى القدر وأنهم يعملون خلاف ما علم الله وأراد، والله سبحانه وتعالى يقول : (إنا كل شيء خلقناه بقدر)(٢) .

مسألة : فإن سأل سائل فقال : ما القدر ؟ قيل له : هو الخلق .. فإن قال : أفيعذب الله على القدر ؟ قيل له : لا إنما يعذب على المقدور ! ! فإن قال : فما الفرق بينهما ؟ .. قيل القدر فعل الله والمقدور فعل العبد ، وكذلك قال الله تبارك وتعالى : (وكان أمر الله قدراً مقدوراً)(٣) . فالقدر فعله عز وجل والمقدور فعل خلقه والمقادير من الله سبحانه . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « سيكون فى هذه الأمة قوم يعملون بالمعاصى ثم يقولون هذه من الله قضاء وقدر ، فإذا لقيتموهم فأعلموهم أنى برىء منهم » . وروى أن رجلا قال : يا رسول الله بأبى أنت وأمى متى يرحم الله عباده ومتى يعذبهم ؟ .. قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله عباده إذا عملوا بالمعاصى فقالوا هى منا ، ويعذب الله عباده إذا عملوا بالمعاصى ، وقالوا هى من الله قضاء وقدر » :

فالطاعة والمعصية هما من الله خلق، ومن العباد عمل، كما قال أحمد بن النظر :

إن يكن فعلك شيئاً فهو قد ... خلق الأشـياء فافهم واعتبر

مسألة [١٦٩] : فان قال قائل هل يخلو الفعل من ثلاثة أوجه إما أن يكون للعبد دون الله، أو لله دون العبد، أو لله والعبد على الشركة ؟ .. قيل له : قد خلا الفعل من هذه الثلاثة الوجوه، ليس الفعل للعبد دون أن يكون خلقاً لله ، ولم يكن خلقاً لله دون اكتساب للعبد ، ولم يشتركا فيه جميعاً لأنهما لم يخلقاه جميعاً ولم يكتسباه ، وإنما تكون الشركة لو خلقاه جميعاً أو اكتسباه جميعاً .

---

(١) سورة التكوير : آية ٢٩ .

(٢) سورة القدر : آية ٤٩ .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٣٨ .

وإنما قلنا اكتسبه العبد وخلقه الله بجعله له خلاف غيره من الأجسام أيضاً والأفعال .

مسألة : فإن قال أيجوز أن يخلقه الله ولا يكتسبه العبد ،أو يكتسبه العبد ولم يخلقه الله ؟ قيل له : لا يجوز أن يكتسبه العبد ولم يخلقه الله تعالى ، ومحال أن يكون محدث يوجد وليس هو الله محدثه ، وكان يستحيل أن يكون مملوك ومربوب فى العالم لا يملكه الله تعالى ولا يكون ربه ، ومحال أن يكون خلقه غير كسب لهم لأنه غير قائم بنفسه ، وإنما خلقه كسباً لهم .

مسألة : فإن قال متى خلق الله الفعل؟ فى حال ما اكتسبه العبد أو قبل أن يكسبه؟ أو بعد ما اكتسبه؟ قيل له : العين التى هى كسب هى التى خلقها الله تعالى كسباً على ما هى عليه ، وقولك قبل أو بعد أو مع إشارة منك إلى معنى ، ليس هو الكسب. وسئل مجاهد عن قوله تعالى : (ومن كل شيء خلقنا زوجين)(١) قال الكفر والإيمان والخير والشر والهدى والضلال .

مسألة : يقال للقدرية : أليس لله ملك السموات والأرض وما فيهما من شيء فإن قالوا لا ، كفروا وكذبوا بكتاب الله تعالى ودخلوا فى قول الزنادقة، وإن قالوا بلى ، فقل أليس الله أراد وشاء أن يكون الكفر فى ملكه ؟ فان قالوا نعم فقد خصموا وتركوا قولهم ودخلوا فيما عابوا على خصمهم وأقروا بأن الله شاء وأراد أن يكون الكفر فى ملكه . وقال العزيز الحكيم : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها)(٢) وقال : (وماتشاءون إلا أن يشاء الله)(٣) ، رب العالمين . وقال : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً)(٤) . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «سبق العلم ، وجف القلم ، وقضى الله القضاء،

---

(١) سورة الذاريات : آية ٤٩ .

(٢) سورة السجدة : آية ١٣ .

(٣) سورة الإنسان : آية ٣٠ .

(٤) سورة الأنعام : آية ١٢٥ .

وتم القدر بتحقيق الكتاب وتصديق الرسل » . فالسعادة من الله لمن آمن واتقى والشقاء لمن كذب وكفر .

وقال عز وجل : (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون)(١). ومن صفات الله أنه يفعل ما يشاء ويريد، وقال سبحانه فى خلق الأفعال : (ذلكم الله ربكم خالق كل شيء)(٢) |١٧٠| وقال سبحانه : (وجعل الظلمات والنور)(٣) والإيمان نور والكفر ظلمة فخلق الأفعال من الله ، والعبد مكتسب للفعل .

قال أحمد بن النظر رحمه الله :

فالأفاعيل اكتساب للورى ومن الرحمن خلق وفطر
إن يكن فعلك شيئاً فهو قد خلق الأشياء فافهم واعتبر

مسألة : فان قال قائل أليس ما خلق الله تعالى فقد فعله وصنعه ؟ قيل له بلى، وقد يقال هذا فى جملة الأشياء ولا يقال ذلك فى بعض الأشياء مطلقاً . فإن قال أفليس تقولون إن الله خالق الكفر ؟ قيل له بلى ، فان قال أفتقولون إن الله فعله وصنعه أم لا ؟ قيل له ألا ترى أنا نقول إن جهنم قذرة ولا نقول إن الله صنع الأقذار ، ونقول خلقها لأن خلقها اسم تعظيم فى كل شيء ، وصنع ودبر الأقذار والقبائح تهجين فنفينا عنه جل جلاله كل إضافة تهجين ، والخلق صفة تعظيم ، فأضفناه إلى الله تبارك وتعالى. ألا ترانا انا نقول إن الله يجد(٤) كل شيء، ولا يجوز أن يقال يجد البرد والحر والأذى والمكروه ، لأن قولنا إن الله يجد الأشياء كلها، أى يوجب العلم بالأشياء كلها والإحاطة بها .

---

(١) سورة الأنعام : آية ١١١ كتب فى المخطوطة سهواً « عليهم » بدلا من « إليهم » .
(٢) سورة غافر : آية ٦٢ .
(٣) سورة الأنعام : آية ١ .
(٤) فى اللغة أوجد الله الشيء إيجاداً أى جعله موجوداً .

مسألة : فإن قال أتقولون إن الجعل من الله خلق ؟ قيل له نعم الجعل من الله خلق كما قال الله تعالى : (وجعل الظلمات والنور)(١) وقال سبحانه : (وجعل بينكم مودة ورحمة)(٢) أي خلق لكم ، وقال سبحانه : (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة)(٣)وقوله تعالى : (والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم)(٤) وقال سبحانه : (ألم نجعل الأرض مهاداً * والجبال أوتاداً)(٥). (وجعلنا نومكم سباتاً * وجعلنا الليل لباساً * وجعلنا النهار معاشاً)(٦) ، (وجعلنا سراجاً وهاجاً)(٧). وقال سبحانه : (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون)(٨) ، وقوله سبحانه وتعالى : (وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلا لعلهم يهتدون)(٩) . ومثل هذا في القرآن كثير . كل هذا الذي ذكرته بمعنى خلق :

والجعل من العباد قول ووصف ، كما قال الله تعالى : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً)(١٠) أي قالوا ووصفوا . وقوله تعالى : (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم)(١١) أي وهو خلقهم ، وقوله تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً)(١٢) ، أي قالوا ووصفوا ، وقوله (ويجعلون

---

(١) سورة الأنعام : آية ١ .

(٢) سورة الروم : آية ٢١ .

(٣) سورة النحل : آية ٧٢ .

(٤) سورة النحل : آية ٨١ .

(٥) سورة النبأ : الآيتان ٦ ، ٧ .

(٦) سورة النبأ : الآيات ٩ — ١١ .

(٧) سورة النبأ : آية ١٣ .

(٨) سورة الأنبياء : آية ٣٠ .

(٩) سورة الأنبياء : آية ٣١ .

(١٠) سورة الزخرف : آية ١٩ .

(١١) سورة الأنعام : آية ١٠٠ .

(١٢) سورة الأنعام : آية ١٣٦ .

لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون)(١) . وقوله : (ما جعل الله [١٧١] من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام)(٢) أى ما أمر الله بذلك ، وإنما المشركون أضافوا ذلك إليه بجهلهم وضلالهم ، أى ما حرم الله البحيرة التى كان أهل الجاهلية يحرمون وبرها وظهورها ولحمها ولبنها على النساء ويحلونها للرجال ، وما ولدت من ذكر أو أنثى فهو بمنزلتها ، وإن ماتت البحيرة اشترك الرجاء والنساء فى أكل لحمها ، وإذا ضرب جمل من ولد البحيرة فهو عندهم حام وهو اسم له ، والسائب من النعم على نحو ذلك إلا أنها ما ولدت من ولد بينها وبين ستة أولاد فهى على هيئة أمها ومنزلتها ، وإذا ولدت السابع ذكرا أو ذكرين أكله الرجال دون النساء ، وإن أتأمت بذكر وأنثى فهى وصيلة فلا يذبح الذكر ويترك ذبحه من أجل أخته ، وإن ولدت سبعة أبطن كل بطن ذكر وأنثى قالوا حمت أخاها فأحموها وتركوها ترعى لا يمسها أحد وفيه أكثر من هذا ليس هذا موضعه .

سؤال : يقال للقدرية أخبرونا أيجوز أن يكون العبد لا مؤمناً ولا كافراً ؟ فما يكون ؟ فان قالوا بلى قد يجوز ذلك ، قيل لهم فاذا لم يكن مؤمناً فما يكون أكافراً أو غير ذلك وما غير ذلك ؟ فان قالوا إذا لم يكن مؤمناً فانه لا يكون كافراً ، فقد زعموا أن الناس قبل أن يدخلوا فى الإسلام لم يكونوا كفاراً ، وإن قالوا إذا لم يكن مؤمناً فانه يكون كافراً فقد صدقوا فى ذلك . قيل لهم عند ذلك هل يستطيع العبد أن يكون كافراً إلا أن يكون مؤمناً فاذا لم يكن مؤمناً إلا أن يكون كافراً ؟ فان قالوا ذلك فقد تركوا قولهم . ثم يقال لهم أخبرونا عن الأعمى الذى لم يكن يبصر ثم أبصر متى كان استطاعة البصر فيه ؟ فى حال العمى أم فى حال البصر أم بعد ذلك ؟ .. فان قالوا قبل أن يبصر فقد زعموا أن استطاعة البصر فيه وهو أعمى ، فان قالوا مع البصر فقد تركوا قولهم وقالوا بقولنا إن الاستطاعة مع الفعل ، وإن قالوا من بعد الفعل فقد تركوا قولهم وقولنا ودخلوا فيما لم نقل نحن ولا هم ، وقالوا بقول من زعم أن الاستطاعة

---

(١) سورة النحل : آية ٥٧ .

(٢) سورة المائدة : آية ١٠٣ .

بعد الفعل . ويقال لهم أخبرونا عن الاستطاعة ما هى ؟ فان قالوا هى السلامة فى البدن فقل أفلستم تزعمون أن الإنسان فيه استطاعة ما لم يفعل ، فان قالوا نعم فقل إذا كانت السلامة التى هى استطاعة إذا كانت فى البدن هل غابت عن البدن إذا كان قائماً غير قاعد؟ فما باله إذا كانت السلامة معه حيث ما ذهب يستطيع بها أحياناً وحيناً لا يستطيع ؟ والاستطاعة بزعمكم موجودة فى كل وقت لا تفقد ولا تعدم . فان قالوا |١٧٢| الاستطاعة غير السلامة فى البدن فقل أخبرونا ما هى ؟ فان قالوا إنها لا توصف ولا توجد ولا يعرف الإنسان مستطيعاً أو غير مستطيع إذا كان الاستطاعة غير السلامة فى البدن ولا قوة للإنسان والقوة والسلامة هما شىء واحد .

مسألة : ويقال لهم أخبرونا عن الإنسان هل ينال بما معه من الآلات والجوارح شيئاً من الخير دون حادث من لطف الله ؟ فان قالوا نعم ، قيل لهم فما وجه التضرع إلى الله والرغبة وطلب العون منه على الخير والطاعة إن كانوا قد ينالون بما معهم من الطاعة ؟ فان قالوا إنهم يسألون الله الزيادة ، قيل لهم أوليس قد ينالون جميع الطاعات ، وإن لم تحدث لهم زيادة من الله؟ فان قالوا لا ، أقروا بالحق وتركوا قولهم ، وإن قالوا قد ينالوا الخلق بما معهم من الطاعة ، بما معهم من القوة ، دون الزيادة من الله ، قيل لهم وكذلك إذا زعمتم رغبتم إلى الله فى العون على الطاعة ، إنما ترغبون إليه فى التخفيف عنكم للطاعة ، وإنما قصدتم إلى نفس وقوع الطاعة ، دون الخفة فى العون على عملها وزوال المشقة . وفى القدر والاستطاعة والإرادة أكثر من هذا وبابه فى أول الكتاب ، فمن طلب زيادة إيضاح فليقصد الباب من هذا الكتاب . وللقدرية آراء مختلفة يطول شرحها .

فصل

وقد وافقوا المسلمين ، أهل الاستقامة ، فى الدين فى مسائل : منها نفى الرؤية عن البارىء سبحانه بالإبصار فى الدنيا والآخرة ، ومنها أن المؤمن [illegible] غير كبيرة مصراً عليها ، أو صغيرة استحق

الثواب والعوض من الله ، ومنها إذا خرج العبد من غير توبة وعن كبيرة استحق بها الخلود فى النار . ومنها أن الإمامة تثبت بالاختيار فى القرشى وغير القرشى إذا كان لها أهلا جامعاً لشروطها. ثم القدرية والمعتزلة مختلفون، ولهم أقاويل فاسدة وآراء عن الحق حائدة يطول بذكرها الكتاب فى القدر والمشيئة والإرادة والاستطاعة والجعل وغير ذلك، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القدرية مجوس هذه الأمة » لأن المجوس قالوا للعالم خالقين واحد يخلق الخير وهو النور ،وواحد يخلق الشر ،وهو الظلمة، والقدرية قالوا إن الله يخلق الخير والعبد يخلق الشر فضاهئوا المجوس فى قولهم والثنوية [١٧٢] فى اعتقادهم نسأل الله أن يهدينا لما يحب ويرضى ويجنبنا مضلات الهوى إنه رءوف رحيم .

الباب الأربعون

فى أسماء فرقهم

وهم خمس عشر فرقة : أولهم الواصلية أصحاب أبى حذيفة واصل بن عطاء الغزال كان تلميذ الحسن البصرى، وكان فى زمان عبد الملك بن مروان، واعتزاله يدور على أربع قواعد :

أحدها : القول بنفى صفات البارىء من العلم والقدرة والإرادة والحياة وغير ذلك ، وإنما شرع لأصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة .

القاعدة الثانية : إنما سلك فى ذلك مسلك معبد الجهنى وغيلان الدمشقى ، كان قولهما إن البارىء سبحانه حكيم عادل لا يجوز أن يضاف إليه ظلم وشر ، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر ويحكم عليهم بشىء ، ثم يجازيهم عليه؟

الجواب : فى لفظ ما اعتلوا به أنه يقال لهم إن الله يجازيهم على فعلهم ، لأن العبد هو الفاعل للخير والشر ، والإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، وهو المجازى على فعله ، فجميع الأفعال هى من الله خلق ومن العبد عمل وكسب ، وهو الخالق سبحانه لا خالق سواه وقال : (هل من خالق غير الله يرزقكم)(١) وقال سبحانه : (خالق كل شىء)(٢) ، وأفعالهم شىء .

القاعدة الثالثة : قولهم إن صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلق ولا كافر مطلق ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر . الجواب : فى نقض ما اعتلوا به من قول أهل الاستقامة إن صاحب الكبيرة كافر نعمة ، لا كافر شرك إذ الكفر كفران كفر نعمة وكفر شرك ، فصاحب الكبيرة كفر بنعمة الله وصاحب الطاعة مؤمن إذ لا منزلة بين هاتين المنزلتين . وقد قال الله تعالى : (إما شاكراً وإما كفوراً)(٣) ، وليس فى الآخرة إلا فريقين ومنزلتين ،

(١) سورة فاطر : آية ٣ .

(٢) سورة غافر : آية ٦٢ .

(٣) سورة الإنسان : آية ٣ .

فريق فى الجنة وفريق فى السعير . وقال الله سبحانه : (فماذا بعد الحق إلا الضلال)(١) .

القاعدة الرابعة : قولهم فى الفريقين من أصحاب صفين والجمل أحدهما مخطىء لا نعينه ، وكذلك قولهم فى عثمان وقاتليه وخاذليه إن أحد الفريقين لا محالة فاسق ، كما أن أحد المتلاعنين فاسق لا نعينه ، وأقل درجات الفريقين لا تقبل شهادتهم كما لا تقبل شهادة المتلاعنين . وقال عمرو بن عبيد(٢) وهو رئيس المعتزلة : لو شهد على وعثمان وطلحة والزبير على أحد لم تقبل شهادتهم وأثبت تفسيقهم .

الفرقة الثانية الهذيلية : أصحاب أبى الهذيل أحمد بن الهذيل العلاف(٣) شيخ المعتزلة |١٧٤| والمناظرة عليها ، أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل ، وعن واصل بن عطاء . قرر مذهبه على عشر قواعد :

القاعدة الأولى : قوله إنه تعالى عالم بعلم وقادر بقدرة وحى بحياة ، وقال أهل الاستقامة إن الله سبحانه عالم بذاته لا بعلم سواه ، وحى بذاته لا بحياة سواه ، وبصير بذاته لا ببصر سواه (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)(٤) . قال الشيخ أحمد بن النظر :

وهو السميع بلا أدات تسمع ... إلا بقدرة قادر وحدانى
وهو البصير بغير عين ركبت ... فى الرأس بالأجفان واللحظان
بطن اختياراً دون كل عناية ... وعلى على الملكوت بالسلطان

---

(١) سورة يونس : آية ٣٢ .

(٢) عمرو بن عبيد : هو عمرو بن عبيد بن باب مولى بنى تميم . وكان جده من سبى كابل . والحق أن الموالى وأبناء السبايا كان لهم أثر عظيم فى نشوء الفرق الإسلامية .

والمعروف أن مقرر مذهب الاعتزال هو واصل بن عطاء الذى توفى سنة ١٣١ هـ ، ويليه عمرو بن عبيد الذى توفى سنة ١٤٥ هـ فى خلافة أبى جعفر المنصور .

(٣) كتب فى المخطوطة « الغلاف » ولكنا وجدنا كتب الفرق والتاريخ تكتبه « العلاف » ، وكان مولى لعبد القيس .

(٤) سورة الشورى : آية ١١ .

القاعدة الثانية : أثبت إرادات لا محل لها يكون البارىء مريداً بها ، وقال أهل الاستقامة إن الله سبحانه وتعالى الفعال لما يريد ذو العرش المجيد .

القاعدة الثالثة : قوله فى كلام البارىء سبحانه إنه ينقسم فبعضه فى محل وبعضه لا فى محل ، فأما الذى فى المحل فهو الأمر والنهى والخبر والاستخبار وغير ذلك ، وأما الذى لا فى محل فهو قوله كن فيكون ، وقال أهل الاستقامة إن كلام البارىء سبحانه وتعالى من صفاته الأزلية ليست فى محل لأنه سبحانه وتعالى ليس بمحل للحوادث .

القاعدة الرابعة : قوله فى القدرة مثل ما قال أصحابه فى حركات أهل الخالدين فى الآخرة كلها أنها ضرورية لا قدرة للعباد عليها .

القاعدة الخامسة : قوله فى حركات أهل الخالدين انها تنقطع وانهم سيصيرون إلى سكون دائم وتجتمع اللذات فى ذلك السكون لأهل الجنة وتجتمع الآلام لأهل النار فى ذلك السكون ، وهذا قريب من مذهب جهم بن صفوان إذ حكم بفناء النار والجنة .

القاعدة السادسة : قوله فى الاستطاعة إنها عرض من الأعراض غير السلامة والصحة وفرق بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح .

القاعدة السابعة : فى المفكر قبل ورود السمع أنه يجب عليه معرفة الله تعالى .

القاعدة الثامنة : قوله فى الآجال والأرزاق إن الإنسان إن لم يقتل مات فى ذلك الوقت ولا يجوز أن يزاد وينقص فى العمر ولا ينقص منه شىء .

القاعدة التاسعة : قوله أنه سبحانه وتعالى لم يزل سميعا بصيراً أنه يسمع ويبصر ، وكذلك لم يزل غفوراً رحيما محسناً خالقاً رازقاً موالياً ومعادياً آمراً ناهياً ، قال أهل الاستقامة [١٧٥] إن الله عالم بما لم يكن قبل كونه أنه سيكون .

القاعدة العاشرة : قوله إن الحجة لا تقوم فيما غاب إلا بخبر عشرين منهم واحد من أهل الجنة ، ولا تخلو الأرض من جماعة أولياء الله معصومين لا يكذبون ولا يركبون الكبائر هم الحجة لا بالتواتر .

الفرقة الثالثة النظامية : أصحاب إبراهيم بن سيار بن هانى النظام، انفرد عن أصحابه بمسائل :

إحداها : أنه زاد على أصحابه فى القول بالقدر خيره وشره من العبد ، وأن الله لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى وأنها ليست مقدورة للبارىء سبحانه وتعالى ، خلافاً لأصحابه فانهم يقولون قادر عليها لكنه لا يفعلها لأنها قبيحة ، ومذهب النظام أن القبيح إذا كانت صفته ذاتية فتجويز وقوع القبيح قبيح أيضاً فيجب أن يكون مؤلفاً من قولهم إن البارىء لا يوصف بالقدرة على الظلم .

القاعدة الثانية : قوله فى الإرادة إن البارىء تعالى ليس موصوفاً بها على الحقيقة .

القاعدة الثالثة : أن أفعال العباد كلها حركات بحسب(١) والعلوم والإرادات حركات النفس كما قالت الفلاسفة فى إثبات حركات الكيف والكم والوضع والأين ومتى وأخواتها .

القاعدة الرابعة : وافقهم فى قولهم إن الإنسان فى الحقيقة هو النفس والروح، والبدن آلتها ، كما قالت الطبيعية إن الروح جسم لطيف مشارك للبدن مداخل للقلب بأجزائه مداخلة الماء فى الورود، والبرودة والدهنية فى السمسم، والسمنية فى اللبن . وقال أهل الاستقامة إن الروح من أمر الله لا يعلمها إلا هو كما قال : (ويسألونك عن الروح) .. الآية(٢) .

القاعدة الخامسة : قوله إن كل ما جاوز محل القدر من الفعل فهو فعل الله تعالى بايجاب الخلقة ، أى معناه أن الله طبع الحجر طبعاً وخلقه خلقاً إذا دفعته اندفع وإذا بلغت قوة الدفع مبلغها عاد الحجر إلى مكانه ، وله فى الجواهر وأحكامها خبط خالف فيه المتكلمين من الفلاسفة وغيرهم .

---

(١) أورد الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل (ص ٧٩) كلمة « فحسب » بدلا من « بحسب » .

(٢) سورة الإسراء : آية ٨٥ .

القاعدة السادسة : وافق الفلاسفة فى نفى الجزء الذى لا يتجزأ .

القاعدة السابعة : قوله إن الجواهر مؤلفة من الأعراض اجتمعت . ووافق هشام بن الحكم فى قوله إن الألوان والطعوم والروائح أجسام ، فتارة يقضى بكون الأجسام أعراضاً وتارة يقضى بكون الأعراض أجساماً .

القاعدة الثامنة : قوله إن الله خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هى الآن معادن ونباتاً وحيواناً |١٧٥| وإنساناً ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام قبل خلق أولاده ، غير أن الله أكمن بعضها فى بعض ، وإنما أخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة ، وأكثر ميله إلى مذاهب الطبيعيين دون الإلهيين .

القاعدة التاسعة : قوله فى إعجاز القرآن إنه من قبل اخبار الأمة والأمور الماضية وصرف الدواعى والمعارضة ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً ، وتعجبوا حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة مثله بلاغة وفصاحة ونظاماً !! وقال المسلمون من أهل الاستقامة إن القرآن معجز بنفسه لا يقدر أحد أن يأتى بمثله ، كما قال العزيز الحكيم : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)(١) .

القاعدة العاشرة : قوله فى الإجماع ليس بحجة فى الشرع ، وكذلك القياس فى الأحكام الشرعية لا يجوز أن يكون حجة ، وإنما الحجة فى قول الإمام المعصوم.

القاعدة الحادية عشر : ميله إلى الرفض ووقيعته فى كبار الصحابة وقال لا إمامة إلا بالنص والتعيين(٢) ظاهراً مكشوفاً ، وقد نص النبى صلى الله عليه وسلم ، على على بن أبى طالب وأظهر إظهاراً لم يشتبه على أحد من الجماعة ،

---

(١) سورة الإسراء : آية ٨٨ .

(٢) يطلق على الشيعة اسم « أهل النص والتعيين » . إذ رأت الشيعة أن الإمامة من الأمور الأساسية فى الإسلام ، ونظراً لأهميتها لا يمكن أن تترك لرأى الأمة للبت فيها ، وأنه لابد من النص المقدس على الإمامة ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام نص على على بن أبى طالب بالإمامة وعينه خلفاً له فى رئاسة الأمة .

إلا أن عمر كتم ذلك وهو الذى تولى بيعة أبى بكر يوم السقيفة، ونسبه إلى الشرك يوم الحديبية فى سؤاله للنبى صلى الله عليه وسلم، حين قال ألسنا على الحق أليسوا على الباطل ؟ قال : نعم . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فلم نعط الدنية فى ديننا!! ثم زاد فى الفرية على عمر رضى الله عنه فقال إن عمر ضرب بطن فاطمة رضى الله عنها يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح احرقوا بها وبمن فيها، يعنى الدار، وكان فيها ابن عمه علىّ والحسن والحسين وفاطمة . وقال تبعديه بتعزيته نصر بن الحجاج من المدينة إلى البصرة.وإبداعه التراويح ونهيه عن متعة الحج أليس كل ذلك إحداث . وقال أهل الاستقامة إن قوله هذا كله افتراء.حاشا لعمر أن يضرب بطن بنت رسول الله!!وحاشا لعلى أن يضرب بطن زوجته وبنت عمه وهو لا يغير ولا ينكر !! ونسبه إلى العجز !! قاتلهم الله أنى يؤفكون!! .

ثم ذكر احداث عثمان بن عفان من رده الحكم بن أمية وهو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم،ونفيه أبا ذر إلى الربذة وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوليته الوليد بن عقبة على الكوفة [١٧٧] وهو من أفسد أهل الزمان، ومعاوية بالشام، وتزويجه مروان بن الحكم ابنته وهم الذين أفسدوا عليه أمره،وضربه لعبد الله بن مسعود وتحريقه المصاحف،وضربه لعمار بن ياسر،ورقيه منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك كثير من فعله . ثم عاب علياً بقوله : « الشقى من شقى فى بطن أمه » وبتركه الطلب للوصاية،وتحكيمه الحكمين،وقتله فقهاء المسلمين وقرائهم، ولهم أقاويل كثيرة تركتها اختصاراً .

الفرقة الرابعة الخايطية : أصحاب محمد بن أحمد بن خايط وفضل(١) كانا من أصحاب النظام فطالعا كتب الفلاسفة وضما إلى مذهب النظام ثلاث بدع إحداها إثبات حكم من أحكام الإلهيات فى المسيح عليه السلام موافقة للنصارى

(١) جاء اسم « محمد بن أحمد بن خايط » فى بعض كتب الفرق والنحل « خابط » و« حايط »، أما « فضل » فهو الفضل الحدثى وتنسب إليه الحدثية)

(راجع الشهرستانى : الملل والنحل، ص ٨٨) .

على اعتقادهم وعلى ان المسيح هو الذى يحاسب الخلق فى الآخرة ، واحتجاجه بقول الله تعالى : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)(١)، وقال هو الذى يأتى فى ظلل من الغمام.وزعم أحمد بن خايط أن المسيح يذرع بالجسد الجسمانى كما قالت النصارى .

البدعة الثانية : قوله بالتناسخ والحلول والرجعة. ومن قولهما الديار خمس، داران للثواب أحدهما فيها أكل وشرب وبعال وجنان وأنهار ، والثانية دار فوق هذا ليس فيها أكل ولا شرب ولا بعال ، بل ملاذ روحانية وروح وريحان غير جسمانية . البدعة الثالثة قوله إن دار جهنم ليس فيها ترتيب بل على نمط التساوى . البدعة الرابعة قوله إن دار الابتداء التى خلق الخلق فيها قبل أن يهبطوا إلى الدنيا هى الجنة.والخامسة أن دار الابتداء التى كلف الخلق فيها بعد أن أحرموا فى الأولى.وهذا التكوين والتكرار لا يزال فى الدنيا حتى يمتلىء المكيالان مكيال الخير والشر ، فاذا امتلأ مكيال الخير صار عمله كله طاعة فينتقل إلى الجنة فلم يلبث طرفةعين ،واحتج بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « مطل الغنى ظلم » ، وقال : « يعطى الأجير أجرته قبل أن يجف عرقه ».وإذا امتلأ مكيال الشر صار العمل كله معصية والمعاصى شر محض فينقل إلى النار ولم يلبث به طرفة عين واحتج بقول الله : (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)(٢) . السادسة قوله إن كل نوع من أنواع الحيوانات أمة على حيالها ، واحتج بقول الله تعالى : (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم)(٣). السابعة قوله إن فى كل أمة رسولا من جنسهم واحتج بقول الله تعالى: (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير)(٤). ولهم فى التناسخ كلام يطول به الكتاب .

الفرقة الخامسة [١٧٨] البشرية أصحاب بشر بن المعتمر ،كان من كبار علماء المعتزلة وهو الذى أحدث القول بالتولد وأفرط فيه وانفرد عن أصحابه

---

(١) سورة الفجر : آية ٢٢ .

(٢) سورة النحل : آية ٦١ .

(٣) سورة الأنعام : آية ٣٨ .

(٤) سورة فاطر : آية ٢٤ .

بست مسائل(١) الأولى زعم أن اللون والطعم والرائحة والإدراكات من السمع والرؤية يجوز أن تحصل من الغير فى الغير إذا كانت أسبابها . الثانية قوله إن الله تبارك وتعالى قادر على تعذيب الأطفال ولو فعل ذلك كان ظالماً إلا أنه لا يستحسن أن يقال فى حقه ، بل يقال لو فعل ذلك كان الطفل بالغاً عاقلا عاصياً بمعصية ارتكبها ومستحقاً للعقاب، وهذا كلام منتقض . الثالثة قوله إن الاستطاعة هى سلامة البنية وصحة الجوارح وتخلصها من الآفات . الرابعة من قوله حكى العكبي أنه قال : إرادة الله هى فعل من أفعاله وهى على وجهين ، صفة ذات وصفة فعل . وقال أهل الاستقامة الإرادة صفة ذات لم يزل الله مريداً . الخامسة من قوله فى الدعوة والرسالة والفكرة قبل ورود السمع . السادسة من قوله ان من تاب عن كبيرة ثم راجعها لا تقبل توبته إنما تقبل توبته بشرط أن لا يعود .

قال أهل الاستقامة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إن باب التوبة مفتوح ولو عمل العبد كل يوم سبعين ذنباً يتوب ويعود ويتوب فان الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون، وقال عز وجل : (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم)(٢) .

الفرقة السادسة المعمرية : أصحاب معمر بن عباد السلمى، وكان أعظم القدرية فرية فى تدقيق المسائل والقول بنفى الصفات ونفى القدر خيره وشره من الله تعالى ، وانفرد عن أصحابه بمسائل : إحداها أنه قال إن الله لم يخلق شيئاً غير الأجسام ، فأما الأعراض فانها من اختراعات الأجساد ، إما طبيعياً كالنار التى تحدث الإحراق والشمس الحارة والقمر التلوين . وإنما أخذ هذا القول عن الفلاسفة . ومن مذهبهم واعتقادهم أن علم البارىء ليس علماً تابعاً للمعلوم ، بل علمه علم فعلى . وحكى جعفر بن حرب عنه أنه قال إن الله تعالى محال أن يعلم نفسه لأنه يؤدى أن يتحد العلم والمعلوم .

---

(١) أنظر عن بشر بن المعتمر فى (الشهرستانى : الملل والنحل ، ص ٩٣ — ٩٦) .

(٢) سورة الزمر : آية ٥٣ .

الفرقة السابعة المزدارية : أصحاب عيسى بن صبيح المكنى بأبى موسى الملقب بالمزدار ، وكان تلميذ بشر بن المعتمر ، وأخذ العلم منه وتزهد ويسمى |١٧٩| راهب المعتزلة ، وانفرد عن أصحابه بمسائل : الأولى قوله فى القدر إن الله تعالى يقدر على أن يكذب ويظلم ، ولو كذب وظلم لكان إلهاً كاذباً وظالماً ، تعالى الله عما يقول الجاهلون . الثانية قوله فى التولد مثل قول أستاذه وزاد عليه بأن جوز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد . الثالثة قوله فى القرآن إن الناس قادرون على مثل هذا القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة ، وهو الذى بالغ فى خلق القرآن وكفر من قال بقدمه ، وان من قال بقدمه فقد أثبت قديمين ، وكفر من قال أعمال العباد مخلوقة للبارىء تعالى ، ووافق أهل الاستقامة فى نفى الرؤية وكفر من قال إن البارىء يرى بالابصار ، ووافقهم أيضاً بالتخايد لأهل الكبائر فى النار .

الفرقة الثامنة الثمامية : أصحاب ثمامة بن الأشرس النميرى(١) كان جامعاً بين سخافة الدين وخلاعة النفس ، وكان يمنع من إطلاق القول بأن الله خالق الكافر لأن الكافر إنسان وكفر فالله لا يخلق الكفر . وقال إن النبوة جزء على عمل وانها باقية ما بقيت الدنيا . وحكى الأشعرى عنه أنه زعم انه لا يجوز أن يقال إن الله لم يزل قائلا ولا غير قائل ، ووافقه الإسكافى على قوله ولا يسمى متكلماً ، وكان يقول إن الأشياء كانت قبل كونها معدومة وليست شيئاً بعد عدمها . وكان يمنع من يقول إن الله كان عالماً بالأشياء قبل كونها وانها أشياء ، وكان يجوز الغلبة على المخالفين لمذهبه وأخذ أموالهم غصباً وسرقة ، واعتقاده كفرهم واستباحة دمائهم وأموالهم .

---

(١) ذكر الشهرستانى (الملل والنحل ، ص ١٠٥) أن الثمامية أصحاب ثمامة بن أشرس النميرى . وذكر عبد القاهر البغدادى (مختصر كتاب الفرق بين الفرق ، ص ١١٥) . أن الثمامية أتباع ثمامة بن أشرس النميرى . وكان زعيم المعتزلة أيام المأمون والمعتصم والواثق . وقيل إنه هو الذى أغوى المأمون بأن دعاه إلى الاعتزال (الفرق بين الفرق ، ص ١١٥) . ويذكر الشهرستانى أنه كان عند المأمون بمكان (الملل والنحل ، ص ١٠٧) .

الفرقة التاسعة الجاحظية : أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ(١) وهو من فضلاء المعتزلة المصنف لهم وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة ، وكان فى أيام المعتصم والمتوكل، وانفردعن أصحابه بمسائل منها قوله إن المعارف ضرورية طباع وليس شىء من ذلك من أفعال العباد ، وليس للعباد كسب شىء سوى الإرادة كما قال ثمامة . وقيل عنه إنه أنكر الإرادة وكونها جنس من الأعراض ؛ وقال بنفى السهو عن الفاعل وكان عالماً بما يفعله فهو المريد على التحقيق، وأما الإرادة المعلقة بفعل الغير فهو مثل النفس ، وزاد على ذلك باثبات طبائع الأجسام كما قالت الطبيعيون من الفلاسفة ، وأثبت لها أفعالا مخصوصة ؛ وقال باستحالة عدم الجواهر لأن الجواهر معه لا تفنى ، وقال إن أهل النار لا يخلدون فيها عقاباً ، بل يصيرون |١٨٠١| إلى طبيعة النار ، وكان يقول إن النار تجذب أهلها إلى نفسها دون أن يدخل إليها أحد .

ومذهبه مذهب الفلاسفة فى نفى الصفات وفى إثبات القدر خيره وشره من العبد على أصول أصحابه المعتزلة . ومن قوله إن من اعتقد أن الله ربه ومحمداً نبيه فهو مؤمن لا لوم عليه ولا تكليف عليه غير ذلك. وحكى الراوندى عنه أنه قال إن القرآن جسد يجوز ينقلب مرة رجلا ومرة حيواناً . كما حكى عن أبى بكر الأصم أنه زعم أن القرآن جسم مخلوق وأنكر الأعراض أصلا وأنكر الصفات لله تعالى ، وهو مذهب الجاحظ بعينه يضاهى مذهب الفلاسفة إلا أن الميل منه ومن أصحابه إلى الطبيعيين أكثر من الإلهيين .

الفرقة العاشرة الخياطية : أصحاب أبى الحسين بن عمر الخياط أستاذ أبى القاسم بن محمد الكعبى ، وهما من معتزلة بغداد على مذهب واحد إلا أن

---

(١) عاش الجاحظ فى أيام المعتصم والمتوكل وتوفى سنة ٢٥٥ هـ — ٨٦٨ م ، وله مصنفات عديدة فى الأدب والدين والمنطق والفلسفة والجغرافية والحيوان . وفتن أتباعه بكتبه . وكان له من الكتب كتاب فى « حيل اللصوص » يعلم فيه الفسقة وجوه السرقة ، وكتاب « غش الصناعات » أفسد به على التجار سلعهم ، وكتاب فى « النواميس » جعله ذريعة للمحتالين على ودائع الناس فى أموالهم ، وكتاب فى « الفتيا » مشحون بطعن أستاذه النظام على أعلام الصحابة (البغدادى : مختصر كتاب الفرق بين الفرق ، ص ١١٧ — ١١٨) .

الخياط غال فى إثبات المعدوم شيئاً واحداً،وقال الشىء ما يعلم ويخبرعنه، والجواهر جوهر فى المعدوم والعرض عرض ، وكذلك أطلق القول فى جميع الأجناس والأوصاف حتى قال السواد سواد فى العدم ولم تبق إلا صفة الموجود وصفات تلزم الوجود والحدوث ، وأطلق على المعدوم لفظ الثبوت ، وقال فى نفى الصفات مثل ما قال أصحابه وكذلك القول فى القدر والسمع والعقل .
وانفرد الكعبى عن أصحابه بمسائل : منها قوله إن إرادة البارىء سبحانه ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مريد له أو لها بذاته ولا إرادته حادثة فى محل إلى محل ، بل إذا أطلق عليه أنه مريد فمعناه أنه عالم قادر غير مكره فى فعله ، ثم إذا قيل إنه مريد لأفعاله فالمراد به أنه خالق لها على وفق علمه ، فاذا قيل هو خالق لأفعال عباده فالمراد به أنه آمر بها راض عنها . وكذلك قوله فى كونه سميعاً بصيراً راجع إلى ذلك أيضاً فهو سميع أنه عالم بالمسموعات وبصيراً أنه عالم بالمبصرات ، وقوله فى الرؤية كقول أصحابه نفياً وإحالة،غير أن أصحابه قالوا يرى البارىء ذاته ويرى المرئيات انه عالم بها فقط .

الفرقة الحادية عشر الجبائية : (١) الهشمية أصحاب أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى وابنه أبى هاشم بن عبد السلام(٢) وهما من معتزلة البصرة انفردا عن أصحابهما بمسائل أنهما أثبتا إرادات حادثة ، لا فى محل ، إذا أراد أن يكون البارىء بها موصوفاً مريداً ، وتعظيما «لا فى محل ، إذا أراد أن يعظم ذاته ، وفناء لا فى محل ، إذا أراد أن يفنى العالم(٣)» وأخص هذه الصفات

---

(١) أغوى الجبائى أهل خوزستان ، وكان معتزلة البصرة فى زمانه على مذهبه .وتوفى الجبائى سنة ٣٠٣ هـ (٩١٥ م) . وانتقل المعتزلة البصرية بعده إلى مذهب ابنه أبى هاشم الذى توفى سنة ٣٢١ هـ (٩٣٢ م) ، (أنظر البغدادى : مختصر الفرق بين الفرق ص ١٢١) .

(٢) فى كتب الفرق اسمه أبو هاشم عبد السلام .

(٣) نقلنا هذه العبارة من كتاب « الملل والنحل » للشهرستانى ، ص ١١٨ لأن العبارة المكتوبة فى المخطوطة فيها بعض الاضطراب فقد كتبت هكذا :

« إذا أراد تعظيم ذاته فى محل أنه أراد أن يعظم وأنه بر منا لا فى محل » .
(صفحة ١٨٠ من المخطوطة) .

ترجع إليه من حيث إنه تعالى [١٨١] أيضاً لا فى محل، وإثبات موجودات هى أعراض أو فى حكم الأعراض لا فى محل. ومذهبه قريب من مذهب الفلاسفة حيث أثبتوا عقلا هو جوهر لا فى محل ولا فى مكان، وكذلك النفس الكلى والعقل الفارق وأنه تعالى متكلم بكلام يخلقه فى محل. وحقيقة الكلام عندهما أصوات مقطعة وحروف منظومة، والمتكلم من فعل الكلام، لا من قام به الكلام، إلا أن الجبائى خالف أصحابه خصوصاً بقوله إن الله يحدث عند قراءة كل قارىء كلاماً لنفسه فى محل القراءة، وقال إن الذى يقرأه القارىء ليس بكلام الله، والمسموع منه ليس بكلام الله. وهذا قول فاسد محال إذا ثبت من غير معقول ولا مسموع وهو إثبات كلامين فى محل واحد. وقال إن الاستطاعة قبل الفعل وهى قدرة زائدة على سلامة البنية وصحة الجوارح، واتفقا على أن المعرفة وشكر النعمة ومعرفة الحسن والقبيح واجبات عقلية. وأثبتا شريعة ورد الشريعة النبوية إلى مقدورات الأحكام، وموقفات الطاعات حتى لا ينظرون إليه عقلا ولا يهتدون إليه فكراً. والإيمان عندهم اسم مدح وهو عبارة عن خصال الخير إذا اجتمعت على الإنسان سمى المتحلى مؤمناً. ومن ارتكب كبيرة فهو فى الحال يسمى فاسقاً لا مؤمناً ولا كافراً وإن لم يتب ومات عليها فهو مخلد فى النار. ووافقا أهل الاستقامة فى الإمامة أنها بالاختيار لا بالنص والتعيين.

الفرقة الثانية عشر الجهمية: أصحاب جهم بن صفوان وهو فى الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن أجوز(١) المازنى بمرو فى آخر ملك بنى أمية، ووافق المعتزلة فى نفى الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء منها قوله، لا يوصف البارىء تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك عنده يقتضى تشبيها(٢) فنفى كونه حياً عالماً وأثبت كونه قادراً خالقاً فاعلا لأنه لا يوصف خلقه(٣) بشىء من ذلك بالقدرة والخلق والفعل. ومنها إثباته علوماً حادثة

(١) فى الشهرستانى «ابن أحوز»، (الملل والنحل، ص ١٣٥).

(٢) كتبت فى المخطوطة «بسببها».

(٣) «خلقه»: زيادة من عندنا.

لا فى محل، وقال يجوز أن يعلم الشىء قبل خلقه لأنه لو علمه ثم خلقه أفيبقى علمه على ماكان أم لم يبق؟ فان بقى فهو جهل لأن العلم الذى لا يوجد غير العلم الذى وجد، وإن لم يبق فقد تغير والمتغير مخلوق وليس بقديم . ووافق فى هذا مذهب هشام بن الحكم، وقال إن ثبت حدوث العلم فليس يخلو إما أن يحدث فى ذاته فتكون ذاته محلا للحوادث، وإما أن يحدث فى محل فيكون المحل موصوفاً به البارىء تعالى |١٨٢| فتعين أنه لا محل له، فأثبت علوماً حادثة بعدد الموجودات المعلومة . ومنها قوله فى القدرة إن الإنسان يقدر على شىء ولا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبر فى أفعاله لا قدرة له ، ولا إرادة ولا اختيار وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق فى سائر الجمادات ، وتنسب الأفعال إليه مجازاً كما تنسب إلى الجمادات ، كما يقال أثمرت الشجرة ، وجرى الماء ، وتحرك الحجر ، تغيمت السماء وأمطرت ، واهتزت الأرض وأنبتت . وقال إن حركات أهل الخالدين تنقطع ، والجنة والنار يفنيان بعد دخول أهلهما فيهما(١) وتلذذ أهل الجنة بنعيمها وتألم أهل النار بحميمها . وتأول قول الله (خالدين فيها أبداً) على المبالغة والتأكيد دون الحقيقة والتخليد ، واستشهد على الانقطاع بقوله : (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك)(٢) ، وقال الآية اشتملت على شريطة واستثناء، والخلود والتأبيد لا شرط فيه ولا استثناء .

وقال أهل الاستقامة رحمهم الله إن أهل النار خالدين فيها أبداً وأهل الجنة خالدين فيها أبداً ، وإنما الاستثناء الذى ذكره الله تعالى على المبالغة .

كما تقول العرب شعراً :

إذا شاب الغراب أتيت أهلى وصار القار كاللبن الحليب

وقال عز وجل : (إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ)(٣) ، أى غير

---

(١) كتبت فى المخطوطة سهواً « دخول أهلها فيها » .

(٢) سورة هود : آية ١٠٧ .

(٣) سورة هود : آية ١٠٨ .

مقطوع . وقد ذكرت جميع ذلك فى الرد على الحشوية فى غير هذا الموضع.
وقال إن الإيمان لا يتبعض ، أى لا ينقسم ولا يتفاضل أهله فيه ، وإيمان الأنبياء عليهم السلام وإيمان الأمة عنده على نمط واحد ، وعنده أن المعارف لا تتفاضل . وكان السلف من أهل الاستقامة من أشد الرادين عليه ، ونسبوه إلى التعطيل المحض .

الفرقة الثالثة عشر النجارية : أصحاب الحسن بن محمد النجار ، وأكثر معتزلة الرى وحواليها على مذهبه وهم أصناف إلا أنهم لم يختلفوا فى المسائل التى عددناها أصولا ، وهم برغوثية وزعفرانية ومستدركة . ووافقوا المعتزلة فى نفى الصفات من العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر ، ووافقوا الصفاتية فى خلق الأعمال ، ووافق أهل الاستقامة من المسلمين فى خلق الأعمال خيرها وشرها وحسنها وقبيحها ، وأن العبد مكتسب لها ، وكذلك وافقهم فى مسألة الرؤية أن البارىء |١٨٣| سبحانه وتعالى لا يرى بالابصار . وانفرد عن المعتزلة بأشياء ، ومنها قوله إن كلام الله تعالى إذا قرىء فهو عرض ، وإذا كتب فهو جسم . وقالت الزعفرانية إن كلام الله عز وجل غيره وكل ما غيره هو مخلوق ، والمستدركة منهم قالوا إن كلام الله هو صفة من صفات ذاته غير مخلوق. وقال أهل الاستقامة القرآن كلام الله وهو صفة من صفات ذاته غير مخلوق لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « القرآن كلام الله غير مخلوق » ، وجميع السلف من أهل الاستقامة اجتمعوا على أنه غير مخلوق . قال الناظر : الله أعلم بصحة الرواية فى ذلك ، فأما قوله وجميع السلف إلى آخره ففيه نظر أيضاً إذ اعتماد المغاربة من أهل الاستقامة على أن القرآن مخلوق ، ووافقهم فى ذلك بعض المشارقة .. انتهى .

وحكى الكعبى عنه أنه قال البارىء تعالى بكل مكان موجود إلا على القدرة والعلم . وقال فى الفكر قبل ورود السمع مثل ما قالت المعتزلة إنه تجب عليه المعرفة بالنظر والاستدلال ، وقال فى الإيمان إنه عبارة عن التصديق ، وقال مرتكب الكبيرة إذا مات من غير توبة عوقب على ذلك ثم يخرج من النار كما قالت الحشوية .

الفرقة الرابعة عشر الضرارية : أصحاب ضرار بن عامر ،وحفص الفرد ، اتفقا فى التعطيل لأنهما قالا إن البارىء سبحانه عالم قادر على معنى أنه ليس بجاهل ولا عاجز وأثبتا حاسة الإنسان يرى بها الله سبحانه يوم الثواب فى الجنة ، ووافق أهل الاستقامة فى خلق الأفعال ، وقال إنها مخلوقة للبارىء سبحانه على الحقيقة والعبد يكتسبها حقيقة ،وقال الحجة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الإجماع فقط . وقال فى المفكر قبل ورود السمع أنه لا يجب عليه شىء حتى يأتيه الرسول فيأمره وينهاه ، وزعم أن الإمامة تصلح فى غير القرشى على قول أهل الاستقامة ، وبالغ فى القول حتى قال إذا اجتمع القرشى والنبطى قدمنا النبطى إذ هو أقل عدداً وأضعف شوكة فيمكننا خلعه إذا خالف الشريعة ، والمعتزلة وأهل الاستقامة وإن جوزوا الإمامة فى غير القرشى إلا أنهم لا يقدمون فى الإمامة إلا من يرضون دينه وسيرته وإمامته .

تمت فرق المعتزلة والقدرية والمرجئة والاحتجاج عليهم من الكتاب والسنة والإجماع ، وإجماع الأمة ومن طلب زيادة إيضاح فليقصد كتب المسلمين أهل الاستقامة فى الدين يجد ذلك [١٨٤] مشروحاً مفسراً والله الهادى إلى نهج السبيل .

مقطوع . وقد ذكرت جميع ذلك فى الرد على الحشوية فى غير هذا الموضع. وقال إن الإيمان لا يتبعض ، أى لا ينقسم ولا يتفاضل أهله فيه ، وإيمان الأنبياء عليهم السلام وإيمان الأمة عنده على نمط واحد ، وعنده أن المعارف لا تتفاضل . وكان السلف من أهل الاستقامة من أشد الرادين عليه ، ونسبوه إلى التعطيل المحض .

الفرقة الثالثة عشر النجارية : أصحاب الحسن بن محمد النجار ، وأكثر معتزلة الرى وحواليها على مذهبه وهم أصناف إلا أنهم لم يختلفوا فى المسائل التى عددناها أصولا ، وهم برغوثية وزعفرانية ومستدركة . ووافقوا المعتزلة فى نفى الصفات من العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر ، ووافقوا الصفاتية فى خلق الأعمال ، ووافق أهل الاستقامة من المسلمين فى خلق الأعمال خيرها وشرها وحسنها وقبيحها ، وأن العبد مكتسب لها ، وكذلك وافقهم فى مسألة الرؤية أن البارىء [١٨٣] سبحانه وتعالى لا يرى بالابصار . وانفرد عن المعتزلة بأشياء ، ومنها قوله إن كلام الله تعالى إذا قرىء فهو عرض ، وإذا كتب فهو جسم . وقالت الزعفرانية إن كلام الله عز وجل غيره وكل ما غيره هو مخلوق ، والمستدركة منهم قالوا إن كلام الله هو صفة من صفات ذاته غير مخلوق. وقال أهل الاستقامة القرآن كلام الله وهو صفة من صفات ذاته غير مخلوق لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « القرآن كلام الله غير مخلوق » ، وجميع السلف من أهل الاستقامة اجتمعوا على أنه غير مخلوق . قال الناظر : الله أعلم بصحة الرواية فى ذلك ، فأما قوله وجميع السلف إلى آخره ففيه نظر أيضاً إذ اعتماد المغاربة من أهل الاستقامة على أن القرآن مخلوق ، ووافقهم فى ذلك بعض المشارقة .. انتهى .

وحكى الكعبي عنه أنه قال البارىء تعالى بكل مكان موجود إلا على القدرة والعلم . وقال فى الفكر قبل ورود السمع مثل ما قالت المعتزلة إنه تجب عليه المعرفة بالنظر والاستدلال ، وقال فى الإيمان إنه عبارة عن التصديق ، وقال مرتكب الكبيرة إذا مات من غير توبة عوقب على ذلك ثم يخرج من النار كما قالت الحشوية .

الفرقة الرابعة عشر الضرارية : أصحاب ضرار بن عامر ، وحفص الفرد ، اتفقا فى التعطيل لأنهما قالا إن البارىء سبحانه عالم قادر على معنى أنه ليس بجاهل ولا عاجز وأثبتا حاسة الإنسان يرى بها الله سبحانه يوم الثواب فى الجنة ، ووافق أهل الاستقامة فى خلق الأفعال ، وقال إنها مخلوقة للبارىء سبحانه على الحقيقة والعبد يكتسبها حقيقة ، وقال الحجة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الإجماع فقط . وقال فى المفكر قبل ورود السمع أنه لا يجب عليه شىء حتى يأتيه الرسول فيأمره وينهاه ، وزعم أن الإمامة تصلح فى غير القرشى على قول أهل الاستقامة ، وبالغ فى القول حتى قال إذا اجتمع القرشى والنبطى قدمنا النبطى إذ هو أقل عدداً وأضعف شوكة فيمكننا خلعه إذا خالف الشريعة ، والمعتزلة وأهل الاستقامة وإن جوزوا الإمامة فى غير القرشى إلا أنهم لا يقدمون فى الإمامة إلا من يرضون دينه وسيرته وإمامته .

تمت فرق المعتزلة والقدرية والمرجئة والاحتجاج عليهم من الكتاب والسنة والإجماع ، وإجماع الأمة ومن طلب زيادة إيضاح فليقصد كتب المسلمين أهل الاستقامة فى الدين يجد ذلك [١٨٤] مشروحاً مفسراً والله الهادى إلى نهج السبيل .

الباب الحادى والأربعون

فى ذكر اعتقاد الفرقة الثانية من الفرق الأربع وهى الصفاتية والحشوية من المشبهة وشرح ما افتروا به

وهم الذين يثبتون لله صفاتاً جبرية كالوجه واليدين وبالغ أحدهم فى حد الصفات إلى التشبيه بصفات المخلوقين فسموا صفاتية ، ولما أنكرت المعتزلة صفات الذات سموا معطلة ، وافترقت الصفاتية فرقاً كثيراً ومنهم من اقتصر على صفات الأفعال ، ومنهم من توقف فى التأويل ، وقالوا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه ، مثل قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى)(١) ، ومثل قوله : (خلقت بيدى)(٢) ومثل قوله : (وجاء ربك) (٣) إلى غير ذلك كثير فى القرآن من الآيات المتشابهات . وسموا أنفسهم سلفية وخلفية وهم ممن تسمى بالسنة والجماعة ، وقد سماهم أهل الاستقامة أهل الفرقة وأهل الفتنة ، لأنهم يجمعون بين قوم وقد قتل بعضهم بعضاً وسفك بعضهم دماء بعض ، وبين القاتل والمقتول والظالم والمظلوم وأنهم يجتمعون الجميع فى حظيرة(٤) الفردوس والله سبحانه وتعالى يكذبهم بقوله عز من قائل : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)(٥) .

ومن اعتقادهم جمع الأضداد وتساوى أهل الصلاح وأهل الفساد ، والله تبارك وتعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما . ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً)(٦) .

---

(١) سورة طه : آية ٥ .

(٢) سورة ص : آية ٧٥ .

(٣) سورة الفجر : آية ٢٢ .

(٤) كتبت فى المخطوطة « حضيرة » .

(٥) سورة الجاثية : آية ٢١ .

(٦) سورة النساء : الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سباب المؤمن فسق وقتاله كفر » . فهذا يدل على خطأ الحشوية ومن تسمى بالسنة والجماعة من المشبهة الغوية :

ومن اعتقادهم لخالقهم أنه على العرش استوى ، استواء استقرار وتأولوا الآيات المتشابهات على غير تأويلها كقوله (الرحمن على العرش استوى)(١) وكذلك خلقت بيدى ، وكذلك وجاء ربك ، وقوله بل (يداه مبسوطتان)(٢) وقوله (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك)(٣) وكذلك قوله سبحانه : (ويبقى وجه ربك)(٤) . وقوله سبحانه : (إنما نطعمكم لوجه الله) (٥) ، وقوله : (تجرى بأعيننا)(٦) ، وقوله : (والأرض جميعاً |١٨٥| قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه)(٧) . وقوله تعالى : (يقبض ويبسط)(٨) ، وقوله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب)(٩) . وكذلك قوله سبحانه وتعالى : (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً)(١٠) وكذلك قوله عز من قائل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)(١١) . وفى القرآن كثير من الآيات المتشابهات التى تحتمل التأويل، وسنشرح بعض ما سنذكره إن شاء الله ، وما العون إلا بالله ولا التوفيق إلا منه .

---

(١) سورة طه : آية ٥ .
(٢) سورة المائدة : آية ٦٤ .
(٣) سورة المائدة : آية ١١٦ .
(٤) سورة الرحمن : آية ٢٧ .
(٥) سورة الإنسان : آية ٩ .
(٦) سورة القمر : آية ١٤ .
(٧) سورة الزمر : آية ٦٧ .
(٨) سورة البقرة : آية ٢٤٥ .
(٩) سورة الشورى : آية ٥١ .
(١٠) سورة الأعراف : آية ١٤٣ .
(١١) سورة القيامة : آيتا ٢٢ ، ٢٣ .

الباب الثاني والأربعون

في نفي التشبيه ونقض ما اعتلوا به

قال العزيز الحكيم يصف نفسه بقوله : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(١) فنفى أن يشبه بشيء ، وقال تعالى : (هل تعلم له سمياً)(٢) أي مثلا ونظيراً ، وقال سبحانه : (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)(٣) أي أمثالا وأشباهاً . وقال عز من قائل يخبر عن بعض الهالكين ، إذ يقول في النار : (تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين)(٤) فأخبر أنهم كانوا في ضلال مبين ، إذ يسووا الخالق بالمخلوقين . وعن عبد الله بن مسعود أنه قال : ما عرف الله من شبهه بخلقه . وشبهوا القديم بالمحدثين .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تفكروا في أمر الخلق ولا تتفكروا في الخالق »(٥) ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » وهم الذين صوروا الله تعالى في قلوبهم . وعن معاذ بن جبل رحمه الله أنه قال : سيرجع أقوام من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفاراً ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ابالاحداث كفرهم أم بالجحود ؟ فقال معاذ : لا بالاحداث ولكن بالجحود يجحدون خالقهم فيصفونه بالصورة و الأعضاء ، أولئك لا خلاق لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

مسألة : قال المسلمون من شبه الله تعالى فهو كافر منافق ليس بمشرك ، لأن المشرك من جعل مع الله شريكاً سبحانه وتعالى . وكذلك يرفع عن أبي عبيدة ومحبوب رحمهم الله ، وفي الأثر عن محمد بن محبوب رحمه الله أنه قال : إذا قالوا : « إن لله يداً كيد المخلوقين فقد أشركوا والله أعلم » .

---

(١) سورة الشورى : آية ١١ .

(٢) سورة مريم : آية ٦٥ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٢ (كتب سهواً في المخطوطة « وأنتم لا تعلمون ») .

(٤) سورة الشعراء : آيتا ٩٧ ، ٩٨ .

(٥) ثبتت في المخطوطة سهو « تكفروا » .

وأكثر روايات المشبهة واعتقادهم تضاهى روايات اليهود لما روى عن سعيد بن جبير أنه قال: أتى رهط من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه ؟ فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى امتقع لونه وكاد أن يواثبهم غضباً لربه ، فجاء جبريل عليه السلام فسكنه وجاء بجواب من الله تعالى لما سألوه بقل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له |١٨٦| كفواً أحد . وبلغنا أن عبد الله بن مسعود مر بحلقة فيها رجل من اليهود يحدثهم فقال : بما يحدثكم هذا ؟ فقالوا : يحدثنا عن ربنا وعن التوراة ، قال وعن ربكم بماذا ؟ قالوا : يقول إن الله لما خلق السموات والأرض صعد إلى السماء من بيت المقدس فوضع رجله على الصخرة التى فيه وأنه ينزل ليلة النصف من شهر شعبان إلى سماء الدنيا !! فقال ابن مسعود : إنا لله وإنا إليه راجعون ثلاث مرات ، ثم قال : لا كفر بعد إيمان ، ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء، وهلا قلتم كما قال إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم عن(١) الملك الديان (لا أحب الآفلين)(٢) يعنى الزائلين المنتقلين ، ألا فاتهموا اليهود والنصارى على دينكم ولا تصدقوهم فإنهم سيضلون أكثر هذه الأمة ، ألا إن ربكم ليس بزائل ولا محدود فمن وصف الله زايلا أو محدوداً كفر .

فصل

واعلموا أن الله سبحانه وتعالى نفى عن نفسه شبه المخلوقين بآية محكمة غير متشابهة ولا متصرفة فى المعانى وهو قوله : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(٣) .

مسألة : قال أهل الاستقامة المؤمنون : قد جهل الله من وصفه بصفة خلقه ، وقد أخطأ من اكتنهه ، ومن قال كيف فقد شبهه ، ومن قال لم فقد أعله ،

(١) « عن » زيادة من عندنا .
(٢) سورة الأنعام : آية ٧٦ .
(٣) سورة الشورى : آية ١١ .

ومن قال الامَ فقد ناهاه ، ومن قال متى فقد وقته ، ومن قال حتّامَ فقد جزأه ، ومن جزأه فقد بعضه ، ومن بعضه فقد ألحد فيه ، ومن ألحد فيه فقد أشرك به . وعن على أنه قال من شبه الله فقد حده ، ومن حده فقد عده ، وعن عده فقد ناهاه ، ومن ناهاه فقد أبطله ، ومن أبطله فقد جثثه ، ومن جثثه فقد كيفه ، تعالى الله رب العالمين ليس كمثله شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع البصير ! ! وإنما شبه الله تعالى من جهل اللغة واتساع العرب فيها حين وجد ذكر النفس والوجه والعين واليد والقبضة واليمين وغيره ، ولكل من هذه المعانى تفسير يبطل ما ذكروه وتأولوه وذهبوا إليه من التشبيه . وقد ذكرت لك فى باب الرد على المشبهة وتفسير النفس وغير ذلك فى أول الكتاب . ومن اعتقادهم وقولهم فى الصراط انه منصوب على متن جهنم وانه أدق من الشعرة وأحد من السيف ، يختبر به المؤمن والكافر . والله تعالى عن ذلك يعلم غيب السموات والأرض ويعلم ما يسرون وما يعلنون وهو علام الغيوب وقد ذكرت ذلك فى بابه مشروحاً مبيناً .

ومن قولهم واعتقادهم فى الميزان انه ميزان على الحقيقة وان كفتيه سعة السموات والأرض توزن به أعمال الخلق العباد وقد بين ذلك فى كتابنا مشروحاً .
ومن قولهم |١٨٧| انهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة وان من المخلصين من يعانقه فى الدنيا والآخرة ، وأنه يزورهم ويزورونه وأن له وفرة سوداء وشعراً قططاً ، ومن قولهم واعتقادهم أنه جسم لا كالأجسام ، ولحم لا كاللحوم وكذبوا على الله عز وجل وهو يقول : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) . وقد رفع عمن تسمى بالسنة والجماعة من المالكية والحنفية والحنبلية والشافعية أنهم أجروا الكلام من الاستواء واليدين والوجه وجميع الصفات على ظاهرها ، وكذلك كل ما ذكروا فى الأخبار مثل قوله خلق آدم على صورته ، وقوله حتى يضع الجبار قدمه فى النار . وقوله قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ، وقوله خمر طينة آدم بيده أربعين سنة ، وقوله وضع كفه ويده على كتفى حتى وجدت برد أنامله ، وزادوا فى الأخبار أخباراً ووصفوها

ونسبوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأكثرها مقتبسة من اليهود ، وقال انه بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه ، وان العرش تحته له اطيط ،وانه يتفضل على العرش ، من كل جانب بأربع أصابع ، ولهم مسائل كثيرة فى التشبيه تضاهى عقيدة اليهود ، ولأجل ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : « المشبهة يهود هذه الأمة» لأن اعتقادهم مخالف الكتاب والسنة .

ومن اعتقادهم أن الله يرى بالابصار فى دار القرار ومن اعتقادهم أهل الكبائر إذا ماتوا مصرين لا يخلدون فى النار . ومن اعتقادهم أن القاتل المصر والمقتول يجتمعان فى حظيرة (١) الفردوس ، ومن اعتقادهم أن شفاعة الرسول لأهل الكبائر ، ومن اعتقادهم أن الإيمان قول بلا عمل ،وأن كل من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ولو سفك الدماء وأكل أموال اليتامى ظلماً ولو لم يصل ولم يصم ولو مات مصراً على ذلك من غير توبة . ومن اعتقادهم أن الطاعة عليهم لمن ملكهم ولو كان جباراً عنيداً . ومن اعتقادهم فى الإمامة أنها لا تثبت ولا تكون إلا فى القرشى ولو كان ظالماً ، ومن اعتقادهم فى وعد الله ووعيده أنه سبحانه يتم وعده ويبطل وعيده . ومن اعتقادهم أن أصحاب النار من أهل الكبائر لا يسمون كفاراً ، وأن من دخل النار منهم إنما يعذب بقدر عمله ، ومن اعتقادهم أن أهل الكبائر يخرجون من النار ولا يخلدون وأنهم يخرجون منها ويدخلون الجنة ، وأن أهل الجنة يعيرونهم ويفتخرون عليهم ويسمونهم الجهنميون فيشكون إلى الله تعالى |١٨٨| فيمحى تلك السمة منهم فيصيرون نوراً يتلألأ ويسمون عتقاء الرحمن فيتمنى أهل الجنة أن لو كانوا عملوا بمثل عملهم ، ولهم اعتقادات فاسدة وتأويلات عن الحق حائدة .

بيان فى نقض ما اعتلوا به :

أما قولهم إن الله تعالى يرى بالأبصار فالله سبحانه وتعالى نفى عن نفسه الرؤية بآية محكمة غير متشابهة ولا متصرفة فى المعانى وهو قوله عز من قائل : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)(٢). وإن احتج

---

(١) كتبت فى المخطوطة « حضيرة » .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٠٣ .

محتج بقوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)(١) ، قيل له إنه قد قال أهل التفسير ، منهم ابن عباس وأبو صالح والضحاك والحسين ومجاهد ، قالوا وجوه يومئذ ناضرة أى حسنة مشرقة مستبشرة بثواب ربها ، إلى ربها ناظرة أى منتظرة إلى ما يأتيها من خيره وإحسانه وهو معروف فى القرآن ولغة العرب. قال عز وجل : (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة)(٢) ، وقال سبحانه : (هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم)(٣) أى ينتظرون . وقوله ناضرة الأولى من النضارة والحسن وهى بالضاد ، وناظرة الثانية الانتظار وهى بالظاء يقال نضر وجهه ينضر نضراً ونضارة . وأنشد الفراء شعراً :

نضر الله أعظماً دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

ومن الانتظار بالظاء قول الشاعر :

وإن يك صدرها ذا اليوم ولى فان غداً لناظره قريب

يريد المنتظر ، وقال آخر :

كل الخلائق ينظرون سجاله نظر الحجيج إلى طلوع هلال

وقال آخر :

وكنا ناظريك بكل فج كما للغيث ننتظر الغماما

وقال آخر :

لسنا كمن جعلت باد دارها بكريب ينظر حبها ان يحصدا

وقال آخر وهو امرؤ القيس :

فانكما إن تنظرانى ساعة من الدهر ينفعنى لدى أم جندب

أى ينتظرنى . وقال الله عز وجل (انظرونا نقتبس من نوركم)(٤) معناه انتظرونا . ويقال نظرت الرجل أنظره إذا انتظرته . وقال الأعشى شعراً :

---

(١) سورة القيامة : آية ٢٢ — ٢٣ .

(٢) سورة ص : آية ١٥ .

(٣) سورة الزخرف : آية ٦٦ .

(٤) سورة الحديد : آية ١٣ .

| ١٨٩ | فخرت وأينعت ففقات انظريني   ليس جهل آتيته ببديع

وقال الحطيئة :

وقد نظرتكم اعشاء خامسة   للورد طال بها حي وتيساسى

(التيساس شوق شديد) . وقال عمرو بن كلثوم :

أبا هند فلا تعجل علينا   وانظرنا نخبرك اليقينا

أى انتظرنا . وتقول العرب انظرنا بمعنى انتظرنا . وقد دل الكتاب واللغة على صحة ما ذهبنا إليه وبطلان ما ذهب إليه مخالفونا وبالله التوفيق .

ومن اعتقادهم أن الله يبرز يوم القيامة لخلقه على كثيب من الكافور ، وليس يخفى على أهل العقول أن الكثيب محدود ولا يبرز على المحدود إلا محدود مثله والله جل ثناؤه ليس بمحدود ! ! وقولهم يبرز ، لا يبرز إلا من كان فى اكتنان واختباء ، ومن كان كذلك كان جسما محدوداً ، وشخصاً مشهوداً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! ! ومن اعتقادهم أن أصحاب الكبائر لا يخلدون فى النار والله سبحانه وتعالى يقول خلافاً لقولهم وتكذيباً لهم وهو قوله : (إن الأبرار لفى نعيم * وإن الفجار لفى جحيم * يصلونها يوم الدين * وما هم عنها بغائبين)(١). وقال عز وجل : (يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم)(٢) . وقالوا (يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون)(٣) ، وقال سبحانه : (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) (٤) ، وقال عز وجل : (فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون)(٥) ، وقال سبحانه : (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين)(٦) . وقال سبحانه :

---

(١) سورة الانفطار : آيات ١٣ — ١٦ .

(٢) سورة المائدة : آية ٣٧ .

(٣) سورة الزخرف : آية ٧٧ .

(٤) سورة السجدة : آية ٢٠ .

(٥) سورة الجاثية : آية ٣٥ .

(٦) سورة الجاثية : آية ٣٤ .

: وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها)(١).. الآية .
وقال عز من قائل : (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق)(٢) .

مسألة : وقيل إن لأهل النار خمس دعوات ويجيبهم الله فى أربع وفى الخامسة لا يكلمون، يقولون ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ؟ .. فيجيبهم الله: ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير ، ثم يقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل ، فيجيبهم الله سبحانه : أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ، ثم |١٩٠| يقولون ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ، فيجيبهم الله عز وجل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ، ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا مؤمنون ، فيجيبهم الله: ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ، فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ، ثم يقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون، فيجيبهم البارىء فيقول : اخسئوا فيها ولا تكلمون ، فلا يتكلمون بعدها أبداً .

وأما قولهم إن القاتل المصر والمقتول من أهل القبلة يجتمعون فى حظيرة(٣) الفردوس ، فالله سبحانه وتعالى يقول: (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)(٤). وقال عز من قائل : (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار)(٥) . وأما قولهم ان شفاعة الرسول صلى الله

---

(١) سورة التوبة : آية ٦٨ .
(٢) سورة الحج : آية ٢٢ .
(٣) كتبت فى المخطوطة « حضيرة » .
(٤) سورة الجاثية : آية ٢١ .
(٥) سورة ص : آية ٢٨ .

عليه وسلم لأهل الكبائر وأنه قال : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » فهذا القول مخالف لكتاب الله عز وجل . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « ستروى بعدى روايات فاعرضوها على كتاب الله فما وافق كتاب الله فأنا قلته وما لم يوافق كتاب الله فانبذوه فانى لم أقله » . وقال العزيز الحكيم : (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع)(١) وقال عز من قائل : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)(٢) . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا ينال شفاعتى سلطان غشوم ولا من لا يراقب الله فى اليتيم ، والشفاعة حق للمتقين وليست للعاصين » ، وقال صلى الله عليه وسلم : «لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة من الله وعمل صالح قدمه وشفاعتى » . وأما قولهم إن الإيمان قول بلا عمل فالله سبحانه وتعالى يقول : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)(٣) . وقال سبحانه : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين)(٤) ، وقال سبحانه :(ولكن البر من اتقى)(٥).. الآية ، ولا ينفع الإيمان إلا بالعمل كما قال المسلمون : «الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان » .

وأما قولهم إن كل من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ولو سفك الدماء وأكل أموال اليتامى ظلماً ولم يصل ولم يصم ولو مات مصراً على ذلك فهذا مخالف لكتاب الله وسنة رسوله والله سبحانه وتعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا |١٩١| أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً * ومن يفعل ذلك عدواناً

---

(١) سورة غافر : آية ١٨ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٢٨ .

(٣) سورة البينة : آية ٥ .

(٤) سورة البقرة : آية ١٧٧ .

(٥) سورة البقرة : آية ١٨٩ .

وظلماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً)(١) ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)(٢) ، وقال تعالى : (ولا تطيعوا أمر المسرفين * الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون)(٣) ، وقال سبحانه : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم)(٤) . وقال سبحانه : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه) ... الآية(٥) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هلك المصرون » .

ومن قولهم إن الطاعة عليهم لمن ملكهم ولو كان جباراً عنيداً فالله سبحانه وتعالى يقول : (ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً)(٦) ، وقال سبحانه : (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)(٧) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «أطيعوا من أطاع الله ولو كان حبشياً مجدعاً » ، وقال : « من أقام فيكم كتاب الله وسنتى فاسمعوا له وأطيعوا » . وقال أبو بكر رضى الله عنه : « أطيعونى ما أطعت الله فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم » وقال الله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)(٨) ، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . وقد اجتمعت الأمة أن الطاعة واجبة مفترضة لأولياء الله لا لأعدائه .

---

(١) سورة النساء : آية ٢٩ .

(٢) سورة التوبة : آية ١١٩ .

(٣) سورة الشعراء : الآيتان ١٥١ ، ١٥٢ .

(٤) سورة المزمل : آية ٢٠ .

(٥) سورة النساء : آية ٩٣ .

(٦) سورة الإنسان : آية ٢٤ .

(٧) سورة الكهف : آية ٢٨ .

(٨) سورة النساء : آية ٥٩ .

ومن قولهم إن الإمامة لا تثبت إلا فى القرشى ولو كان ظالماً والله سبحانه وتعالى يقول : (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماماً) . قال إبراهيم صلى الله عليه وسلم : (ومن ذريتى) قال الله : (لا ينال عهدى الظالمين)(١) وقال صلى الله عليه وسلم : « إن وليكم حبشى مجدع فأقام فيكم كتاب الله وسنتى فاسمعوا له وأطيعوا ». وقد يعلم أولوا الألباب أن بلالا الحبشى خير من عم رسول الله أبى لهب القرشى . وقال عمر بن الخطاب فى مرضه وقد سأله المسلمون أن يستخلف عليهم فقال : لو كان سالم حياً لاستخلفته عليكم ولم تخالجنى فيه الشكوك » سالم مولى أبى حذيفة ، والله سبحانه وتعالى يقول : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال سبحانه : (ولا تطع الكافرين وقال : (لا تطع منهم آثماً أو كفوراً) ، وقال سبحانه : (ومن يتولهم منكم فانه منهم) ، وقال : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا [١٩٢] مع الصادقين)(٢) ، (ولا تطيعوا أمر المسرفين * الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون)(٣) .

وأما قولهم إن الله يبطل وعيده فالله سبحانه وتعالى يكذبهم بقوله : (ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد)(٤) . ومن اعتقاد أهل الاستقامة أن الله لا يخلف وعده ولا يبطل وعيده وأنه صادق فى كل ما قال . وأما قولهم إن من دخل النار من أهل القبلة لا يسمون كفاراً وإن أهل الكبائر لا يسمون كفاراً فالله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه يقول : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا)(٥)(وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً)(٦) . وقال سبحانه : (واتقوا النار التى أعدت للكافرين)(٧) ، فقد سمى الله من دخل النار كافراً

---

(١) سورة البقرة : آية ١٢٤ .
(٢) سورة التوبة : آية ١١٩ .
(٣) سورة الشعراء : آيتا ١٥١ — ١٥٢ .
(٤) سورة ق : آية ٢٩ .
(٥) سورة الزمر : آية ٧٣ .
(٦) سورة الزمر : آية ٧١ .
(٧) سورة آل عمران : آية ١٣١ .

لعيناً والكفر كفران كفر نعمة وكفر جحود ، وكل من عصى الله بكبيرة ومات مصراً عليها فقد كفر بنعمة الله ويخلد فى النار بكبيرته لقوله عز وجل توبيخاً لمن قال ذلك : (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون * بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئتهفأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)(١) : والحجج عليهم أكثر من هذا تركته اختصاراً .

(١) سورة البقرة الآيتان ٨٠ ، ٨١ .

الباب الثالث والأربعون

فى شرح فرقهم فرقة فرقة وعددهم
خمس عشرة فرقة

الأولى الكرامية أصحاب محمد بن الكرام كان يثبت الصفات وينتهى فيها إلى التجسيم والتشبيه ونص أن الله معبوده على العرش استقر استقراراً وأطلق اسم الجوهر عليه وجوز عليه الانتقال والتحويل والزوال . ومن قوله انه خلق آدم على صورته ، وانه استوى على العرش استقر وانه يجىء يوم القيامة لمحاسبة الخلق ، والإيمان معه إقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب ودون سائر الأعمال . والإمامة عنده تثبت بالإجماع دون النص والتعيين على قول أهل الاستقامة .

الفرقة الهيضمية : أصحاب محمد بن الهيضم(١) كان يقول إن بين معبوده وبين العرش بعد لا يتناهى وأنه مباين للعرش ببنونة أزلية ونفى عن معبوده الأين والمحاذاة(٢) وأثبت الفوقية(٣) والمباينة ، وأطلق الجسم عليه جل وعلا عن قوله علواً كبيراً ! ! ولهم اختلاف فى النهاية ، فمن المجسمة من أثبت النهاية من ست جهات ، ومنهم من أثبت النهاية من جهة ، ومنهم من أنكر النهاية فقال هو عظيم ، ولهم فى معنى العظمة اختلاف تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ! ! زعم ابن الهيضم أن الذى أطلقته المشبهة على الله سبحانه وتعالى من الهيئة والصورة والجوف والاستدارة [١٩٣] والوفرة والمصحافة والمعانقة لا يشبه ما أطلقته الكرامية. وجوز ابن الهيضم عقد الإمامة لإمامين فى قطر واحد ، وغرضهم إثبات الإمامة لمعاوية بن أبى سفيان ورأوا تصويب معاوية فيما استكذبه من الأحكام والإمامة وطلبه بدم عثمان ، وأصل مذهبهم اتهام على بن أبى طالب فى عثمان. ومن فقهائهم مضر وكهمش وأحمد الجهنى ، أجازوا على ربهم الملامسة

---

(١) ذكر الشهرستانى أن اسمه « محمد بن الهيصم » (الملل والنحل ، ص ١٨٢) .

(٢) المحاذاة : أى المحاذاة للعرش .

(٣) الفوقية : أى أنه تعالى بجهة « فوق » .

والمصافحة وأن من المخلصين من يعانقه فى الدنيا والآخرة إذا بلغوا فى الاجتهاد والرياضة ، ومنهم من جوز عليه الرؤية فى الدنيا وأنه يزورهم ويزورونه : وحكى عن داود الجوازلى أنه قال اعفونى عن الفرج واللحية واسألونى عما وراء ذلك ، جل الله عن قوله وعلا علواً كبيراً !! وقال إن معبوده جسم ولحم ودم وله جوارح وعظام ويد ورجل ورأس ولسان وعينان وأذنان ، ومع ذلك لا هو جسم كالأجسام ولا لحم كاللحوم ولا دم كالدماء . تعالى الله وتقدس عن صفات خلقه : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير (١)) .

الفرقة الثالثة الأشعرية أصحاب أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى المنتسب إلى أبى موسى الأشعرى ، وكان من قوله واعتقاده فى المفكر إذا فكر فى خلقته من أى شىء كان ومن أى شىء ابتدأ ، وكيف دار فى أطوار الخلقة عرف يقيناً أن له خالقاً قادراً عالماً مريداً ، وهذا القول قريب من قول أهل الاستقامة إلا أنه ناقض قوله ، هو عالم بعلم وقادر بقدرة حى بحياة مريداً بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر ، وقال أهل الاستقامة إن الله سبحانه عالم بذاته وقادر بذاته لا بقدرة سواه ، وحى بذاته ومريد بذاته ومتكلم بذاته وسميع بذاته وبصير بذاته ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

قال الشيخ أحمد بن النظر شعراً :

وهو السميع بلا أداة تسمع	إلا بقدرة قادر وحدانى
وهو البصير بغير عين ركبت	فى الرأس بالأجفان واللحظان
جل المهيمن عن مقال مكيف	أو أن ينال دراكه بمكان
أو أن تحيط به صفات معبر	أو تعتريه هماهم الوسنان

ومن قول الأشعرى : أن الله تعالى يرى بالابصار فى دار القرار ، لأن عنده كل موجود فيصح أن يرى وأن المصحح للرؤية هو الوجود ، والبارىء تعالى موجود فيصح عنده أنه |١٩٤| يرى ، واحتج بالآيات المتشابهات مثل قوله :

---

(١) سورة الشورى : آية ١١ .

(وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة)(١). وله فى ماهية الرؤية قولان: أحدهما انه عالم مخصوص يتعلق بالوجود دون العدم . الثانى ان إدراك العلم لا يقتضى تأثيراً فى المدرك ، وأثبت الوجه والدين وصفات خبرية وحجته أن السمع ورد بذلك فيجب الإقرار كما به، ورووا له أقاويل كثيرة تركتها اختصاراً .

الفرقة الرابعة المالكية : أصحاب مالك بن آنس الأصبحى المدنى وكان من اعتقاده ترك التأويل . وقيل إن سائلا سأله عن الاستواء على العرش فقال مجيباً له الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة. وهذا من عجائبه للسائل إن سأله عن أمر دينه فقال السؤال عنه بدعة ، والله سبحانة وتعالى يقول : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)(٢) : قال الخليل بن أحمد :

إذا كنت لا تدرى ولم تك بالذى بسائل من يدرى فكيف إذاً تدرى

ومن قوله واعتقاده أن الاعتقاد والإيمان هو التصديق بالقلب ، وأما القول باللسان والعمل بالأركان فهو من فروعه ، وعنده إن كل من صدق بقلبه وأقر بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسل وبما جاءوا به فقد صح إيمانه ولو لم يصل ولم يصم ، واحتج أهل الاستقامة بقوله تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)(٣) . وقال سبحانه : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة)(٤) .. الآية . ولا ينفع الإيمان

---

(١) سورة القيامة : الآيتان ٢٢ — ٢٣ .

(٢) سورة النحل : آية ٤٣ .

(٣) سورة البينة : آية ٥ .

(٤) سورة البقرة : آية ١٧٧ .

إلا بالعمل لقوله تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)(١) .
ومن قوله إن صاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا من غير توبة فالله تعالى إما أن يغفر له وإما أن يشفع فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، واحتج أنه قال : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » ، وإما أن يعذبه بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم من الاحتجاج والله الموفق للصواب .
وعنده أن صاحب الكبيرة لا يخلد في النار مع الكفار ، وزعم أنه ورد في السمع أنه من كان في قلبه وزن مثقال حبة ذرة من الإيمان يخرج من النار ، واحتج بقوله : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)(٢) .

|١٩٥| وقال أهل الاستقامة إن صاحب الكبيرة إذا مات مصراً يرى حسناته محبطة وسيئاته مثبتة ، وصاحب التوبة والإقلاع عن المعصية يرى حسناته مثبتة وسيئاته محبطة ، فهذا معنى الآية . وله في الشرع أقاويل حائدة منها إن صلى في ثوب أصابه قيء فلا شيء عليه إلا أن يكون قيئاً من نبيذ ، فانه يعيد الصلاة في الوقت ، وإن خرج الوقت فلا إعادة عليه ، وقال إن أصاب الثوب دم قليل أو كثير جاز للمصلي أن يصلي به . وروى أنه قال لا يرى على المستحاضة غسلا ولا وضوءاً ، ولا أعلم أن أحداً قال هذا ولا وافقه عليه ؛ وعنده أن كل ما خرج من السبيلين نادراً غير معتاد مثل دم المستحاضة والمذى والوذى وسلس البول والحجر والدود وغير ذلك لا ينقض الطهارة ، وأجاز لمن يخطب في صلاة الجمعة إن خطب وهو محدث فلا نقض عليه في صلاته ، وعنده الترتيب في الوضوء ليس بواجب ، وعنده الكلب طاهر وأكله جائز وولوغه في الماء والإناء لا ينجسه ، وعنده جواز المسح على الخفين ، وعنده لا تجوز قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة ، وعنده تجوز قراءة المأموم فيما أسر الإمام ، وما جهر به الإمام لا يجوز للمأموم أن يقرأه .

---

(١) سورة الذاريات : آية ٥٦ .
(٢) سورة الزلزلة : آيتا ٧ ، ٨ .

وعنده حد العورةمن السرة إلى الركبة، والسرة والركبة ليستا بعورة ، وعنده يجوز السجود على كور العمامة ، وعنده يجوز الكلام فى الصلاة لكل ما يحتاج إليه من أمر الدنيا والآخرة . وعنده لا يقطع الصلاة مرور الكلب ولا الحائض ولا الجنب ، وأجاز للحائض قراءة القرآن ، وعنده يجوز للمشرك دخول المساجد إلا المسجد الحرام . وعنده إذا عمل الإنسان عمل قوم لوط فى رمضان لا يلزمه إلا القضاء ولا كفارة عليه ، وعنده جائز استرقاق الوثنى العربى ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول لا رق على عربى ، وعنده يجوز النكاح بلا شهود ولا خطبة ، وعنده يجوز تزويج أخت امرأته إذا طلقها ثلاثاً ولو لم تخرج من العدة ، وعنده الإشهاد على الرجعة مستحب غير واجب ، وعنده العدة من وقت الفرقة لا من وقت السماع . وعنده يجوز كراء الفحل لينزو على الإناث ، وقال يجوز بيع الأعمى وشراؤه ، وأجاز الحد على من وجد فيه رائحة الخمر . ومن عجائبه التى لم يسبقه إليها أحد قوله إذا عض [١٩٦] إنسان يد إنسان فجذب المعضوض يده من فم العاض فقلع أضراسه أو بعضها لزمه ما قلع . وأجاز التذكية بالسن والظفر ، وحرم أكل الجراد إذا مات حتف أنفه من غير سبب ، وجوز أكل كل ذى مخلب من الطير وناب من السباع لا يحرم منه شيئاً شىء . وجوز تقديم الكفارة على الحنث ، وجوز شهادة الصبيان فى القتل والجراح وغيره ، وجوز بيع المساجد وتمليكها :

ومن عجائبه أن من وجد شاة أو بقرة بعيدة عن العمران فله أن يأكلها ولا غرم عليه ولا ضمان ، ومن قوله أن من تزوج بأمة وأولدها ثم اشتراها لا تكون عنده أم ولد وجاز له بيعها ، فاذا اشتراها وأولدها كانت أم ولد ولا يجوز له بيعها . وعنده أن من خلف أختاً أو ابنة كان لها نصف الميراث والنصف للسلطان ، وكذلك إذا خلف أماً كان لها الثلث والثلثان للسلطان ، وكذلك إن أوصى إنسان لإنسان ولا وارث له كان له الثلث والثلثان للسلطان ، وقالوا لو أن رجلا حلف لا يأكل من رطب نخلة فلان وأراد أن لا يكون عليه يمين فأكل من جمارها أنه يحنث فى ذلك . وعنده أن من قطع

ذنب حمار القاضى كان عليه قيمة الحمار كله ، وإن قطع ذنب حمار غير القاضى كان عليه ما أنقصه الشين . ومن قوله إذا حلف إنسان بطلاق زوجته إذا هل شهر كذا وكذا فانها تطلق من حين حلف ، فان قال إذا قدم زيد فأنت طالق فانها لا تطلق حتى يقدم زيد ، لأن الهلال الذى حلف إلى مجيئه أنه لا محالة يجىء ، وقدوم زيد محتمل ولا يدرى يجىء أم لا يجىء : وعنده كل عقد يمين بشرط كائن لا محالة فانه يوقعه فى الوقت ، ولا يعتبر ما علق بشرط جائز أن يكون أو أن لا يكون فانه يعتبر وقوع الوقت الذى علق به فى الحكم .

ومن قوله أيضاً او أن رجلا حلف أن لا يأكل من مال يتيم فركب دابته أنه يحنث واحتج بقول الله : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً)(١) وأنه دخل فى هذه الآية فى خطاب الأكل وان الحنث يلزمه . وكان يرى إجازة الوطء فى الدبر ، وله أقاويل كثيرة تنافى الشرع تركتها اختصاراً .

الفرقة الخامسة الحنفية : أصحاب أبى حنيفة النعمان بن ثابت مولى تيم اللات بن تعلبة وكان جزاراً بالكوفة وكان يقرر مذهبه على القياس ، ومن أصحابه أبو يوسف ومحمد بن الحسن ، وكان دعاه ابن هبيرة للقضاء فلم يحسن وضربه كل يوم عشرة أسواط . وكان لا يأخذ بالاخبار . ورفع يحي بن مخنف ١٩٦ أن رجلا من أهل الشرق وصل إلى أبى حنيفة بكتاب وهو بمكة يعرض ما كان سأله عنه فرجع عن قوله ذلك ، فوضع الرجل على رأسه التراب ثم رفع صوته وقال : يا معاشر المسلمين أتيت هذا الرجل العام الماضى فأفتانى بفتوى هرقت بها الدماء ونكحت بها الفروج ثم رجع عنها هذا العام كيف هذا ؟ .. فقيل لأبى حنيفة كيف هذا ؟ .. فقال كان رأياً رأيته فرأيت هذا العام غيره ، فقال الرجل أتؤمننى أن لا ترى من القابل شيئاً آخر ؟ فقال أبو حنيفة لا أدرى ، فقال الرجل أنا أدرى أن عليك لعنة الله ! ! وكان الأوزاعى يقول إنا لا ننقم على أبى حنيفة فى الرأى ولكنا ننقم عليه أنه يجىء بالحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فيخالفه إلى غيره .

---

(١) سورة النساء : آية ١٠ .

ومن عجائبه فى الشرع أن لو سقط جنب فى بحر حتى غمره الماء وهو كاره لوقوعه فيه أو ناسى لجنابته أنه قد خرج مما تعبده الله به وأسقط النية ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » . والنية لب العمل وكل عمل عرى من النية فهو هباء . وعنده الاستنجاء ليس بواجب ولو صلى بلا استنجاء جازت صلاته ، وعنده بسم الله الرحمن الرحيم لا يجوز فى الصلاة وأنها ليست من القرآن ، وعنده جواز قراءة الحمد بالفارسية والله سبحانه يقول : (قرآناً عربياً غير ذى عوج)(١) . وعنده لا يجوز للمأموم أن يقرأ خلف الإمام إلا ما أسر به الإمام لا ما جهر به . وعنده أن العورة هو الفرج نفسه وأن المرأة يجوز لها أن تصلى وثلث ساقها مكشوف ، وعنده إذا انكشف من العورة بمقدار الدرهم البغلى جازت الصلاة . وأجاز للمشرك دخول المساجد والمسجد الحرام والله تعالى يقول : (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا)(٢) . ولم ير على من جامع فى شهر رمضان فيما دون الفرج أو بلع حصاة كفارة ، وعنده لا يفسد حج من يلوط ، وكذلك عنده لا يفسد حج من يطأ امرأة فى دبرها ، وعنده أنه لا ينفسخ نكاح الزانية إذا زنت ، وأجاز تزويج الأمة الكتابية المشركة ، وأجاز قتل المسلم بالكافر والعبد بالحر ، والحر بالعبد ، وأجاز شرب كل مسكر يعمل من غير العنب والتمر .

ومن عجائبه فى إنسان ضرب زوجته ولا يريد قتلها فماتت من ضربه أنه لا دية عليه ولا ضمان . وأجاز شهادة العدو على عدوه والخصم على خصمه ، وجوز شهادة الواحد مع يمين الطالب ، وجوز للإمام أن يحمى المرعى عن الناس ، وكذلك المحدث من غير الجنابة أنه [١٩٨] لو أجرى الماء على الأعضاء المأمور بغسلها عند القيام للصلاة وهو لا يريد بذلك الماء إلا تبريد البدن أنه يصلى بذلك الفعل ويكون متطهراً . ومن عجائبه أنه لو كان فى بدن المتطهر للصلاة أو على لحيته مقدار الدرهم البغلى عذرة أن صلاته تامة ماضية جائزة هذا فى السعة ،

---

(١) سورة الزمر : آية ٢٨ .

(٢) سورة التوبة : آية ٢٨ .

وأما فى العلو فلو كان يعلو المنارة لكان هذا المقدار من النجاسة لا يقدح فى صلاة المصلى وثوابها موفور على صاحبها ، وقال أيضاً فى رجل أصاب ثوبه دم فى سعة الدرهم فلم يظهر فى الجانب الآخر لغلظ الثوب أنه تجوز به الصلاة ، فان أصاب الدم صفحة الثوب فى الجانب الآخر مما يلى الدم الأول فلم يختلط بالدم الثانى أن الصلاة به لا تجوز ، فان زاد عليه دم آخر حتى يختلطا فان الصلاة بالثوب جائزة ، وكان الثوب نجساً بالدم الأول ، فلما زيد عليه الدم الثانى صار الثوب طاهراً هذا من عجائبه ! ! ومن عجائبه أيضاً لو أن رجلا قام إلى الصلاة وإلى جنبه لنفسه من الثياب أحمال الإبل فاتزر بثوب قصير يستر سرته دون ركبته مع بروز فخذه واليتيه أقل من النصف ، وعلى كو دبره من الثوب خرق سعة الدرهم البغلى وفى مقدمه خرق فى سعة الدرهم أن صلاته جائزة بغير رداء ولا قميص .

ومن عجائبه أن المصلى إذا قام إلى الصلاة فلم يقم لها ولم يوجه ولم يكبر تكبيرة الإحرام ولم يستعذ ولم يقرأ فاتحة الكتاب ولا بسم الله الرحمن الرحيم وقال : (مدهامتان) ، ثم انحط بقدر ما يرتخى بلا تسبيح ولا تكبير ، فسجد على طرف أنفه ولم يضع جبهته على الأرض ، ثم عاد إلى ما فعل فى السجدة الأولى من وضع أنفه على الأرض ، ثم يقوم من غير تكبيرة ويقول : (مدهامتان)(١) ويفعل ما فعل فى الركعة الأولى ، ثم جلس وأحدث متعمداً أو ناسياً ولم يقرأ التحيات ، أن صلاته تامة مقبولة ماضية ، وقد أدى الغرض الذى أمر الله به . وقال أيضاً لا يحل للرجل أن يطأ أمة وطئها أبوه دون الفرج ، وكذلك لو نظر فى فرجها من طريق الشهوة فجعل النظر من طريق الشهوة محرماً كالجماع ، فساوى بين النظر والجماع ، وأن الأمة إذا نظر سيدها إلى فرجها ولم يطأها لم يحل لابنه وطؤها فساوى بين النظر والوطء ، وأنكر على أصحابنا قولهم إن من نظر إلى فرج امرأة بشهوة لا يحل له أن يتزوجها إذا كان الوطء يمنع من تزويجها عندهم كالنظر من طريق الشهوة والجماع فسوى لنفسه التسوية بين

(١) مدهامتان : سورة الرحمن : آية ٦٤ .

النظر والجماع وأنكر علينا إذ سوينا بين النظر [١٩٩] والجماع على أصولنا . وقال لو أن امرأة قبلت ربيبا لشهوة حرمت على أبيه وأوجب الفراق بينهما إذا زنت على زوجها ، وأوجب الحرمة عليهما بمعصية أحدهما . وأنكر علينا إذ حرمنا عليهما اجتماعهما بفعلهما جميعاً ، وعنده أن قبلة أحدهما أعظم من زناهما ، وهذا عين المحال . والله يقول : (والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) (١) .

وقال أيضاً لو أن رجلا طلق زوجته طلاقاً رجعياً ثم نظر إلى فرجها أو بطنها أو وطئها كان ذلك رداً لها والله سبحانه وتعالى يقول : (وأشهدوا ذوى عدل منكم)(٢) : وعنده أنه لو نظر إلى وجهها لم يكن رداً لها ، ولا فرق بين النظر إلى الوجه والظهر والبطن من طريق الشهوة. وأيضاً فان الإشهاد الذى أمر الله به عند المراجعة عن الجماع والنظر . وقال أيضاً لو تزوج أمة ووطئها مع علمه بالحظر لذلك وتحريمه فى الشريعة أن الحد يسقط عنه والصداق يلزمه : وقال أيضاً لو أن رجلا تزوج امرأة بحضرة القاضى برضى منها ثم طلقها ثلاثاً بعقب الرضى أومات عنها على أثر قوله نعم قد قبلتها زوجة لى ، ثم جاءت بولد لستة أشهر من وقت العقد أن الولد ولده ولها المهر والميراث إن كان مات . وأجاز قراءة فاتحة الكتاب منكوسة فقد أجاز نقض القرآن وتبديل نظمه لأن المعجز من القرآن النظم والتأليف ، وكذلك اجازته قراءة القرآن بالفارسية ، والله سبحانه وتعالى وصفه أنه عربى غير ذى عوج : والله سبحانه وتعالى كذب المشركين بما ادعوه عليه أن غلام المغيرة كان يلقن النبى صلى الله عليه وسلم كثيراً من القرآن وكان نصرانياً أعجمياً فأكذبهم الله بقوله : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين)(٣) : فلو جاز أن يقرأ بالفارسية القرآن العربى

---

(١) سورة النور : آية ٣ .

(٢) سورة الطلاق : آية ٢ .

(٣) سورة النحل : آية ١٠٣ .

لم يكن فيه تكذيب للمشركين . نعوذ بالله من الخذلان فى الدين والمخالفة للمسلمين !!

ومن عجائبه لو أن نصرانياً توضأ وهو مشرك ثم أسلم لكان على وضوئه ويصلى به ، ولو تيمم ثم أسلم انتقض تيممه ، وقال لأن التيمم لا يكون إلا بنية والوضوء يكون بغير نية ، فيقال له فرقت بينهما وهما طهارتان قد تعبد الله بهما عبادة ، وإنما جعل الله التيمم بدلا من الوضوء بالماء وهو مثله ولا يجزى إلا بالنية ، ويلزم من قال بهذا القول إن من لم يجد الماء فسفت الريح عليه تراباً فأصابت موضع التيمم أن يكون على طهارة ، لأن من تيمم من المشركين كان هذا سبيله . فأنكر على من أوجب [٢٠٠] على الجنب إذا لم يجد الماء ان يتيمم لكل صلاة ، وقال إن التيمم عنده طهارة إلى وجود الماء ؛ وقال المستحاضة إلى أن تجد الطهر من الدم على أصوله .

ومن عجائبه أنه قال لو أن شاهدى زور شهدا على رجل أنه طلق زوجته ثلاثاً فرق بينهما الحاكم بشهادة الشاهدين وأن للشاهدين أن يتزوجا بها واحداً بعد واحد وأن ذلك حلال لهما ، واحتج أن فعل الحاكم حجة فى تحليلها والله أعلم.

ومن قوله وعجائبه لو أن رجلا رد لرجل عبداً آبق له بغير إذنه وقيمة العبد عشرة دراهم أنه يحكم له على سيد العبد بأربعين درهماً . فأين فعل المعروف والتعاون على البر والتقوى؟! وقد أمر الله المسلم بحفظ مال أخيه المسلم ، وأيضاً لم يستأجره وهو لا يوجب الإجارة إلا بعقد فترك أصله . ومن قوله ان فرائض الحج ثلاث الإحرام والوقوف بعرفة وزيارة البيت ، قال ولا يتم الحج إلا بهذه الفرائض الثلاثة . وفرض الزيارة أن يطوف بالبيت سبعة أشواط فان نسى من طواف الزيارة أربعة ولم يرجع يتم الطواف بطل حجه ، وإن نسى ثلاثة فحجه تام لأنه قد أتى بالأكثر من الفرض ، قيل له صلاة الظهر فريضة وهى أربع ركعات فان نسى منها ركعة واحدة فقد ترك الأقل من الفرض وأتى بالأكثر ، ومن قوله أن هذا لا يجوز ، قيل له وكذلك الطواف أيضاً لا يجوز ترك الأقل منه . وقال لا يجوز التطهر بسؤر الحمار ، وإن طهرت المرأة من حيضها ولم تجد إلا سؤر حمار اغتسلت به وتيممت .

انظروا إلى عجائبه إن كان سؤر الحمار نجساً فالنجس لا يريد النجس إلا نجساً وإن كان طاهراً فما معنى أمره لها بالتيمم؟! وإنما يجب التيمم مع عدم الماء الطاهر . وقال المرأة الحرة عليها أن تستر بدنها فى الصلاة إلا وجهها وكفيها لأنها عورة كلها إلا ما استثنى منها ، ثم قال فان انكشف من رأسها الربع والثلث أو من ساقها فذلك جائز ؛ وإن كان أكثر من ذلك فصلاتها فاسدة، قيل له فان انكشف من فرجها الربع أو الثلث؟ فقال لا تجوز صلاتها والكل مأمور بستره ، فلم فرق ؟ ويقول فى مواضع كثيرة من قوله القياس(١) يوجب كذا وكذا ولكنى أدع القياس فى هذا الموضع وآخذ بالاستحسان(٢) ، والقياس عنده حق بزعمه ودين تعبد الله به عباده فيدعه ويرجع إلى ضده والعمل بغيره ؛ وعنده أن الحق فى واحد. وقال أيضاً وصاحباه(٣) : لو تزوج رجل أمه أو ابنته أو أخته ، ودخل بها مع علمه بحظر(٤) ذلك [٢٠١] عليه أن لا حدّ عليه وكان لها عليه الصداق ويثبت النسب منه . وعنده نبيذ العسل والحنطة والذرة وما سوى التمر والزبيب حلال ، نيها ومطبوخها . وفيه يقول بعض شعراً يمدح شاربيه ويذم عائفيه وتاركيه :

لحا الله الضريب فان فيه ... ضروباً لم يدعن له ضروبا
وأخزى الله ماقت شاربيه ... وأسكن فى أخادعهم ضريبا
شراباً قهوة خلا شفاء ... معتقة لها نفعاً وطيبا
أليس مزاجها عسل وماء ... فيا لنجيبة ولدت نجيبا

---

(١) القياس : هو حمل معلوم على معلوم ، فى إثبات حكم معلوم أو نفيه بأمر جامع بينهما من إثبات حكم أو صفة أو نفيهما عنهما .

(٢) الاستحسان : ترك القياس والأخذ بما هو أرفق للناس . ويرد الاستحسان كثيراً فى كلام فقهاء الحنفية وجعلوه دليلا شرعياً يعارض دليلا مثله ويرجح عليه . وخالفهم الإمام الشافعى وعدد من الأصوليين وعلماء الكلام وعدوا الاستحسان من الأدلة التى لا يصح الاعتماد عليها فى استنباط الأحكام .

(٣) صاحباه : هما أبو يوسف ومحمد بن الحسن .

(٤) بحظر : كتبت فى المخطوطة « بخضر » .

ومن فقهائهم يعقوب الذى يقول فيه الشاعر :

يعقوب والنعمان وابن الحسن   تخطأوا بالرأى طرق السنن
فاهجر أقاويل الجميع منهم   واحفظ لدين الله ما فى الزمن

فالعجب فى مذهب هؤلاء القوم زعموا لو أن رجلا شرب نبيذاً فلم يسكره وضربه الهوى فسكره صار ذلك حراماً ، فهل رأيتم من شرب حلالا بزعمهم وحصل فى الجوف حلالا ثم يحرم إذا ضربه الهوى وهو فى جوفه ؟! ..

وفيه يقول بعضهم شعراً :

ما زلت آخذ ريح الزق فى لطف   وأستبيح دماً من غير مجروح
حتى أتيت ولى روحان فى جسد   والزق مطرح جسم بلا روح

فتأملوا رحمكم الله فحش هذا المقال من هؤلاء الضلال وأحمدوا ربكم إذ لم تكونوا من هؤلاء الجهال . وفيه يقول(١) شعراً :

إذا ذو الرأى خاصم عن قياس   وجاء ببدعة فيها سخيفه
أتيناه بقول الله فيها   وآثار منورة شريفه
وكم من فرج محصنة عفيفة   أحل حرامه بأبى حنيفه

ولهم أكثر من هذا تركته إيجازاً واختصاراً .

الفرقة السادسة الحنبلية : وهم أصحاب أحمد بن حنبل ، له اعتقادات فى التشبيه والغلو أعظم من سائر الفرق المشبهة ، وله مسائل فى الشرع ينكرها العقل والكتاب والسنة . ومن عجائبه أنه جوز صلاة الجمعة قبل الزوال ، وعنده يجوز السجود على كور العمامة وجوز صيام التطوع بالنهار بلا نية فى الليل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢٠٢] « لا صيام لمن لا يثبت الصيام وثبوته بالليل » . وأجاز قتل من ترك الصلاة متهاوناً بها غير جاحد لها ويكون مشركاً ويقبر فى قبور المشركين ، ويجوز عنده أن الإمام إذا لم يقدر على القيام صلى جالساً وصلى الذين خلفه جلوساً ولو كانوا قادرين على القيام ، وخالفه جميع فقهاء الأمصار وله أكثر من هذا تركته اختصاراً .

---

(١) « وفيه يقول » : زيادة من عندنا .

الفرقة السابعة الشافعية : أصحاب محمد بن إدريس الشافعي كان تلميذاً لمالك بن أنس ثم خالفه وقرر لنفسه مذهباً رخص للعامة فيه أكثر مسائله على قولين وثلاثة وأربعة ، ترك أصحابه حيارى ، تجور ، ولا يجوز ، جديد وقديم لا يعرف أيهما الأصح ، أتى ما لم يأت به أحد من العالمين ، كما قيل يروى أحاديث ويروى بعضها فكذب بعض ذلك بعضها . ووافق شيخه مالكاً فى قوله إن الإيمان قول بلا عمل وإن أهل الكبائر لا يخلدون فى نار جهنم ، وانهم يخرجون ويدخلون الجنة وأن الله يمحى سمة النار من وجوههم فيصيرون نوراً يتلألأ فيسمون عتقاء الرحمن .

وقوله فى الوعد والوعيد ، إن الله ينجز وعده ويبطل وعيده وإن القاتل والمقتول من أهل القبلة يجتمعون فى حضرة الفردوس من غير إقلاع وتوبة ، وإن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر ، وان الله تبارك وتعالى يجلس يوم القيامة على كثيب من كافور لمحاسبة الخلق ، وأنه تعالى يرى بالابصار فى دار القرار ، وأن الأنبياء والصالحين يزورونه فى الجنة ويقعدون حوله على الكراسى وهو جالس على كرسى من نور ، جل وعلا عن قولهم علواً كبيراً !! (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)(١) ولا تحويه الأقطار وهو الله لا إله إلا هو الواحد القهار !! وإن الإمامة لا تجوز إلا فى القرشى ولو كان ظالماً فاسقاً ، وله مسائل فى الشرع كثيرة ينكرها الكتاب والسنة والعقل وجميع الأمة. ومن قوله إن مس المرأة ينقض الوضوء ولو كان لغير شهوة ، وإن جعل على ذكره خرقة رقيقة وأدخله فى فرجها لم ينقض لأن البشرة لم تمس البشرة . وعنده أنه من زنا بامرأة ثم أولدها بنتاً فله أن يتزوج بأيهما إن شاء بالزانية وإن شاء بابنتها التى من نطفته .

وعنده ما خرج من الإنسان من دم فصاد أو قىء أو رعاف لا ينقض الوضوء ، وعنده المنى طاهر كالبزاق والمخاط ، وعنده جواز المسح على الخفين ، وجواز أجرة المؤذن والإمام ، وعنده يجوز الكلام فى الصلاة والدعاء

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٠٣ .

لما يريد من أمر الدنيا والآخرة ، ولو تكلم فى صلاته وسأل ربه أن يرزقه زوجة صالحة وألف دينار لجاز . وعنده لا يقطع الصلاة [٢٠٣] مرور الحائض ولا الكلب والأقلف البالغ . وأجاز للمصلى أن يصلى فريضة بصلاة إمام يصلى نفلا ، وأجاز إذا أحدث الإمام ولم يستخلف أحداً جاز لكل قوم أن يقدموا من يصلى بهم وصاروا فرقاً وأحزاباً كل فرقة لها إمام ، وأجاز لمن ترك الصلاة عمداً أن ليس عليه إلا قضاؤها ولا كفارة عليه .

وكذلك إذا عمل عمل قوم لوط فى رمضان لا يلزمه إلا القضاء ولا كفارة ، ولو أولج فى أى دبر كان لا تلزمه الكفارة عنده إلا إذا أولج فى قبل المرأة لا غير . وكذلك قوله فيمن أكل فى رمضان متعمداً أن ليس عليه إلا القضاء ولا كفارة عليه ، وكذلك إذا وطىء فى اعتكافه لا كفارة عليه .

وعنده لا يفسد حج من يطأ البهيمة. والزنا عنده لا ينشر الحرمة . وعنده الذبيحة تؤكل ولو لم يذكر اسم الله عليها مع قوله سبحانه : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)(١) ولو ترك التسمية متعمداً لجاز عنده أكلها ، وعنده أن من أرسل كلبه على صيد بعينه فأصاب غيره فانه يؤكل .

وجوز أكل الخيل والضبع والثعلب والسنور الوحشى . وجوز شهادة الواحد مع يمين الطالب ، وجوز الحكم بالقافة (٢) . وجوز للقاضى أن يأخذ على قضائه رزقاً . وحرم الأرحام الميراث إذا عدم العصبات مثل بنى البنات وأولاد الأخوات وبنات الإخوة والجد أب الأم والعمة والخالة والخال إنهم لا يرثون عند عدم العصبات ، ويعطى المال جميعه السلطان ولو كان جائراً ظالماً فاسقاً .

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٢١ .

(٢) لم نتبين تماماً ما يعنيه من « الحكم بالقافة » ، و« القافة من الناس » أى الأوباش والجمع قفاف وأقفاف . وقفوته قفواً وقفوا . قذفته بالفجور صريحاً ، ورميته بأمر قبيح ، والاسم القفوة والقفى . وقد تكون القافة .

ومن عجائبه أنه أنكر على من قال إن كوز ماء إذا اختلط به كوز بول ولم يتغير للماء طعم ولا ريح ولا لون وكانت علامة الماء أظهر كان طاهراً، وهو قول الشيخ أبي عبيدة وبه يقول داود، والذى أنكره عليهم يقول هو به، والشناعة له ألزم ، وذلك أنه يقول إن القلتين من الماء لا تؤثر النجاسة فيه ولا تعتبر قلة النجاسة ولا كثرتها ، فانا نقول ما تقول فى قلتى ماء خالطهما قلتا بول فما الحكم عندك فى ذلك ؟ فان قلنا له إن الماء طاهر ما لم يتغير ولا فرق بين كوز وكوزين وقلة وقلتين ، فليرجع بالإنكار على نفسه ،.

ومن قوله إن بركة لو كان فيها قلتا ماء فحلته نجاسة مستجدة أن الماء طاهر إذا لم يتغير وأدلى الإنسان دلوه فملأها من البركة وحلت النجاسة فى الذى تناوله بالدلو فماء الدلو نجس ، وماء البركة طاهر فان قطرت من الدلو قطرة فى البركة نجس ماء البركة فصار الماءان نجسين ماء الدلو وماء البركة ، فاذا ردت الدلو بمائها [٢٠٤] ونجاستها إلى البركة طهر الجميع . وأجاز الصلاة بقليل النجاسة وأفسدها بقلتها من وجه آخر . ومن ذلك لو أن شعرتين طول كل واحدة منهما ذراع كانتا فى ثوب المصلى وصلى بهما إن صلاته جائزة والشعر عنده نجس ، وإن أخذ المصلى شعرة واحدة مقدار فتر فقطعها على ثلاث قطع لم تجز الصلاة بهن وكانت صلاة المصلى بهن عنده فاسدة ، وأجاز فى الكثير ولم يجز فى القليل. وعنده أن شعر المؤمن نجس حياً أو كان ميتاً . وكذلك شعر النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا فرق عنده فى شعر النبى صلى الله عليه وسلم فى حكم نجاسته وشعر أبى جهل لعنه الله . والنبى صلى الله عليه وسلم فرق شعره على أصحابه فى المروة حين حل من إحرامه وحلق .

وروى أن طلحة كانت عنده ذؤابة من ذوائب النبى صلى الله عليه وسلم فيوصى أن تجعل فى أكفانه ، فلو كان الشعر نجساً لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يفرق شعره على أصحابه ، ولا يدع الإنكار عليهم إذا رآهم يأخذونه ، لأنه رآهم يأخذون ما سقط منه نجساً لم يدعهم وليس النجس المحرم ما يتبارك به ،

وقد قال الله تعالى : (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)(١) . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا شفاء لأمتي فيما حرم عليها » والأنصار تفتخر أن معها شعراً من شعر النبي صلى الله عليه وسلم تقصدهم الناس يتبركون به ، فأفسد صلاة من صلى وفي ثوبه شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثلاث قطع كل قطعة كراجية الخنصر(٢) ، وأجاز الصلاة وفي ثوبه من منى أبي جهل ذراع في ذراع .

ومن قوله إذا اشترى الرجل أمة فوطئها دون الفرج ان لابنه إذا ملكها أن يطأها . وقال لو ملك الرجل جميع من ذكره الله في سورة النساء فوطئهن مع علمه بتحريم الله عليه يسقط عنه الحد دون الأم والبنت ، لأن الملك عنده لا يتقرر عليهما ، ولا يعمل بخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من ملك ذا رحم محرم عليه عتق ، وكما قال الشيخ أحمد بن النظر :

كل من يحــرم أن ينكحه فهو حرز الملك معتوق العنق
من أولى الرحم ومن أرضعنه بيعه حــرم ولكن يسترق

فجعل هو الملك شبهة يسقط به الحد في الأخت والخالة والعمة مع علمه بحظر ذلك وغاب عليه قول أبي حنيفة حيث قال العقد شبهة في الأم ، ولا فرق بين الملك الذي يبيح وطء الأخت والعقد الذي لا يبيح وطء الأم ، وقال لا يجب الحد على من وطىء امرأة ابنه مع علمه بحظر ذلك .

وقال أيضاً لو أن رجلا راود ابنته يريد منها الفاحشة فامتنعت والتجأت إلى الكعبة |٢٠٥| مستجيرة بها منه ، فدخل الكعبة وراودها ووطئها وقتلها أو ماتت من وطئه لها أنه لا حد عليه ولا قود .

وقال أيضاً لو أن رجلا اغتصب جارية صغيرة بكراً من حجر والديها فأدخلها داره وحصنها واستوثق منها غاية الاستيثاق بالأقفال ، وكان يدخل

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٥٧ .

(٢) راجبة الخنصر : الراجبة واحدة (الرواجب) وهى مفاصل أصول الأصابع .

عليها ويطؤها بعد أن افتضها وأقام عندها لا يفارقها إلى أن حبلت وجاءت بابنة منه ان له أن يتزوجها إن شاء وإن شاء بابنتها منه .

وقال إن المجوسى والأقلف إذا كان غنياً وله ولد مسلم فاشترى الإبن أمة مسلمة وأولدها أولاداً ثم إن الأب المجوسى أكرهها ووطئها أنه لا حد على المجوسى عنده فى وطء المسلمة التقية ، فجعل مال الابن فى أم الولد الذى لا يجوز له بيعها ولا هبتها فى رأيه شبهة فى ادراء الحد عن المجوسى واعتل بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « أنت ومالك لأبيك » . وهو لا يجيز للأب أن يتناول حبة من مال الابن إذا كان الأب غنياً ويلزمه الضمان ويسميه متعدياً فتارة يسقط عنه الحد بقول النبى صلى الله عليه وسلم ويجعل له من مال ابنه حقاً ، وحقه من مال ولده بزعمه الشركة فى الأمة التى اجتمعا فى وطئها ، وتارة يسميه متعدياً بتناوله من مال ولده ، فان كان أبوه غنياً لم يدع لهذا الخبر الذى احتج به فى إسقاط الحد وكيف يكون مال الابن للأب والله تعالى أوجب على الإبن الإنفاق للأب إذا كان فقيراً والحاكم يفرض على الابن فرضاً معلوماً والإنسان لا يفرض له فى ماله ولكن يفرض من ماله لغيره .

ولو كان مال الابن للأب لكانت الأمة للأب دون الابن ولكان للأب وطؤها وكانت محرمة على الإبن إذا كان المال للأب دون الابن ، وإن كان الأب شريكاً لابنه فى ماله لم يجز لأحدهما وطؤها ، إذ الأمة مجمعة أن الأمة إذا كانت بين شريكين لم يحل لأحدهما وطؤها ، فلما حلت للابن علمنا أن المال له دون الأب وأن لا شركة للأب فيها . والمجوسى الذى درأ الحد عنه وهو غنى وليس له شركة فى مال ابنه المسلم ، وكذلك ليس له دخل فى أم ولد الإبن وإن كان محتاجاً ، لأن أم الولد عنده لا يجوز بيعها ولا هبتها ، ولو كان ثبوت الحق على الإنسان شبهة يدرأ بها الحد عن وطء إمائه ، لكان الإنسان إذا كان له على رجل حق فوطىء أمة له أن لا حد عليه وهذا لا يقوله أحد .

وأجاز فى الصلاة تكبيرة الإحرام ، المأموم قبل الإمام . وقال أيضاً لو رهن رجل جارية له فى يد رجل وقبضها منه ثم وطئها الراهن فى غفلة |٢٠٦| من

المرتهن وولدت منه ثم أعسر الراهن أخذ الولد منها وبيعت فى الرهن فهى حرة لا تجوز بيعها لأنها أم ولده ، وتارة مملوكة يجوز بيعها . وقال أيضاً لو ملك رجل مائة ألف دينار ووجد أباه يباع بعشرة دنانير أو عشرة دراهم ، لم يلزمه شراؤه مع إعراض سيده البيع عليه ، ويجوز أن يستأجره منه ويستخدمه فى نقل السماد وحفر البواليع . ومن قوله إن النجاسات إذا كانت فى الثوب مقدار دم البعوضة أنه لا يلزمه غسل ذلك المقدار ، وأن الذباب إذا مات فى الطعام إن الطعام ينجس به ، وكذلك إذا مات فى الماء لم يجز شربه ولا استعماله لأجل النجاسة التى حلت من الذباب .

ومن قوله إن النبيذ خمر يحد على القليل من شرب منه ، وتقبل شهادة شارب الخمر ، ويحده على شربها فجعله فاسقاً لشربه ، ويحده عليه وجعله عدلا تقبل شهادته وهو عنده عدل فاسق فى حالة واحدة . ومن قوله إجازة شهادة بائع النبيذ فإن صب فى النبيذ قليل ماء لم تجز شهادته ولم تقبل قوله لأنه بزعمه غش المسلمين . ومن قوله إن قلة ماء نجسة إذا أضيفت إلى قلة أخرى نجسة صارتا طاهرتين باجتماعهما ، فإن ألقى فيها كبش ميت فان الماء على حكمه من الطهارة ، فإن قسم الماء فوقع الكبش فى أحد النصفين كان الذى فيه الكبش نجساً والآخر طاهراً ، فإن رد إليه صارا طاهرين والكبش فيه ، فإن رفع الكبش صار الماء نجساً لتعلق شىء من الماء بصوف الكبش ، فإن رد إليه الكبش رجع الماء طاهراً كما كان وكانت زيادة النجاسة فى الماء النجس سبب طهارته لسقوط الكبش فيه .

ومن قوله إن الكلب إذا ولغ فى الإناء ان الواجب غسله سبع مرات بالماء والثامنة بالتراب ، وإن أحدث فى الإناء غسله مرة واحدة مع طيب نكهته ونتن طرحه . وقال لو ان رجلا تزوج بامرأة مجهولة النسب ودخل بها وكان أبوه غائباً فقدم فرآها عنده فأقر أنها ابنته واعترفت هى أنه أبوها فإن الحاكم يجوز أنها ابنته ويجوز أنها امرأة ابنه فتكون بزعمه أخت الزوج فتكون صحيحة النسب يتوارثان وتكون زوجته ، وإن مات الأب كان المال بينهما للذكر

مثل حظ الأنثيين وهى تحته على حكم الزوجية . وكان ينكر القول بالمراسيل من الأخبار ولا يقول بها ويحتج أنها لا تصح فى الشرع إلا المسند من الأخبار، وربما أجاز المراسيل وعمل بها مثل مرسل الحسن بن أبى الحسن البصرى وغيره « لا نكاح إلا بولى وشاهدين » . وحكى عنه أنه قال فى كتابه البصرى إن التقليد جائز للأئمة مثل أبى بكر وعمر وعثمان وسكت عن على ولم يسمه [٢٠٧] ولم يره مستوجباً أن يذكره . وقال ما زال الناس خلف على وعثمان محاصر وهو راض فعلهم لم يغير ولم ينكر ، وقال إن معاوية حارب علياً إما مستغلباً أو منتصفاً .

وعنده أن عبد الرحمن بن ملجم المرادى قتل علياً متأولا والمتأول عنده مأجور . وقل ما وجد له كتاب واحد فى مسألة، وإنما هو على قولين وثلاثة وأربعة أقوال . وأجاز كفارة الخطأ فى الصوم متتابعاً ، وكفارة اليمين ، وبدل شهر رمضان متفرقاً فقد ناقض فى هذا القول على أصله، لأن من أصله رد المسكوت عنه إلى المنطوق به، وقال فى كفارة اليمين إذا أعتق رقبة مؤمنة وليس فى الآية ذكر المؤمنة وردها إلى كفارة الخطأ أنها مؤمنة على ما جاء نص القرآن ، فجعل فى هذا الموضع حكم المسكوت عنه حكم المنطوق به فناقض قوله فى هذا .

وقال إن الشاهدين فى الدين لا يقبل إلا عدلين قياساً على الرد فى الطلاق على ما جاء النص به، والعدالة عنده فى الايمان ومضى فى هذه المسألة الأخيرة على أصله وإن كان فاسداً لأن العدالة عنده الإقرار .

والذى يذهب إليه أهل الاستقامة فى الدين أن عدالة الدين فى الرد عدالة الإقرار فى الرد وعدالة الدين عدالة فى الدين لنص الكتاب، وقال عز وجل: (ممن ترضون من الشهداء)(١) ولا نرضى إلا من لا نتهمه فى خبره ، وبالله التوفيق .

وأجاز الانتفاع بجلد الميتة بعد الدباغ ولم يجز بيعه كما أجازت اليهود بيع

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٨٢ .

الشحوم والانتفاع بثمنها ولم يجيزوا أكلها إلا الانتفاع بها . وقال إذا وطئ الرجل فى الدبر فلا حد عليه واحتج بقول الله : (والذين هم لفروجهم حافظون)(١) ، وعنده أن الدبر لم يدخل فى هذا ، فإن قيل ما الدليل مع ذكره الفرج ؟ فمن قوله إن الفرج مأخوذ من الانفراج وهذا لا يستحق اسم فرج لانفراجه ، قيل له فالفم أيضاً لانفراجه ، والأنف فينبغى لمن مسهما أن تنتقض طهارته ، فان قال إن الفم والأنف مخرج الطاهر فلا تنتقض طهارة من مسهما ، والدبر مخرج النجس فالطهارة تنتقض بمسه ، فيقال له ففرج الدابة مخرج نجس عندك لأن الروث والبول كله عنده نجس فى مذهبه فينبغى أن تنتقض طهارة من مسه على علتك هذه . فان قال إن البهيمة ليس عليها تعبد ودبر الآدمى عليه تعبد فيقال له إن دبر الصبى ليس عليه تعبد وعندك أنه ينقض وضوء من مسه ، فإن قال ففرج الصبى له حرمة وفرج البهيمة ليس له حرمة ، قيل له وما معنى حرمته؟ وهذا منه ليس على الخصوم لوقوعه فى الحجة. ويوجد له فى فرج البهيمة ثلاثة أقوال |٢٠٨| إذا وطئه الإنسان أحدها أن عليه التعزير ، والثانى عليه حد الزانى وتغريب سنة ، والثالث إن كان محصناً رجم وإن كان بكراً جلد . وحكى أنه قال : لو ثبت عندى القتل لقتلته وهو الخبر المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أتى بهيمة فاقتلوه » .

ومن قوله إن الصلوات لها أول وآخر سوى صلاة المغرب لها وقت واحد فقيل لأصحابه متى هو وأى وقت انقضاؤه ؟ فقال بعضهم مقدار ما يتعارفه الناس من الاشتغال بالطهارة ثم يصلون ، وقال بعضهم إذا غربت الشمس موسع أن يتطهر ثم يصلى ثلاث ركعات هذا مقداره ، وما كان بعد هذا فهو قضاء للصلاة .

وقال فى رجل ادعى على رجل قتلا وأنكر المدعى عليه ، أن المدعى يحلف ويقاد(٢) له المدعى عليه وإن أقام عليه رجلا عدلا وامرأتين عدلتين أنه لا شىء

---

(١) سورة المؤمنون : آية ٥ ؛ وسورة المعارج : آية ٢٩ .

(٢) أقاد القاتل بالقتيل : قتله به قوداً أى بدلا منه .

عليه ولا تقبل شهادتهم . ومن قوله إن المحرم إذا أحل من إحرامه وليس فى رأسه شعر أنه يأخذ من شعر ذقنه ويحل ، وعجائبه وقوله أكثر من هذا تركته اختصاراً .

الفرقة الثامنة : الداودية ، والفرقة التاسعة : الكهشمية ، والفرقة العاشرة : العابرية ، والفرقة الحادية عشر : الثورية ، والفرقة الثانية عشر : الرزنية ، والفرقة الثالثة عشر : الإسحاقية ، والفرقة الرابعة عشر : الواحدية ، والفرقة الخامسة عشر : الظاهرية . فهذه جملة الفرق الحشوية من الصفاتية وسنذكر بعض أقاويلهم مجملا بالاختصار والإيجاز .

ومن مذهب داود بن على وسائر الحشوية واختلاف فقهائها وعجائب آرائها ، قال داود بن على بتمليك الوالدين واستخدامهما فى كل خدمة وترك قول الله سبحانه وتعالى : (وصاحبهما فى الدنيا معروفاً)(٢) ، وقوله عز من قائل : (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)(٣). وأجاز النكاح بغير ولى ولا شهود ولا خطبة ، وأجاز شهادة العبيد والوصية إليهم والصدقة المفروضة فيهم وتمليك الأموال لهم وأخذ الصدقة منهم ، وأجاز لهم أن يتسروا من الإماء ما لا نهاية لعدده بغير علم مواليهم . وأجاز شهادة الأب لابنه والشريك لشريكه والوكيل لمن وكله . وقال بتطهير كل بول وروث ورجيع سائر الحيوان سوى ابن آدم ، وأجاز بيع أم الولد ولو كانت حاملا ويستثنى سيدها ما فى بطنها ، وأجاز الجمع بين الأختين بملك اليمين والوطء لهما .

ومن عجائبه أنه قال إذا بال الإنسان فى الماء لم يتوضأ منه ولو كان كالبحر فى كثرته ، وله أن يشرب منه ويطهر ثيابه النجسة ، وأجاز لغير البائل أن يتوضأ منه ويغتسل ، وإن تغوط الإنسان فى ذلك الماء جاز له التطهر [٢٠٩] منه فأما إذا بال هو فلا ، وإن بال فى إناء ثم صبه فى الماء جاز له التطهر منه .

---

(١) سورة لقمان : آية ١٥ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٢٤ .

وحكى عنه أنه أجاز تطهير طرح الكلاب وإن وضعه إنسان فى لحيته وصلى به أن صلاته تامة ، وأن لطف سائر الدواب والسباع والمشركين طاهرة . وأجاز لمن اشترى أمة كانت لابنه وهو يطؤها جاز له هو أن يطلقها ويطأها ، وأن التحريم عنده على الحرائر دون الإماء فى باب الجمع ، وأجاز لمن اشترى أباه أن يملكه ولا يعتق عليه .

ومن قوله لو وقعت فأرة فى سمن فماتت فيه ان على صاحبه أن يريقه ، فان ماتت فى زيت لم يجب عليه إراقته وهو باق على حكم طهارته ، وإن مات الكلب فيه لم يرقه . ومن قوله إذا احتجم المتوضىء أو افتصد أو تقيأ أو خرج من دبره أو قبله الحصاة والدود وغير ذلك ، أو طعن فخرجت العذرة من الطعنة لم تنتقض طهارته ، مع قولهم إن اليهود أصح مذهباً من داود وهو بالحديث أشهر من الفقه ، لم نجدهم يطعنون على بعضهم بعض ، يطلبون بالعلم التقدم والترؤس والتصدير فى المجالس لا يطلبون ديناً ولا تواضعاً ، أهل كبر ، يثبون فى الأمور بلا ورع ولا يرون باستعمال الصبيان بأساً ، ولا باستخدام عبيد الناس بأساً ، ولا يرون فى الانتفاع بمال غيرهم بأساً ، ولا فى التجارة بالمضاربة ضماناً ، ولا يقولون بالبراءة والحل من الأموال المضمونة ، ويتعجبون ويسخرون ممن يفعل ذلك .

وكذلك فقهاء المعتزلة منهم أبو بكر الأصم وكان من شيوخ المعتزلة ، ومن قوله إن كثير الدم إذا وقع فى الثوب كان حكمه حكم قليله لا فرق بينهما فى ذلك عنده وانه لا يزيل طهارة الثوب . وقال إبراهيم النخعى وبشر المرسى إن التقاء الختانين حدث مجتمع عليه ولا يرتفع إلا بطهر مجتمع عليه ، ثم نقضا قولهما فقالا إن المستحاضة دمها حدث مجتمع عليه ، ثم يزيله غسل الأعضاء وهو طهر غير مجتمع عليه ، وقال إن الوضوء يكفيهما مع التنازع بين الناس فيهما . وقال إن الإكسال فى الدبر أو فى فرج بهيمة أن لا غسل عليه . وقال أبو حنيفة إن عليه فى الدبر الغسل ولا حد عليه . وروى عن مجاهد والحكم وحماد ، أن من قص أظفاره وأخذ شاربه انتقض وضوؤه وطهارته .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : من بال ثم مسح مسحة أو مسحتين فلا يبالى بما خرج منه بعد ذلك ، وروى أنه قال ولو سال على ساقيه . وكان أبو بكر الأصم يذهب إلى تحريم وطء المستحاضة إذا استمر بها الدم قياساً على تحريم الحائض ، وكانت عنده العلة فى ذلك المخرج وهذا غلط منه كبير. واحتج بعض أصحابه أن الله سبحانه [٢١٠] حرم وطء الحائض ونبه عن العلة فقال فى ذلك : (قل هو أذى) فدم الاستحاضة أيضاً أذى ، والمخرج واحد وغلط فى ذلك، ولو كانت العلة التى احتج بها صحيحة كانت علة البول أولى أن يتعلق بها لأنهما جنسان والمخرج واحد .

وكان ثمامة يرى نكاح المشبهة من النساء والمجبرة(١) ولا يرى نكاح الجبرى(٢) من الرجال والمشبهة من الرجال لأن المشبهة عنده من أهل الشرك ، وكذلك من قال بالجبر من أهل القبلة . والمجبرة عندهم الذين هم يسمونهم المسلمون المشبهة ، ويحتج فى جواز نكاح المجبرة والمشبهة من النساء أنهما ليستا بأسوأ حال من اليهودية والنصرانية . وكان بعض أصحابه يجوز نكاح الجبرى والمشبهة من الرجال والنساء ويخطئه فى قوله . وزعم أنهما لم يخرجا من اسم الإيمان ، وكان عنده الجبرى والمشبهة أعظم إثماً وأسوأ حالا من المشركين . هكذا روى الجاحظ عنهم ، وزعم أن بعض أصحاب المؤنسى كان يقول إن الزانى ليس بمؤمن ولا فاسق ولا منافق ولا كافر ولا مشرك، وأن الإسم عنده للزانى إلا زان . وكان بعض أصحاب المرجئة يزعم أن الزانى فى الجنة واعتل أنهم كانوا مجتمعين قبل الزنا أنه فى الجنة .

واختلفوا فيه بعد الزنا ، قال ففى القياس أن يكون على الأصل وأن يطرح الاختلاف . وكان بعض فقهائهم يقيد المسلم بالكافر ، ورووا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أقاد مسلماً بذمى وقال أنا أحق بمن أوفى بذمته . ورووا عنه أنه قال من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه وتعلقوا

(١) كتب فى المخطوطة « والمجيرة » . والمجبرة التى تقول بمذهب الجبرية .
(٢) كتب فى المخطوطة « الجرى » .

بهذه الأخبار والأحاديث التى لم تصح عنه صلى الله عليه وسلم ، ثم إذا سألهم عن أئمتهم فى الحديث قالوا إنهم لا يغلطون ولا يكذبون مع علمهم باختلاف الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الشيء الواحد بما لا يجوز فيه الناسخ والمنسوخ . نحو ما رووا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أو آخره» . ورووا عنه أنه قال: « خير أمتى القرن الذى بعثت فيه»(١) ورووا عنه أنه قال: « لا طيرة ولا عدوى فى الإسلام» ورووا عنه أنه قال: «فر من المجذوم فرارك من الأسد» ورووا عنه أنه قال: «الشقى من شقى فى بطن أمه» مع روايتهم عنه صلى الله عليه وسلم: «إذا انعقدت النطفة فى الرحم بعث الله ملكاً يكتب رزقه وأجله شقياً أو سعيداً» .

وقبلوا شهادة المغيرة بن شعبة وأبى بكر فى زمان واحد ، وقبلوا شهادة على بن محمد بن مروان ومن خرج عليه ، وقبلوا حديثه وحديث من خرج عليه [٢١١] وقبلوا حديث المهلب بن صفرة وأبى هارون العبدى ، وقبلوا الأحاديث عمن رواها لهم عن النبي صلى الله عليه وسلم ممن يعتقدون فيه التخطئة ويسمونه بالإرجاء والقدر والجبر ، مع روايتهم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صنفان من أمتى لا تنالهم شفاعتى وهم : « القدرية والمرجئة». ورووا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « المرجئة يهود هذه الأمة والقدرية مجوسها » . ورووا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن الله نظر إلى أهل بدر نظرة فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » مع روايتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم جلد مسطح بن أمامة وكان بدرياً ثمانين لقذفه عائشة ، وجلد عمر ابن الخطاب قدامة بن مظعون(٢) الحد على شربه الخمر ثمانين وكان بدرياً ، وهو أول من جلد على الخمر ثمانين بحضرة الصحابة فلم يغير أحد منهم

---

(١) فى صحيح البخارى : « خير أمتى القرن الذى بعثت فيه » .
وفى كتاب « الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى » لملا على القارى « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » .

(٢) « مظعون » : كتبت فى المخطوطة « مضعون » .

ولم ينكر ذلك وكان ذلك بمشورتهم ورضاهم .

ثم ما يروونه من ذلك عن فقهائهم وأهل رأيهم ما يكثرون التعجب منه ، ومن ذلك ما رووا عن طاووس أنه كان لا يجيز ذبيحة الزنجي ويقول هو خلق مشوه . وروى الجاحظ أن طاووس كان يرى عارية الفرج . وكان إبراهيم النخعي يرى الرجيع بمنزلة البزاق ، ويروى عنه أنه قال ليس على من غشى أهله فى رمضان كفارة ، مع شهرة السنة بوجوب الكفارة فى ذلك ، وكان يرى الصدقة فى كل ما أخرجت الأرض من قليل أوكثير ، وكان يرى على المحرم فى قتل الفأرة الجزاء ، وإذا صلى برجل جعله على يساره مع السنن المعروفة فى ذلك ، وأجاز المسح على الخفين بدلا من غسل الرجلين مع روايتهم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : «لا أعرف رواية المسح على الخفين » وهى التى لا تفارق النبي صلى الله عليه وسلم فى حضر ولا سفر ، مع روايتهم عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال سبق الكتاب الخفين ، قال وإن يكن مسح بعد ذلك ، فهو ناسخ الآية .

وروى عن هشام الأوقص أنه كان يقول إذا ذكروا معه الفتن التى جريت بين الصحابة يقول ، نجت القادة وهلكت الأتباع ، ويروى ذلك عن الحسن أيضاً . وأنكروا على من قال من الخوارج إن السارق تقطع يده من المنكب لعموم الاسم ، ولم ينكروا على على بن أبي طالب قطعه من السارق الأصابع . وكان عبد الله بن الحسن مع تقدمه وجلاله على فقهائهم يقول فى قتال على وطلحة والزبير إن ذلك على التأويل ، وإذا كان على التأويل فالكل منهم أطاع الله بقتل بعضهم لبعض ، وقال لا يسع الناس سوء الظن بأهل بدر ومن اتهمهم [٢١٢] أنهم اقتتلوا على غير تأويل ، فقد ظن أنهم اقتتلوا على عمد وقاتل العمد عند الأمة فاسق .

وكان يقول الناس عند الهزاهز ثلاثة ، رجل عظيم القدر متبوع متأول مطيع لله بذلك التأويل وبدعائه للناس ، ورجل تابع مقلد لإرادته للخير ـه ،

ورجل صاحب نهب وشغب وفساد فى حكم الضوضية والدعارة والفساد ؛ وهو متعدى غير متأول . فانظروا أيها المسلمون إلى هذه الأقاويل المتناقضة الفاسدة واشكروا الله على نعمه إذ هداكم لسبيله ، ووفقكم لتنزيله ، وفهمكم لتأويله ، والحمد لله على ذلك كثيراً وعجائب المخالفين أكثر من أن تحصى نسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم .

* * *

الباب الرابع والأربعون

في أحاديث تعلقت بها أهل الخلاف والرد عليهم

من سيرة شبيب بن عطية رحمه الله، حرفت الحشوية الأحاديث التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم عن مواضعها ، وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر قوماً يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، لا يرجعون حتى يعود على فوقه يقرءون القرآن كما أنزل ثم لا يجاوز تراقيهم . فزعموا أن سلف المسلمين(١) الذين أنكروا المنكر حين أحدثه المحدثون وخرجوا من ديارهم وفارقوا الأزواج والأموال والبنين واللذات والشهوات ، وبذلوا مهجهم وأنفسهم وأموالهم على أن يطاع الله ولا يعصى ، وبينوا إحداث المحدثين الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وما حملهم الله به من أمر دينه أنهم هم مرقوا من الدين .

قلنا لهم إن الذين مرقوا من الدين هم الذين تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وادعوا الحجة والعذر لأنفسهم ما لم يأذن الله به لهم حين وقعت الفتنة واختلطت الأمور ، وزعموا أنهم يعرفون المخرج منها لا يعرفون المحق ، ولا يعرفون المبطل ، ولا يعرفون الضالين ، ولا يعرفون المهتدين . وقال الله: (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها)(٢) ، وقال عز من قائل : (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف)(٣) ، وقال عز من قائل : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)(٤) .. الآية ، (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)(٥) .. الآية ، وقال

---

(١) يعني « بسلف المسلمين » هنا : « الخوارج المسلمين » ، وذلك حين يتكلم عن شبيب بن عطية .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٠٤ .

(٣) سورة الحج : آية ٤١ .

(٤) سورة آل عمران : آية ١٠٣ .

(٥) سورة آل عمران : آية ١٠٤ .

سبحانه وتعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)(١). وذلك أنه لما قتل عثمان بن عفان واشتبهت الأمور فقالوا لا ندرى بحق قتل عثمان أم بغير حق ، وهم شهدوا قتله وعاينوا عمله فشكوا فيه وفيمن [٢١٣] قتله والله سبحانه وتعالى قد بينه فى محكم كتابه وهو قوله : (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)(٢) ، (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)(٣) ، وقالوا إنا لا نقتدى بقول ابن آدم : (لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين)(٤).

قلنا لهم كان الله كتب على ابن آدم أن يقاتل من قاتله ، قالوا لا ندرى ، قلنا لهم إن الله يقول من بعد ابن آدم لقوم أمرهم بالقتال فأبوا إذ قالوا لموسى صلوات الله عليه: (إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون * قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين)(٥).. الآية فيتيهم الله عز وجل أربعين سنة لجبنهم عن القتال . وقال سبحانه لقوم (فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين)(٦) وقال سبحانه: (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم)(٧). فإن قالوا هذه الآية نزلت فيمن جبن عن قتال المشركين ، قلنا لهم فإنا قد أمرنا بقتال أهل البغى ولم تنسخ الآية ولم تتحول بعد ما أمر به . وقد يعرف

(١) سورة المائدة : آية ٢ .
(٢) سورة الحجرات : آية ٩ .
(٣) سورة الحجرات : آية ١٠ .
(٤) سورة المائدة : آية ٢٨ .
(٥) سورة المائدة : الآيتان ٢٤ ، ٢٥ .
(٦) سورة البقرة : آية ٢٤٦ .
(٧) سورة البقرة : آية ٢١٦ .

ذووا الألباب آن الأخذ بما أمر به من طاعته التى يرضى بها من يعرف له امتثال أمره رضاً وان ترك ما أمر الله به من طاعته التى يسخط بها فى إنكار حقهاً لله بسخط ومروق من الدين . وقد يعرف ذووا الألباب أن العماة عن الحق مراق من الدين بما ضيعوا من الحق وترك القيام بالقسط وركنوا إلى الهوى .

ومما أضلهم الله وأعمى أبصارهم أن زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : «ستكون فتن كالليل المظلم يكون القاعد فيها خيراً من القائم ، والقائم خيرا من الماشى والماشى خيرا من الراكب». وقالوا إنه كان يقول صلى الله عليه وسلم « سترون فتناً كالليل المظلم كلما ذهب رسل جاء رسل آخر ، يصبح المرء فيها مؤمناً ويمسى كافراً ، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً ، فيبيع المرء فيها دينه بيع الثوب الخلق» ، واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : «لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » فزعموا أنه نهاهم بهذه الأحاديث عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقيام بالقسط. ونسبوا من قام بالقسط ونهى عن ركوب المحرمات إلى الضلال والمروق واستجابوا دعاء كل جبار عنيد إلى طاعة نفسه فى اتباع هواه وشهوته وتضييع ما أمر الله به ورسوله وأئمة الهدى فأجابوه على ذلك فيما أحبوا وكرهوا واتخاذهم ذلك يتقربون إلى الله به طول دهرهم . فإن قيل لهم إن |٢١٤ الطاعة لمن أطاع الله لا لمن عصاه ، قالوا إنا لا نقدر على إزالة ذلك الإمام الجائر الفاسق الظالم إلا بفتنة عظيمة وحروب تأتى على الأموال والأنفس ، واستبقاؤه على ظلمه وغشمه أولى لأنا إذا خالفناه أو حاربناه كنا كمن يبنى قصراً ويهدم مصراً .

ومما أضلهم الله به وأعمى أبصارهم أن زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «سيعز الله هذا الدين برجال لا خلاق لهم وهم الملوك ومن جامعهم». وإن الجماعة معهم هم جماعة الجبابرة وأتباعهم . وهم يشهدون على ملوكهم وجبابرتهم انهم تركوا كتاب الله وسنة رسوله واثر أئمة الهدى ، واتبعوا أهواهم

بغير هدى من الله، واتخذوه ديناً وقاتلوا من خالفهم. فكفى هذا من ضلال قوم يزعمون أن الجماعة مع قومهم وملوكهم، وهم يشهدون عليهم بهذا !! وقد يعرف أولوا الألباب أن من عصى الله وانتهك حرامه وقتل من أطاع الله وأذل أولياء الله واتبع ما أسخط الله لم يعز دين الله ولكن سفه نفسه وجهل دين الله وصغره ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» (١)

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: أطيعونى ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم.

وقال عز من قائل : (ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم)(٢) ، وقال سبحانه : (ومن يتولهم منكم فانه منهم)(٣) وقال سبحانه : (ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً)(٤) ، وقال : (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً)(٥) . وإن عنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقوم قاتلوا معه المشركين وأعز الله بهم وبه الدين حتى أعز الله به الإسلام وأهله وأذل الكفر وأهله ، ثم وقعت الفتنة من بعده التى ذكرها الله فى محكم كتابه: (الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين

---

(١) القسطلانى : إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى (ج ١٠ ، ص ٢١٩) باب وجوب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن تلك الطاعة معصية ، إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . ومن الأحاديث فى ذلك : «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى» . وقال عليه الصلاة والسلام : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

(٢) سورة المجادلة : آية ١٤ .

(٣) سورة المائدة : آية ٥١ .

(٤) سورة الإنسان : آية ٢٤ .

(٥) سورة الكهف : آية ٢٨ .

صدقوا وليعلمن الكاذبين)(١) ، وقال : (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)(٢) بتضييع ما كانوا عليه من نصر دين الله بعد إذ أعز الله الدين على أيديهم ، بركوبهم المحرمات والشهوات بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم . ان الله لايعز هذا الدين برجال لاخلاق لهم ضيعوا ما كانوا عليه وصاروا إلى ما صاروا إليه من ركوب المحرمات ، وبيان ذلك أنا قلنا لهم أليس تعلمون أن الله يقول : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً)(٣) . [٢١٥] وقلنا لهم أليس تعلمون أن تمكين الدين إظهار حلال الله وإنكار حرامه وإنفاذ أحكام الله وإعلامه ، والرضا بما رضى الله والسخط بما سخط ؟ فإن قالوا نعم فقد عرفوا إنما ترك قومهم ، قد أظهروا استحلال محارم الله وقاتلوا من أطاع الله ، فإن قالوا لا فكيف تكون الجماعة مع من عصى الله وقد قال الله : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)(٤) وكيف يكون عز دين الله بقتال من أطاع الله .

ومما أضلهم الله به وأعمى أبصارهم أنهم أجمعوا أن كل من نصب القتال من هذه الأمة أنهم على ضلالة ، وقالوا القاتل والمقتول فى النار بحق نصب القتال أو بغير حق . ويعرف أولوا الألباب أن الله بعث نبيه بالسيف مجاهداً فى سبيله ، وإلى ذلك دعا أئمة العدل من بعده إذ قال أبو بكر رضى الله عنه إذ ارتد من ارتد من العرب : « لو منعونى عقالا مما أعطوه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه حتى يعطوه » . وقد أمر الله سبحانه بقتال أهل البغى. فإن قالوا إنما أنزل ذلك فى قوم تقاتلوا بالأيدى والنعال ، فذلك

---

(١) سورة العنكبوت : الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٤١ .

(٣) سورة النور : آية ٥٥ .

(٤) سورة المائدة : آية ٢ .

قطع لحجتهم وأبين لعذر المسلمين فى قتال أهل البغى إذا اقتتل جيشان من الأنصار بالأيدى والنعال ، فأنزل الله فيهم حيث يقول : (فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله)(١) وبغيهم امتناعهم عن الحق ، فكيف من قاتل بالسيف يريد يطفىء نور الله ، ويحول سنة نبى الله ، ويهدم منار الإسلام ، ويوضع الأمور فى غير مواضعها إذا سئل أن يرجع عن ذلك إلى العدل ويأخذ حقه ويعطى كل ذى حق حقه فأبى وامتنع ؟ وقد يعلم أولوا الألباب أن هؤلاء أحق أن يقاتلوا حتى يرجعوا إلى عدل الله وحكم الكتاب من قوم امتنعوا بحق ما وجب لهم عليهم من ضرب الأيدى والنعال .

ومما أضلهم الله به وأعمى أبصارهم إذ زعموا أن ذلك لو كان إمام قائم بالقسط فأحدث محدث فى حكمه وجب عليه فى حق أو حد ، فطلب إليه الإمام والرعية أن يعطى الحق من نفسه الذى وجب عليه فامتنع من المسلمين ، فعليهم بزعمهم أن يكفوا عنه ولا يقاتلوه ولا يعينوا من قتله حتى يعطى الحق الذى وجب عليه ، ولا يقوموا بالقسط ، فكفى بهذا ضلالا بزعمهم إن أحدث إمامهم بكفره لا يقوموه ولا ينكروا عليه ولا يردوه عن مظالمه إلا أن يرجع طوعاً من نفسه ، ولا يعينوا من قام عليه وأنكر عليه ولو ضيع حقوق الله وحدوده . وقد يعرف أولوا الألباب أن الإمام رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ليس له أن يستحل بما ولاه |٢١٦| الله من أمر عباده وبلاده حراماً ولا يحرم حلالا ، بل تزيده الولاية لحق الله تعظيماً كما قال خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضى الله عنه للمسلمين : « وليتكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم » . فسبحان الله لقد ضل هؤلاء العماة بالشك فى دين الله وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل .

ومما أضلهم الله به وأعمى أبصارهم إذ زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للأنصار «إنكم سترون من بعدى أثرة » قالوا فما تأمرنا يا رسول الله؟

---

(١) سورة الحجرات : آية ٩ .

قال: « اصبروا حتى تردوا على الحوض »(١) قلنا لهم أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على هداهم وجماعتهم وجهادهم وقيامهم بالقسط والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذى فارقوه عليه ، أو أمرهم بإلقاء ذلك وتركه إن استوثر عليهم ، فإن قالوا بل أمرهم بلزوم الأمر الذى فارقوه عليه واتباعه والصبر عليه ، لم يميلوا فى بدعة من استأثر بشهوته فى تضييع حق الله وحدوده فقد صدقوا، فذلك الحق . وإن قالوا لا بل أمرهم بإلقاء ذلك الأمر وترك النكير على من فعله فقد كذبوا ، لأن ذلك خلاف كتاب الله وأمر رسوله إذ يقول الله عز وجل : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)(٢) ، فحبل الله عهده فى حلاله وحرامه ورضاه وسخطه . إذ يقول الله سبحانه : (وتعاونوا على البر والتقوى)(٣) وقوله : (فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى)(٤) . وقد يعرف ذووا الألباب أن الذين تركوا القيام مع الجماعة على كتاب الله وسنة نبي الله وهدى الأئمة من بعده — أبو بكر وعمر — وانقلب إلى بيته وضيع حق الله وحدوده تاركاً لما أمره الله سبحانه وتعالى به ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم ينه عما أمره الله سبحانه وتعالى به ، ولم يأمر بما نهى الله عنه . وقد يعلم أولوا الألباب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه الذى لقى الله فيه: «لا تفرقوا وعليكم بكتاب الله فإنى لم أحل إلا ما أحل القرآن ولم أحرم إلا ما حرم القرآن » .

ومما أضلهم الله به وأعمى أبصارهم إذ زعموا أن أهل بدر اختلفوا وضربوا الناس بعضهم ببعض وسفكوا الدماء ونقضوا الميثاق ونكثوا العهد وتركوا جماعتهم وسنة نبيهم التى فارقوا عليها نبيهم وقتل بعضهم بعضاً حرصاً على الملك ، وزعموا أنهم قادة الضلالة والبدعة وأنهم فى الجنة وأتباعهم فى النار ،

---

(١) الحوض : يعنى حوض الكوثر الذى يشرب المؤمنون منه يوم القيامة .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٣ .

(٣) سورة المائدة : آية ٢ .

(٤) سورة طه : آية ١٢٣ .

[٢١٧] وذلك زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما يدريكم لعل الله قد اطلع على أهل بدر وقال : اعملوا ما شئتم أنى قد غفرت لكم . واحتجوا أيضاً بقول الله تعالى : (ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين)(١) ، قلنا لهم أرأيتم قول الله لهم : (اعملوا ما شئتم)(٢) إلى ما شاءوا من التيسير من طاعة الله ، أو أباح لهم المحرمات والشهوات؟ فإن قالوا التيسير من طاعة الله فقد صدقوا وذلك الحق ، فقال عز من قائل : (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً)(٣) ، وإن قالوا بل مغفور لهم فى اتباع المحرمات والشهوات فقد كذبوا . وقد يعلم ذووا الألباب أن المتبع منهم للشهوات تارك لوصية ربه إذ يقول الله سبحانه : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)(٤) وتارك لوصية نبيه إذ يقول : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » . وقد يعلمون أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جلد قدامة بن مظعون البدرى ثمانين جلدة فى الخمر ، فلو كان مغفوراً لقدامة شهوته ما جلده عمر ثمانين جلدة ، وما كان الجارود يقول لابن عمر لتجلدن خالك أو ليكفرن أبوك ، ولو كان مغفوراً لقدامه شهوته ما قال الجارود لابن عمر ليكفرن أبوك بتعطيل الحد عنه . وقد تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر حوضه فقال «والذى نفسى بيده ليردن على الحوض رجال فإذا عرفونى وعرفتهم اختلجوا من دونى فأقول يارب أصحابى أصحابى فقال لى ما تدرى ما أحدثوا بعدك » ؟

.

وقد يعرف ذووا الألباب أن الذى يقول الله : (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) أنهم قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المشركين فقاتلوا المسلمين وعملوا أعمال الجاهلية ثم أسلموا وسمعوا قول الله فيمن قتل مؤمناً

---

(١) سورة الحجر : آية ٤٧ .

(٢) سورة فصلت : آية ٤٠ .

(٣) سورة الفتح : آية ١٠ .

(٤) سورة الأنفال : آية ٢٥ .

متعمداً وما ذكر الله فى تلك الأعمال من العذاب فقالوا يا رسول الله كل هذا قد عملنا فأنزل الله: (ومن يفعل ذلك يلق أثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً * إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً)(١) فالقاتل والمقتول فى هذا الموضع فى الجنة نزع الله ما فى صدورهم من غل ؛ وكذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث بلغه قتل عكرمة بن أبى جهل بن هشام بالشام شهيداً قال قدم ابنين إلى الجنة ثم اتبعهما، وكان قتل يوم بدر رجلين من الأنصار .

وقد يعلم ذووا الألباب إن يكن لأحد عذر فى تضييع حق الله وحدوده فأحق الناس بالعذر على التضييع الأتباع الذين لم يشهدوا التنزيل ولم يصحبوا النبى صلى الله عليه [٢١٨] وسلم ولم يفقهوا حكم القرآن وسننه إذ وجدوا أهل التنزيل مختلفين مع أن لا عذر لأحد فى معصية الله وكتاب الله بين أظهرهم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

ومما أضلهم الله به وأعمى أبصارهم أنهم يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى محمد بن مسلمة الأنصارى سيفاً وقال له قاتل به المشركين ، فإذا رأيت مسلمين يقاتل أحدهما الآخر فاعمد إلى سيفك فاضرب به الحجر حتى ينثلم ، ثم ارجع إلى بيتك فاجلس فيه حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية !! فقلنا أهذا عهد نبى الله إلى جميع المسلمين أو أمر خاص لمحمد بن مسلمة ؟ فان قالوا أمر خاص لمحمد بن مسلمة، قلنا الله أعلم ورسوله بما خص محمد ابن مسلمة، وضيع محمد بن مسلمة عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى خصه به ، إذ شهد وقعة الدار يوم مقتل عثمان ، فقال ما رأيت رائحة أشبه برائحة بدر من هذا اليوم !! فان قالوا بل هو أمر عام لجميع المؤمنين ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بزعمهم قال إذا اختلفت الناس فعليكم بمحمد بن مسلمة ، وعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة كما زعمتم أن يجلس فى بيته حتى تأتيه يد خاطئة أو منية قاضية ، فقلنا لهم

(١) سورة الفرقان : آيات ٦٨ — ٧٠ .

أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين بعهده هذا وأظهره لهم؟ فإن قالوا لا، فقد حمنوا التضييع والسفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ زعموا أنه لم يعلم المؤمنين بعهد الله ورسالته، وبرىء المؤمنون من ذلك التضييع وذلك العهد الذى لم يعلمهم به. وإن قالوا قد أعلم جميع المؤمنين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم فقد هلك إذاً أصحاب بدر وغيرهم من الأنصار والمهاجرين والتابعين لهم، لأنهم تركوا عهد نبيهم الذى عهده إلى محمد بن مسلمة ولم يجلسوا فى بيوتهم وخرجوا مع على بن أبى طالب وقاتلوا معه أهل البغى، إذ يقول الله تعالى (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله)(١)، وقوله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية وقاتلك وسالبك فى النار».

واختلف الأمر إذ يقول لمحمد بن مسلمة: اجلس فى بيتك ويقول لعمار تقتلك الفئة الباغية وقاتلك وسالبك فى النار. وقد يعرف ذووا الألباب أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر واحد يصدق بعضه بعضاً وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر المؤمنين بأمر الخاصة بأهل الخاصة وأمر العامة بأهل العامة ولا يحمل أمر الخاصة بالعامة، ولم يحمل العامة على الخاصة، ولم يخالف ما نهى عنه القرآن، بل نشهد له أنه بلغ أمر ربه ورسالته وصدع بما أمره |٢١٩| الله به ونصح لأمته وأدى الحق الذى عليه حتى فارق الدنيا صلوات الله عليه ورحمته.

ومما أضلهم الله به وأعمى أبصارهم زعموا أن عثمان صلى بمنى أربع ركعات فبلغ ذلك ابن مسعود وهو فى منزله بمنى لم يشهد الصلاة، فقال أحدث عثمان واسترجع، ثم لما حضرته العصر صلى بأصحابه أربع ركعات، فقال له يا ابن مسعود استرجعت حين بلغتك صلاة عثمان ثم صليت بنا صلاته، فزعموا أنه قال لهم الخلاف أشر، فقلنا لهم أليس أمركم ابن مسعود باتباع الأئمة على البدع والحدث وخلاف السنة، وأخبركم أن ذلك خير؟ فإن قالوا نعم فقد كذبوا على ابن مسعود صاحب مسجد الكوفة إذ نادى فيه ان خليفتكم

---

(١) سورة الحجرات: آية ٩.

عثمان قد أحدث الأحداث المكفرة ، وإن شر الأمور محدثاتها وإن كل محدثة بدعة ، يكلفنى عثمان أن أرجع عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أمرنى به إلى غيره ، كتب إلى إما أن تنتهى عن كلامك يا ابن مسعود وتبعث إلى بمصحفك ، وإما أن تقدم على المدينة وإنى قادم عليه . ولما قدم عليه المدينة قام فى سوقها ونادى بأعلى صوته : إن شر الأمور محدثاتها وإن كل محدثة بدعة إلى غير هذا من القول ، وإنه أتاه العاص بن سعيد أخو ابنى أمية فاحتضنه، وكان ابن مسعود ضعيفاً كليلا نحيلا فضمه عدو الله ودق أضلاعه ، وان عثمان عاده فى مرضه فلم يلتفت إليه ولم يكلمه. ثم أوصى إلى عبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر حين حضره الموت أن لا يصلى عليه عثمان وأن يدفنوه ليلا ، وأن عبد الرحمن وعماراً دفنوه من ليلتهم ، وابن مسعود نادى فى المساجد والأسواق بإحداث عثمان وكيف يترك سنة رسول الله ويأخذ ببدعة عثمان حاشا لابن مسعود وحاشاه ! !

وقيل الذى فعل بابن مسعود غلام لعثمان يقال له ابن زمعة وهو الذى فعل والله أعلم أى ذلك كان . وابن مسعود رضى الله عنه كان أبين فضلا وأفضل فقهاً وأشد تعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يتابع أحداً على تضييع حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبطل سنته ويأمر باتباع الضلالة والبدع ، وترك المحكمات مع قول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً)(١) ،وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا طاعة لمن عصى الله » .

وإن مما أضلهم الله به وأعمى أبصارهم أنهم يزعمون أن نفراً دخلوا على |٢٢٠| أنس بن مالك ، وأن رجلا منهم قال يا أبا حمزة أخبرنا عن هذه الحرورية هل ذكرهم النبي بشىء بانهم ، فإنهم يشهدون علينا وعليك بالكفر ويستحلون دماءنا ؟ فقال أنس بن مالك بزعمهم إن فتى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم النهار ويقوم الليل، ويشد عقدته فى سبيل الله وحل المسلمين ويكرمهم ويخطب لهم ويكفيهم كل شىء حتى عجبوا منه

(١) سورة الإنسان : آية ٢٤ .

وأحبوه حباً شديداً . فزعم أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وجلس مجلساً له وجلس أصحابه معه وفيهم أبو بكر وعمر ، وان ذلك الفتى أقبل نحوهم فقالوا يا رسول الله أترى هذا الفتى المقبل هو الذى أنبأناك عنه ، فقال والذى نفسى بيده إنى أرى فى وجهه الساعة سفعة من النار .

فزعم أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا الفتى فقال أنشدك الله .. هل قلت آنفاً وأنت مقبل ليس فى القوم أحد خير منى ؟ قال نعم .. قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بزعمهم امضه امضه ! ! فاستقبل الفتى المسجد ودخله وصف قدميه وقام يصلى ، فانصرف عنه ، فزعم أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيكم يقتل هذا الرجل ؟ فقال أبو بكر أنا يا رسول الله ، قال ، فقام إليه أبو بكر فوجده صافاً قدميه يصلى فانصرف عنه ولم يقتله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقتلت الرجل ؟ فقال أبو بكر يا رسول الله وجدته يصلى فهبته أن أقتله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أيكم يقتل هذا الرجل ؟ فقال عمر أنا يارسول الله ، فقال له رسول الله قم إليه فوجده صافاً قدميه يصلى فانصرف عنه ولم يقتله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقتلت الرجل قال لا رأيت أبا بكر لم يقتله ورأيته يصلى فهبته أن أقتله ، فقال له رسول الله اجلس .

ثم قال أيكم يقتل هذا الرجل ؟ فقال على أنا يا رسول الله ، قال أنت إن وجدته مكانه ، فقام إليه فوجده قد انصرف فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أقتلت الرجل ؟ فقال يا رسول الله وجدته قد انصرف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بزعمهم : إن هذا لأول قرن طلع فى هذه الأمة ، والذى نفس محمد بيده لو قتلتم هذا الرجل ما تنازع اثنان حتى تقوم الساعة ! ! لكنه أمر قد قدر أن يكون ، وان بنى إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة وإن أمتى ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة فى الجنة وسائرها فى النار . قالوا يا رسول الله أى فرقة [٢٢١] هى ؟ قال :

هي جماعة المسلمين ! ! قلنا صدق الله ورسوله وجماعة المسلمين هم الذين تمسكوا بالذى فارقوا عليه نبيهم واتباعهم أثره ، واجتماعهم على ذلك جماعة عصمة ودين ونجاة يتبع آخرهم أولهم. وأمر آخرهم أمر أولهم ، يصدق بعضهم أمر بعض ويأخذ بعضهم عن بعض . كما قال عز من قائل : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)(١) .

وقال فيمن خالف ومن يتبع غير سبيل المؤمنين (نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)(٢) .

وأما الفتى الذى ذكروه فالله ورسوله أعلم بالغيب فى أمر الفتى ، وحق لرجل يزعم أنه خير من أهل مجلس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والأخيار من أصحابه أن يكون ذلك بقوله ذلك من أهل النار ! ! ولكن أخبرونا عن أبى بكر وعمر حيث أمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الرجل فأبيا أكان ذلك شكاً منهما فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، بتهمة منهما له أن يكون أمرهما بقتل من حرم الله دمه ؟ فإن قالوا نعم ، قلنا كذبتم ما أحد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أطوع لله ولرسوله ولا أمضى قدماً على تنفيذ أمر النبى صلى الله عليه وسلم من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . فإن قالوا لم يكن ذلك متهماً على ذلك ولم يسلطا على قتله لما أراد الله فصرفا بذلك عنه . قلنا أفلستم تزعمون أن من أطاع الله واجتهد فى عبادة الله وحمد المعروف وأهله وذم المنكر وأهله أن مثله مثل الفتى إذ يقول أنا خير من مجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والأخيار من أصحابه . فإن قالوا نعم ، قلنا لهم كذبتم بل الله أمر بالطاعة ومدح أهلها وكره المعصية وذم أهلها ، فإن قالوا لا ليس ذلك من قبل ذلك ، ولكن بزعم أن الحرورية حسنت عبادتهم واشتد جهادهم وهم يشهدون علينا بالكفر ويستحلون دماءنا ، فمثلهم مثل الفتى لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليخرجن من أمتى أناس يعملون مثل عملى حتى يحتقر الرجل المسلم عمله من أعمالهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم

---

(١) سورة الأنعام : آية ٩٠ .

(٢) سورة النساء : آية ١١٥ .

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرتد حتى يعود من فوقهم وهم شر الخلائق، فطوبى لمن قتلهم أو قتلوه»!! فقلنا لهم إن من ضلالتكم تحريف الأحاديث إلى أهوائكم، أنتم تعلمون أن الذى يشهد عليكم بالشرك ويستحل دماءكم وأموالكم هم الجبابرة وأتباعهم أهل الحرمات والشبهات ؛ وقد تعلمون أن من قتلوه أو قتلهم لا طوبى لهم ولا نعما عين وهم قد ضيعوا حقوق الله وحدوده ، بل القاتل منهم والمقتول فى النار .

وقد يعلم أولوا الألباب أن كل بدعة محدثة بتأويل أو شك أو غلو أو تقصير أو عمل بمعصية يهدم بها حق جماعة أهل الهدى ويضيع [٢٢٢] بها حقوق الله وحدوده، وأنكر ما كان عرف، وعرف ما كان ينكر، ويتخذ ذلك ديناً يدعو إليه ويقول أنا خير من لزم الجماعة الأولى ودعا إليها ، وينحل أهلها حقاً . وصار الجماعة من ضيع حقوق الله وحدوده وأنكر ذلك من لا يعرفه ما كان يعرف ، وعرف ما كان ينكر ، أولئك مثلهم كمثل الفتى إذ يقول أنا خير من مجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والأخيار من أصحابه فإنهم بذلك مراق من الدين خارجون من الأمة يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم بتحريفهم الأمر عن مواضعه ؛ وتضييعهم ما أمروا به من القيام بالقسط ولزوم الجماعة جماعة الهدى، أو بما نحلوا جماعة من عصى الله بحق جماعة الهدى، وانهم بذلك أشر الخلق والخلائق، فطوبى لمسلم قتلوه أو قتلهم قاتلهم الله!! أما علموا قوله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة أخافهم على أمتى من بعدى: رجل يعلم علماً فعرف به وأعطاه الله إياه فقذف جاره بالشرك وضربه بالسيف ، ورجل أعطى سلطاناً فقال من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله، ورجل حدث الناس بحديث لم يوف به ونكث البيعة » .

ليس كما قالت العماة الضلال إن النجاة باتباع السواد الأعظم فى الطاعة والمعصية والله سبحانه يقول : (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلا)(١) . وقد عاب الله اليهود حيث ادعوا النجاة

(١) سورة النساء : آية ٤٩ .

على المعصية وهو قولهم : (نحن أبناء الله وأحباؤه)(١) .. الآية ، والله سبحانه يقول : (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار)(٢) .

ليس كما قالت العماة الضلال إن النجاة باتباع الجماعة والكثرة حيث دارت بالطاعة والمعصية ، وكذلك هلك من هلك منهم بتضييع القيام بالقسط ، ثم زعموا أن ترك القيام بالقسط خير ممن قام بالقسط والله سبحانه يقول : (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم)(٣) .

ليس كما قالت العماة الضلال إن النجاة باتباع الجماعة والكثرة حيث دارت من الطاعة والمعصية ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة منهن فى الجنة وسائرها فى النار » ، فالفرقة الناجية فجماعة المسلمين الذين اجتمعوا على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأطاعوا الله ورسوله واتبعوا ما فارقوا عليه نبيهم .

ليس كما قال العماة الضلال إن النجاة باتباع الكثرة والجماعة حيث دارت من الطاعة والمعصية ، والله سبحانه وتعالى يقول : (وتعاونوا على البر |٢٢٣| والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)(٤) .

ليس كما قالت العماة الضلال إن النجاة باتباع الكثرة والجماعة حيث دارت من الطاعة والمعصية، والله سبحانه وتعالى يقول: (واعتصموا بحبل الله جميعاً)(٥) أى بعهده، ونبى الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا يرجع إلى من فوقه » ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم: «يخرجون من أمرى وعهدى ولا يكونون على الدين حتى يرجعوا إلى أمرى وعهدى .

---

(١) سورة المائدة : آية ١٨ .

(٢) سورة ص : آية ٢٨ .

(٣) سورة آل عمران : آية ٢١ .

(٤) سورة المائدة : آية ٢ .

(٥) سورة آل عمران : آية ١٠٣ .

ليس كما قالت العماة الضلال إن النجاة باتباع الجماعة والكثرة حيث دارت من الطاعة والمعصية وإن المارقين عندهم أهل النهروان(١) . قلنا من أين زعمتم وعرفتم ذلك وأنهم هم المارقون ؟ فإن قالوا لتركهم ولاية أهل الاحداث . قلنا لهم المارق من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من ترك سنته وخرج من جماعته ولم يمتثل اما أمره وينزجر عن نواهيه ولم يتبع سبيله ، فهو مارق خارج من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فإن قالوا المارق لا يكون إلا من خرج من طاعة على بن أبى طالب ولم يتبعه على حدثه ، قلنا فقد خرج عن طاعة على قبل أهل النهر وأبو بكر وعمر وعثمان قبل حدثه ، وأهل الشورى إذ تركوه ولم يروه أهلا للأمر وولوا الأمر دونه ولم يروه لذلك أهلا واتبعهم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان على ذلك ، أفتقولون هؤلاء مراق من دين الله خارجون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟! فإن قالوا نعم قلنا كذبتم هؤلاء أهل الدين والفضل وأهل الألفة والجماعة والسلف الصالح والأمر الذى مضى عليه نبيهم وهو الأمر الذى من كان عليه كان على دين الله وجماعة الإسلام ، والخارج من الأمر الذى مضوا عليه مارق وخارج من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومارق من دين الله .

فإن قلتم ليس هؤلاء بأولئك ، قلنا صدقتم وظلمتم أهل النهروان إذ تلزمونهم المروق والخروج من أمر لا يمرق به ولا يخرج به غيرهم ، فان قلتم ليس ذلك من قبل ذلك ولكن أهل النهروان فارقوا علياً وفارقوا جماعته . قلنا قد خلع علياً وفارقه قبل أهل النهروان سعد بن أبى وقاص ، وعبد الله ابن عمر ومن اتبعهم على ذلك من المهاجرين والأنصار ، والذين كفوا عن قتال عثمان وعن نصرته وقالوا أوتى إليه أكثر مما أتى ولا ندرى قاتله أولى بالعذر أو ناصره ، فلم يجامعوا علياً فى بيعته وفارقوه ولم يقوموا معه بالذى قام ، ولم يعترفوا له بذلك القيام والفضل والقدر ، أفراق هؤلاء من دين الله خارجين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟! فإن قالوا لا ، قلنا قد ظلمتم أهل النهروان

(١) كتب فى المخطوطة « **أهل النهر** » والنهر والنهروان ، واحد .

والزمتموهم المروق بأمر [٢٢٤] لم يمرق به غيرهم ، وإن قالوا ليس من قبل ذلك ولكن أهل النهروان خلعوا علياً وقاتلوه ، قلنا فقد خلعه قبلهم وقاتله قبلهم طلحة بن الزبير وعبد الله بن عامر وعمرو بن العاص وعائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اتبعهم ، وقاتله وخلعه معاوية بن أبي سفيان وعبيد الله بن عمر وعمرو بن العاص وجماعة أهل الشام . أفراق هؤلاء من دين الله خارجين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فان قالوا لا ، قلنا فقد ظلمتم أهل النهروان وألزمتموهم المروق بامر لا يمرق به غيرهم !! فان قلتم ليس ذلك من قبل ذلك ولكن أهل النهروان بايعوا علياً وأعطوه العهد والميثاق على أمر كانوا معه فيه ، ثم نقضوا وغيروا وبدلوا ونكثوا وكان نقض ذلك الأمر والعهد ونكثه وتبديله هو المروق من الدين والخروج من الأمة . قلنا لهم أفلا ترون أنكم عماة ضلال لا تعرفون المعروف بوجهه ولا المنكر بوجهه ، أهل تحريف وزيغ وخطأ إذ تزعمون أن أهل النهروان أحدثوا وغيروا ونكثوا ونقضوا وبدلوا ، وهم لم يحدثوا بدعة غير ما كانوا عليه من حرب فئة باغية ودعوا علياً إلى ما كانوا عليه من حرب الفئة الباغية فأبى فخلعوه . وعلي خلع نفسه ونقض أمره الذى كان عليه ونكث بيعته التى كان عليها وشرطه الذى شرطوه عليه يوم قتل عثمان ، إذ بايعوه على طاعة الله وطاعة رسوله وأن يحيي ما أمات عثمان من السنة ويميت ما أحيا عثمان من البدعة حتى تفنى على ذلك روحه أو يظهر دين الله ، فقاتل علي على تلك البيعة طلحة والزبير وابن عامر وعائشة وعبيد الله بن عمر ومعاوية ومن اتبعهم وقتل من قتل منهم .

ثم دعا أصحابه إلى حكم عمرو بن العاص فيما قاتله عليه بعد قتاله إياه أربع سنين أو ما شاء الله ، لقوله تعالى : (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله)(١) فحكم عمرو بن العاص على منزلته التى كان عليها قاتله ولم يتب ، ولم يتحول ولم يرجع ولم يعرف ما أنكر من المعروف ، ولم ينكر ما عرف

(١) سورة الحجرات : آية ٩ .

ليس كما قالت العماة الضلال إن النجاة باتباع الجماعة والكثرة حيث دارت من الطاعة والمعصية وإن المارقين عندهم أهل النهروان(١) . قلنا من أين زعمتم وعرفتم ذلك وأنهم هم المارقون ؟ فإن قالوا لتركهم ولاية أهل الاحداث . قلنا لهم المارق من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من ترك سنته وخرج من جماعته ولم يمتثل اما أمره وينزجر عن نواهيه ولم يتبع سبيله ، فهو مارق خارج من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فإن قالوا المارق لا يكون إلا من خرج من طاعة على بن أبى طالب ولم يتبعه على حدثه ، قلنا فقد خرج عن طاعة على قبل أهل النهر وأبو بكر وعمر وعثمان قبل حدثه ، وأهل الشورى إذ تركوه ولم يروه أهلا للأمر وولوا الأمر دونه ولم يروه لذلك أهلا واتبعهم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان على ذلك ، أفتقولون هؤلاء مراق من دين الله خارجون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟! فإن قالوا نعم قلنا كذبتم هؤلاء أهل الدين والفضل وأهل الألفة والجماعة والسلف الصالح والأمر الذى مضى عليه نبيهم وهو الأمر الذى من كان عليه كان على دين الله وجماعة الإسلام ، والخارج من الأمر الذى مضوا عليه مارق وخارج من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومارق من دين الله .

فإن قلتم ليس هؤلاء بأولئك ، قلنا صدقتم وظلمتم أهل النهروان إذ تلزمونهم المروق والخروج من أمر لا يمرق به ولا يخرج به غيرهم ، فان قلتم ليس ذلك من قبل ذلك ولكن أهل النهروان فارقوا علياً وفارقوا جماعته . قلنا قد خلع علياً وفارقه قبل أهل النهروان سعد بن أبى وقاص ، وعبد الله ابن عمر ومن اتبعهم على ذلك من المهاجرين والأنصار ، والذين كفوا عن قتال عثمان وعن نصرته وقالوا أوتى إليه أكثر مما أتى ولا ندرى قاتله أولى بالعذر أو ناصره ، فلم يجامعوا علياً فى بيعته وفارقوه ولم يقوموا معه بالذى قام ، ولم يعترفوا له بذلك القيام والفضل والقدر ، أفمراق هؤلاء من دين الله خارجين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟! فإن قالوا لا ، قلنا قد ظلمتم أهل النهروان

---

(١) كتب فى المخطوطة « أهل النهر » والنهر والنهروان ، واحد .

والزمتموهم المروق بأمر [٢٢٤] لم يمرق به غيرهم ، وإن قالوا ليس من قبل ذلك ولكن أهل النهروان خلعوا علياً وقاتلوه ، قلنا فقد خلعه قبلهم وقاتله قبلهم طلحة بن الزبير وعبد الله بن عامر وعمرو بن العاص وعائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اتبعهم ، وقاتله وخلعه معاوية بن أبي سفيان وعبيد الله بن عمر وعمرو بن العاص وجماعة أهل الشام . أفراق هؤلاء من دين الله خارجين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فان قالوا لا ، قلنا فقد ظلمتم أهل النهروان وألزمتموهم المروق بامر لا يمرق به غيرهم !! فان قلتم ليس ذلك من قبل ذلك ولكن أهل النهروان بايعوا علياً وأعطوه العهد والميثاق على أمر كانوا معه فيه ، ثم نقضوا وغيروا وبدلوا ونكثوا وكان نقض ذلك الأمر والعهد ونكثه وتبديله هو المروق من الدين والخروج من الأمة . قلنا لهم أفلا ترون أنكم عماة ضلال لا تعرفون المعروف بوجهه ولا المنكر بوجهه ، أهل تحريف وزيغ وخطأ إذ تزعمون أن أهل النهروان أحدثوا وغيروا ونكثوا ونقضوا وبدلوا ، وهم لم يحدثوا بدعة غير ما كانوا عليه من حرب فئة باغية ودعوا علياً إلى ما كانوا عليه من حرب الفئة الباغية فأبى فخلعوه . وعليّ خلع نفسه ونقض أمره الذى كان عليه ونكث بيعته التى كان عليها وشرطه الذى شرطوه عليه يوم قتل عثمان ، إذ بايعوه على طاعة الله وطاعة رسوله وأن يحيي ما أمات عثمان من السنة ويميت ما أحيا عثمان من البدعة حتى تفئ على ذلك روحه أو يظهر دين الله ، فقاتل عليّ على تلك البيعة طلحة والزبير وابن عامر وعائشة وعبيد الله بن عمر ومعاوية ومن اتبعهم وقتل من قتل منهم .

ثم دعا أصحابه إلى حكم عمرو بن العاص فيما قاتله عليه بعد قتاله إياه أربع سنين أو ما شاء الله ، لقوله تعالى : (فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله)(١) فحكم عمرو بن العاص على منزلته التى كان عليها قاتله ولم يتب ، ولم يتحول ولم يرجع ولم يعرف ما أنكر من المعروف ، ولم ينكر ما عرف

(١) سورة الحجرات : آية ٩ .

من المنكر، فجعله حكماً وأعطاه على حكمه العهد والميثاق. ودعا أهل النهروان أن يعطوه على ذلك فأبوا، ودعوا إلى تمام ما كان عليه أمرهم ودعوتهم وبيعتهم، استحلوا حلاله وحرموا حرامه وينفذون الأمر على ما بايعوه عليه، وقاتلوا به عدوهم، فأبى أن يرجع عما أحدث من بدعته، ونقض أمره الأول الذى بايعهم عليه، وقاتلهم لا ينظر منهم حدثاً ولا ذنباً ولا تغييراً ولا تبديلا إلا ردهم إياه عن حكم عمرو بن العاص، وأن يوفى بما عاهدهم عليه من القيام بطاعة الله. أفلا يبصرون أى الفريقين ترك ما عاهد عليه صاحبه ونكث عهده [٢٢٥] وميثاقه وبدل سنته وسيرته وغير صفقته وبيعته!! وإن تكن طاعة على هي الجماعة والألفة، من تركها مرق من الدين، لقد ترك ذلك قبل أهل النهروان أبو بكر وعمر وعثمان قبل حدثه، ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد ومن اتبعهم على ذلك من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. وتركها بعد ذلك قبل أهل النهروان سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر وعثمان قبل حدثه، ومحمد ابن مسلمة وأسامة بن زيد ومن اتبعهم على ذلك من المهاجرين والأنصار، إذ اعتزلوه ولم يجامعوه على ما قام به ولم يعرفوا فضله. ولو كان خلع على وقتاله مروقاً من الدين لقد خلعه وقاتله قبل أهل النهروان طلحة والزبير وابن عامر وعائشة ومن اتبعهم، وخلعه وقاتله قبل أهل النهروان معاوية ابن أبى سفيان وعبيد الله بن عمر وعمرو بن العاص ومن اتبعهم. ولئن كان من المروق من الأمر الذى كان عليه على وأصحابه لأجل بيعته يوم الدار إلى أن حكم الحكمين، لقد ترك علىّ حكم الله وحكم كتابه والبيعة التى بايع عليها أصحابه والدعوة التى قاتل عليها من قاتل، إذ حكم عمرو بن العاص وهو ثابت على بيعته ولم يتحول ولم ينتقل ولم يتب ولم يعتذر ولم يراجع ولم يحرم ما كان يستحل من دماء المسلمين(١).

---

(١) دفاع عن الحرورية وأهل النهروان ورد على حديث منسوب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وهو « ليخرجن من أمتى أناس يعملون مثل عملى حتى يحتقر الرجل المسلم عمله من أعمالهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرتد حتى يعود من فوقهم وهم شر الخلائق فطوبى لمن قتلهم أو قتلوه ».

ويأخذ هذا الدفاع صفحات كثيرة وخاصة من صفحة ٢٢٠ إلى صفحة ٢٢٥ من المخطوطة.

وقد يعرف أولوا الألباب أنه ان كان عنى بالمروق عامة لكل محدث بدعة أو ضيع حق الله بغلو أو تقصير أو شك أو شهوة أو لهو لغير حق ، مارق من دين الله خارج من دين أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فبالتضييع يوم قتل عثمان أعظم جرماً وأكبر معصية وأحق بالمروق من الدين بما ضيع من حق عثمان وحق نصرته وخذله له ورد الناس عن نصرته ، وإن كان عثمان قتل مظلوماً فهو أعظم وأكبر معصية وأحق بالمروق من الدين من أهل النهروان ، وإن كان يعنى بالمروق من الدين والخروج من الأمة خاصة عنى بها أهل النهر فليعرف أعداء الله العماة أن أهل النهر الذين اتبعوهم بإحسان هم أهل الدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومنهم من مرق من الدين وخرج من الأمة ، نافع بن الأزرق وعطية وداود وأشباههم الذين جاروا بالشهادة والسيرة .

ومما أضلهم الله به وأعمى أبصارهم أن زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إن الشيطان ذئب ابن آدم كذئب الغنم ، لأن الذئب يأتى فيأخذ المنفردة والشاذة والقاصية وانه قال : ألا فالزموا الجماعة والعامة !! وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع : «رحم الله رجلا سمع مقالى هذا فأوعاه قلبه ثم بلغه غيره فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل [٢٢٦] فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يعلو عليهن قلب مسلم : الإخلاص فى العمل ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعتهم ، وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يد الله مع الجماعة فمن أخذ من تحتها يضرب حدود الله» . وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : «من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجع» . وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « من نكث بيعته كأن ستراً بينه وبين الجنة» ، وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول «لا تقاتل أهل صفقتك ولا تبدل سنتك ولا تخرج من أمتك» ، والتارك لها تارك الجماعة ، التى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من نكث بيعته كانت ستراً بينه

وبين الجنة ، والتارك لها تارك الجماعة التي يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قاتل تحت راية عمياء يدعو إلى معصية وينصر بعصبية وجبت له النار ، والتارك لها تارك الجماعة التي يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أشار بسلاح إلى مسلم لعنته الملائكة . فإن قالوا نعم فقد كذبوا لأن الجماعة الأولى كانت الطاعة فيها لله ، ومن طاعة الله رضا أهلها ورضا أهلها من رضا الله منه ، يرضون إذا أطيع الله ويسخطون ما أسخط الله ويسخطون إذا عصى الله ، حلالهم حلال الله وحرامهم حرام الله ، أهل مودة ورحمة ، آخرهم يتبع أولهم وأمر أولهم يصدق أمر آخرهم ، المعروف فيهم معروف يعرفون أهله ويفضلونهم والمنكر فيهم منكر خائف أهله ، إلى هذا يدعون وإليه يجتمعون وعليه يتعاونون.

ويغضبون لله لا يطيعون ولا يتولون ظلمة قريش فيما عصى الله وأطاعهم في معصية الله وتضييع حقه وحدوده إنما رضاهم رضا الله فيما أحبوا أو كرهوا ويرضون إذا أطيع الله ويغضبون إن غضب الله ، لا ما قال أهل الضلال إن طاعة الجبابرة لازمة لهم وإن عصوا الله مستحلين لما حرم الله عليهم من دماء المسلمين وأموالهم ، ومحرمين ما أحل الله من المعروف يخوفون أولياء الله يقتلون ويصلبون ويمثل بهم ويذبحون : اتخذوا أعداء الله أولياء يتقربون بطاعتهم إلى الله في تضييع حدود الله وحقوقه وطاعة من عصى الله ، إلى هذا يدعون وإليه يجتمعون وبه يتعاونون .

فإن قالوا ليس ذلك كذلك فإنما دعوة الجماعة الأولى ومن دعا إليها ، يدعون إلى طاعة الله وأداء حقوقه واتباع مرضاته ، وان جماعة ظلمة قريش ، ومن دعا إليها يدعون إلى معصية الله واتباع سخطه |٢٢٧| فقد صدقوا ذلك الحق. وإنما الحق الذى دعا إليه وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من حق الجماعة ، وحق أئمتها ولزوم طاعتها وجماعتها وما مضت عليه هي الجماعة الأولى ، ومن دعا إليها وتمسك بعصمتها واتبع أثرها وهداها ومنارها ومنهاجها ومعالمها وحدودها ورد ألفة الناس وجماعتهم ودعوتهم إليها .

والسواد الأعظم هى المنفردة والشاذة والقاصية وإن كثروا فهم تاركوا الجماعة مانعوا حق الله وحدوده ، السواد الأعظم هم الذين ذكروا اسم الله واتبعوا من ضيع حدود الله ، والسواد الأعظم هم الذين فارقوا الجماعة التى يقول صلى الله عليه وسلم : ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة واحدة فى الجنة وسائرها فى النار باتباعهم دعوة من ضيع حدود الله وحقوقه . والسواد الأعظم هم الذين خرجوا من الجماعة التى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجع ، والسواد الأعظم هم الذين اتبعوا دعوة من ضيع حقوق الله وحدوده ونكثوا البيعة وبدلوا السنة وخرجوا من الأمة لقوله صلى الله عليه وسلم : لا تقاتل أهل صفقتك ولا تخرج من أمتك ، ولا تبدل سنتك . والسواد الأعظم هم الذين بايعوا على طاعة الله من أطاع الله ، ثم قتلوا من أطاع الله فى طاعة من عصى الله وضيع حقوق الله وحدوده ورجع إلى بيته وترك القيام بالقسط والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ونهى عن القيام بأمر الله وحدوده وضيع حقوق الله وحدوده ، والسواد الأعظم الذين ساروا بسلاحهم إلى المسلمين فلعنتهم الملائكة وباتباع من ضيع حقوق الله وحدوده .

وقد يعرف ذووا الألباب أنه لا حق لمن ضيع حقوق الله وحدوده ونكث بيعته وعهده وترك طاعة الله وسنة نبيه ونقض ميثاقه ، وقد يعلم ذووا الألباب أنه لا ميثاق لمن نقض ميثاق الله وإنما وجب للمسلمين بوفائهم ميثاق الله ومن عصى الله ونقض ميثاقه وعهده فلا طاعة له ولا جماعة ، ولا طاعة لمن عصى الله وفارق الأمر الذى مضى عليه جماعة المسلمين ، والجماعة من أجاب دعوة الله وعمل بطاعته واحيا سنته ولزم المسلمين وتمسك بعدل كتاب الله وأثر نبيه وإن قلوا ، وأما كل من ضيع أوامر الله ونواهيه وإن كثر فهم مثل ياجوج وماجوج . |٢٢٨|

وقد يعرف ذووا الألباب أن لو كانت النجاة والعصمة باتباع الكثرة والجماعة حيث دارت من الطاعة والمعصية ما حمد الله صاحب يس وامرأة

فرعون وأصحاب الأخدود ، وهؤلاء الذين كانوا ينهون عن السوء ، ولا الذين يشرون أنفسهم ويتبعون مرضاة الله ، ولا ذم الله الذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، ولا ذم الله الربانيين والأحبار حيث يقول : (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون)(١) فذمهم الله إذ لم ينهوهم .

وقد يعلم ذووا الألباب أن أبا بكر رحمه الله لما ارتد من ارتد من العرب استشار المسلمين فى قتال من ارتد فأمروه بالاستبقاء والوقوف إلى وقت ، فقال لهم رحمه الله أما أنا فحامل سيفى على عاتقى فمن منعنى عقالا مما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلته حتى أعطيه أو ألحق بالله .

وقد يعلم ذووا الألباب أن من ضيع حقوق الله وحدوده وقتل من أمره بتقوى الله ومراجعة ما ضيع من حقوق الله وحدوده وركب الحرام ، أعظم جرماً وأكبر معصية وأحق بالجهاد ممن منع عقالا .

وقد يعلم ذووا الألباب أن من ترك القيام بالقسط ونهى عن القيام به وأنكر الفضل لمن قام به وانقلب إلى بيته لتضييع حقوق الله وحدوده وذم من قام به ، أعظم جرماً وأكبر معصية وأحق بالجهاد ممن منع عقالا .

وقد يعلم ذووا الألباب أن من اتبع دعوة من ضيع حقوق الله وحدوده وقتل من أمر بتقوى الله ومراجعة ما ضيع من حقوق الله وحدوده وركب الحرام ، أعظم جرماً وأكثر معصية وأحق بالجهاد ممن منع عقالا .

وقد يعلم ذووا الألباب أن من اتبع دعوة من ضيع حقوق الله وحدوده وقتل من أطاع الله ورسوله أعظم جرماً وأكثر معصية وأحق بالجهاد ممن منع عقالا .

وقد يعلم ذووا الألباب أن من ترك القيام بالقسط وترك جماعة الهدى ونهى عن القيام معهم ودعا إلى غيرهم ورد الناس عنهم أعظم جرماً وأكثر معصية وأحق بالجهاد ممن منع عقالا .

---

(١) سورة المائدة : آية ٦٣ .

وقد يعلم ذووا الألباب أن لهم أسوة حسنة فى أبى بكر رضى الله عنه وقتاله أهل الردة والمعصية حتى يسالموا ويرجعوا أو يفيئوا إذ يقول: لو منعونى عقالا مما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه حتى يعطوه.

وقد يعلم ذووا الألباب أن لهم أسوة حسنة فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بدر وغيرهم الذين أنكروا المنكر على عثمان حين |٢٢٩| أحدث الاحداث وفارقوه عليها ولم يجامعوه على حدثه. وقد يعلمون أن أبا ذر رحمه الله نادى باحداث عثمان حتى عرفت وبقى إلى أن مات منفياً. وكذلك ابن مسعود نادى باحداث عثمان فضرب حتى فتق بطنه، وأشباههم كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين أنكروا المنكر على عثمان فى اتباع الهوى وتضييع حقوق الله وحدوده وسنة نبيه وهدى الخليفتين من بعده إلى أن قتلوه على ذلك وهو صاحب الجماعة والصفقة والبيعة. لو كانت الجماعة والصفقة والبيعة تثبت لأحد على تضييع حقوق الله وحدوده لثبتت لعثمان على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من قتل عثمان وأشرك فى دمه أو رضى به هالكاً. وقد يعلمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بدر وغيرهم والتابعين بإحسان قد شاركوا فى دمه ورضوا بقتله ونادوا بإحداثه وقاتلوا من طلب بدمه مع على وطلحة والزبير ومعاوية وغيرهم.

وقد يعلم ذووا الألباب أن لو كانت البيعة والصفقة والجماعة ثبتت لأحد على تضييع حقوق الله وحدوده لكان من أنكر قتل عثمان وقام بنصره أولى بالعذر والحجة والنجاة والعصمة من على، ومن قام معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم.

وقد يعلم ذووا الألباب أن لهم أسوة حسنة فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قتلوا عثمان على ما أحدث من البدع وترك من السنة إذ أبى أن يعدل أو يعتزل، وقد يعلم ذووا الألباب أن لهم أسوة حسنة فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لزموا الأمر الذين فارقوا عليه نبيهم

والخليفتين من بعده، وأبوا أن يتبعوا الجماعة حيث دارت من الطاعة والمعصية بتضييع حقوق الله وحدوده إذ فارقوه ونادوا بإحداثه وتناصروا عليه .

وقد يعلم ذووا الألباب أنه كما لم يثبت لعثمان حق الجماعة والصفقة والبيعة على تضييع حقوق الله وحدوده ، كذلك لا يثبت لأحد من بعده على تعدى أمر الله وتضييع حقوقه وحدوده ، وقد يعلمون أن حذيفة بن اليمانى كان يقول اتبعوا أثرنا فإن أصبتم فقد سبقتم سبقاً ، وإن أخطأتم فقد ضللتم ضلالا بعيداً ، وكان يقول الضلالة كل الضلالة لمن أنكر اليوم ما كان يعرفه قبل اليوم ، وإياكم والركون إلى الهوى فإن دين الله واحد .

وقد يعرف ذووا الألباب أن السواد الأعظم هم ظلمة قريش [٢٣٠] ومن اتبعهم على ظلمهم وهم الذين ضلوا ضلالا بعيداً .

والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، نسأل الله أن يثبتنا على ديننا ويتوفانا مسلمين إنه هو أرحم الراحمين .

تم شرح فرق الصفاتية من الحشوية ...

* * *

الباب الخامس والأربعون

فى ذكر فرق الخوارج وهى الفرق الثالثة من الأربع الفرق

وهم الذين خرجوا عن علي بن أبي طالب لما حكم الحكمين عمرو بن العاص وأبا موسى الأشعرى ، وذلك أنهم عاتبوه ومنعوه واحتجوا عليه فتاب وأظهر لهم توبته فتابعوه بعد التوبة ووازروه وقبلوا منه ، ثم رجع عن قولهم إلى التحكيم بعد التوبة والرجعة ، وذلك أنهم أشاعوا أن علياً رجع عن التحكيم ورأى الحكومة ضلالا والإقامة عليها كفراً ، وإنما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع (١) ويجبي المال وينهض إلى حرب معاوية بالشام . فأتى من أتى إلى علي وقال له : إن معاوية قد وفا لك بما عاهدك عليه وأنت أولى بالوفاء منه فلا ترجع عن قولك وعهدك ويغلبك على رأيك أعاريب بكر ولقيم (٢) ، وقد تحدث الناس عنك أنك رأيت الحكومة ضلالا والإقامة عليها كفراً فامض لما عاهدت عليه فأنت أولى بالوفاء وأحق بالوفاء وحقن الدماء . فحينئذ كاتب معاوية سراً واستمر على الحكومة وخطب الناس وقال إنى لم أتب عن الحكومة ، فمن زعم أنى قد رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فقد ضل ، فخرجت جماعة من المسلمين من عنده وفارقوه وحكموا الله وقالوا : « لا حكم إلا لله » يقضى الحق وهو خير الفاصلين : (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)(٣) .

فخرجوا من عنده ونزلوا أرضاً من أرض الكوفة يقال لها حروراء ، وقد تقدم ذكرهم فى صدر الكتاب ولم يزل أمرهم واحداً وسيرتهم واحدة وولبهم واحداً وعدوهم واحداً ، ووليهم من أطاع الله عز وجل وعمل بالأوامر واتبع سنة نبيه من بعده ، وسار سيرة الخليفتين من بعده ، وعدوهم من عصى الله وخالف أمره ولم يتبع سنة نبيه ولا سار سيرة الخليفتين من بعده ،

---

(١) الكراع : اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

(٢) أعاريب بكر ولقيم : ربما أراد المؤلف « أعاريب بكر وتميم » .

(٣) سورة آل عمران : آية ٨ .

لا يخالف بعضهم بعضاً يطأ الآخر أثر الأول ، ويعرف له الفضل لأن الأول له القدم فى الإسلام ، وأعلم بسنة الرسول عليه السلام ، شهدوا التنزيل ، وفهموا التأويل ، وشاهدوا سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وحربه ومشاهده إلى أن قبضه الله صلى الله عليه وسلم . وهم أول من أنكر المنكر على من عمل به وأول من أبصر الفتنة وعابها على أهلها ، لا يخافون فى الله لومة لائم . قاتلوا أهل الفتنة حتى |٢٣١| مضوا على الهدى رضى الله عنهم وغفر لهم وأدخلهم الجنة عرفها لهم ، فلم يزالوا على ذلك إلى أن فرق عنهم نافع بن الأزرق فشتت كلمتهم وفرق جماعتهم وخالف أمرهم وحاد عن اعتقادهم ، أحدث أموراً خالف فيها المسلمين وأهل الاستقامة فى الدين ، وتتابعت الخوارج وافترقت على ست عشرة فرقة بفرقة أهل الاستقامة وسنشرح اعتقاد كل فرقة وقولها وبالله التوفيق .

الباب السادس والأربعون

فى الفرقة الأولى وهى الوهبية

وهم المنسوبون إلى عبد الله بن وهب الراسبي الأزدى وهو أول إمام عقدوه بعد على بن أبى طالب ، وكذلك الأباضية إمامهم عبد الله بن أباض من تيم اللات ورهط الأحنف بن قيس ، وهما فرقة واحدة وهى الفرقة المحقة وسنذكرها بعد ذكر الفرق ، إن شاء الله .

الفرقة الثانية الأزرقية : إمامهم أبو راشد نافع بن الأرزق وهو أول من خالف اعتقاد أهل الاستقامة وشق عصى المسلمين وفرق جماعتهم ؛ وانتحل الهجرة وسبى أهل القبلة وغنم أموالهم وسبى ذراريهم وسن تشريك أهل القبلة وتبرأ من القاعد ولو كان عارفاً لأمره تابعاً لمذهبه ، واستحل أعراض الناس بالسيف ، وابتدع اعتقادات فاسدة ، وانتحل الهجرة وحرم مناكحتهم وذبائحهم وموارثهم ، وابتدع اعتقادات فاسدة وآراء حائدة خالف فيه المسلمين أهل الاستقامة فى الدين . وخرج من البصرة إلى الأهواز فغلب عليها وعلى من ولاها من بلاد فارس وكرمان وسجستان ومكران ، وتابعه عطية بن أسود الحنفى ، وعبيد الله بن ماجون ، وعمر بن عمير العنبرى ؛ وقطرى بن الفجاءة المازنى ، وعبد الله بن هلال اليشكرى ، وصخر التيمى ؛ وكانت خيله ثلاثين ألفاً ، وخاف أهل البصرة على أنفسهم وعجزوا عن حرب الخوارج ، فاستجاروا بالمهلب بن أبى صفرة الأزدى العمانى ، فخرج إلى حرب الأزارقة وانتصف منهم وقتلهم واستولى على جميع ولايتهم .

وجميع أصناف الخوارج غير أهل الاستقامة اجتمعوا على تشريك أهل القبلة وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم ، ومنهم من يستحل قتل السريرة والعلانية واعتراض الناس بالسيف على غير دعوة ، ومنهم من يستحل قتل السريرة وهم مختلفون فيما بينهم يقتل بعضهم بعضاً ويغنم بعضهم مال بعض ويبرأ بعضهم من بعض ، وانتحلوا الهجرة وحرموا موارثهم ومناكحتهم وأكل ذبائحهم .

الباب السابع والأربعون

في نقض ما اعتلوا به

أما انتحالهم الهجرة فكذب [٢٣٢] على الله ورسوله وتحريف لتأويل القرآن وخلاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح : «لا هجرة بعد اليوم». أو قال بعد الفتح « إنما هو جهاد ونية » . وبلغنا أن سهيل بن عمرو وصفوان ابن أمية وعكرمة بن أبي جهل قدموا إلى المدينة بعد الفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لصفوان بن أمية: ما جاءبكم يا أبا وهب ؟ قال جئنا مهاجرين لما قيل لنا إنه لا يدخل الجنة إلا مهاجر إلى المدينة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أقسمت عليكم لما رجعتم إلى بطاح مكة. لا هجرة بعد الفتح » . وبلغنا أن العباس بن عبد المطلب رحمه الله أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: يا رسول الله بايع فلاناً على الهجرة، فقال صلى الله عليه وسلم : لا هجرة بعد الفتح، فقال أقسمت يا رسول الله لما بايعته على الهجرة!! فمسح النبي صلى الله عليه وسلم على كفه وقال: أبررت قسم عمي ولا هجرة بعد الفتح . وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم طلب إليه رجل أن يبايعه على الهجرة وهو يومئذ بمكة في غزوة الفتح فقال لا هجرة بعد الفتح : فهذا ما يدل على خطأ الخوارج . وأما نقض ما احتجوا به من تشريك أهل القبلة واستعراضهم بالسيف ، فإن الله سبحانه وتعالى حكم في أهل القبلة خلاف ما حكم في المشركين ، وأنه لم يحكم في أهل البغي السبي والغنيمة ، وإنما حكم فيهم بدمائهم وأحلها ولم يحل منهم غير دمائهم . ولما قتل المسلمون عثمان بن عفان لم يستحلوا منه غير دمه ولم يسبوا عيالا ولا غنموا مالا ، فإن احتج محتج منهم بسبي أهل دبا(١) وأن حذيفة سباهم(٢) وكان والياً

---

(١) توجد « دبا » الآن في الفجيرة إحدى الإمارات العربية المتحدة . وبها مقابر يقال إنها للصحابة وأهل الردة .

(٢) يذكر بعض المؤرخين القدامى أن الأزد في عمان ارتدت بعد وفاة الرسول عليه =

لأبى بكر رضى الله عنه على دبا . الجواب: قيل له إن حذيفة سباهم بأمره وغلطه ما سباهم بأمر أبى بكر رضى الله عنه .

ولما وصل بهم إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد موت أبى بكر رضى الله عنه غلظ له عمر فى القول وخطأه فى فعله وزجره ورد السبى إلى مساكنهم وبلادهم ، ولو كان السبى جائزاً ما رده عمر بن الخطاب ولا جاز له أن يضيع حق الله!! وذكر لنا أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لحذيفة: لو أعلم أنك سبيتهم بدين منك لقطعتك طوائف، ونفذت إلى كل مصر منك بطائفة .

وأما تشريكهم أهل القبلة وتحريم مناكحتهم وموارثتهم فإن المسلمين رحمهم الله بعد قتل عثمان بن عفان بثلاثين سنة أو ما شاء الله من ذلك أمرهم واحد وكلمتهم جامعة وسيرتهم مرضية |٢٣٣| لا ينقمون على قومهم إلا ما أحدثوا من الجور، ولا يعيبون عليهم شيئاً ما تمسكوا بالعدل يناكحونهم ويوارثونهم ويصلون معهم ويحجون معهم ولا يستحلون صدهم عن المسجد الحرام ولا أكل هديهم حتى يبلغ الهدى محله ، يأكلون ذبائحهم ويؤدون إليهم الأمانات ، ويصلون أرحامهم ويجامعونهم على ما تمسكوا به من العدل ، ويعلمون أن الله لا يقبل منهم شيئاً من احداثهم حتى يعلموا بحكم كتاب الله

= الصلاة والسلام ، وعليها لقيط بن مالك ذو التاج الأزدى وانحازت إلى دبا ، فوجه أبو بكر الصديق رضى الله عنه إليهم حذيفة بن محض الغلفانى (أو حذيفة بن محصن البارقى) من الأزد وعكرمة بن أبى جهل بن هشام المخزومى ، أو عرفجة البارقى ، فواقعا لقيطاً ومن معه فقتلاه ، وسبيا من أهل دبا سبياً بعثا به إلى أبى بكر رحمه الله . أما الرواة العمانيون فهم ينفون حركة الردة نفياً قاطعاً ويعلقون على ما ذكره بعض المؤرخين عن ردة عمان بأنها لم تكن حركة ردة ، وإنما كانت المسألة بسبب خلاف فى حول زكاة إحدى النساء فى دبا ، وخاف حذيفة بن محصن الغلفانى أن يكون القوم قد ارتدوا فأغار عليهم وسبى أهل دبا بحق وبغير حق . وذهب وفد من أهل عمان إلى المدينة للكلام مع أبى بكر فى هذه المسألة، وصادف قدومهم وفاة أبى بكر وتولية عمر بن الخطاب الخلافة ، فأمر برد سبى دبا بعد أن عنف حذيفة تعنيفاً شديد .(أنظر البلاذرى : فتوح البلدان ص ٨٢ — ٨٤ ، والطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ٢٦١ — ٢٦٢ ؛ السالمى : تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان ، ج ١ ، ص ٥١ — ٥٧) .

وسنة نبيه ويستكملوا جميع حق الله ويفيئوا إلى أمر الله ، ويعرفون أنه ليس هم بمنزلة حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الأوثان ، لأنهم لو كانوا يرونهم بتلك المنزلة ما ناكحوهم ولا وارثوهم .

ومما أضلهم الله به وأعمى أبصارهم أنهم أنزلوا أهل القبلة بمنزلة حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الشرك وأهل الأوثان ، وبرئوا من القاعد ولو كان عارفاً لأمرهم ودينهم حتى يكون فى عسكرهم ، واستحلوا استعراض الناس كلهم وأخذ أموالهم وسبي ذراريهم ، ولم يقبلوا من الناس ما قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتلوا الطالب لدينه الراغب فيه . ولعمرى إنهم لو كانوا على الهدى لم يقتلوا الطالب إليهم أن يعرفوه أمر دينه ، والله سبحانه وتعالى يقول : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقال سبحانه : (وجادلهم بالتى هى أحسن)(١) ، ولم يأمره أن يتعنت من أتاه يطلب إليه الهدى . وقال فى آية أخرى : (يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم)(٢) ، (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين)(٣) .

ومما أضلهم الله به وأعمى أبصارهم أنهم يشهدون على أنفسهم أن الله لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلا ، وأنهم مشركون ما لم يخرجوا ، وأنهم إذا خرجوا استعرضوا الناس بالسيف(٤) ، واستحلوا منهم ما حرم الله عليهم من الدماء والأموال والفروج ، وأن يستحلوا من أوليائهم المقيمين ما استحلوا من الناس ويتأولون لذلك قول الله تعالى : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون *

---

(١) سورة النحل : آية ١٢٥ .

(٢) سورة الجمعة : آية ١ .

(٣) سورة الجمعة : آية ٢ .

(٤) استعراض الناس بالسيف : قتلهم ، ولم يسأل عن حال أحد .

إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم)(١) تأولوا هذه الآية على غير تأويلها ووضعوها في غير موضعها .

ومن عمائهم وضلالتهم والتباس أمرهم عليهم أنهم يأتيهم الطالب [٢٣٤] لدينهم والراغب فيه فيقول لهم إنى كنت مشركاً وإنه بلغني عنك أنك صاحب هدى وبصيرة ، فبين لى أمرك وعلمني دينك ، ومما علمك الله وهداك به فيقص عليه أمره فيدعوه إلى الإسلام بزعمهم . فإذا تابعه الرجل وأقر له بما دعاه إليه ودخل فيه ، قال إنى منكم أتيتكم مشركاً وأنتم دعوتمونى إلى الإسلام والهدى ، وقد أقررت بما دعوتمونى إليه وعرفت أنه الحق فكيف أنا عندك حين أقررت لك بهذا وبرئت من دينى ومما كنت عليه ، فيقول له أنت مشرك ، فما نجا هذا الشقى من الشرك وتحول بزعمه من الشرك إلى الشرك.

ومن ضلالتهم وسوء نظرهم فى الأمور ، يزعمون أن بعض من هو معهم مقر بدينهم فى دار قومهم التى يزعمون أنها دار شرك ، كان مشركاً ودارهم التى هم فيها دار الإسلام . ومن كان معهم فى دارهم يعمل بما حرمه الله من سفك الدماء والزنا وأكل الربا وأكل أموال الناس بالباطل ، ولم يزل على ذلك حتى حضرته الوفاة أنه من أهل الجنان ، والله سبحانه وتعالى يقول فى محكم الكتاب : (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً)(٢) .

ومن ضلالتهم وكفرهم فالرجم لا يرونه من حق الله تعالى وعطلوا الحدود ، فترك ابن الأزرق وأتباعه كتاب الله وسنة نبيه ، وخالفوا سيرة المسلمين قبلهم ، فعرف المسلمون سيرتهم وبدعتهم وضلالتهم .

الفرقة الثالثة النجدية : وهم أصحاب نجدة بن عامر الحنفى ، ثم إن نجدة ومن معه خرجوا مفارقين لنافع بن الأزرق ينقمون عليه بدعته وضلالته

---

(١) سورة البقرة : الآيتان ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) سورة البقرة : الآيتان ١٧ ، ١٨ .

بزعمهم ، طالبين المسير إلى البحرين فخرجت إليهم طائفة من المسلمين ممن كان بالبصرة فيما بلغنا ، فلما أتوه وناظروه وبحثوا عما هو عليه وجدوه مخالفاً لهم ، قد انتحل أموراً لم يأذن الله بها ولم يرها المسلمون . وقد كانوا يظنون أنه موافق لهم قد ابتدع أموراً شرعها له الشيطان وزينها له ، اتبع ابن الأزرق فى بعض أموره ، وخالفه فى أمور أخرى ، فابتدع أموراً لم يكن ابن الأزرق وأتباعه عملوا بها ، انتحل الهجرة وبرىء ممن لا يتبع دينه ويعرفه من أهل القبلة ، وجعلهم بمنزلة حرب نبي الله من أهل الأوثان ، واستحل منهم استعراضهم بالسيف وسبي ذراريهم ، [٢٣٥] وغنيمة أموالهم وهو فى ذلك يتولى القاعد من أهل دينه وهو مقيم بين أظهر قومه ، مخالف فى هذه السيرة ابن الأزرق وأتباعه فى بعض ما اعتل به نجدة . يقال لهم لو أن الهجرة كانت حقاً عليهم لكان ابن الأزرق وأتباعه على ضلالتهم وجورهم أصوب منه قولا . لأن ابن الأزرق وأتباعه انتحلوا الهجرة من دون قومهم . وأنزلوا المقيم فيها كافراً وبرئوا منه ولو كان عارفاً لأمورهم حتى يهاجر .

والكل ضال مضل حائر عن السبيل فانتحل نجدة الهجرة والإسلام ، فزعم أن المهاجرين لهم حقوق المسلمين وأن الذين تابعوهم على الإسلام وقبلوا منهم أنهم منافقون ليس بزعمهم لهم حقوق المهاجرين ، وهم فى ذلك عندهم حرام دماؤهم وأموالهم . وقد قال الله لنبيه خلافاً لقولهم وهو قوله عز من قائل : (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين)(١) وإن يكونوا مسلمين فليسوا بمنافقين فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، وإن يكونوا منافقين بين نفاقهم وهو قاهر لهم فحلال إذاً دماؤهم لأن الله سبحانه وتعالى يقول : (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا * ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا * سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا)(٢) .

---

(١) سورة التوبة : آية ١١ .

(٢) سورة الأحزاب : الآيات ٦٠ – ٦٢ .

وانتهوا فلم يظهر نفاقهم من بعد ذلك . فإن كان الذين بايعوا نجدة منافقين وكان عارفاً لنفاقهم فقد كفر بتركه الإنكار عليهم بعد قول الله فى المنافقين ، وإن كانوا مسلمين مؤمنين فقد هلك حيث أنزلهم منزلة أهل النفاق .

ومن ضلالتهم وزعمهم أنه لا يصلى عليهم إذا ماتوا وهذا قول مختلف ، ولم يزل عدو الله نجدة يبتدع الجور حتى نقم(١) عليه أصحابه فقتلوه ثم تفرقوا فيما بينهم .

ومن ضلالته أنه بعث جيشاً مع ابنه إلى البحرين فوقع بأهل القطيف فقتل فيهم وسبي نساءهم وقومهن على أنفسهم فنكحوهن قبل القسمة وأكلوا من الغنيمة ، فلما رجعوا إلى نجدة وأخبروه بذلك قال لهم لايسعكم ذلك، قالوا لم نعلم ذلك فعذرهم بجهالتهم فسموا العاذرية . وكان من كبار أصحابه أبوعطية وأبو فديك ففارقاه .

الفرقة الرابعة العطوية : وهم أصحاب عطية بن الأسود ابتدع أموراً لم يبتدعها أحد قبله ولحق بأرض سجستان وقد بين المسلمون جوره وضلالته وله عجائب كثيرة تركتها اختصاراً .

الفرقة الخامسة الأعسمية : أصحاب زياد الأعسم |٢٣٦| ، ثم خرج زياد الأعسم ينقم على الأزارقة والنجدية والعطوية ويلعنهم وفارقهم فى أشياء يزعم أنهم أحدثوها بزعمه ، ثم تابعهم فى أمور أهلكهم الله بها ، منها قوله إن حرب أهل القبلة كحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الأوثان ، وانتحل الهجرة من دار قومهم ، واستحل قتل قومه سراً وعلانية ، يتأول ذلك قول الله تعالى: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)(٢) . واستحل سبيهم وأخذ أموالهم ،وفى ذلك يستحل نكاح قومه وموارثتهم وأكل ذبائحهم ، والمقام بين أظهرهم مع سائر الأمور التى استحلها من قومه ، فخالف فى أمور منها الأزارقة والنجدات والعطوية ، وتابعهم على أعظم ما استحلوا من الجور

---

(١) كتبت فى المخطوطة « نقموا » .

(٢) سورة التوبة : آية ٥ . وكتبت فى المخطوطة سهواً « واقتلوا ».

فتابعه على ذلك من تابعه حتى هلك . ولم يزل الشيطان يزين لهم حتى صيرهم شيعاً متفرقين يقتل بعضهم بعضاً ويستحل بعضهم حرمة بعض ويشهد بعضهم على بعض بالشرك .

الفرقة السادسة الصالحية : وهم أصحاب صالح بن مسبروح استحل من قومه ما استحل منهم ابن الأعسم من القتل والسبي وغنيمة الأموال ، فلم يزل كذلك حتى أهلكه الله تعالى .

ذكر شيء من أخباره : والذى عابوا عليه أنه بعث جيلا من أصحابه فلقوا رجلا فلما رآهم الرجل سل سيفه وامتنع منهم ، وقال لهم إنى رجل مسلم ولا يتقدم على رجل منكم إلا قتلته ، فقالوا له إن كنت صادقاً فشم سيفك واعط بيدك ، ففعل الرجل فبلغنا أنهم أخذوا بيده وانطلقوا به إلى صالح ، فلقيهم رجل من أهل العسكر من قبل أن يدخلوه على صالح ، فقال لهم ما هذا الرجل فقصوا عليه أمره ، فقال لهم ، كما زعموا ، هذا حلال الدم ، وإنما تكلم بما تكلم به مخافة القتل ، فمضى لسبيله وانطلقوا بالرجل حتى أدخلوه على صالح فأخبروه خبره فتلى عليهم هذه الآية : (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)(١) فقبلوا منه ما قال .

ومما نقموا عليه وزعموا ، أنهم كانوا قاتلوا قوماً وأصابوا منهم أموالا وفرسا فلما أن دخلوا بما أصابوا إلى صالح أمرهم ببيع ما عندهم ويقسمونه ، وقال لهم اقترعوا فأيكم أصابته القرعة كان له الفرس ، فبرىء شبيب وقومه من أصحابه من صالح وقالوا إن الله نهى عن الاستقسام بالأزلام(٢) ، وإن صالحاً أمرنا به بعد نهى الله عنه فبرئوا من صالح ، ثم اختلفوا فصاروا فريقين فريقاً اتبعوا بيهس وفريقاً اتبعوا صالحاً .

الفرقة السابعة البيهسية : أصحاب أبى بيهس الهيضم بن جابر وهو أحد بنى سعد بن ضبيعة ، وكان فى زمان الحجاج بن يوسف ، وكان الحجاج

---

(١) سورة التوبة : آية ٥ .

(٢) الزلم : هو القدح ، والجمع أزلام . والقداح هى السهام التى كان الجاهليون يستقسمون بها أى يستشيرونها فيما ينوون القيام به من سفر أو تجارة أو نحو ذلك .

طلبه في زمان الوليد ، ففر إلى المدينة ثم طلبه عثمان بن جبار المزني ٢٣٧ فلحقه بها وقتله ، ابتدع أشياء لم يبتدعها أحد قبله ، فمنها أنه استحل الهدى قبل محله والله تبارك وتعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضواناً)(١) . ولم يزل بهم الشيطان حتى استحلوا نكاح المجوس ما لم يستحله أحد ممن مضى . واستحل كل ذى مخلب من الطير وناب من السباع متأولا قوله تعالى : (قل لا أجد فيما أوحى إلى محرّماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً او لحم خنزير)(٢) .

ومن عجائبه قوله إن الإمام إذا كفر كفرت الرعية الشاهد منهم والغائب . ومن قوله إذا واقع الرجل حراماً لم يحكم بكفره حتى يرفع أمره إلى الإمام فيحده ، وكل ما ليس فيه حد فهو مغفور له ، وله مسائل كثيرة تركتها اختصاراً .

ولما قتل وقعت الحروب بين شبيب بن زيد الشيباني الحروري والحجاج ابن يوسف وبنى أمية . واستولى شبيب على الكوفة وما يليها وهزم عسكر بنى أمية وقتل من جيوشهم وعساكرهم أربعة وعشرين أميراً كلهم أمراء بالجيوش غير سائر العساكر ما لا يحصى ، وكان سبب موت شبيب أنه غرق في نهر الأهواز .

الفرقة الثامنة العجردية : وهم أصحاب عبد الكريم بن عجرد وكان من صحاب أبى بيهس ، ثم خالفه وانفرد بقوله تجب البراءة على الطفل حتى يبلغ ويدعى إلى الإسلام ، ولا يرى المال فيئاً حتى يقتل صاحبه ، ويقول بولاية القعدة إذا عرفوا بالديانة . ويرى الهجرة فضيلة لا فرضاً على قول أهل الاستقامة ، ويكفرون أهل الكبائر كفر نعمة على قول أهل الاستقامة . وينكرون سورة يوسف أنها ليست من القرآن ، ويقولون هى قصة من

---

(١) سورة المائدة : آية ٢ .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٤٥ .

القصص خلافاً لأهل الاستقامة ، لأن أهل الاستقامة يقولون إن القرآن كله كلام الله . ثم افترقت العجاردة أحزاباً ولكل حزب منهم مقالة ومذهب .

الفرقة التاسعة الميمونية : أصحاب ميمون وكان من جملة العجاردة ثم انفرد منهم باثبات القدر خيره وشره من العبد ، وإنكاره سورة يوسف انها ليست من القرآن على قول عبد الكريم بن عجرد ، ومن قوله إن أطفال المشركين والكفار كلهم فى الجنة واحتج بقول النبى صلى الله عليه وسلم . «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» وله مسائل كثيرة تركتها اختصاراً .

الفرقة العاشرة الصفرية : أصحاب زياد بن الأصفر(١) خالف الأزارقة والنجدات فى أمور كثيرة منها أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين فى الدين على قول أهل الاستقامة ، ولم يسقطوا الرجم ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين ، والتقية عندهم فى القول دون العمل على طريق أهل الاستقامة.

٢٣٨| ثم اختلفت الصفرية وانفردت عنهم ناس تسمى الشمراخية وانفردت طائفة أخرى فسموا التغلبية ولكل فرقة قول ومذهب ، تركت اعتلالهم اختصاراً.

الفرقة الحادية عشر الحفصية : أصحاب حفص بن أبى المقدام وكان من قوله إن بين الشرك والإيمان خصلة واحدة وهى معرفة الله تعالى وحده فمن

---

(١) روى الشهرستانى أن زياد بن الأصفر ، إمامهم ، قال : الشرك شركان : شرك هو طاعة الشيطان ، وشرك هو عبادة الأوثان ، والكفر كفران : كفر بالنعمة وكفر بإنكار الربوبية ، والبراءة براءتان : براءة من أهل الحدود (وهم من يرتكبون جريمة السرقة أو جريمة الزنا أو القذف ...) وهى سنة ، وبراءة من أهل الجحود وهى فريضة (الملل والنحل ج ١ ، ص ١٨٤ — ١٨٥ ، طبعة القاهرة ، ٥ أجزاء ، ١٣٢٧ هـ) .

أما البغدادى فقد ذكر أصنافاً ثلاثة من الصفرية ، وقال إنهم يقولون جميعاً بموالاة عبد الله بن وهب الراسبى ، وحرقوص بن زهير وأتباعهما من المحكمة الأولين ، ويقولون من بعد هؤلاء بإمامة أبى بلال مرداس الخارجى الذى خرج أيام يزيد بن معاوية ، ثم إمامة عمران بن حطان الذى رثى بلالا لما صلب (انظر البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٧٠ — ٧٢ ، طبعة مطبعة المعارف بالقاهرة ، ١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م) .

عرفه ثم كفر بما سواه من رسول أو كتاب أو قيامة أو جنة أو نار ، أو ارتكب الكبائر من الزنا والسرقة وشرب الخمر فهو كافر لكنه برىء من الشرك وله مسائل كثيرة تركتها اختصاراً .

الفرقة الثانية عشر الثعلبية : أصحاب ثعلبة وكان من أصحاب عبد الكريم ابن عجرد يد واحدة وقولهما واحد إلى أن اختلفا فى الطفل فقال ثعلبة أنا على ولايتهم صغاراً وكباراً حتى أرى منهم إنكار الحق ورضا الجور فحينئذ أبرأ منهم . ويوجد عنه أنه كان يرى أخذ الزكاة من العبيد إذا استغنوا واعطاهم إياها إذا افتقروا .

الفرقة الثالثة عشر الأخنسية : أصحاب الأخنس بن قيس وكان من جملة الثعالبة ثم انفرد عنهم بقوله ، يوقف فى البراءة عن جميع من كان فى دار التقية من أهل القبلة إلا من عرف منه الإيمان ، فأتولاه عليه أو كفر فأبرأ منه ، وجوز تزويج سباء أهل الكبار من قومه ، وحرم الاغتيال والقتل والسرقة وابتداء أحد من أهل القبلة بالقتال حتى يدعى إلى الدين ، فإن امتنع قوتل على أصول أهل الاستقامة إلا أنه خالفهم فى السباء والغنيمة من أهل القبلة على مذهب الخوارج .

الفرقة الرابعة عشر الحازمية : أصحاب حازم بن على وفى بعض النسخ الحازمية نسبوا إلى شعيب بن حازم . وكان من اعتقاده أن الله سبحانه وتعالى خالق أعمال العباد كلها خيرها وشرها على مذهب أهل الاستقامة ، وقوله إن الله تبارك وتعالى يتولى العباد على ما علم أنهم صائرون إليه فى آخر أمرهم من الأعمال ويبرأ منهم على ما علم أنهم صائرون إليه فى آخر أمرهم إلى الكفر ، لأنه سبحانه وتعالى لم يزل محباً لأوليائه مبغضاً لأعدائه . ومن اعتقاده وقوله التوقف فى أمر على بن أبى طالب ولا يصرح بالبراءة منه ، ويعتقد اعتقاد الخوارج فى السباء والغنيمة وغير ذلك .

الفرقة الخامسة عشر الخلفية : أصحاب خلف الخارجى وأكثر أصحابه بكرمان ومكران ، وكان من اعتقاده فى القدر خيره وشره من الله على مذهب

أهل الاستقامة ، ثم خالفهم فقال لو عذب الله العباد على أفعال قدرها عليهم أو على ما يفعلونه كان ظالماً لهم تعالى الله عن قوله!! ومن اعتقاده أن أطفال المشركين فى النار ، وله اعتقادات |٢٣٩| كثيرة تركتها اختصاراً .

الفرقة السادسة عشر السعدية : أصحاب سعيد بن محمد وكان مع ميمون من جملة العجاردة إلا أنه برىء منه حين أظهر القول بالقدر ، ومن اعتقاده أن الله سبحانه وتعالى خالق أعمال العباد والعبد مكتسب لها على قول أهل الاستقامة ، وقوله إن العبد مسئول عن خيرها وشرها مجازى عليها ثواباً أو عقاباً ، وهو على مذهب الخوارج فى الإمامة والسباء والغنيمة وغيرها .

تمت فرق الخوارج ...

الباب الثامن والأربعون

فى ذكر الفرقة الرابعة تمام الأربع الفرق وهم الشيع

وهم الذين شايعوا على بن أبى طالب على الخصوص بامامته ، وزعموا أنها نص ووصاية وتعيين ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن أخذت فبظلم ممن أخذها منهم ، وقالوا إن الإمامة ركن من أركان الدين لا يجوز للنبى صلى الله عليه وسلم إغفاله ولا إهماله ، وأنه نص على علىّ وذريته وعينهم ، وأنهم معصومون من الصغائر والكبائر .

ومن قولهم إن علياً أول الناس إسلاماً وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر إليه أشياء من أمر الدين والوحى دون الناس . الحجة عليهم من أهل الاستقامة قال أهل الاستقامة إن هذا افتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حاشاه أن يرسل إلى الناس كافة فيسر إلى على فى أمر الدين ويتركهم ودينهم فى عمى من أمرهم ، وهذا كذب وافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تبارك وتعالى يقول : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)(١).
ومن قولهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف علياً على أمته من بعده ، وإن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما غلباه عليها والأمة صارت يوم بويع أبو بكر أهل ردة كفاراً مشركين إلا أربعة رهط ، على بن أبى طالب والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسى وأبو ذر الغفارى ، ثم تاب عمار بن ياسر بزعمهم فى زمان عثمان بن عفان وقالوا مؤمن نسأ وقالوا تاب حذيفة بن اليمان وعبد الله ابن مسعود .

وقالوا إن أبا بكر وعمر أخذا فدك من آل محمد وكانت مما أفاء الله على رسوله ، وقالوا إنهما ضربا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ألقت الجنين من بطنها وقالوا إن أبا بكر خالف سيرة نبى الله صلى الله عليه وسلم لأن نبى الله بزعمهم لم يستخلف أحداً ، وأبو بكر استخلف عمر بن الخطاب ،

---

(١) سورة المائدة : آية ٦٧ وكتب فى المخطوطة سهواً « ما أنزل الله إليك » .

وكذلك عمر خالف سيرة النبي وسيرة أبي بكر واستخلف |٢٤٠| أهل الشورى ولم يتركهم كما تركهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر وجعلها شورى ،وقالوا إنه منع الناس من متعة الحج ومتعة النكاح . وقالوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد على بن أبي طالب على غدير خم فقال : «من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » وقالوا أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجعله علماً ليتبع عند الاختلاف ، وتأولوا فى طاعة على وأهل بيته : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)(١) قالوا هو علىّ وأهل بيته من بعده هم ولاة الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم ، فليس لأحد من الناس أن يرد عليهم شيئاً مما جاءوا به ، وأوجبوا على الناس التسليم لهم فيما عرفوا وفيما لم يعرفوا . وقالوا سد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأبواب الشارعة فى المسجد إلا باب علىّ . وقالوا إن الله تبارك وتعالى أمر الناس جميعاً أن يسلموا لعلى ؛ وزعموا أن الله أنزل فى ذلك قوله عز من قائل : (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة)(٢) وقالوا أنزل فيه : (إنما وليكم الله ورسوله) إلى قوله : (وهم راكعون)(٣) . قالوا فهو على ، وقالوا أنزل فيه : (قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب) (٤) وقالوا هو علىّ . وقالوا أنزل فيه وفى ولده : (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به)(٥). وقالوا علىّ وأهل بيته بمنزلة سفينة نوح من ركبها نجا ومن لم يركبها غرق . وقالوا علىّ قسم الناس يوم القيامة يقول للنار هذا لك وهذا إلى فيدخل أعداؤه النار ويدخل شيعته الجنة ، وقالوا الموتى يرجعون يوم القيامة فيقتل منهم من كان مات موتاً ، ولهم أقاويل كثيرة تركتها اختصاراً .

---

(١) سورة النساء : آية ٥٩ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٠٨ .

(٣) سورة المائدة : آية ٥٥ .

(٤) سورة الرعد : آية ٤٣ .

(٥) سورة البقرة : آية ١٢١ .

فصل فى الرد عليهم

أما قولهم إن علياً أول الناس إسلاماً فكيف ذلك وهو يومئذ ابن سبع سنين لا يكتب له خير ولا يكتب عليه شر ، بل هو طفل ملحق بأبيه وذلك أن كل من لم يبلغ الحلم فلا يقع عليه أمر ولا نهى ورسول الله صلى الله عليه وسلم مستخف بأمره من قومه فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبدأ بصبى ابن سبع سنين فيضع سره عنده ، بل كان أول الناس إسلاماً أبو بكر الصديق رضى الله عنه كما جاء فى الحديث عن ابن عباس رحمه الله قال ، إن أبا بكر رضى الله عنه تلقاه بالبشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم من بحيرى الراهب وصدقه بذلك أبو بكر رضى الله [٢٤١] عنه ولذلك سمى الصديق :

وفى حديث محمد بن إسحاق أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذب وقال أبو بكر صدق فما أنتم بتاركى وصاحبى» وفيه يقول حسان بن ثابت الأنصارى شعراً :

إذا تذكرت شجواً من أخى ثقة	فاذكر آخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها	بعد النبى وأولاها بما حملا
الثانى الصادق المحمود سيرته	وأول الناس منهم صدق الرسلا
قد عاش هاد لأمر الله متبعاً	لهدى صاحبه يقفوا وما انتقلا

وقال على بن أبى طالب فيما روى عنه : أسلم أبو بكر وأنا خذعمة ، أقول فلا يسمع قولى فكيف أكون أحق بمقام أبى بكر – الخذعمة الصغيرة والميم زائدة وأصله الخذعة – وأراد علىّ أن أبا بكر أسلم وأنا كالخذعة فى الصغر ولم أبلغ الحلم .

وقالوا إن علياً أتاه الله الحكم صبياً ، كما أتى يحيى بن زكريا عليهما السلام .

الجواب : قلنا لهم كيف يكون بمنزلة يحيى ويحيى طفل وهو نبى ابن نبى وعلى طفل وهو مشرك ابن مشرك ، وذلك أن أطفال الأنبياء فى الولاية بمنزلة الآباء ، وأطفال المشركين فى البراءة حتى يبلغوا الحكلم ويقروا بالإسلام .

وأما قولهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى علياً فهذا هو الكذب الواضح

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى أبا بكر كما جاء فى الحديث عن أبي بكر الهذلي أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال فى مرضه الذى مات فيه «لم يكن نبي قبلي فيموت حتى يتخذ من أمته خليلا وإن خليلى منكم ابن أبى قحافة» . فأما قبل ذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن آخا بين أحد من أمته وحديثه فى أبى بكر رضى الله عنه مشهور ، وانه صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فخطب الناس ثم قال : « ألا انه ليس من أحد من" علينا] بنصيحته وذات يده من ابن أبى قحافة ، ولو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلا لاتخذت ابن أبى قحافة خليلا ، ود إخاء وإيمان» فكيف يكون على هو الذى آخاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضائل أبى بكر أكثر من آن تحصى ، صاحبه فى الغار وثانى اثنين(١) ورفيقه إلى الهجرة وترك علياً ومن سواه بمكة .

وأما أخو على الذى آخى رسول صلى الله الله عليه وسلم . بينهما فهو سهل بن حنيف وذلك أن رسول الله [٢٤٢] صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار بمكة . آخا بين حمزة بن عبد المطلب وبين زيد بن حارثة الكلبي وبين على" وبين سهل بن حنيف ، حدث بذلك عوانه بن الحكم وغيره .

وأما قولهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى أنت وصيي ومنى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي من بعدى ، فإنهم قد أخرجوا علياً من الوصاية فى حديثهم هذا لأن هارون مات قبل موسى ، وإنما كان خليفة موسى يوشع بن نون ، فلو كان كما ذكروا لقالوا منزلتك منى بمنزلة يوشع بن نون من موسى . أما العلة التى ادعوا بها هذه المنزلة أنه لما سار رسول الله صلى الله عليه

---

(١) خرج الرسول عليه الصلاة والسلام مهاجراً إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق واختبأ فى غار بجبل ثور جنوبى مكة وإلى حديث الغار تشير الآية الكريمة فى سورة التوبة : (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) آية ٤٠ .

وسلم إلى تبوك غازياً تخلف المنافقون خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلىّ معهم فظن الناس أنه نافق فأرجفوا بذلك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما خلفتك فى أهلي وأهلك فانطلق فاخلفني ، فلذلك ادعوا أن علياً وصىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما قولهم إنه صلى الله عليه وسلم قال أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، فإن كان قال ذلك صلى الله عليه وسلم ، فانه لم يجعل علياً منه بمنزلة غير منزلة الناس وذلك أنه صلى الله عليه وسلم عزله عن النبوة ولم يكن على أخ النبي كما كان هارون أخ موسى صلى الله عليه وسلم ، فإذا لم يكن على منه بمنزلة هارون فى أخوة النبوة فلم يبق إلا الإسلام والولاية وأخوة الدين الذى يشركه فيه كل مسلم .

وأما قولهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر إليه أشياء كثيرة من أمر الدين والوحى : فهذا كذب منهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ زعموا أنه صلى الله عليه وسلم بلغ علياً من أمر الدين والوحى والإسلام ما لم يبلغ الناس وكتمهم من دينهم ما أعلم علياً به وحده . وقد قال الله تبارك وتعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس)(١) وقال عز وجل : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)(٢) .. الآية ، فلابد لهؤلاء الكاذبين إذ زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر إلى على أشياء بما أوحى إليه من أمر الدين دونهم فقد كذبوا على الله ورسوله ، لأن نبى الله صلى الله عليه وسلم ما أسر إلى علىّ ولا إلى غيره شيئاً مما أوحى إليه دون أحد من الناس ، ولو كتم شيئاً من ذلك لكتم شأن امرأة زيد بن حارثة ، وشأن الأعمى إذ عبس أن جاءه(٣) ، وكتم قوله تعالى : (لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا) إلى قوله :

---

(١) سورة سبأ : آية ٢٨ .

(٢) سورة المائدة : آية ٦٧ .

(٣) سورة عبس : الآيات ١ — ١٦ .

(ثم لا تجد لك علينا نصيراً)(١) ، وكل ذلك كان من |٢٤٣| سريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكتمه فأبداه للناس .

وأما قولهم إن النبي صلى الله عليه وسلم استخلف علياً على أمته وإن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما غلباه عليها وإن الأمة صارت يوم بويع لأبى بكر أهل ردة إلا أربعة ، فإن فى قول على وإقراره لحجة وبينة عليهم . فكذبهم فيما ادعوا من ذلك حديث الحسن البصرى قال ، إن علياً قال : والله لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانى هذا الأمر لقاتلت عليه وما سلمته إلى غيرى ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت فينا فجاءة قد كنا نختلف إليه ويختلف إليه المسلمون والمؤذنون وكان يأمر أبا بكر ليصلى بالناس وهو يرى مكانى حتى أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه إلى غير أبى بكر فغضب صلى الله عليه وسلم ، وقال إنكن لصويحبات يوسف ، فلما قبض صلى الله عليه وسلم ، اختار المسلمون لدينهم ودنياهم من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينهم والصلاة عمود الإسلام وقوام الدين . فهذا ما أقر به علىّ على نفسه وبرىء من الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشهادته لأبى بكر بها مع أخبار كثيرة تؤيد هذا الحديث وأشباهه ، مع أنهم

---

(١) تروى كتب الحديث والتاريخ أن النبى صلى الله عليه وسلم ضايقه إيذاء المشركين من قريش له ولأصحابه فتمنى أن لا يأتيه الوحى بشىء ينفرهم منه . وحدث بعد ذلك أن اجتمع ببعضهم فى مكان حول الكعبة فقرأ عليهم سورة النجم حتى وصل إلى (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) وقرأ بعد هاتين الآيتين « تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لترتجى » ثم أكمل السورة ، وسجد فى آخرها ، وسجد المشركون راضين عن اعتراف النبى عليه الصلاة والسلام بآلهتهم وبفائدة شفاعتها عند الله عز وجل . ولكن النبى عليه الصلاة والسلام عاد إلى مهاجمة المشركين لأن جبريلا أتاه فى المساء فقرأ عليه سورة النجم وسأله جبريل : أوجئتك بهاتين الكلمتين؟ مشيراً إلى « الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لترتجى » فدهش النبى عليه الصلاة والسلام وقال : قلت على الله ما لم يقل ! ! .. ثم أوحى الله إليه : (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذاً لا تخذوك خليلا * ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا * إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) .
سورة الإسراء : آية ٧٣ — ٧٥ .

أرادوا بدعواهم الكاذبةعلى عليٍّ أن ألزموه معصية الله ومعصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بقعوده عن القيام والطلب لما جعله الله له بزعمهم .

قلنا لأعداء الله الكاذبين ما منع علياً حين رأى الناس قد كفروا بربهم وارتدوا عن دينهم أن يبين لهم كفرهم ويدعوهم إلى ما أمرهم به رسول الله بزعمكم فيكون قد عذر إلى الله تعالى وأنفذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فإن قالوا خاف القتل ، قلنا وكيف يخاف القتل وقد زعمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره أنه لا يموت حتى يقتل الناكثين والفاسقين والمارقين ، فما كان يعلم أن لا يستطيع أحد قتله حتى يقتل هذه الفرق بزعمكم!! ألا ترى إلى هؤلاء الكاذبين كيف وصفوه بالجبن فى هذه المنزلة ونسبوه إلى الذل ، فكيف يستقيم لهم أن يصفوه بما كانوا يصفونه من الجرأة الشديدة فى كل حال ثم يزعمون أنه جبن وضيع أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وخالف أمره فيما أوصى إليه وله به أفلا يستحيي هؤلاء الضلال!! وأما حذيفة وادعاؤهم ولايته فإنه قد شهد فى مواطن كثيرة بغير ما قالوا ، إذ قال للناس وهو بالمدائن وهم يذكرون الدجال لأحدثنكم بما هو [٢٤٤أ] أشد عليكم فتنة من الدجال!! قالوا وما هو؟ قال راكب يطلع عليكم يعنى بعد عمر بن الخطاب!! وقال حذيفة أيضاً والله ليأتينكم بعد عمر الأعور الأبتر!! وأما عبد الله بن مسعود وادعاؤهم ولايته فإنه قال ذهب عمر بسبعة عشر جزءاً من العلم!! وقال ولو وزن علم عمر بعلم الناس كلهم لرجح بهم علم عمر ، وقال أيضاً كان عمر للناس حصناً حصيناً وكان يدخل فيه ولا يخرج منه ، فلما مات عمر انهدم الحصن فهو يخرج منه ولا يدخل فيه . ولقد شهد على بغير ما قالوا على المنبر بالكوفة إذ قال خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ، ثم رجل آخر لو شئت سميته . وقال هؤلاء الكاذبون إنما قال أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ولو شئت أن أسمى الثالث سميته يعنى عثمان قالوا إنما قال وعنى أفضل فى السن بعد نبى الله عليه السلام ، وقالوا إنه لو سمى الثالث لما شك أحد فيما يقول ؛

الجواب : قلنا فما منع علياً أن يبين ذلك ؟! فإن قالوا منعته التقية قلنا وكيف

التقية وهو واضع سيفه على عاتقه يقتل من خالفه بكثرة الجموع العظام ويأخذ الأموال ويقسم الفيء ، وقتل طلحة والزبير فى نيف وثلاثين ألفاً ، وقتل من أهل البصرة خاصة أربعة آلاف فى معرك واحد ، وقاتل معاوية وأهل الشام حتى قتل منهم أربعين ألفاً غير من قتل من أصحابه بصفين ، وقتل أربعة آلاف من قراء المسلمين وفقهائهم وخيارهم بالنهروان ، وإلى اليوم يسمون القراء لما خالفوه فى أمر الحكمين ! ! فكيف يكون على مع هذا مستخفياً بدينه وفى تقية من رعيته مع ما ادعوه من قولهم إنه عنى أن أبا بكر وعمر كانا أفضل الناس فى السن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا غير جائز فى الكلام ولا معروف ذلك أن العرب يسمون السن فضلا ، وإنما يكون الفضل فى الدين مع أنهم بدءوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وحاشاه مما قالوا ! !

وأما قولهم إن أبا بكر وعمر منعا آل رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس ، يقال لهم إن الله عز وجل لما قبض نبيه صلى الله عليه وسلم أجمع المسلمون على أن ذلك الخمس شيء جعله الله تعالى لنبيه فى حياته يضعه حيث يشاء من قرابته ، فلما قبض عليه السلام أفاض ذلك المسلمون على بقية السهام ، حدث بذلك محمد بن إسحاق قال . قلت لأبى جعفر كيف صنع على بن أبى طالب فى سهم ذى القربى ؟ قال : سلك فيه طريق أبى بكر وعمر .

وأما قولهم إن أبا بكر أخذ فدك من آل محمد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى حياته « لا أورث ما تركت صدقة » فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتت فاطمة رضى الله |٢٤٥| عنها تلتمس ميراثها من فدك ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إنى لا أورث ما تركت صدقة» وإنى لا أغير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعه ، فانصرفت فاطمة رضى الله عنها وهى مصدقة له وراضية به ، والحديث فى هذا مشهور . وعن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها سمعها تقول أرسل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان إلى أبى بكر يسألنه ثمنهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فأرسل

إليهن : ألا تتقين الله ! ألم تسمعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إنى لا أورث ما تركت صدقة» ! وأتاه على والعباس يختصمان إليه فى بعض ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهما مثل ذلك .

وقد روى مثل هذا الحديث عن ابن عمر وأبى هريرة وعمرو بن الحارث ، فيمن يعيب أبا بكر رضى الله عنه أن أمضى صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يصرف ذلك إلى نفسه ولم يأخذ من مال المسلمين شيئاً إلا قوت نفسه ، ولا قبل من عماله هدية كما قبل على بن أبى طالب من عامل له يقال له شرحبيل جارية اشتراها بثلاثة آلاف وخمسمائة درهم ، وكان لها زوج يقال له شوذب . أو يزعم أحد أن أبا بكر وهو فى أمر الله حكم أعداء الله وأعداء المسلمين من يستحل دماءهم كما فعل على حكم فى دين الله عمرو بن العاص وأبا موسى الأشعرى ! ! أم هل يستطيع أحد أن يزعم أن أبا بكر باع رعيته ودولته ودينه كما باع الحسن بن على الخلافة على معاوية بن أبى سفيان بألفى درهم وأسلمهم إلى عدوهم معاوية ابن أبى سفيان وعمرو بن العاص وأهل الشام ومن دان بدينهم ! ! ومن يعيب أبا بكر الصديق ومن ذا ينقصه إلا عبدة الدجال العماة الجهال البغاة الضلال ، حاشاه من كل عيب حاشاه ! !

وأما قولهم إن أبا بكر وعمر ضربا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ألقت ولداً فإنهما رحمهما الله كانا أرأف بها من أن يفعلا بها ذلك ، وفاطمة رحمة الله عليها كانت أكرم عندهما من ذلك وأعز بالله تعالى وبالمسلمين من أن يفعلا بها ذلك ، ثم لا تجد من يمنعها من ذلك من المسلمين ، وعلى كان أمنع وأعز من أن تضرب زوجته وابنة عمه ثم لا يمنعها من المذلة ! ! ألا ترى إلى ما يقول هؤلاء الضلال ! ! ما تركوا لعلى من العيب والعار والذكر القبيح شيئاً إلا لزموه إياه من حيث لا يعلمون ، زعموا أنه بلغ من ضعفه ومذلته ووهنه أن لا يقدر على منع زوجته . |٢٤٦

وأما قولهم إن أبا بكر خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخلافة

لأنه استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحداً ، وكذلك قولهم فى عمر إنه خالف سنة النبى صلى الله عليه وسلم وسنة أبى بكر ، ولم يترك الناس كما تركهم النبى صلى الله عليه وسلم ولا استخلف كما استخلف أبو بكر وجعلها شورى بين ستة نفر .

الجواب : يقال لهم إن النبى صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر وقلده أمر الناس والصلاة بهم فى حياته فهو أولى بأمرهم بعد موته ، وأبو بكر رضى الله عنه استخلف عمر عند موته برضا المهاجرين والأنصار من . كما رفع الحديث عن الحسن البصرى ان أبا بكر حين حضره الموت قال للمسلمين : إن شئتم اخترتم وإن شئتم اخترت لكم ، فقالوا اختر لنا ، فقال قد اخترت لكم عمر بن الخطاب ، فرضوا بذلك جميعاً . وإنما قلده أبو بكر أمر المسلمين فى حياته فتقلده عمر بعد مماته ، ولما حضر عمر الموت نظر للمسلمين كما نظر أبو بكر لهم لأن عمر لم يجد من يثق به كما وجد النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من وثقا به ، ولذلك قال عمر لو كان سالم حياً لاستخلفته عليكم ولم تخالجنى فيه الشكوك فإن سألنى ربى لم فعلت؟ قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سالم يحب الله بذات نفسه وقلبه ، ولو كان معاذ بن جبل حياً لاستخلفته عليكم ، فان سألنى ربى لم فعلت؟ لقلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن معاذاً يأتى يوم القيامة يقدم العلماء ، ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لاستخلفته عليكم ، فإن سألنى ربى عن ذلك لقلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح . فلما لم يجد عمر من يثق به اختار من الصحابة ستة نفر وأمرهم أن يتشاوروا ثم يأمروا أحدهم ، وكان ذلك نظراً منه للمسلمين كما نظر أبو بكر من قبله . وقد عذرهما الله بذلك أشد العذر وأثنى عليهم أحسن الثناء ، وكان علىّ أحد أصحاب الشورى ، وكيف دخل فى الخطأ والمعصية بزعمكم ولا خلاف للحق كما زعمتم !! وعن أبى بكر الهذلى ان علياً قال لما حضرته الوفاة اختار عمر ستة نفر أنا أحدهم .

فصل

وإذا فرغنا من عذر أبى بكر وعمر فيما صنعا من أمر الخلافة التى عابهم بها الجهال أخذنا فيما صنعت أئمتهم وذلك أن علياً مات ولم يستخلف الحسن كما استخلفه رسول الله صلى الله عليه [٢٤٧] وسلم بزعمهم ، فإن زعموا ان علياً قد استخلفه فكيف يسعه أن يبايع معاوية بن أبى سفيان ويدخل فى طاعته؟ وإن زعموا أنه لم يبايعه كيف يسعه الوثوب على خلافة أبيه ورعايته ثمانية أشهر ، وبعث قيس بن سعد بن عبادة إلى حرب معاوية يقاتله بمشكر قريباً من شهرين.

وأما قولهم إن عمر منع الناس من متعة الحج فإن عمر رحمه الله لم يمنع ولم ينه عن الصواب من ذلك ، وإنما نهى عن الخطأ ، لأنه بلغنا أن عمر بينما هو واقف بعرفة إذ نظر إلى رجل واقف مع الناس يقطر رأسه طيباً فقال له ويحك ألست محرماً ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، قال عمر إن المحرم أشعث أغبر أذفر وأنت رأسك يقطر طيباً !! قال أهللت يا أمير المؤمنين ، أهللت بالعمرة مفردة وسقت الهدى فأحللت من عمرتى ثم أهللت بالحج فرأى عمر تصديقه ونهى عن الخطأ فى ذلك ، وقال من تمتع بالعمرة فى الحج وساق الهدى فلا يحلق حتى ينحر بدنة بمنى ولا يحل ، ولا ينهى عمر عن الصواب وإنما ينهى عن الخطأ فى ذلك ، ومن ساق الهدى وطاف فليجدد الإحرام كلما صلى لأنه كلما طاف بالبيت أحل وكلما صلى ولبى أحرم ، ثم قال عمر رضا الله عنه : لو خليتكم لأوشكتم أن تضاجعوا نساءكم تحت الأرائك بعرفات ثم ترجعون إلىّ حجاجاً !!

وأما قولهم إن عمر منع متعة النكاح فإن عمر لم يحرم من ذلك ما أحل الله تعالى ، ولكن عمر حرم العمل بما لا يحل وإنما فعل بما هو أدنى للمسلمين ونظراً لهم .

وأما قولهم إن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ بيد علىّ يوم غديرخم فقال : من كنت مولاه فعلى مولاه ، فوجهوا هذه المقالة من النبى صلى الله عليه وسلم على غير وجهها وزادوا فيها ، ووجه هذه المقالة فيما بلغنا أن زيد بن حارثة

الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان بينه وبين عليّ منازعة فشتمه عليّ فرد عليه زيد، فقال علي تشتمني وأنا مولاك ، فقال زيد والله ما أنت لي بمولى ومولاى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق عليّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مغضب يشتكي وأخبره بقول زيد له ، فقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ، هذا في وليّ النعمة ليس في ولاية الدين . فزعم هؤلاء الجهال وعبدة الدجال حرفوا الحديث وزادوا فيه ، كما حرفوا كتاب الله وتأولوه على غير تأويله وزخرف لهم الشيطان وموه عليهم ووضعه الرافضة كما حدث محمد بن إسحاق ، يرفعه إلى العرباض بن سارية [٢٤٨] الفزارى يرفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه قال صلى الله عليه وسلم : يكون في أمتي اختلاف ، قلنا يارسول الله كيف العمل عند الاختلاف قال فعليكم بأئمة الهدى قلنا من هم يا رسول الله ؟ قال الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون حدود الله ويعملون بفرائض الله وسنتي . فلو كان هؤلاء صادقين فيما ادعوا فعليكم بعلي ، فالزموه واتبعوه .

وقالت الرافضة طاعة عليّ وطاعة ذريته مفروضة ، وليس لأحد أن ينازعهم في شيء ولا يرد عليهم شيئاً جاءوا به ، وقالوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سد الأبواب الشارعة في المسجد إلا باب علي . والصحيح إنما كان ذلك لأبي بكر رضي الله عنه الذى لم يسد بابه كما حدث الحسن وغيره من المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في مرضه الذى مات فيه فقال إنه ليس أحد أمّن علينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة ، وانه أمر بسد الأبواب الشارعة في المسجد إلا باب أبي بكر رضي الله عنه فسدت الأبواب إلا باب أبي بكر .

وأما قولهم إن الله تبارك وتعالى أمر الناس أن يسلموا لعلي وتأولوا في ذلك قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)(١) وقالوا هو اسم لعلي وولده من بعده ، قلنا لهم إنما أنزل الله ذلك في قوم مؤمنين من أهل الكتاب

(١) سورة البقرة : آية ٢٠٨ .

كانوا يتقون السبت ويتقون كثيراً مما أحل الله لهم ويحرمون ما أحل الله لهم بعد أن أسلموا فأنزل الله تبارك وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان)(١) أى لا تأخذوا بشرائع دينكم الأول ، حدث بذلك محمد بن السائب عن أبى صالح عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهم.

وأما قولهم إن الله تبارك وتعالى أنزل فى على: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا)(٢) .. الآية ، فإنما معناه بإقامة الصلاة المكتوبة وإيتاء الزكاة المفروضة ، هى للمؤمنين عامة . وزعموا أن علياً أعطى خاتمه وهو راكع حينئذ ، وهذا افتراء وبهتان على على" لأن مذهب على" أنه لا يجوز عمل فى الصلاة.

وأما قولهم إن الله أنزل فى على وولده : (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به)(٣) فهذه الآية أنزلت فى الرهط الذين آمنوا من أهل الكتاب وهم اثنان وثلاثون من الحبشة الذين قتلوا مع جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرى الراهب ، ولكن الرافضة حرفوا كتاب الله ورفعوا عن أنفسهم الصلاة والزكاة وحج البيت وجميع [٢٤٩] فرائض الله مع ما قالوا من البهتان وتأولوا كتاب الله على غير تأويله : وذلك أنهم قالوا إن قول الله تبارك وتعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة قالوا هى الدولة ، فاغسلوا وجوهكم ، يقول آل محمد ، وأيديكم إلى المرافق هم المستودعون ، يقول بزعمهم اغسلوا ما بينكم وبين آل محمد وبين المستودعين من الجبابرة فلا تولوا أحداً منهم ، وامسحوا برءوسكم ، قال هم الرؤساء من آل محمد وهم محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين ، وأرجلكم قال شيعتكم ، إلى الكعبين عيسى بن مريم وعلى بن أبى طالب ، وإن كنتم مرضى ، أى هلكى أو على سفر ، أى هو المستودع الذى يكون بزعمهم فى النور

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٠٨ .

(٢) سورة المائدة : آية ٥٥ .

(٣) سورة البقرة : آية ١٢١ .

ثم يخرج إلى الظلمة فيكون فيها عابر سبيل ، أو جاء أحد منكم من الغائط ، فالغائط بزعمهم أبو بكر ، أو لامستم النساء(١) ، يقول أو لامستم بولاية الجبابرة ، والصعيد الطيب هم المستودعون . قال ومن يتق الله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ، يقول يدخله بعداوة الجبابرة فى ولاية أئمة الهدى ، كل إمام بزعمهم جنة أهل زمانه ، وقال من تبع آية الجنة وصل إلى الجنة ومن تبع آية الباطل أدخل النار ، وآية الباطل بزعمهم بنوا أمية وبنو العباس ، وآية الجنة بزعمهم علىّ وولده . وقالوا إن علياً وولده بمنزلة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها غرق ، وحدثوا بذلك الجهال واستلانوا به قلوبهم وعطفوا به قلوب الضعفاء والجهال ، وأدخلوهم فى ضلالهم ، وقالوا إن أئمتهم الأنبياء والرسل ، وإن لهم فى كل زمان إمامين أحدهما ناطق والآخر صامت وإن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان الرسول الناطق وعلى بن أبى طالب الصامت .

وقالوا إن أول ما خلق الله من الأظلة ظل عيسى بن مريم ، وظل على بن أبى طالب ، وأنهما خلقا من الماء العذب وهما كلمة الله عز وجل ، وربما حلفوا بكلمة الله يعنون على بن أبى طالب كما تحلف النصارى بعيسى ابن مريم ، ثم خلق بزعمهم ظلين ملعونين من الماء الملح ، ظل قابيل بن آدم وظل عتيق ، يعنون أبا بكر رضى الله عنه. وتأولوا فى هذه الآية : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر)(٢) ، قال ذلك عمر حيث قال لأبى بكر اقبل الخلافة فإنى معينك عليها وتجعلها من لى بعدك ، وقالوا هما كلمة الله السفلى وعيسى بن مريم وعلى بن أبى طالب كلمة الله العليا ، ولذلك يحلفون ويقولون بالله وبالكلمة .

---

(١) يشير إلى الآية الكريمة . آية ٦ من سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ..) .

(٢) سورة الحشر : آية ١٦ .

ومن قولهم إنهم يحشرون قبل يوم القيامة ومن مات منهم مؤمناً فإنه يقتل يوم القيامة قتلا . ولما مات إسماعيل بن جعفر اختلفت الرافضة فزعم أصحاب أبي الخطاب أن إسماعيل لا يموت [٢٥٠] حتى يملك . وزعم أصحاب الفضل أنها تحولت فى موسى بن جعفر ، وزعم أصحاب زرارة بن أعسر أنها تحولت فى عبد الله بن جعفر وأنها لا تكون إلا فى الأكابر من ولد الإمام . وقالوا منهم من هو جبرائيل وميكائيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وقالوا لا يموت منهم أحد ولكن إذا انتهت عبادته رفع إلى الملكوت .

وقالت الرافضة كان علىّ الإمام ثم الحسن ثم الحسين ثم محمد بن الحنفية ، ثم جعفر بن محمد ، ثم ساقوا الإمامة ولهم اختلاف فى الإمامة .

ومنهم من قال إنها فى ولد علىّ بن الحسين ، وقالوا هو الكسف الساقط الذى قال الله ، ومنهم من جعل الإمامة لجعفر بن أبى المنصور وهم الحنافون وزعموا أن الأموال لهم حلال حيث ما أصابوها أخذوها بعد أن يدفعوا إلى الإمام الخمس . وكل الروافض يتبرءون من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما إلا الزيدية افترقت على ثلاث فرق ، فرقة يتولون أبا بكر وعمر ، وفرقة واقفة ، وفرقة تبرأ منهما .

وللرافضة افتراء كثير وكذب لا يحصى وإنما نذكر ما ذكرنا من قولهم طرفاً لتعلم جهالتهم . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : سيكون من بعدى قوم يسمون الرافضة فإن لقيتموهم فإنهم كافرون ينتحلون حب أهل البيت ويشتمون أبا بكر وعمر . وكفر الرافضة وافتراؤهم وضلالتهم غير خاف على ذى دين وعقل نعوذ بالله من العمى والجهالة والخروج عن الحق إلى الضلال ، وعن الصدق إلى المحال ، وإياه نسأل التوفيق على كل حال !!

وأعجب التفسير تفسير الروافض وما يدعونه من علم الغيب ، وأن الإمام كتب لهم فى جلد جفر بما يكون من باطن الأمر وظاهره وفيه يقول هارون ابن سعيد العجلى شعراً :

ألم تر أن الرافضين تفـرقوا وكلهم فى جعفر قال منكرا
فطائفة قـالوا إمـام ومنهم طوائف سموه النبى المطهرا
ومن عجب لم أفضه جلد جفرهم برئت إلى الرحمن ممن تجفرا
فقبح أقـوام رموه بفـرية كما قال فى عيسى الفرا من تنصرا

يعنون أن الإمام كتب لهم فى جلد جفر كل ما يحتاجون إلى علمه وكل ما يكون إلى يوم القيامة، فمن ذلك قوله، وورث سليمان داود، إنها الإمامة لعلى ورثها النبى صلى الله عليه وسلم، وكذلك قولهم فى قوله تعالى : (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة)(١) إنما عائشة . وقوله: (اضربوه ببعضها)(٢) إنه طلحة ابن عبد الله والزبير بن العوام ، وفى الخمر والميسر إنه أبو بكر وعمر ، وفى الجبت والطاغوت |٢٥١| معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص، مع عجائب نرغب عن ذكرها ، وهم أكثر الفرق بدعاً وافتراء وكذباً .

منهم الغرابية الذين قالوا إن علياً كان أشبه بالنبى من الغراب بالغراب فغلط جبرائيل لأنه بعث إلى على فبلغ النبى لشبهه ، ولا نعلم أن فى أهل الأهواء والبدع أحد ادعى الربوبية للبشر غيرهم ، ادعى عبد الله بن سبأ الربوبية لعلى ، وادعى المختار بن أبى عبيدة النبوة ، وقال جبرائيل يأتينى وميكائيل، وهو صاحب الحمامات البيض وسنذكره عند ذكر الفرق إن شاء الله .

فصل

فان قال قائل : ما الدليل على أن إمامة ابى بكر صواب ؟ وما الحجه فى ثبوتها ؟ . .

الجواب : قيل له تبوتها بالإجماع من المهاجرين والأنصار لأنا وجدنا المدعين للوصاية والإمامة ثلاثة أصناف ، فقائلون يقولون بامامة على وذريته بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقائلون يقولون بإمامة العباس وذريته ، وقائلون يقولون بإمامة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ثم وجدنا علياً والعباس قد بايعاه وانقادا لأمره مع كافة الناس من المهاجرين والأنصار

---

(١) سورة البقرة : آية ٦٧ .
(٢) سورة البقرة : آية ٧٣ .

والكون تحت رايته واتباعهما لأمره ولا يجوز أن تجتمع الأمة على خطأ ؛ فإن قالوا إن علياً والعباس باطنهما خلاف ما أظهرا به وإنهما تركا الطلب واتبعا أمره تقية وخوفاً . الجواب : قيل له طعنت على الإجماع ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تجتمع أمتى على ضلال » ثم ادعيت أن باطن الأمة خلاف ما أظهروا والاتفاق بالظاهر من الأمة يقضى على الباطن ، ولما كان هذا القول إبطالاً للإجماع فسد ما احتججت به وبالله التوفيق . ووجب القضاء بالإمامة لأبى بكر رضى الله عنه بعقد من حضرها من المسلمين ، وإذا كان على والعباس مقرين له بالإمامة ثبتت إمامته وبطل ما ادعيته لعلى والعباس !! فإن قال هل عندك دليل من الكتاب والسنة بإمامة أبى بكر وعمر ؟ قيل له نعم !! الدليل على ذلك من الكتاب قوله عز من قائل فى سورة التوبة للقاعدين عن نصرة نبيه والمتخلفين عن الجهاد معه صلى الله عليه وسلم : (فقل لن تخرجوا معى أبداً ولن تقاتلوا معى عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين)(١) . وقال سبحانه فى سورة الفتح : (سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا)(٢) أى لن تخرجوا معى أبداً ، ثم قال : (كذلكم قال الله من قبل فسيقولون [٢٥٢] بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا) (٣) ثم قال سبحانه وتعالى : (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً)(٤) . وقد علمنا أن الداعى لهم غير النبي صلى الله عليه وسلم لقوله : (قل لن تخرجوا معى أبداً ولن تقاتلوا معى عدواً) وقال فى سورة الفتح : (يريدون أن يبدلوا كلام الله)(٥) فمنعهم الله عن الخروج مع نبيه صلى الله

---

(١) سورة التوبة : آية ٨٣ .
وفى الآية « فقل » وقد كتبت سهواً فى المخطوطة « وقل » .
(٢) سورة الفتح : آية ١٥ .
(٣) سورة الفتح : آية ١٥ .
(٤) سورة الفتح : آية ١٦ .
(٥) سورة الفتح : آية ١٥ .

عليه وسلم ، وجعل خروجهم تبديلا لكلامه وأمروا أن يتبعوا الداعى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد دعاهم أبو بكر وعمر إلى قتال أهل الردة وقتال أهل اليمامة ، وقتال الروم وفارس وقتال من منع الزكاة .

وقد قال أهل التفسير إن القوم الذين قال الله فيهم : (أولى بأس شديد) هم الروم وفارس وأهل اليمامة ، والجميع قد قاتلهم أبو بكر وعمر وفتحها عمر بن الخطاب رضى الله عنه من بعد ما قاتلهم أبو بكر وفى ذلك إيجاب إمامته وصحتها وصحة إمامة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لأن أبا بكر رضى الله عنه عقدها له وهو الذى فرغ من قتالهم وفتح بلادهم ، وإذا وجبت إمامة عمر وجبت إمامة أبى بكر رضى الله عنهما لأنه هو العاقد له فدل على ما قلنا من الكتاب والإجماع .

والدليل من السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفه فى الصلاة ومن رضيه صلى الله عليه وسلم للصلاة وهى عمود الإسلام والدين فهو أولى بالإمامة ، فدل على ما قلنا من الكتاب والسنة والإجماع وفسد قول من قال بالنص والوصاية . ومما يبطل أيضاً قول من قال بالنص على علىّ ان رجلا قال له ابسط يدك أبايعك ، فقال علىّ أتبايعنى وفيكم الصديق ، ولما قال أبو بكر رضى الله عنه أرضى لكم أحد هذين الرجلين يعنى عمر بن الخطاب وأبا عبيدة ابن الجراح فبايعوا أيهما شئتم ، فقال عمر ما ينبغى أن نكون فوقك وأنت ثانى اثنين فى الغار ، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفيقه وصديقه لو كان النبي صلى الله عليه وسلم نص على أحد ما كان ذكرناه .

مسألة : وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن وليكم من بعدى حبشى مجدع فأقام فيكم كتاب الله وسنتى فاسمعوا له وأطيعوا » . وفى رواية أخرى : « أطيعوا من أطاع الله ولو كان عبداً حبشياً » . وقد قال العزيز الحكيم : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)(١). وقد روى عن على أنه قال لو ولانى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر لقاتلت عليه

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٣ .

وما أسلمته إلى غيرى ، [٢٠٣] ولقد قلت له يا رسول الله من خليفتك علينا وإلى من نأوى ونشكو إليه أحزاننا ؟ .. فقال صلى الله عليه وسلم : خليفتى الله عليكم وعلى جميع أمتى إلى يوم القيامة ، ولم ينص على إمام بعينه ففسد قول من يدعى النص والوصاية .

فصل

وإن زعمت الرافضة أن أبا بكر غصبها من على بن أبى طالب وأن علياً أمر بها وإنما تركها تقية وأنه غلب عليها ، فقد نسبوا علياً إلى تضييع ما أمر به ووجب له بالوصاية وكفروه بترك ما وجب له بزعمهم ، فإن قالوا تركها لحسم الفتنة قيل لهم فلم قاتل عليها لما استخلف عليها بعد ذلك إلى أن قتل من الفريقين مائة ألف ؟ .. وللرافضة آراء مختلفة فى الإمامة والنص والتعيين ، ولكل قوم منهم مقالة ومذهب ، ولهم فى الأصول اختلاف كثير ، وفى التناسخ والحلول والرجعة اختلاف يطول بشرحه الكتاب وكلهم حيارى منقطعون ويعتقدون طاعة رجل يخرج فى آخر الزمان وأنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً وفيه يقول شاعرهم كثير عزة (١) :

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة الأمر أربعة(٢) سواء
علىّ والثلاثة من بنيه(٣) ... هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى ... «يقود الجيش يقدمه اللواء»(٤)

---

(١) كان كثير عزة من شعراء الحنفية أو الكيسانية ، الذين أنكروا موت محمد ابن الحنفية بن على بن أبى طالب وقالوا برجعته وتوفى كثير عزة فى سنة ١٠٥هـ (٧٢٣ م)

(٢) فى بعض الروايات « ولاة الحق » .

(٣) الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفية .

(٤) فى بعض الروايات « يقود الخيل يتبعها اللواء » .

يغيب فلا يرى فيهم زمـــاناً برضوى(١)عنده عسل وماء

يعنون محمد بن الحنفية ومن اعتقد طاعة رجل وليس ثم رجل ! ! نعوذ بالله من العمى والجهالة والتورط فى غياهب الضلالة ، وصدق نبى الله صلى الله عليه وسلم : « الرافضة نصارى هذه الأمة » .

(١) رضوى : جبل قرب ينبع منيف ذو شعاب وأودية وبه أشجار ومياه كثيرة حتى ليرى من ينبع أخضر اللون (انظر مادة « رضوى » فى معجم البلدان لياقوت) .

الباب التاسع والأربعون

فى شرح فرقهم وهم سبع وعشرون فرقة

الأولى الكيسانية : أصحاب كيسان مولى على بن أبى طالب وهم ممن يقولون بإمامة محمد بن الحنفية ، ويعتقدون فيه اعتقاداً فوق حده من إحاطته بالعلوم كلها واقسامه الأسرار الخفية(١) بجملتها من علم التأويل والناطق والمنطق وعلم الآفاق والأنفس ، ويقولون بالحلول والرجعة بعد الموت ، ويزعمون أنه يرجع إلى الدنيا فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً ، يعنون ابن الحنفية(٢) يرجع إلى الدنيا فيملأ الأرض (عدلا) كما ملئت جوراً ويقولون بالتناسخ .

الفرقة الثانية المختارية : وهم أصحاب المختار بن أبى عبيد كان زبيرياً(٣) ثم رجع رافضياً وقال كما قال أصحاب كيسان إن الإمامة فى محمد بن الحنفية ثم رجع بعد ذلك وقال الإمامة فى الحسن والحسين ، وكان يؤلف [٢٥٤] علوماً مذخرفة فمن قوله إن البداء(٤) يجوز على الله، وجوز النسخ(٥) وكان

---

(١) كتبت فى المخطوطة « الخفيفة » .

(٢) يذكر ابن سعد أن ابن الحنفية نا علم باعتقاد الكيسانية أن آل على بن أبى طالب يلمون بجميع العلوم قال : « والله ما ورثنا من رسول الله إلا ما بين هذين اللوحين (يعنى القرآن) (أبن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٥ ، ص ٧٧) .

(٣) كتبت فى المخطوطة « زيديا » والصحيح زبيريا لأنه كان من أتباع عبد الله بن الزبير .

(٤) البداء : البداء فى العلم وهو أن يظهر له خلاف ما علم ، والبداء فى الإرادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبداء فى الأمر وهو أن يأمر بشىء ثم يأمر بشىء آخر بعده بخلاف ذلك (انظر الشهرستانى : الملل والنحل ، ص ٢٨٥) .

ونلاحظ أن اعتقاد الكيسانية انتهى بوجوب انفراد الإمام بتأويل الشريعة إلى القول بضرورة طاعته ، إذ أن طاعته لم تكن إلا طاعة للقانون الإلهى .

(انظر الدكتور حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسى ، ج ١ ، ص ٣١٤) .

(٥) كان المختار لا يفرق بين النسخ والبداء فقال : إذا جاز النسخ فى الأحكام ، جاز بداء فى الأخبار . (الشهرستانى : الملل والنحل ، ص ٢٨٦) .

عنده كرسي قديم قد غشاه بالديباج وزينه بأنواع الجواهر ، وقال إنه من ذخائر علي بن أبي طالب وإنه بمنزلة التابوت الذي كان لبني إسرائيل ، وكان إذا وقع الحرب وضعه لأصحابه ويقول لهم قاتلوا!! لكم النصر والظفر ، وهذا الكرسي سكينة وبقية مما ترك أمير المؤمنين والملائكة يمدونكم من فوقكم ، وكان يطير الحمامات البيض ويقول لهم أما ترون الملائكة على صورة الحمام الأبيض ، وكان يؤلف لهم الأسجاع . وكان يقول إن ابن الحنفية في جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضاختان عين من عسل وعين من ماء وأنه يعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً . وهو أول من حكم بالغيبة والعودة ، ثم اختلفت المختارية والكيسانية في سوق الإمامة ولكل فرقة منهم مقالة ومذهب .

الفرقة الثالثة الهاشمية : أصحاب أبي هاشم بن محمد بن الحنفية قالوا بانتقال الإمامة إلى أبي هاشم بن محمد بن الحنفية وإنه أفضى إليه العلم وأطلعه على تصنيف الآثار وتقرير التنزيل على التأويل وتصوير الظاهر على الباطن . ثم اختلفوا بعد أبي هاشم على خمسة أقاويل ، قال قوم إن أبا هاشم مات منصرفاً من الشام إلى أرض السراة وأوصى إلى محمد بن عبد الله(١) ، وتحولت في أولاده الوصية حتى صارت الخلافة إلى أبي العباس ، وقالوا لهم حق الخلافة لاتصال النسب وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وورثه عمه العباس وهو أولى بالإمامة والإراثة .

وفرقة قالت إن الإمامة بعد أبي هاشم في ابن أخيه الحسن بن علي بن محمد ابن الحنفية . وفرقة قالت لا بل إن أبا هاشم أوصى إلى أخيه علي بن محمد

---

(١) هو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وهو الذي آل إليه ميراث الكيسانية أو الهاشمية ، على رأي العباسيين . وقد قيل إن أبا هاشم بن محمد بن الحنفية لما شعر بدنو أجله عرج على الحميمة (بالقرب من العقبة الحالية) حيث كان يقيم أفراد البيت العباسي منذ سنة ٩٥ هـ وتذكر الروايات أن أبا هاشم أفضى إلى محمد بن علي العباسي بأسرار الدعوة الهاشمية ونزل له من حقه في الإمامة وكان ذلك أيام حكم سليمان بن عبد الملك وقبيل وفاة أبي هاشم .

وعلى أوصى إلى ابنه الحسين والإمامة فى بنى محمد بن الحنفية والإمامة لاتخرج منهم إلى غيرهم .

وفرقة قالت إن أبا هاشم أوصى إلى عبد بن حرب الكندى وإن الإمامة خرجت من بنى هاشم .

وفرقة قالت إنها تحولت من أبى هاشم إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر الصادق ، وكان من مذهبه واعتقاده التناسخ من شخص إلى شخص وإن الثواب والعقاب فى الأشخاص، وكان يدعى الآلهة والنبوة معاً ، وأنه يعلم الغيب وله مقالات فاسدة .

الفرقة الرابعة البنانية(١) : أتباع بنان بن سمعان النهدى ، قال بانتقال الإمامة من أبى هاشم إليه وهو من الغلاة القائلين بالإلهية لعلى بن أبى طالب ، وإنه كان يعلم الغيب وإنه كان معطى النصرة وإنه قلع باب خيبر ، واحتجوا بقول على أنه قال والله ما قلعت باب خيبر |٢٥٥| بقوة جسدانية ولا بحركة عدنانية ولكن قلعته بقوة ملكوتية أنوارها مضيئة ، وكذبوا عليه وحاشاه أن يدعى الإلهية ! ! واحتجوا أيضاً بقول الله تبارك وتعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام)(٢) يعنى بذلك علياً وأنه هو الذى يأتى فى ظلل من الغمام وأن الرعد صوته والبرق تبسمه ، قال الشاعر :

ومن قوم إذا ذكروا علياً يردون السلام على السحاب

وقال غيره :

قوم غلوا فى علىّ لا أبا لهم واجتشموا انفساً فى حبه تعبا
قالوا هو الله جل الله خالقنا من أن يكون ابن أنثى أو يكون أبا

آخر :

برئت من الروافض لست منهم من الغزال منهم وابن يابى

---

(١) فى الشهرستانى « الفرقة البيانية أتباع بيان بن سمعان » (الملل والنحل ، ص ٢٩٥) .

(٢) سورة البقرة : آية ٢١٠ .

وادعى بنان بن سمعان أنه قد انتقل إلى الحرف الإلهى بنوع (١) من التناسخ وأنه على صورة إنسان عضو بعضو وجزء بجزء ، وقال هلك كله إلا وجهه واحتجوا بقوله : (كل شيء هالك إلا وجهه) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً !!

الفرقة الخامسة الرزامية : أتباع رزام بن غيلان، ساقوا الإمامة من على إلى ابنه محمد بن الحنفية ثم إلى ابنه أبى هاشم ثم منه إلى على بن عبد الله ابن العباس بالوصية ، وقالوا بحلول الأرواح وادعوا الإلهية وقالوا إن الدين هو معرفة الإمام فمن عرف إمامه سقط عنه التكليف (٢) وله مقالات وبدع تركتها اختصاراً .

الفرقة السادسة الزيدية : أتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، ساقوا الإمامة فى أولاد فاطمة رضى الله عنها ولم يجوزوا ثبوت الإمامة فى غيرهم وقالوا كل فاطمى عالم شجاع زاهد سخى ادعى الإمامة فهو الإمام وواجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين ، وعن هذا قالت طائفة منهم بإمامة محمد وإبراهيم الإمامين أتباع عبد الله بن الحسن بن الحسين (٣) اللذين خرجا فى أيام المنصور وقتلا على ذلك .

---

(١) كتب فى المخطوطة « من بنوع » و « من » زيادة لا لزوم لها .

(٢) يذكر الشهرستانى أن جميع الكيسانية يعتقدون أن « الدين طاعة رجل » وعلى هذا فإن طاعة هذا الرجل تحملهم على ترك القضايا الشرعية ، أو ضعف الاعتقاد بالقيامة ، أو على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت (الملل والنحل ، ص ٢٨١) . وانتهى اعتقاد الكيسانية بوجوب انفراد الإمام بتأويل الشريعة وضرورة طاعته التى هى طاعة القانون الإلهى . ولهذا كانت طاعة الرجل تبطل ضرورة التمسك بقواعد وأصول الإسلام . ويذكر الشهرستانى أن من اعتقد « أن الدين طاعة رجل ، ولا رجل له ، فلا دين له » (الملل والنحل ص ٢٨٢) .

(٣) محمد ، هو محمد النفس الزكية ابن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبى طالب ، وقد ثار فى المدينة وأعلن العصيان ضد أبى جعفر المنصور فى أول رجب أو فى الثامن والعشرين من جمادى الآخرة فى سنة ١٤٥ هـ وظل محمد يقاتل حتى قتل فى ١٤ من رمضان فى نفس السنة . أما إبراهيم أخو محمد النفس الزكية فقد ثار فى البصرة، ووجه إليه =

ومن قولهم تجويز إمامين فى قطرين يجتمعان يكون كل واحد منهما واجب الطاعة ، وكان زيد بن على قد تلمذ لواصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة ، مع اعتقاد واصل أن على بن أبى طالب كانت حروبه مع أهل الجمل وأهل الشام ما كان على الصواب ، وأن أحد الفريقين كان على الخطأ ، وتلمذ له زيد بن على وأخذ من مذهبه [٢٥٦] الاعتزال ، وصارت أصحابه على اعتقاد المعتزلة . ومن مذهبه جواز إمامة المفضول على الفاضل ، وأثبت إمامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وأنه لا يبرأ من الشيخين ، فلما سمعت شيعته بالكوفة هذا القول منه وعرفوا أنه لا يبرأ من الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما رفضوه فسموا الروافض .

الفرقة السابعة الجارودية : أصحاب أبى الجارود ، زعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم نص على علىّ بن أبى طالب بالوصف دون التسمية ، وأن الإمام بعده على بن أبى طالب وأن الأمة قصرت حيث لم يعرفوا ولم يطلبوا الموصوف ، وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم فكفروا بذلك ، ثم اختلفوا فى السوق فساق بعضهم الإمامة إلى على ثم الحسين ثم الحسن ، ثم إلى على بن الحسين زين العابدين ثم إلى زيد بن على ثم منه إلى محمد بن عبد الله بن الحسن ، ثم اختلفوا فيه ، فمنهم من قال إنه لم يمت ولم يقتل وإنه بعد حى سيخرج فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً ، ولهم أقاويل كثيرة تركتها اختصاراً .

الفرقة الثامنة السليمانية : وهم أصحاب سليمان بن جرير ، كان يقول إن الإمامة شورى بين الخلق وتصح وتنعقد برجلين من خيار المسلمين ، وأنها تصح فى المفضول مع وجود الفاضل ، وأثبت إمامة أبى بكر وعمر باختيار الأمة اجتهاداً وطعن على عثمان فى الاحداث التى أحدثها وكفر عائشة وطلحة والزبير باقدامهم على على بن أبى طالب ، وطعن على الرافضة لقولهم فى البداء

= المنصور ، القائد العباسى عيسى بن موسى بعد أن قضى على ثورة أخيه فى المدينة ، ونجح القائد العباسى فى القضاء على ثورة إبراهيم وقتله فى باخمرى بين الكوفة وواسط فى ٢٤ من ذى القعدة سنة ١٤٥ هـ .

والتناسخ والحلول والرجعة وغيره من أقاويلهم ، وقال إن الإمامة من مصالح الأمة يحتاج إليها لإقامة الحدود والقضاء بين المسلمين وولاية الأيتام والأيامى ، وحفظ البيضة وإعلاء الكلمة ونصب القتال على أعداء الدولة وهي أشبه فرق الشيع .

الفرقة التاسعة الصالحية: أصحاب الحسن بن صالح بن يحيي ، قولهم فى الإمامة كقول السليمانية إلا أنهم توقفوا فى أمر عثمان أهو مؤمن أو كافر ، وقالوا سمعنا الأخبار الواردة فيه فكونه من العشرة وجب علينا أن نحكم بصحة إسلامه وإيمانه وكونه من أهل الجنة ، وإذا رأينا الاحداث التى أحدثها واستئثاره بنى أمية وبنى مروان ومخالفته لسيرة الصحابة ، فلنا أن نحكم بكفره فتحيرنا فى أمره وتوقفنا فى حاله ووكلناه إلى أحكم الحاكمين . وقولهم فى على إنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أولى الناس بالإمامة ولكنه سلم إليهم الأمر راضياً وفوض إليهم الملك طائعاً وترك حقه راغباً فنحن راضون بما رضي ومسلمون لما سلم ، وهم الذين [٢٥٧] جوزوا إمامة المفضل وتأخير الأفضل ، وقالوا من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين وكان عالماً زاهداً شجاعاً فهو الإمام ، وشرط بعضهم صباحة الوجه ، ولهم حديث طويل وخبط كثير تركته اختصاراً .

الفرقة العاشرة الإمامية : القائلون بامامة على بن أبى طالب بعد النبى صلى الله عليه وسلم نصاً وتعييناً ، وقالوا ما كان فى الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام لأن النبى صلى الله عليه وسلم بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز أن يفارقهم ويدعهم هملا يرى كل واحد منهم طريقاً . وقد عين على بن أبى طالب رأياً ويسلك كل واحد منهم طريقاً ، وقد عين على بن أبى طالب فى مواضع تصريحاً وفى مواضع تعريضاً . وعدد الأئمة عند الإمامية اثنا عشر وهم علي والحسن والحسين وعلى ومحمد وجعفر وموسى ، وعلي المرتضى والمجتبي والشهيد والسجاد والباقر والصادق الكاظم والرضى

والهادى والجواد والعسكرى والحجة القائم المنتظر(١) .

الفرقة الحادية عشر الباقرية والجعفرية : أتباع محمد بن الباقر(٢) والجعفرية(٣) أتباع إبنه محمد بن جعفر الصادق ، قالوا بامامتهما وإمامة والدهما زيد العابدين ، وزعمت الباقرية والجعفرية أن جعفر بن محمد كتب لهم فى جلد جفر أعلام الغيب وأخبرهم بما كان وبما يكون وحاشاه مما قالوا !!

الفرقة الثانية عشر الناوسية : وهم أتباع رجل منهم يقال له ناويس وقيل بل نسبوا إلى فرقة يقال لها ناويس(٤) ، قالوا إن جعفر الصادق حى يعبد الله تعالى ولا يموت حتى يظهر ويظهر أمره وهو القائم المهدى، ورووا عنه أنه قال لو رأيتم رأسى انهد عليكم من الجبل فلا تصدقوا فانى صاحبكم صاحب السيف ، ولهم خبط كثير تركته اختصاراً .

الفرقة الثالثة عشر الإسماعيلية : وهم الذين قالوا إن الإمام بعد جعفر ابن محمد إبنه اسماعيل بن جعفر نصاً وتعييناً ثم اختلفوا بعد موته فى حياة أبيه فمنهم من قال لم يمت إلا أنه أظهر موته تقية من خلفاء بنى العباس ، ومنهم من قال صحيح مات والإمام بعده إسماعيل بن محمد بن اسماعيل ، وهؤلاء يقال لهم المباركية .

---

(١) الأئمة الإثنا عشر الإمامية هم محمد المنتظر بن الحسن العسكرى بن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين ثم الحسن ثم على بن أبى طالب ورتبهم الشهرستانى من أول على بن أبى طالب هكذا : على المرتضى ، والمجتبى ، والشهيد ، والسجاد ، والباقر ، والصادق ، والكاظم، والرضى ، والتقى ، والنقى والزكى ، والحجة القائم المنتظر (الشهرستانى : الملل والنحل ص ٣٦٢) .

(٢) هو محمد بن على المعروف بالباقر وليس محمد بن الباقر كما كتب فى المخطوطة .

(٣) الجعفرية هم أتباع جعفر الصادق ابن محمد الباقر ، وليس محمد بن جعفر الصادق كما كتب فى المخطوطة .

(٤) ذكر البغدادى أنهم أتباع رجل من أهل البصرة كان ينتسب إلى ناووس بها . (البغدادى : مختصر كتاب الفرق بين الفرق ص ٥٦) . وذكر الشهرستانى أنهم أتباع رجل يقال له ناووس ، وقيل نسبوا إلى قرية ناموسا (الشهرستانى : الملل والنحل ص ٣٣٨) .

الفرقة الرابعة عشر الأبطحية : قالوا بانتقال الإمامة من الصادق إلى ابنه عبد الله الأبطح (١)وهو أخ إسماعيل لأبيه وأمه ، أمهما فاطمة بنت الحسين ، وإن الصادق أخبر عنه بقوله : الإمام من يجلس مجلسي وإنه هو الذي جلس مجلسه ، وقالوا إن الإمام لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يؤخذ خاتمه ولا يواريه إلا إمام مثله ، وإنه هو الذي تولى ذلك كله .

الفرقة الخامسة عشر الأسمطية : وهم أتباع يحيى بن الأسمط(٢) قالوا إن الإمامة بعد جعفر فى ابنه |٢٥٨| محمد هكذا . وروى عن جعفر أنه قال صاحبكم اسمه اسم نبيكم يعنى بزعمهم اسمه محمد .

الفرقة السادسة عشر الفضيلية والمونسية : وهى واحدة وهما فرقة واحدة وهما ممن يقول بامامة موسى بن جعفر وإن جعفر الصادق بزعمهم قال لهم شائعكم ذائعكم قائمكم صاحبكم صاحب التوراة يعنى موسى ، وقالوا إن جعفر قال لبعض أصحابه عد الأيام فعدها من الأحد حتى بلغ السبت، قال له كم عددت قال سبعة ، فقال لهم جعفر سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور ومن لا يلهو ولا يلعب وشائعكم وذائعكم وقائمكم وأشار إلى موسى .

الفرقة السابعة عشر الغالية : وهم الذين غلوا فى أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الإلهية فربما نسبوا واحداً من أئمتهم بالإله وربما نسبوا الإله به تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . وهم أهل الغلو والتقصير بسبب شبهاتهم من مذهب الحلول ومذهب أهل التناسخ ومذهب اليهود ومذهب النصارى ، لأن اليهود شبهوا الخالق بالخلق ، والنصارى شبهوا الخلق بالخالق ، فسرت هذه الشبهات فى عقول الشيعة الغلاة حتى حكموا

---

(١) ذكرها الشهرستانى « الأفطحية» . وقال إن عبد الله الأفطح أخو إسماعيل من أبيه وأمه وأمهما فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب ، وكان أسن أولاد الصادق .

(الشهرستانى : الملل والنحل ، ص ٣٣٩) .

(٢) سماها الشهرستانى « الشميطية » وذكر أنهم أتباع يحيى بن أبى شميط .

(الملل والنحل ، ص ٣٤٠) .

بأحكام الإلهية فى حق أئمتهم واتبعتهم الحشوية فشبهوا الخالق بالخلق والحلول والرجعة والهبوط والنزول ، كما شبهت الشعة بالبداء والرجعة والتناسخ وغير ذلك تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

الفرقة الثامنة عشر السبئية : وهم أصحاب عبد الله بن سبأ بن عبد الله الذى قال لعلى : « أنت أنت »(١) فنفاه إلى المدائن ، وزعموا أنه كان يهودياً فأسلم وكان يقول يوشع بن نون وصى موسى ، ثم قال فى على ما قال ومنه تشعبت أصناف الغلاة ، وزعموا أن علياً حى لم يمت وأن فيه حرفاً من الإلهية ، وأنه هو الذى يجىء فى السحاب ، والرعد صوته والبرق سوطه ، وأنه سينزل فى الأرض عند اقتراب الساعة فيملؤها عدلا كما ملئت جوراً .

الفرقة التاسعة عشر الكاملية : أصحاب أبى كامل ، كفر جميع الصحابة بتركهم بيعة على ، وكفر علياً بتركه حقه ولم يعذره فى القعود . وقال كان عليه أن يخرج ويظهر ، وقال فى الإمامة إنها نور تتناسخ من شخص إلى شخص ، ففى شخص تكون نبوة وفى شخص تكون إمامة ، وربما تتناسخ الإمامة فتصير نبوة . وجميع الغلاة وأصنافها متفقون على التناسخ بالحلول والرجعة ، تلقوا هذا القول من المجوس والمدركية والبراهمة والفلاسفة والصابئة .

الفرقة العشرون العلائية : وهم أصحاب على بن ذراع [٢٥٩] الأسدى وقال قوم الدوسى ، وكان يفضل علياً على النبى صلى الله عليه وسلم ، وزعم أنه الذى بعث محمداً وسماه إلهاً وأن النبى بعث يدعو إلى على فدعا إلى نفسه ، ومنهم من قال بإلهتهما جميعاً ، ومنهم من قال الإلهية فى خمسة أشخاص وهم أصحاب الكساء محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين ، قال شاعرهم :

توليت بعد الله فى الدين خمسة ⁂ علياً وسبطيه وشيخاً وفاطمه

الفرقة الحادية والعشرون المغيرية : أصحاب المغيرة بن سعيد العجلى ، ادعى أن الإمامة بعد محمد بن على بن الحسين ، فى محمد بن عبد الله بن الحسن(٢) .

---

(١) أنت أنت : يعنى أنت الإله (انظر الشهرستانى : الملل والنحل ، ص ٣٦٥) .

(٢) اختلف المؤرخون مثل الطبرى والمقريزى ، وأصحاب كتب الفرق والنحل مثل البغدادى والشهرستانى وابن حزم وغيرهم فى نسب محمد . والمعروف أن محمد النفس الزكية =

الخارج من المدينة ، وزعم أنه حى لم يمت ، وكان المغيرة مولى لخالد ابن عبد الله القشيرى ، ثم ادعي الإمامة لنفسه بعد الإمام محمد ، ثم ادعى النبوة لنفسه ، وغلا فى على غلواً لم يعتقده أحد. وزاد على ذلك بالتشبيه ، زعم أن الله سبحانه وتعالى عن قوله ! له جسم وصورة وأعضاء على مثال الهجاء(١) وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور وله قلب تنبع منه الحكمة ، وزعموا أن الله تبارك وتعالى لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم الأعظم فطار فوقع على رأسه تاجاً . واحتج بقوله تعالى: (سبح اسم ربك الأعلى * الذى خلق فسوى)(٢) . ثم كتب على كفه أعمال العباد، ثم اطلع على أعمال العباد فغضب من المعاصى فعرق فاجتمع من عرقه بحران أحدهما ملح والآخر عذب ، فالملح مظلم والعذب نير ، فاطلع فى البحر النير فأبصر ظله فانتزع عين ظله فخلق منه الشمس والقمر وأفنى باقى ظله ، وقال لا ينبغى معى غيرى ، خلق الخلق كلهم من البحرين فخلق المؤمنين من البحر النير وخلق الكفار من البحر المظلم ، وخلق ضلال الناس . وأول ما خلق ظل محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى قبل ظلال الكل ، ثم عرض على السموات والأرض والجبال أن يحملن الأمانة وهى أن لا يمنعن علياً الإمامة فأبين ثم عرض على الإنسان فأمر عمر بن الخطاب أبا بكر أن يتحمل ذلك وأن يعينه على شرط أن يجعل الخلافة له من بعده وذلك قوله تعالى : (وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا)(٣) . انظروا معاشر المسلمين هذا الاعتقاد الفاسد ، نسأل الله توفيقه لما يحب ويرضى .

= هو ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب . وذكره البعض أنه محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب (انظر أيضاً : الشهرستانى الملل والنحل ص ٣٧٣ ؛ والبغدادى : مختصر كتاب الفرق بين الفرق ص ٥٣ ، ١٤٧) .

(١) جاء فى الشهرستانى : « على مثال حروف الهجاء » (الملل والنحل ص ٣٧٤) .

(٢) سورة الأعلى : آية ١ .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٧٢ .

الفرقة الثانية والعشرون المنصورية : وهم أصحاب منصور العجلى(١) الذى انتمى إلى أبى جعفر محمد بن على الباقر فى الأول فلما تبرأ منه الباقر وطرده زعم أنه هو الإمام ، ودعا الناس إلى نفسه وزعم أن علياً هو الكسف الساقط من السماء، وزعم حين ادعى الإمامة لنفسه أنه عرج به إلى السماء [٢٦٠] ورأى معبوده فمسح بيده على رأسه وقال يا بنى انزل فبلغ عنى ، ثم هبط إلى الأرض وأنه هو الكسف الساقط ، وزعم أن الرسل لا تنقطع ، وزعم أن الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو إمام الوقت ، وأن النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الإمام، واستحل قتل من خالفه وأخذ أمواله وسبى ذراريه، وقال أيضاً: إن أول ما خلق الله تبارك وتعالى عيسى بن مريم وعلى بن أبى طالب.

الفرقة الثالثة والعشرون الخطابية : أصحاب أبى الخطاب محمد بن زينب الاجدع (٢) وهو الذى عزا نفسه إلى أبى عبد الله بن جعفر الصادق ، ولما وقف جعفر على غلوه فى الباطل تبرأ منه ولعنه ، ولما اعتزل عنه ادعى الأمر لنفسه وزعم أن الأئمة أنبياء وآلهة وهو القائل بإلهية جعفر بن محمد وقال هم أبناء الله وأحباؤه ، وأن جعفر هو الإله فى زمانه وأنه ليس هو المحسوس الذى ترونه ولكن ما نزل إلى هذا العالم ليس تلك الصورة فرآه الناس عليها ، ولما وقف عيسى بن موسى على خبث دعواه قتله .

الفرقة الرابعة والعشرون الكيالية : أصحاب أحمد الكيال وكان من دعاة أهل البيت بعد جعفر بن محمد، وابتدع مقالات على غير قاعدة معروفة ولا معقولة ولا مسموعة ، ولما وقفوا على بدعته طردوه ولعنوه وأمروا

---

(١) ذكر الشهرستانى أن يوسف بن عمر الثقفى والى العراق أيام هشام بن عبد الملك الأموى، قبض على أبى منصور العجلى وصلبه (الملل والنحل ، ص ٣٧٨) .

(٢) أبو الخطاب هو محمد بن أبى زينب الأسدى الأجدع مولى بنى أسد (الشهرستانى : الملل والنحل ، ص ٣٨٠) .

شيعته(١) وادعى الإمامة وزخرف فى قوانين العالم ما لم يأذن الله به ، وله مسائل كثيرة فى العالم العلوى والعالم السفلى تركتها اختصاراً .

الفرقة الخامسة والعشرون الهشامية : أصحاب هشام بن الحكم ، من متكلمى الشيعة وجرت بينه وبين أبى الهذيل العلاف مناظرات فى علم الكلام . وحكى ابن الراوندى عن هشام أنه قال بين معبوده وبين الأجسام تشابهاً ، ولولا ذلك ما دلت عليه . ونقل عنه أنه قال : سبعة أشبار بشبرى يعنى عن نفسه جل الله وعلا عن قوله علواً كبيراً ! ! ومن قوله إنه فى مكان مخصوص وإنه ثبت من مكان تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ! ! ومن قوله إن الله سبحانه وتعالى على صورة إنسان مجوف وأسفله مصمت وإنه نور ساطع يتلألأ ، وله حواس رجل ، ويد وأنف وأذن وعين وفم ، وله وفرة سوداء وليس هو لحم ودم ، وله مقالات كثيرة فى التشبيه جل الله عن قول المشبهين ! ! (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(٢) .

الفرقة السادسة والعشرون النعمانية : أصحاب محمد بن النعمان المكنى بشيطان الطاق ، وافق هشام بن الحكم فى قوله إن الله لا يعلم شيئاً حتى يكون ، وقال إن الله تعالى نور على صورة إنسان [٢٦١] وقال : وقد ورد فى الخبر أن الله خلق آدم على صورته ولابد من تصديق الخبر ، وروى عن مقاتل ابن سليمان بن داود الخوارزمى ، ونعيم بن حماد البصرى ، وأصحاب الحديث من الحشوية أنهم قالوا إن الله ذو صورة وأعضاء ، وحكى عن داود أنه قال : اعفونى عن اللحية والفرج واسألونى عما وراء ذلك ، جل الله وعلا عما يقول المفترون الظالمون علواً كبيراً ! ! ولهم مقالات كثيرة فى التشبيه تركتها اختصاراً .

---

(١) فى الشهرستانى : يقول إن أهل البيت « أمروا شيعتهم بمنابذته وترك مخالطته » . (الملل والنحل ، ص ٣٨٦) .

(٢) سورة الشورى : آية ١١ .

ومن فرق الشيعة البصرية والإسحاقية والباطنية والقرمطية والمدركية واليعملية والملحدة، وهذه كلها أصلها من فرقة واحدة تمام السبع والعشرين، وفرق كثيرة ضربت عنها صفحاً لأنهم خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة والدهرية والبراهمة الغوية . نسأل الله الإرشاد والنجاة من عذابه يوم المعاد إنه كريم جواد

ولم تبق إلا الفرقة المحقة التى هى على الكتاب والسنة والإجماع وهى الأباضية لمكان إمام المسلمين عبد الله بن أباض رحمه الله .

الباب الخمسون

فى ذكر فرقة أهل الاستقامة وشرح اعتقاداتها بالحجة والبرهان

وهى الفرقة المحقة التى هى على الكتاب والسنة والإجماع وهى الأباضية لمكان إمام المسلمين عبد الله بن أباض بن تيم اللات بن ثعلبة رحمه الله، ورهط الأحنف بن قيس التميمى ، وهو الذى فارق جميع الفرق الضالة عن الحق من المعتزلة والقدرية والصفاتية والجهمية والخوارج والروافض والشيع ، وهو أول من بين مذاهبهم ونقض فساد اعتقادهم بالحجج القاهرات ، والآيات المحكمات النيرات ، والروايات البينات الشاهرات : نشأ فى زمان معاوية بن أبى سفيان ، وعاش إلى زمان عبد الملك بن مروان ، وكتب إليه السير المشهورة والنصائح المعروفة المذكورة. رفع المذهب عن عبد الله بن العباس ، وأبى الشعثاء جابر بن زيد ، ونقل عن أهل النهروان والنخيلة وعن التابعين من أهل صفين والجمل ، وعن الصحابة مثل عمار بن ياسر ، وخزيمة بن ثابت ذى الشهادتين ، ومحمد وعبد الله ابنى بديل بن ورقاء الخزاعى ، وعبد الله ابن مسعود وحذيفة بن اليمان ، ومعاذ بن جبل ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسلمان الفارسى ، وبلال ، وصهيب الرومى ، وعائشة أم المؤمنين ، والخليفتين الرضيين أبى بكر وعمر والمهاجرين والأنصار رضى الله عنهم أجمعين .

وذلك أنه فارق |٢٦٢| جميع الفرق الضالة الذين بينت ضلالتهم فى كتابى هذا ، وقال إن الإيمان قول وعمل ونية واتباع سنة ، وان ليس فيه اعتلال على أحد بالجنات ولا ميلولة إلى هوى ، وإنما هو اتباع سبيل التقوى والإيمان ، أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وجنته وناره ووعده ووعيده والبعث والحساب واليوم الآخر ، وتصديق ما جاء به الأنبياء من ربهم ، وان القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وان لله ثواباً لا يشبهه ثواب ، وعقاباً لا يشبهه عقاب ، وان نؤمن بالقدر خيره وشره ، وان الله خالق كل شىء ولا خالق سواه ، وانه لا يخلف وعده ولا يبطل

وعيده ، وانه صادق فيما قال ، وان كل ما جاء به محمد بن عبد الله من عند الله فهو الحق المبين ، لا شك فيه ولا ارتياب ، وان الله سبحانه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، ولاتحويه الأقطار ، وهو الله لا إله إلا هو الواحد القهار ، الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، الخالق البارىء المصور الباعث الوارث المحيي المميت الحى الذى لا يموت ، القوى الغنى العلى الولى الجبار المتكبر ، الواحد الفرد الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، عالم خبير عزيز حكيم (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)(١) . أول ليس قبله شىء ، آخر ليس بعده شىء ، خالق كل شىء ومحيط بكل شىء ، وعالم بكل شىء وهو بكل شىء عليم ، لا تدركه الأوهام ، ولا يشبه بالأجسام ، ولا الحركات والسكون ، حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، عالم بما يكون قبل كونه أن لو كان كيف يكون بالقدرة القاهرة والعظمة الظاهرة ، منشىء النشأة الأولى والنشأة الأخرى ، لا تحويه الأمكنة ، ولا تغيره الأزمنة ، ذو العزة والملكوت والقوة والجبروت ، الحى الباقى الذى لا يموت ، البرىء من الأشباه والأضداد ، المقدس عن الصاحبة والأولاد ، منزه عن صفات أهل الشرك والإلحاد ، المتعالى عن إدراك النواظر وتحصيل الأوهام والخواطر ، القادر بلا أعوان وأنصار ، الناظر بلا خواطر وأفكار .

العالم لا باكتساب ولا اضطرار ، الدائم لا بزمان ومقدار ، المطلع على خفيات الأسرار ، لا تراه العيون والأبصار ، العالم بما يكون قبل كونه أن يكون ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون .

فصل

والإسلام من الإيمان وهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق [٢٦٣] ليظهره على الدين كله

---

(١) سورة الشورى : آية ١١ .

ولو كره المشركون ، وأن ما جاء به محمد بن عبد الله فهو الحق المبين ، لا شك فيه ولا ارتياب ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور .

فصل

فيما لا يتم الإسلام إلا به

وهى الصلاة بحدودها وفرائضها وسننها والعلم بوجوبها ، والطهارة والوضوء لها وإقامتها لوقتها وعلى البقعة الطاهرة واستقبال القبلة بها والمواظبة(١) عليها وترك ما ينقضها من قول وعمل ، ومعرفة أصولها وصلاة الحضر من صلاة السفر . وصلاة الجمعة كما فرضها الله سبحانه وتعالى وسنها رسوله وأئمة الهدى من بعده فى الأمصار الممصرة ، وخلف أئمة العدل . وصلاة العيدين ، وصلاة الميت والكسوفين والوتر والنوافل وغير ذلك مما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والزكاة مما أوجب من صنوف الأموال التى تجب فيها الزكاة والعلم بوجوب فرضها ودفعها إلى أهلها من بعد استكمال النصاب وإخراج الخمس من الغنائم ودفعه إلى أهله ، وزكاة الفطر عن كل مولود صاع مما يقتات وإخراجه إلى الفقراء. وصيام شهر رمضان بالحلم والعفاف ، واستكمال طرفى المفترض منه مع اجتناب ما نهى الله عنه ورسوله فيه والعلم بوجوب فرضه . والحج إلى بيت الله الحرام والعمل فى الحج بفرائضه وسننه وتحريم الرفث والفسوق والجدال فى الحج ، والإحرام من الميقات والوقوف بعرفات وزيارة البيت والسعى والطواف ، ورمى الجمار ، ومعرفة وجوب فرضه وسنته وما يلزم من الجزاء فيه من قتل الصيد وقطع شجر الحرم. وصلة الأرحام وبر الوالدين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المحذوف . والجهاد فى سبيل الله وإيتاء ذى القربى حقوقهم والجار وابن السبيل ، وأداء الامانة والقيام بالشهادة والقيام بالقسط والعمل بالحق وغض النظر عن المحارم وحفظ الفروج وترك القول بالزور وترك العمل بالفجور وترك الخيانة .

---

(١) كتبت فى المخطوطة « المواضبة » .

وتحريم الحرام واستحلال الحلال ، وطاعة ذى الحلال والانتهاء عما نهى الله عنه ورسوله . والغسل من الجنابة ، والغسل من الحيض والنفاس . وترك المواعدة فى العدة ، وتحريم الشهادة بغير علم ، والإشهاد على البيع . وتحريم قذف المحصنين ، وتحريم مال اليتيم ، وتحريم أكل أموال الناس بالباطل ، وتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ، وتحريم شرب الخمر ، وتحريم شراب المسكر من كل شراب ، وترك الارتياب ، والوقوف عن الشبهات ، وقتال أهل البغى بعد إقامة الحجة عليهم حتى |٢٦٤| يفيئوا إلى أمر الله .

وقتال المحاربين الممتنعين عن الحق حتى يؤخذوا بما وجب عليهم أو ينفوا من الأرض ، وإقامة الحدود على السارق والقاذف ، والزانى وقاتل النفس لغير حق ، وتحريم عقوق الوالدين ، والوفاء بعهد الله على طاعته ونقض كل عهد على معصيته ، والولاية لأهل طاعة الله لله وفى الله ، ومفارقة أعداء الله لله وفى الله ، والولاية لجميع أولياء الله والبراءة من جميع أعداء الله . وتحريم ما أهل لغير الله به ، وتحريم كل ما حرم الله من الميتة والدم ولحم الخنزير ، وتحريم ما أهل لغير الله به ، وتحريم كل ذى مخلب من الطير وناب من السباع ، وتحريم ما ذبح على النصب إلا فى حال الاضطرار غير باغ ولا عاد . وتحريم نكاح المتعة ، وتحريم ذات البعل ، وتحريم التزويج فى العدة وتحريم تزويج تحلة للمطلق ثلاثاً ، وتحريم تزويج المطلقة ثلاثاً على زوجها حتى تنكح زوجاً غيره ، وتحريم ما حرم الله من نكاح ذات النسب والصهر والرضاع ، وتحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، وتحريم غشيان النساء فى الدبر . وتحريم قذف المحصنين من الرجال والنساء ، وتحريم ما حرم الله من المناكح والمشارب . وتحريم ادعاء الهجرة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحريم القول على الله بغير الحق ، وتحريم الدماء إلا حيث أحلها ، وتحريم الأيمان الكاذبة ، وتحريم الشهادة بغير علم وتحريم كتمان الشهادة ، وتحريم الكبر والفجور والخيلاء ، وتحريم المشى فى الأرض مرحاً .

وتحريم النوح ولطم الخدود وشق الجيوب ، وجز الشعور ، وتحريم النداء بالويل . وتحريم إظهار الزينة للنساء عند غير البعل سوى الكحل فى

العينين والخاتم فى اليدين . وعليهن أن يدنين عليهن من جلابيبهن، وعليهن أن يحفظن ما استحفظهن الله وائتمنهن على أنفسهن، ويضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وليقلن قولا معروفاً ، وليقرن فى بيوتهن ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن . والاستئذان فى البيوت، والسلام على أهل الصلاة ورد السلام ، وغسل الموتى والصلاة عليهم ومواراتهم والدعاء للولى منهم. وترك البخل والكف عن التبذير ، وكف الأذى عن الجار والإحسان إليه والإحسان إلى ما ملكت اليمين .

ولين الجانب وحسن الصحبة وتحريم الوطء فى الحيض والنفاس ، وتحريم الوطء فى العدة ، وتحريم أموال أهل القبلة من البغاة وغيرهم ، وتحريم الغش ، وتحريم الغيبة |٢٦٥| والنميمة وتحريم البغى والبهتان ، وتحريم التجسس لعورات الناس ، وتحريم السعاية وتحريم المشى فى الأرض مرحاً ، وتحريم مصاحبة الفجار ، وتحريم فشى الأسرار ، وتحريم الأشر والبطر ، وتحريم الافتخار ، وتحريم الجدال والمراء فى الباطل ، وتحريم إذاعة الفاحشة ، وتحريم عمل بغير علم . وتحريم الدخول فى الشك والشبهة ، وتحريم اتباع الهوى والريبة ، وتحريم الفساد فى الأرض ، وتحريم المكر والخديعة ، وتحريم ارتكاب الآثام وانتهاك المحظورات(١) .

وتحريم الحسد والبغى فيما يعرف حله من حرامه ، وتحريم أكل الربا ، وتحريم القول بغير علم ، وتحريم النطق باللغو ، والغناء والملاهى ، وتحريم اتباع الباطل وانتهار السائل ودخول منازل الناس بغير إذن . وتحريم لبس الذهب والحرير على الرجال . وتحريم ما حرم الله من القول والعمل مما ذكرنا أو لم أذكره. والولاية لأولياء الله والبراءة من أعداء الله، والبراءة ممن قال بالفجور وعمل بالجور وركب الإثم والكفور .

والولاية لكل من عمل بالحق كان له ذكر أو غير مذكور ، والبراءة ممن

(١) كتبت فى المخطوطة « المحضورات » .

أثبت الإيمان لمن لا يجتنب محارم الله وانتهكها وعمل بمعاصيه وشك فى وعد الله ووعيده وهم الصفاتية .

والبراءة ممن زعم أن الله إنما يعذبهم أياماً معدودة ثم يخرجهم ، وأنه يدخلهم الجنة ويتولاهم بعد الغضب عليهم ودخولهم النار وهم المرجئة وأشياعهم. والبراءة ممن زعم أن الله فرض عليهم معرفة الأوصياء والطاعة والولاية لهم وإن كانوا أهل ضلال ومعصية ، وأن من تولاهم وأطاعهم فهو مغفور له وهم الشيع . والبراءة ممن زعم أن للقرآن ظاهراً وباطناً فعلم ظاهره عند الناس وعلم باطنه عند الأوصياء ، وأنه يوحى إليهم وأنه لا تخلو الدنيا من نبى أو وصى يوحى إليه وهم الإسماعيلية من الروافض . والبراءة ممن برىء من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وزعموا أنهما ظلما الأوصياء بمنعهما الإمامة الأوصياء وأن دولتهم وظهور أمرهم وبيان تصديق قولهم خروج رجل منهم فى آخر الزمان وهو المنتظر عندهم وهم الرافضة .والبراءة ممن زعم أن كل دار يحكم فيها بغير ما أنزل الله فإن الله لا يقبل من أحد فيها حسنة ولا يستوجب أحد فيها ثواباً ، ولا يغفر لأحد فيها خطيئة وأن الله لا يعذر أحداً بالمقام فيها حتى يهاجر ، وأن الميت والقتيل فى غير هجرتهم كافر مشرك ، وأن القاذف والقاتل والزانى والسارق وصاحب الموبقات فى دار هجرتهم مسلم ، وأن له الثواب |٢٦٦| عند الله وأن دار الهجرة ليس فيها منافق ولا فاسق ، وأن ليس فيها ما كان فى دار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع إنكارهم الرجم وجلد شارب الخمر ، وجلدهم من أخطأ محبتهم ، وهم الأزارقة وصنوف الخوارج . والبراءة ممن زعم أن أهل الكبائر لا مؤمنون ولا كافرون والله يعذب غير الكافرين ، مع قولهم إن الله لم يخلق أعمالهم وإنهم هم خلقوها وإن الله لا يهدى المؤمنين ولا يخصهم منه برحمة ، وأن الهدى والضلال إليهم فأيهما شاءوا أخذوا ، وليس لله فى أعمال العباد مشيئة ، وأنهم عملوا خلاف ما شاء الله فى ولا يتهم أهل الاحداث من أهل رأيهم وغيرهم ، وهم القدرية والمعتزلة وصنوفها . وقد بينا الحجة على جميعهم فيما تقدم من الكتاب .

والبراءة ممن زعم أن الله جبر العباد على الطاعة والمعصية ؛ وأن الله لم يكن عالماً بالأشياء قبل كونها وهم الجهمية وأشياعهم . وقد بينا الحجة عليهم . والبراءة ممن برىء من المسلمين وطعن فى دينهم ، والبراءة ممن وقف عن المسلمين ولم يتولهم. والولاية للإمام الصادق الشكور ، ولكل من عمل بالحق كان له ذكر أو غير مذكور .

فهذه سنن وفرائض نقلها إلينا صادق عن صادق ولم نقلد ديننا أهل الضلال ، ولا رضينا بحكومة الرجال ، ولا نأخذ ديننا عن السفهاء والجهال . لأنا سمعنا رب العالمين يقول فى محكم كتابه المبين : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)(١) ، (ولا تطيعوا أمر المسرفين. الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون)(٢) فاتبعنا الصادقين الذين عرف صدقهم وشهرت عدالتهم بلغ فى العلم والعمل ، الأتقياء الأبرار ، الفضلاء الأخيار ، فى الورع والنزاهة ، والعقل والنباهة ، والإخلاص والديانة والخضوع والاستكانة ، المتنافسون فى قواعد الدين وحقائقه ، والمتغلغلون فى غوامضه ودقائقه ، الذين أوضحوه للناس ، ونزهوه عن الأدناس ، وتناقلوه سلفاً عن سلف ، وحملوه خلفاً عن خلف ، فقفوناه على الحقيقة ، ووجدناه أفضل طريقة ، نشهد لمتحليه بالفوز والخلاص ، ونحكم لمعتقديه بالسلامة يوم القصاص ، ونقضى على متجانفيه بالويل والخسار ، وتوعدهم بالحيرة وضد اليسار ، لأن الباطل ولو ظهر غير متبوع ، وحيث ما توجه فهو كليل مقطوع ، والله سبحانه وتعالى نسأله السداد وهو ولى التوفيق والإسعاد ؛ وإياه نستغفر ونتوب من جميع الخطايا والحوب ، وصلى الله على رسوله المختار ، وآله وأصحابه الأتقياء الأبرار ، صلاة تعم [٢٦٧] فى آناء الليل وأطراف النهار ، وعلى الملائكة المقربين ، والأنبياء والمرسلين ، وجميع المؤمنين من الأولين والآخرين إلى يوم الدين .

---

(١) سورة التوبة : آية ١١١ .

(٢) سورة الشعراء : الآيتان ١٥١ ، ١٥٢ .

فصل
فى رفع المذهب

رفع المذهب الشيخ أبو الحسن على بن محمد البسياوى ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن بركة ، وسعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن بشير وعبد الله ابنى محمد بن محبوب ، ومن كان بعصرهم من المسلمين ، وسعيد بن محرز والوضاح بن عقبة ومن كان بعصرهم من المسلمين ، عن موسى بن على ؛ وهاشم بن غيلان ، ومحمد بن محبوب ومن كان بعصرهم من المسلمين عن موسى بن أبى جابر ، ومنير بن النير ، وسليمان بن عثمان . ومحبوب بن الرحيل البصرى ، وخلف بن زياد البحرانى ، وشبيب بن عطية العمانى ، ومن بعصرهم من المسلمين عن الجلند بن مسعود العمانى ، وعبد الرحمن بن رستم الفارسى ، وجعفر بن السمان ومن بعصرهم من المسلمين عن المختار بن عوف العمانى ، وعبد الله بن يحيى الحضرمى ، وعلى بن الحصين ، وهلال بن عطية الخراسانى ومن بعصرهم من المسلمين ، عن أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة البصرى ، وفروة بن نوفل ووداع بن حوثره ، ومن بعصرهم من المسلمين ، عن عبد الله بن أباض وعروة والمرداس ابنى حدير ومن بعصرهم من المسلمين ، عن أبى الشعثاء جابر بن زيد وعبد الله ابن وهب الراسبى ، وزيد بن صوحان العبدى ومن بعصرهم من المسلمين ، عن عبد الله بن العباس ، وخزيمة بن ثابت ، ومحمد وعبد الله ابنى بديل ابن ورقاء الخزاعى وعمار بن ياسر ، وبلال وصهيب وسالم مولى أبى حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبى عبيدة بن الجراح ، وأبى ذر ، وعائشة أم المؤمنين ، والخليفتين أبى بكر وعمر والمهاجرين والأنصار رضى الله عنهم أجمعين . عن النبى صلى الله عليه وسلم ، عن جبريل الأمين ، عن رب العالمين : فليس لديننا مطعن والحمد لله رب العالمين .

فصل
فى فضل الصحابة رضى الله عنهم

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، وأشدهم فى دين الله عمر ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح ، وأصدق لهجة فى الإسلام أبو ذر الغفارى . وقال: من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله فلينظر إلى سالم مولى أبى حذيفة . وقال صلى الله عليه وسلم : ليلينى منكم أولوا الأحلام . وكان يصف خلفه عبد الله بن مسعود ، وقال: ما لكم ولعمار يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار ! ! وقال له: تقتلك الفئة الباغية . وجعل شهادة خزيمة بن ثابت عن شهادة رجلين من المسلمين ، وقال له: تسبقك يدك إلى الجنة |٢٦٨| ثم يتبعها جسدك . فقيل إن يده قطعت يوم الجمل وقتل بصفين مع عمار . وكان يقال حذيفة بن اليمانى صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان يسأله عما يحيط الأعمال رضى الله عنهم وغفر لهم .

فهؤلاء الذين أخذنا عنهم ديننا وقبلنا قولهم فيما غاب عنا وآثارهم حققنا وأقوالهم صدقنا ، وهم الأمناء عندنا فيما نقلوه من الكتاب والسنة والإجماع ، ولم نقلد ديننا أهل الضلال ولا رضينا بحكومة الرجال ، بل ندين لله بأداء جميع الفرائض والانتهاء عن جميع المحارم ، والعمل بجميع اللوازم ، واجتناب جميع المآثم .

وديننا قول وعمل واتباع سنة ، وأداء جميع الأمانات ، وترك الخيانات ، والوقوف عن الشبهات ، والسؤال لأهل الذكر فيما عرض وشجر من البينات ، والمحن النازلات ، حتى نعمل بعلم ، ونحكم بعلم ، ونبرأ إلى الله من جميع أهل المظالم والمعاصى ، ونتولى جميع المؤمنين الدانى منهم والقاصى ، ونقتدى بأئمتنا الماضين ، وفقهائنا المرضيين ، الذين بينت لك أسماءهم وقصصت سيرتهم ، معروفة أحكامهم ، شاهرة عدالتهم ، فنحن لهم تبع وإلى قولهم نرجع . وقد بينت فى كتابى هذا ما فيه كفاية لمن من الله عليه بالهداية ، وذكرت أسماء جميع

أهل الفرق الإسلامية ، وبينت أهل الحق ممن خالفهم من جميع الفرق الضالة عن الكتاب والسنة والإجماع من المعتزلة والقدرية والمشبهة من الصفاتية والخوارج والشيع ، وممن تسمى بالجماعة والسنة من المرجئة ، وبينت اعتقاد الفرقة المحقة التى على الكتاب والسنة والإجماع وهى الأباضية . وذكرت فرقتهم واعتقادهم واعتقاد من سواهم من الفرق الضالة من أهل الجحود والشرك والمجوس واليهود والنصارى والفلاسفة ، والدهرية ، والصابئة ، والثنوية ، والبراهمة الغوية ، وعبدة الشمس والصلبان ، والنجوم والأوثان ، والصور والألوان ، يجمعهم الجحود بالربوبية ، والرسالة النبوية ، ونحن نشهد لمن مات من هؤلاء على هذا الاعتقاد بالنار ، وسخط الجبار ، فمن وقف على جميع ما كتبته وتصفحه وبان له غلط من قولى فليصلحه ويبين الحق ويوضحه .

وأنا أستغفر الله مما خالفت فيه الحق والصواب من القول والعمل ، وأسأل الله سبحانه أن يكتبنا مع الشاهدين ، وأن يجعلنا على طاعته من الصابرين وأن ينجينا برحمته من النار إنه أرحم الراحمين ، وأن يختم عملنا بالمغفرة [٢٦٩] والرضوان ، وأن يخرجنا من لهب النيران ، وأن يحشرنا فى زمرة النبى الأمى العربى محمد صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً دائماً على مر الدهور والأزمان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، نسأل الله لنا ولكافة المسلمين أن تكون ممن استمع فوعى ووعى ، فحفظ وحفظ ، فعلم وعلم فعمل إنه كريم منان ، رحيم رحمن ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله الذى هو من آل عدنان ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان ، وأنا استغفر الله من التحريف والتصحيف والزيادة والنقصان ...

تم كتاب الكشف والبيان بعون الله الملك الديان وكان تمامه يوم
الخميس والثالث عشر من شهر شوال المبارك من شهور سنة
تسعين سنة ومائتى سنة وألف سنة من الهجرة المحمدية
على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام فى عصر
سيدنا ومولانا الثقة العدل الزاهد الورع
الولى الرضى المرضى سيدنا برغش
ابن سعيد بن سلطان بن الإمام
بقلم المذنب سالم بن
راشد رقمه لسيده
وولى نعمته
مولانا سيد على بن سعود
آمين
تم

*

لصاحبه السعادة والسلامة	وطول العمر ما ناحت حمامة
كتبت الخط واستعملت جهدى	من القدمين مع تعب التراقى
فسل لى رحمة يا من قراه	لأنى قد فنيت وأنت باقى

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

* * *

أهم مصادر تحقيق مخطوط « الكشف والبيان »

المحفوظ فى مكتبة وزارة التراث القومى والثقافة فى سلطنة عمان

الجزء الأول تحت رقمى (الرقم العام ١٤٢٨
الرقم الخاص ٢٣ تاريخ

الجزء الثانى تحت رقمى (الرقم العام ١٤٢٩
الرقم الخاص ٢٣ تاريخ

(أ)

المصادر المخطوطة :

– ابن أبى بكر (أبو زكريا يحيى . ت فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) : السيرة وأخبار الأئمة . مخطوط فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٩٠٣٠ ح .

– ابن عبد السلام (جعفر بن أحمد . ت فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى) : إبانة المناهج فى نصيحة الخوارج . مخطوط فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٢٥٤٩٩ ب .

– البرادى (أبو القاسم بن ابراهيم . ت ٦٩٧ هـ) : رسالة فيها تقييد كتب أصحابنا . مخطوط فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٢١٧٩١ ب .

– الجيطالى (اسماعيل بن موسى . ت ٧٥٠ هـ) : شرح قواعد الإسلام : مخطوط فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٢٢٠٦٧ ب .

– الخراسانى (أبو غانم . ت فى القرن الثانى الهجرى) : المدونة . مخطوط فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٢١٥٨٢ ب .

– الدرجيني (أبو العباس أحمد . ت فى القرن السابع الهجرى) : **طبقات الأباضية** . مخطوط فى دار الكتب المصرية بالقاهرة ، رقم ١٢٥٦ ح ، ٧٢٦١٢ تاريخ تيمور .

– الشماخى (أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخى الأباضى ؛ ت ٩٢٨ هـ) :

١ – شرح مقدمة التوحيد . مخطوط فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٢٢٥٧٢ ب .

٢ – شرح مقدمة أصول الفقه . مخطوط فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٢١٥٨٧ ب .

– العوتبى (سلمة بن مسلم الصحارى العوتبى) : أنساب العرب . مخطوط فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٢٤٦١ تاريخ .

(ب)

المراجع المطبوعة :

– ابن أبى الحديد (الشريف الرضى محمد بن أحمد الحسينى . ت ٤٠٤هـ): كتاب نهج البلاغة . أربعة مجلدات . القاهرة ١٣٢٩هـ ، وطبعة بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

– ابن الأثير (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد . ت ٦٠٦ هـ) : النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤ أجزاء . المطبعة العثمانية بالقاهرة ١٣١١ هـ .

– ابن الأثير (عز الدين على بن محمد . ت ٦٣٠ هـ) :

١ – الكامل فى التاريخ . ١٢ جزءاً ، بولاق ١٢٩٠ هـ .

٢ – أسد الغابة فى معرفة الصحابة . ٥أجزاء ، القاهرة ١٢٨٥–١٢٨٦هـ ،

— ابن الباقلانى (الإمام أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلانى : ت ٤٠٣ هـ) :
التمهيد فى الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة : حققه محمود محمد الخضيرى ومحمد عبد الهادى أبو ريدة : دار الفكر العربى : القاهرة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .

— ابن تيمية (شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد الحنبلى الدمشقى : ت ٧٢٨ هـ) وتلميذه ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الدمشقى الحنبلى : ت ٧٥١ هـ) : القياس فى الشرع الإسلامى : نشر محب الدين الخطيب . القاهرة ١٣٤٦ هـ .

— ابن حجر (شهاب الدين بن على العسقلانى : ت ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م) :

١ — الإصابة فى تمييز الصحابة . القاهرة ١٣٥٨ هـ :

٢ — فتح البارى بشرح صحيح البخارى . بولاق القاهرة ١٣٠٠ هـ .

٣ — تهذيب التهذيب . دار صادر ، بيروت الطبعة الأولى :

٤ — الدرر الكامنة : دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م :

— ابن حزم الأندلسى (الإمام أبو محمد على الظاهرى : ت ٤٥٦ هـ) :

١ — الفصل فى الملل والأهواء والنحل : ٤ أجزاء : القاهرة ١٣١٧ هـ :

٢ — جمهرة أنساب العرب . نشر ليفى بروفنسال : دار المعارف بمصر : القاهرة ١٩٤٨ م .

ابن حنبل (الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى : ت ٢٤١ هـ) :

١ — كتاب الزهد . مطبعة أم القرى ١٣٥٧ هـ :

٢ — الرد على الزنادقة والجهمية : استنبول ١٩٢٧ م :

٣ — مسند ابن حنبل : المطبعة الميمنية بالقاهرة ١٣١٣ هـ :

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد . ت ٨٠٨ هـ) :
١ - مقدمة ابن خلدون . القاهرة ١٣١١ هـ .
٢ - العبر وديوان المبتدا والخبر ، المعروف بتاريخ ابن خلدون ، ٧ أجزاء . القاهرة ١٢٨٤ هـ .

- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أبى بكر الشافعى . ت ٦٨١ هـ) :
وفيات الأعيان : جزءان ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .

- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد اليعربى الأزدى اللغوى البصرى . ت ٣٥١ هـ) : الاشتقاق . نشر وستنفلد . جوتا ١٨٥٣ - ١٨٥٥ م .

- ابن الديبع الشيبانى (عبد الرحمن بن على . ت ٩٤٤ هـ): تيسير الوصول إلى جامع الأصول لأحاديث الرسول . القاهرة ١٣٤٦ هـ .

- ابن رزيق (حميد بن محمد . ت ١٢٧٤ هـ) : الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيدين : تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسى . الناشر وزارة التراث القومى بسلطنة عمان . مطابع سجل العرب بالقاهرة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

- ابن رزيق (حميد بن محمد . ت ١٢٧٤ هـ) : الشعاع الشائع باللمعان فى ذكر أئمة عمان . تحقيق عبد المنعم عامر . الناشر وزارة التراث القومى بسلطنة عمان . طبع بدار احياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- ابن سعد (كاتب الواقدى . ت ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى ، ٨ أجزاء ، ليدن ١٩٠٥ - ١٩٢١ م و ج ١ ، ٢ ، القاهرة ١٣٥٨ هـ .

- ابن سيده (أبو الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى الأندلسى . ت ٤٥٨ هـ) : المخصص . ١٧ جزءاً ، بولاق ١٣١٦ - ١٣٢١ هـ .

- ابن طباطبا (محمد بن على بن طاطبا المعروف بابن الطقطقى . انتهى من تأليف كتابه فى سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م) : الفخرى فى الآداب السلطانية والدولى الإسلامية . القاهرة ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م .

- ابن عبد البر النمرى القرطبى (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ت ٤٦٣ هـ) : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب على هامش الإصابة لابن حجر العسقلانى . القاهرة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م .

- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى . ت ٢٧٠ هـ أو ٢٧٦هـ) :

١ - عيون الأخبار : ٤ أجزاء ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٧ - ١٩٣٠ م .

٢ - المعارف . القاهرة ١٩٣٥ م .

- ابن كثير (الإمام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى . ت ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية فى التاريخ ج ١ ، ٢ . الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .

- ابن ماجه (أبو عبدالله محمد بن يزيد الربعى بالولاء القزوينى . ت ٢٧٣هـ) : سنن ابن ماجه . المطبعة العلمية بمصر ١٣١٣ هـ .

- ابن المجاور (جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيبانى الدمشقى) : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر . طبع فى ليدن ١٩٥١ م (عنى بتصحيحه أوسكر لوفغرين) .

- ابن مزاحم المنقرى (نصر . ت ٢١٢ هـ) : وقعة صفين . تحقيق عبد السلام محمد هارون - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٨٢ هـ .

- ابن منظور الإفريقى المصرى (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم

الأنصارى الخزرجى ت ٧١١ هـ) : لسان العرب : ٢٠ جزءاً ، المطبعة الاميرية ببولاق — القاهرة ١٣٠٢ — ١٣٠٧ هـ .

— ابن النديم (محمد بن إسحاق . ت نحو ٣٨٥ هـ) : الفهرست . ليبزج ١٨٧١ م ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

— ابن هشام (الإمام أبو محمد عبد الملك ابن هشام بن أيوب المعافرى الحميرى ت ٢١٨ هـ) : كتاب سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام : ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٣٧ و ١٣٥٦ هـ وجزءان ، نشر محمد على صبيح وأولاده ، القاهرة ١٣٤٦ هـ .

— أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى . ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . الطبعة الأولى . دار الكتب المصرية .

— أبو داود السجستانى (الشيخ الإمـام سليمان بن الأشعث الأزدى ت ٢٧٥ هـ) : سنن أبى داود . دهلى الهند ١٢٨٣ هـ ، والقاهرة ١٩٥٢ م .

— أحمد أمين :

١ — فجر الإسلام : القاهرة ١٩٢٨ م .

٢ — ضحى الإسلام . ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٣٦ م .

— أحمد زينى دحلان :

١ — السير النبوية والآثار المحمدية (على هامش السيرة الحلبية) القاهرة ١٣٢٠ هـ .

٢ — الشرح الكبير . بولاق ١٣١٩ هـ .

— احمد كامل الخضرى : المواريث الإسلامية. الطبعة الثانية- مطبعة التوكل، القاهرة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م .

– الأزرقى (ت ٢٠٤ هـ أو ٢١٩ هـ أو ٢٢٣ هـ) : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار . المطبعة الماجدية بمكة المكرمة .

– الاسفرايني (أبو المظفر بن طاهر بن محمد . ت ٤٧١ هـ) : التبصير في الدين . نشر مكتبة الخانجي . مصر ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .

– الأشعرى (أبو الحسن على بن اسماعيل . ت ٣٣٠ هـ) : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين . ج ١ و ٢ . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

– الاصبهانى (أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهانى . ت ٥٠٢ هـ) : المفردات فى غريب القرآن . ٤ أجزاء . تحقيق وضبط محمد سيد كيلانى . مطبعة مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

– الاصفهانى (أبو الفرج . ت ٣٥٦ هـ) : كتاب الأغانى . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٧ — ١٩٤٥ م .

– الأصفهانى (أبو عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهانى . ت ٣٠٦ هـ) : تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء . ليبزج ١٨٢٤ م .

– البخارى (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخارى الجعفى . ت ٢٥٦ هـ) :

١ – صحيح البخارى : المطبعة العثمانية بالقاهرة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م) .

٢ – التاريخ الكبير ، حيدر أباد ، ١٣٨٢ هـ .

– البرادى (أبو القاسم بن ابراهيم . ت ٦٩٧ هـ) : الجواهر المنتقاة . القاهرة ١٣٠٢ هـ .

– البغدادى (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد . ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) :

١ – الفرق بين الفرق . حققه محمد بدر . مطبعة المعارف بمصر ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠ م .

٢ – مختصر كتاب الفرق بين الفرق . (نشره فيليب حتى . مطبعة الهلال بمصر ١٩٢٤ م) .

– البغدادى (أبو الفوز محمد أمين المشهور بالسويدى) : قبائل العرب . بغداد ١٢٨٠ هـ .

– البكرى (أبو عبيد الله بن عبد العزيز . ت ٤٨٧ هـ) :

١ – كتاب المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب . باريس ١٩١١ م.

٢ – كتاب معجم ما استعجم . تحقيق مصطفى السقا . القاهرة ١٣٦٤ – ١٣٧١ هـ / ١٩٤٥ – ١٩٥١ م .

– البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر . ت ٢٧٩ هـ) :

١ – كتاب فتوح البلدان . ليدن ١٨٦٦ م .

٢ – أنساب الأشراف . تحقيق الدكتور محمد حميد الله . مصر ١٩٥٩م.

– البيضاوى (ناصر الدين عبد الله بن عمر . ت ٧٩١هـ) : أنوار التنزيل وأسرار التأويل . ومعه حاشية شيخ زاده . استنبول ١٣٠٣ هـ .

– الترمذى (الإمام أبو عيسى بن محمد . ت ٢٧٩ هـ) : جامع الترمذى أو الجامع الصحيح . بولاق ١٢٩٢ هـ .

– الثعالبى (أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبى النيسابورى . ت ٤٢٩ هـ) :

١ – يتيمة الدهر ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٤ هـ .

٢ – لطائف المعارف . طبع دى يونج ، ليدن ١٨٦٧ م .

— الثعلبي (ابو إسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري الملقب بالثعلبي والثعالبي . ت ٤٢٧ هـ) : قصص الأنبياء المسمى بالعرائس ويعرف بعرائس المجالس في قصص الأنبياء . (القاهرة ١٣٤٤ هـ) .

— الجرجاني الحنفي (السيد الشريف علي بن محمد بن علي أبي الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي . ت ٨١٦ هـ) : التعريفات . القاهرة طبع مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .

— الجواليقي (أبو منصور موهوب اللغوي البغدادي . ت ٥٣٩ هـ) : المعرب من الكلام الأعجمي . نشر الأستاذ سخاو . ليبزج ١٨٦٧ م .

— الحطيئة (أبو مليكة جرول بن أوس العبسي ، ينتهي نسبه إلى غطفان : ت ٣٠ هـ) : ديوان الحطيئة بعناية جولدزيهر — ليبزج ١٨٩٣ م ، ونشر بشرح أبي الحسن السكري بمطبعة التقدم بالقاهرة ١٣٢٣ هـ .

— الحارثي (سالم بن حمد) : العقود الفضية في أصول الأباضية . دار اليقظة العربية في سوريا ولبنان . بدون تاريخ .

— الخفاجي (أحمد بن محمد بن عمر قاضي القضاة الملقب بشهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي . ت ١٠٦٩ هـ) : شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل . مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٥ هـ .

— الذهبي (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد. ت ٧٨٤هـ) : تذكرة الحفاظ . الهند ١٩٥٧ م .

— الرزي (الإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب . ت ٦٠٦ هـ) : كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

— الرازي (أبو محمد عبد الرحمن بن إدريس بن التيمي) : الجرح والتعديل . حيدر أباد . مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٦١ هـ .

— الزبيدى (محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى ت ١٢٠٥ هـ) : تاج العروس من جواهر القاموس . مصر ١٨٨٩ م .

— الزبيرى (أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام. ت ٢٣٦ هـ) : نسب قريش. نشر ليفى بروفنسال. دار المعارف — القاهرة ١٩٥٣ م .

— الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) : جمهرة نسب قريش. بيروت ١٩٦٦ م.

— الزركلى (خير الدين) : الأعلام ، ١٠ أجزاء ، الطبعة الثانية — مصر ١٩٥٤ — ١٩٥٩ م .

— الزمخشرى (الإمام محمود بن عمر . ت ٥٢٨ هـ) كتاب الكشاف : مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م .

— السالمى (أبو محمد عبد الله بن حميد بن سلوم السالمى) : تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان :

الجزء الأول : الطبعة الأولى . القاهرة ١٣٣٢ هـ .

والجزء الثانى : الطبعة الخامسة . الكويت ١٣٩٤ هـ .

— السجستانى (أبو بكر محمد بن عبد العزيز . ت ٣٣٠ هـ) : غريب القرآن . مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٥ هـ.

— السمعانى (أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور . ت ٥٦٢ هـ) : الأنساب . الطبعة الأولى حيدر أباد ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

— السهروردى (أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله) : عوارف المعارف . القاهرة ١٩٣٩ م .

— السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر الشافعى . ت ٩١١ هـ) :

١ — الاتقان فى علوم القرآن . مطبعة الحجازى بالقاهرة ١٣٦٨ هـ .
٢ — الجامع الصغير ؛ مطبعة مصطفى البابى الحلبى . مصر ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م .
٣ — بغية الوعاة . مطبعة السعادة . القاهرة ١٣٢٦ هـ .

— الشاطبى الغرناطى (أبو إسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمى) :
الاعتصام ج ١ ، ٢ . المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة ١٣٣٢ هـ .

— الشماخى (أحمد بن سعيد . ت ٩٢٨ هـ) : كتاب السير . المطبعة البارونية بالقاهرة ١٣٢٠ هـ .

— الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم . ت ٥٤٨ هـ) : ٥ أجزاء. القاهرة ١٣١٧ هـ ، ومطبعة الأزهر ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ . الطبعة الأولى أخرجه محمد بن فتح الله بدران .

— الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير . ت ٣١٠ هـ) :
١ — تاريخ الأمم والملوك . ١١ جزءاً . الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية ، والطبعة الثالثة تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . دار المعارف . سلسلة ذخائر العرب (٣٠) القاهرة .
٢ — تفسير الطبرى . المطبعة اليمنية بمصر . بدون تاريخ .

— العجلونى الجراحى (المفسر المحدث الشيخ إسماعيل بن محمد. ت ١١٦٢ هـ) :
كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس . الطبعة الثالثة — دار إحياء التراث العربى ، بيروت ١٣٥١ هـ .

— الفيروز ابادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى الفيروز ابادى ت ٨١٧ هـ) :
١ — بصائر ذوى التمييز من لطائف الكتاب العزيز . خمسة أجزاء . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م . تحقيق الأستاذ عبد العليم الطحاوى .

٢ — القاموس المحيط . المطبعة الأميرية ببولاق مصر ١٣٠١-١٣٠٢ هـ

— للقرطبي (أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصارى . ت ٦٧١ هـ): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) مطبعة دار الكتب المصرية ، الطبعة الثانية ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م .

— المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد النحوى . ت ٣٨٥ هـ) : الكامل : جزءان ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .

— المراكشى (الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله المراكشى) : البرهان فى علوم القرآن . ٤ أجزاء ،مطبعةعيسى البابى الحلبى ،القاهرة ١٣٧٧هـ ١٩٥٨ م الطبعة الأولى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

— المسعودى (أبوالحسن على بن الحسين بن على . ت٣٤٥ أو ٣٤٦ هـ/٩٥٦ أو ٩٥٧ م)

١ — مروح للذهب و معادن الجوهر : جزءان . طبعة القاهرة ١٣٤٦ هـ و ٩ أجزاء طبعة باريس ١٨٦١ — ١٨٧٧م .

٢ — كتاب التنبيه والإشراف . الفاهرة ١٩٣٨ م .

— المقريزى (تقى الدين أحمد بن على . ت ٨٤٥ هـ) .

١ — المواعظ و الاعتبار فى ذكر الخطط والآثار .جزءان، بولاق ١٢٧٠هـ

٢ — إمتاع الاسماع . الجزء الأول .

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٤١ م .

— الملا على القارى (نور الدين على بن محمد بن سلطان . ت ١٠١٤هـ) : كتاب الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة ، المعروف بالموضوعات الكبرى . تحقيق محمد الصباغ ، بيروت ١٩٧١ م .

– الملطي الشافعي المعروف بالطرائفي (أبو الحسن محمد أحمد بن عبد الرحمن ت ٣٧٧ هـ) : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع . الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٦٨ هـ . قدم له وعلق عليه محمد زاهد بن الحسن الكوثرى وكيل المشيخة الإسلامية فى الخلافة العثمانية سابقا .

– المنذرى (الحافظ الكبير الإمام شيخ الإسلام زكى الدين أبو محمد عبد العظيم المصرى المولد والوفاة . ت ٦٥٦ هـ) : الترغيب والترهيب ، الطبعة الأولى ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر .

– الميدانى (أبو الفضل أحمد بن محمد) : مجمع الأمثال . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة . القاهرة ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .

– النسائى (أبو عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب ولد بنسا فى خراسان وسكن بمصر ودفن بمكة . ت ٣٠٣ هـ) : سنن النسائى ، أو المجتبى فى الحديث المطبعة الميمنية . القاهرة ١٣١٢ هـ .

– النووى (محيى الدين أبو زكريا بن شرف . ٦٧٦ هـ) : رياض الصالحين مطبعة الفجالة الجديدة بالظاهر ، القاهرة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

– اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح . ت ٢٨٤ هـ) تاريخ . جزءان ، طبعة هوتسما . ليدن ١٨٨٣ م .

– برستد (جيمس هنرى) : العصور القديمة . نقله إلى العربية داود قربان الأستاذ بجامعة بيروت الأمريكية . بيروت ١٩٢٦ م .

– جمال الدين القاسمى الدمشقى : تاريخ الجهمية والمعتزلة . مطبعة المنار بمصر ١٣٣١ هـ .

– حاجى خليفة (مصطفى كاتب شلبى . ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م) : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون . ليبسك ولندن ١٨٣٥ / ١٨٥٨ م .

– حسن إبرهيم حسن (الدكتور). تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ٤ أجزاء . مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، الطبعة الثانية.

– عبد الرحمن بدوى (الدكتور) . التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ودراسات لكبار المستشرقين . الطبعة الثانية . مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٤٦ م .

– عبد العزيز جاويش : أثر القرآن فى تحرير الفكر البشرى . الناشر دار الكتب الأهلية بالقاهرة .

– على سامى النشار (الدكتور) . نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام . الجزء الأول . الطبعة السابعة . دار المعارف القاهرة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

– على يحيى معمر .

١ – الاباضية فى موكب التاريخ . القاهرة ١٩٦٦ م

٢ – الاباضية بين الفرق الإسلامية . القاهرة ١٩٧٦ م

– عوض خليفات (الدكتور) : نشأة الحركة الإباضية . الأردن عمّان ١٩٧٨ م

– فرحات الجعبرى . نظام العزابة عند الاباضية الوهبية فى جربة تونس ١٩٧٥ م

– فرق وطبقات المعتزلة . تحقيق وتعليق دكتور على سامى النشار والأستاذ عصام الدين محمد على . جزءان الإسكندرية ١٩٧٢ م

– فلهوزن (يو ليوس) . الخوارج والشيعة . ترجمة عبد الرحمن بدوى القاهرة ١٩٥٨ م

– كحاله (عمر رضا) .

١ – معجم قبائل العرب . دمشق ١٩٤٩ م

٢ – معجم المؤلفين . دمشق ١٣٧٦ – ١٣٨٠ هـ / ١٩٥٧ – ١٩٦١ م

– محمد أحمد أبو زهرة : المذاهب الإسلامية . القاهرة ١٩٥٩م (مجموعة الألف كتاب)

– محمد البهى (الدكتور) : الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى . الطبعة الخامسة . بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م

– محمد الخضرى . تاريخ التشريع الإسلامى . الطبعة الرابعة . مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م

– محمد بن عبد العظيم الزرقانى . مناهل العرفان فى علوم القرآن : ج ١ ، دار احياء الكتب العربية بالقاهرة . بدون تاريخ .

– محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج ٢ و ٣ . القاهرة ١٩٦٣ م

– محمد غلاب (الدكتور)

١ – كتاب الفكر اليونانى أو الأدب الهيلينى : ٣ أجزاء . الطبعة الأولى دار الكتب الحديثه بالقاهرة .

٢ – كتاب الفلسفة الإغريقية . الجزء الأول القاهرة ١٩٣٨ م

– مسلم (أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ت ٢٦١هـ) الجامع الصحيح . القاهرة ١٠٣٣ هـ

– مصطفى عبد الرازق (الدكتور) : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية . القاهرة ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤ م

– مصطفى بك مختار . بداية القدماء وهداية الحكماء . القاهرة ١٢٨٢ هـ

– مقدمتان فى علوم القرآن : وقف على تصحيح الطبعة الأولى آرثر جفرى والطبعة الثانية من تصحيح عبد الله اسماعيل الصاوى مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م

– ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى. ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):

١ — معجم الادباء ، أو ارشاد الاريب إلى معرفة الاديب ، أو إرشاد الالباء إلى معرفة الادباء : ٢٠ جزءا ، القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م

٢ — معجم البلدا، : ٨ أجزاء : القاهرة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٦ م

— يوسف كرم (الدكتور) : تاريخ الفلسفة اليونانية : القاهرة ، : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م

- Blachère (R.) : Historie de la Littérature Arabe des Origines jusqu' à la Fin du XV Siécle (III Vols.). Paris 1952–1966.

- Brockelmann (Carl) : Geschichte der Arabischen Litteratur, 2 Vols, Weimar, Berlin 1898–1902, & Supplementband, Leiden 1937–1939.

- De Goeje : Catalogue Codicum Orientalium Bibliothecae Academiae Lugduno-Batavae

(فهارس المخطوطات العربية فى ليدن)

- De Slane : Catalogue des Manuscrits Arabes de la Bibliothèque Nationale, Paris.

(فهارس المخطوطات العربية فى المكتبة الأهلية فى باريس)

- Galland : Essai Sur les Motazélites. Paris 1906.

- Kafafi (Muhammad) : The Rise of Kharijism According to Abu Said Muhammad B. Said Al-Azdi Al-Kalhati. (pp. 29-48 in Bulletin of the Faculty of Arts, Cairo University Vol. XIV. Part I May 1952).

- Nicholson (A. Reynold) : Literary History of the Arabs. Cambridge, 1930.

- Rosenthal : Political Thought in Medieval Islam. Cambridge, 1958.

كشاف

(ت)

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٦٢٠ لسنة ١٩٨٠

مطابع سجل العرب
٩ شارع عماد الدين / القاهرة ت ٩٣٢٧٠٦

Al-Kashf W-Al-Bayan

ABI ABDULLAH MOHAMMAD BEN
SAID EL-AZDI EL-QALHATI

VOLUME II

EDITED
BY
Dr. SAYEDA ISMAIL KASHEF

1980